







لشِحْذَةِ الْأَنْهَانِ

بِسِيرَةِ بَلَادِ الْعَرَبِ وَالْسُّودَانِ



تراثنا

لشحيل الأذهان  
بسيرة بلاد العرب والسودان

تأليف  
محمد بن عثيمين التونسي

حققه وكتب حواشية  
دكتور مصطفى محمود عسّاكـر  
دكتور خليل محمود عسّاكـر

راجعة  
دكتور مجتبى مصطفى زيـادة

القاهرة  
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر  
الدار المصرية للتأليف والترجمة  
١٩٦٥





محمد بن عمر التونسي ، مؤلف الكتاب



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تصدير

هذا الكتاب « تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » للتونسي ، أهم مصدر للتعریف باحوال اقليم هام من أقالیم السودان . اذ المقصود ببلاد العرب والسودان هنا : بلاد السودان التي تسکنها القبائل العربية ، الى جانب سکانها الأصليين من السودان ، واقليم دارفور بصفة خاصة . وقد عرف هذا الاقليم باسم أقدم شعب سکنه ، وهو شعب الفور ، الذي أضحى اسمه علما عليه . وحوالى منتصف القرن السابع عشر الميلادي ، قامت في هذه البلاد سلطنة اسلامية ، كانت تكون وقتذاك حلقة في سلسلة المالك الاسلامية السودانية الواقعة بين الصحراء الكبرى ومصر في الشمال ، وبين الغابات الاستوائية في الجنوب ، وتمتد من البحر الأحمر شرقا الى المحيط الأطلنطي غربا ، وتشمل ممالك سنار وكردفان ودارفور ووادى وباجرمي وبرنو أو الكانم وممالك الحوشة ثم مالى .

أما اقليم دارفور ، وهو أقصى مديریات جمهوريه السودان في الغرب حاليا ، فهو ذو صفات بشرية خاصة ، منشؤها نشاط الفور أنفسهم ، حينما سرى فيهم وعلى قبلي واضح ، وذلك فضلا عن محاولاتهم التوسعية الدائبة ، مذ صارت لهم سلطنة في هذا الاقليم . يضاف الى هذه الصفات البشرية ، صفات طبيعية ، نابعة من الوضع الجغرافي لهذا الاقليم . ففي الشمال يتبع اقليم دارفور عند الصحراء الليبية ، وفي الشرق تقع سلسلة عريضة من التلال الرملية ، تعرف بالأقواز ، وفي الجنوب يقع بحر العرب والمنطقة التي ينتشر فيها ذباب تسي تسي . أما الناحية الغربية من اقليم دارفور ، فليس بينها وبين المساحات الممتدة غربا : مثل وادى

وباجرمى ، ومنطقة تشاد حواجز جغرافية ولا فروق جوية أو نباتية . بل خضعت حدود دارفور من هذه الناحية ، اما لعوامل سياسية أو قبلية .

أما عن تاريخ دارفور فمعلوماتنا عنه قليلة ، وتعتمد أساسا على الروايات الشفوية التي حفظها أهل البلاد جيلا بعد جيل ، وهى روايات يكتنفها التناقض والغموض . فتاريخ دارفور القديم لا نكاد نعرف عنه شيئا على وجه التحقيق ، وربما تكشف الأبحاث الأثرية في المستقبل عما غمض من تاريخ ذلك العصر . وكل ما يمكن أن يقال هنا : ان شعب الفور هم أصحاب البلاد الأصليون ، ويستقلون بالمنطقة الجبلية الوسطى ، وبها جبل مرّة . ومنذ حوالي القرن السابع الميلادي ، وفد على هذا الإقليم قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية ، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى . فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميدوب والبرقد ، على حين جاءت جماعات ليبية من البدائيات والرغواة من شمال أفريقيا . واستطاعت هذه القبائل النوبية الليبية ، أن تطرد جماعات السود إلى العجال ، وأن تقسم في هذه المنطقة ممالك خاصة ، وأدت هذه الهجرات الشمالية كذلك إلى ازدياد تجارة الرقيق .

أما الهجرات العربية الرئيسية إلى هذا الإقليم ، فيبدو أنها جاءت من مصر وشمال أفريقيا ، عبر السهوب والباري الواقعة بين النوبة واقليم تشاد ، وذلك بعد أن قامت في مصر وشمال أفريقيا دول إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية .

وتبدأ العصور الوسطى في دارفور حوالي القرن الثاني عشر ، حيث أقام الداجو سلطنة في هذه البلاد . وبيدو أن أولئك الداجو جاءوا من الشمال . وحدد ابن سعيد وأبو الفدا وابن خلدون مواضعهم خلال القرنين الثاني عشر والرابع عشر غرب الواحات المصرية ، بين النوبة والكانم ، وعرف الداجو عند هؤلاء المؤرخين باسم التاجوين ؛ وكانوا يقطنون على مقربة من قبيلة الرغواة . واقتصر نفوذهم على الجزء الجنوبي الشرقي من دارفور .

وأعقب هذه القبيلة في التسلّط على الفور ، قبيلة التنجور في القرن الخامس عشر الميلادي . غير أن سلطان هذه القبيلة الثانية اقتصر على الجزء الشمالي من دارفور . ومن المحتمل أن مملكتي الداجو والتنجور قامتا جنبا إلى جنب ، حتى القرن السادس عشر . ويبدو تاريخ دارفور أكثر وضوحاً منذ مجيء التنجور ؛ غير أن أولئك التنجور لم يستمر سلطانهم على ما تغلبوا عليه في دافور طويلاً . فقد أدى اختلاط العرب بالفور إلى ظهور طبقة الكثجارة التي نالت نصياً من الدماء العربية . ومن هذه الطبقة ظهرت أسرة كيرا التي انتزعت حكم دارفور من التنجور . وظل هذا البيت من الفور يحكم دارفور من حوالي منتصف القرن السابع عشر ، حتى نهاية حكم على دينار سنة 1916 م . وأول سلاطين هذا البيت « دالى » ، ثم « كورو » ، ثم « سليمان سولونج » ابن « كورو » . ثم نزع من بيت المثلث في دارفور أمير اسمه توتسام ، وهو الأمير الذي حاربه سليمان وطرده من دارفور ، فأسس مثلث المتبعة في كردان .

ومع أن الإسلام أخذ يشق طريقه إلى هذه البلاد منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي على الأقل ، حيث أخذت تنهال عليه الهجرات العربية من الشمال والشرق والغرب ، فإن الإسلام لم يصبح الدين الرسمي للبلاد إلا حين تولى سليمان سولونج عرش سلطنة دارفور سنة 1640 م . ومنذ ذلك الحين ، بدأ إقليم دارفور يدخل نطاق التاريخ العام ، وذلك على الرغم من أنه يعتمد على روايات أهل البلاد . إذ لم يتعثر على تاريخ مدون ، أو وثائق ذات قيمة تاريخية ، اللهم إلا ما سجله عن تاريχها ومظاهر حضارتها ، الرحالة الذين زاروا هذه البلاد .

وأول أولئك الرواد الذين زاروا إقليم دارفور ، الرحالة الإنجليزي براون *W. G. Browne* وذلك في عهد سلطان دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد . وقد سلك براون في رحلته إلى دارفور طريق درب الأربعين ، من أسيوط إلى العاشر . وظل براون في دارفور نحو ثلث سنوات من يوليو سنة 1793 م

الى مارس سنة ١٧٩٦ م ؛ غير انه ظل في أثنائها شبه سجين ، فلم يسمح له بالتجول في البلاد أو جمع معلومات عنها ، بسبب ارتياح السلطان في نوایاه ، باعتباره أوربيا مسيحيا ، وفي المهمة التي من أجلها جاء هذا الأوروبي المسيحي إلى دارفور . ثم ان براون لم يعثر في دارفور على تاريخ مدون لهذه البلاد ، ولذا جاءت المعلومات التي استطاع الحصول عليها من أهلها قليلة سطحية ، يشوبها الاضطراب وقلة العمق ، وذلك باستثناء بعض ملاحظات خاصة بأحوالها الجغرافية والاقتصادية وقتذاك <sup>(١)</sup> .

وبعد حوالي سبع سنوات من رحلة براون إلى دارفور ، أى في سنة ١٨٠٣ م ، زار هذه البلاد رحالة عربي ، هو محمد بن عمر التونسي ، مؤلف هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم بعد تحقيقه . وأتيح للرحالة محمد بن عمر التونسي أن يلمّ الماما واسعاً بأحوال دارفور الاجتماعية والاقتصادية ، ونظمها السياسية والأدارية والحربية ، وعلاقاتها بغيرها ، فضلاً عن ذكر تاريخها على ما سنذكره مفصلاً بعد .

وفي المدة من سنة ١٨٤٩ م الى سنة ١٨٥٥ م قام الرحالة المعروف هنرى بارت Henry Barth برحلته المشهورة من طرابلس الغرب الى بحيرة تشاد . وقد ارتاد بارت خلال هذه المدة بلاد السودان ما بين تمبكت وباجرمي . والمعروف أن بارت لم يقم بزيارة دارفور أو وادى ، ولكنه استطاع — أثناء اقامته في برنو — أن يجمع تنفاً قليلاً عن تاريخ هذه الأقاليم ، معتمداً في ذلك على بعض الروايات الشفوية التي نقلها عن أهل البلاد أنفسهم ، فضلاً عن اشارات قليلة لبعض المؤلفين القدماء من العرب <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر رحله براون الى سوريا ومصر ودارفور فى كتابه وعنوانه

Browne : Travels in Africa, Egypt and Syria'

(٢) انظر Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa

وفي سنة ١٨٧٤ م ، وصل الرحالة الألماني جوستاف ناختيجال «Gustav Nachtigal» إلى دارفور ، بعد أن قضى ستة أعوام تقريباً في رحلته التي بدأها من طرابلس الغرب متوجهًا إلى دارفور عن طريق بحيرة تشاد وباجرمي ووادي . وفي مدينة الفاشر عاصمة دارفور ، صرفة ناختيجال ستة شهور ، جمع أثناءها كل ما استطاع جمعه من روایات شفوية ومكتوبة عن تاريخ دارفور الوسيط ، بمساعدة سلطان دارفور آنذاك — السلطان إبراهيم بن محمد حسين — وأحد الأمراء الفوراويين ، واسمه باسي طاهر . وعلى الرغم من هذا ، فإن ناختيجال لم تتح له الفرصة الكاملة لدراسة أقاليم دارفور دراسة كافية . ذلك لأن السلطات الحاكمة في دارفور ، لم تسمح له بالتجول في أنحاء البلاد ، فلزم الطريق الرئيسي الذي يقطع دارفور من الغرب إلى الشرق . ثم أنه جمع بياناته عن دارفور في مدينة الفاشر . وقد يكون هذا راجعاً إلى ارتياح السلطان في مهمته ، لا سيما وأن الحكومة المصرية كانت تستعد آنذاك لضم دارفور إلى بقية أقاليم السودان التي كانت تحت ادارتها . ومع هذا فإن رحلة ناختيجال إلى وادي ودارفور تعد مصدراً أصلياً للتاريخ هذين الأقاليمين ، ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الأسرة الحاكمة في دارفور ، ونظم البلاد السياسية والادارية في عصره .

هذا عرض موجز للرحالة الذين أسهموا بجهودهم في محاولة إجلاء بعض ما غمض من تاريخ سلطنة دارفور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد . سواءً كان المدفون هذه الرحلات التي قام بها أولئك الرحالة ، خدمة مصالح استعمارية ، أو البحث عن الحقيقة وخدمة العلم ، فإنهم كانوا — باستثناء محمد بن عمر التونسي — موضع ارتياح السلطات الحاكمة في دارفور وقلقها ، فلم يتمكنوا من التنقل بحرية في أنحاء البلاد ، ومن ثم لم يتيسر لهم دراسة أحوال البلاد دراسة كافية .

أما محمد بن عمر التونسي ، فيختلف عن أولئك الرحالة الأوروبيين .

فهو تونسي الأب والجد ، مصرى الأم والتربية ؛ أفادته عروبة فى الوصول الى دارفور ، موطن كثير من القبائل العربية التى تربطه واياها رابطة الأصل واللغة والدين ، وترتبطه بأهلها من السودان — ومعظمهم وقتناك من المسلمين — العروبة الإسلامية الوثقى . صحيح أن محمد بن عمر التونسي لم يذهب الى دارفور جما فى الاستطلاع أو الدراسة أو الكشف الجغرافى ، ولكن ذهب للحاق بأبيه عمر التونسي الذى رحل قبله الى سنار ثم الى دارفور . ومن قبل رحل جده سليمان الى سنار . وأفاد محمد بن عمر التونسي فى الالام بأحوال البلاد السياسية والاجتماعية والتاريخية ، علاقة أبيه وجده من قبل بهذه البلاد التى صاحراً أهلها ، وأضحى محمد بن عمر التونسي فيها اخوة وأعمام . وقد اشتغل هؤلاء جميعا بالعلم والتجارة ، وتنقلوا بين تونس ومصر والجهاز وسنار ودارفور ووادى . وصارت لهم مصالح تجارية واسعة ومرافق سياسية مرموقة ، ومكانة دينية عظيمة عند ملوكها وفقارتها . وما لا شك فيه أن خبرة هؤلاء جميعاً تضييف كثيراً الى ما اكتسبه محمد بن عمر التونسي من خبرة بأحوال هذه البلاد خلال اقامته بها .

ومما يسر للتونسي التعرف على نواحي الحياة فى البلاد ، سهولة التخاطب مع كافة الطبقات باللغة العربية ، التى لا يجهلها سوى القليل من أهل دارفور . وأتيح للتونسي — بما ناله أبوه عمر من مكانة لدى السلطان والأمراء والوزراء والفقهاء — أن يكون من ذوى الخطوة لديهم جميعاً . فحضر مجالس السلطان ، ووقف على كثير من أسرار السياسة ، وتقالييد البلاط ، ونظم الحكم والإدارة والقضاء ، وشهد بعض الحوادث السياسية والجريبة الهامة . وأتيح للتونسي أن يتوجول في كل أنحاء دارفور في حرية تامة ، وأن يمر بمدنها وقرائها وأسواقها ، وأن يدخل المناطق الجبلية الوعرة ، التى لا يسمح لأحد بالدخول فيها الا باذن من السلطان ، وهى المناطق التى يسكنها «أعيجم الفور» على حد قول التونسي . ولذا تتميز كتابات التونسي بما شهد فى هذه البلاد — رغم

حدثه وقتذاك — بالدقة وقوف الملاحظة ، والقدرة على النفاذ إلى أعماق الأمور . وبذل استطاع التونسي أن يدرس حياة الناس على اختلاف سلالاتهم وطبقاتهم ولغاتهم دراسة علمية طيبة<sup>(١)</sup> .

أما ترجمة حياة محمد بن عمر التوسي ، فإنه أودعها مقدمة كتابه . غير أن هنالك بعض ملاحظات توجب الالتفات ، وأول هذه الملاحظات أن مصر كانت كعبة حجّ إليها الجد سليمان ، والأبن عمر ، والحفيد محمد بن عمر . إذ تلقى الجد سليمان علومه الدينية واللغوية في الأزهر ، وشاءت المقادير أن يخرج من تونس للحج فلا يعود إليها ، بل سافر إلى سنار حيث طاب له العيش ونسى أهله في تونس . وشاءت المقادير مرة ثانية أن يخرج سليمان في قافلة من سنار إلى مصر للتجارة ، وأن يذهب عمر ابنه صحبة خاله أحمد بن سليمان الأزهري من تونس للحج ، وأن يلتقي ثلاثتهم في مصر ، فيتواعد الجميع على المقابلة مرة ثانية في القاهرة بعد انتهاء موسم الحج . غير أن أحمد بن سليمان الأزهري مات ودفن في مكة . ولما عاد عمر إلى مصر ولم يجد أباه ، انصرف إلى تلقى العلوم الدينية في الأزهر . ولما عيشه الانتظار ، رحل إلى سنار ، ولكنه عاد إلى القاهرة بعد أن يئس من اقناع أبيه بالعودة إلى تونس . وواصل عمر دراسته في الأزهر ، وتزوج من فتاة مصرية أنجب منها ابنه محمداً سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) ثم اتّخب عمر تقبياً لرواق المغاربة بالأزهر . ولما علم عمر بوفاة أبيه ، سافر إلى سنار ليضم إليه أخوه له غير أشقاء ، يبيّد أنه لم يعد إلى مصر أو إلى تونس ، بل طاب له كذلك العيش في سنار ، وبعدها انتقل إلى دارفور .

أما ابنه محمد ، فإنه نشأ في مصر ، وتلقى دروسه في الأزهر ، حتى إذا بلغ الرابعة عشرة من عمره ، اعتزم البحث عن أبيه في بلاد السودان . وشاءت المقادير مرة ثالثة أن يلتقي محمد بن عمر التونسي بصديق أبيه ، هو السيد

(١) راجع مقال مصطفى مسعد : سلطنة دارفور — تاريخها وبعض مظاهر حضارتها . مجلة الجمعية المصرية التاريخية ، العدد ١١ ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٩ - ٢٢٣

أحمد البدوى ، من أكبر تجار دارفور . فسافر معه محمد صحبة قافلة مسافرة الى دارفور . وسلك محمد بن عمر التونسي درب الأربعين ، وهو الطريق الذى سلكه قبل ذلك عشر سنوات ، الرحالة الانجليزى براون . ولما وصل محمد ابن عمر التونسي الى دارفور ، استقبله هناك عمه غير الشقيق أحمد زرّوق ، وصاحبى حيث يقيم أبوه عمر التونسي فى اقطاعه الذى منحه آباء السلطان عبد الرحمن الرشيد فى « أبو الجدول » .

كان السلطان وقتذاك ، أى سنة ١٢١٨ هـ ( ١٨٠٣ م ) ، هو الحدث محمد فضل ، الذى خلف آباء عبد الرحمن الرشيد على حكم دارفور . وتولى الوصاية عليه الوزير الأعظم الأب الشيخ محمد كثراً . ولم يفت عمر التونسي أن يقدم ابنه محمداً إلى أولى الأمر فى البلاد . فأرسله إلى تندلتى محملاً بالهدايا إلى الوزير الأعظم الأب الشيخ محمد كثراً والفقير مالك الفوتاوى . ولما عاد محمد بن عمر التونسي إلى « أبو الجدول » محملاً بالهدايا والخلع ، سافر عمر إلى تندلتى ليستأذن في السفر إلى تونس لرؤيه أهله وأقاربه ، وليخبر الوزير الأعظم أنه سيترك ابنه محمداً في « أبو الجدول » ليجمع خراج اقطاعه وينتفع بزراعته . فسمح له الوزير الأعظم بالسفر ، بعد أن وعده عمر بالعودة مرة ثانية إلى دارفور .

أعطى عمر ابنه محمداً وثيقة الاقطاع في « أبو الجدول » ، ثم غادر دارفور قاصداً تونس بطريق وادى . غير أنه لما وصل إلى وادى ، تطلع للحصول على منصب رفيع في حاشية السلطان محمد عبد الكرييم صابون سلطان وادى وقتذاك . واستطاع عمر أن يظفر بمنصب وزير في حكومة وادى ، وحصل على أملاكه في قرية أبالي كذلك . وظل عمر على ذلك عدة سنوات ، انتظر خلالها وصول ابنه محمد إلى وادى . ولما تأخر وصوله ، استعد عمر للسفر إلى تونس بعد أن أوصى أن يخلفه في الوزارة أحمد الفاسى ، وعهد إلى أخيه أحمد زرّوق أن يشرف على أملاكه في أبالي ، ويرعى أسرته وبنيه فيها .

أما محمد بن عمر التونسي ، فإنه عاش في دارفور نحو سبع سنوات ونصف سنة ، ألم خلالها يأحوال البلاد الماما تاما ، ولم يتمكن من مغادرة دارفور إلى وادي ، إلا بعد انتهاء الحرب بين البلدين ، فسافر محمد بن عمر التونسي إلى وادي على رأس وفد من قبل السلطان محمد فضل . واستقبله السلطان محمد عبد الكريم صابون استقبلا طيبا ، وأسبغ عليه من عطفه ما أسبقه على أبيه من قبل .

أقام محمد بن عمر التونسي في وادي مدة لم يلبث بعدها أن واجهته بعض المشاكل ، التي تغيرت بسببها أحواله . وأول هذه المشاكل أن عمه أحمد زروق — الذي استأمنه عمر على أملاكه وعياله — طمع في هذه الأموال ل نفسه ، ولم يعط منها مهما الا الفتات . وثانيتها أن الوحشة ازدادت بينه وبين أحمد الفاسي الذي وشى به عند السلطان ، فارتبا له ، وقلب له ظهر المجن . ثم لبى عمر دعوة ابنه له في الحضور إلى وادي ، واستطاع بنفوذه لدى السلطان صابون ، أن يعزل أحمد الفاسي من الوزارة ، ولكن لم يلبث أن استرد منصبه بعد رحيل عمر إلى تونس .

وبعد أن قضى محمد بن عمر التونسي نحو ثمانية عشر شهرا في وادي ، استأذن السلطان صابون في السفر إلى تونس ، فأذن له ، وبلغها حوالي سنة ١٢٢٨ هـ ( ١٨١٣ م ) أى بعد حوالي عشر سنوات منذ غادر القاهرة إلى دارفور .

لم يبق محمد بن عمر التونسي في تونس طويلا ، بل رحل إلى القاهرة ، حيث التحق بخدمة الجيش المصري في وظيفة واعظ باحدى فرق المشاة ، وهي الفرقة التي اشتراك في حرب المورة سنة ١٨٢٧ م . ولما رجع التونسي من المورة سنة ١٨٣٢ م ، اشتغل بتنقية الترجمة العربية لكتب الطب ، التي كانت تدرس في كلية الطب البيطري بأبي زعبل . وهناك التقى محمد بن عمر التونسي بالدكتور

پيرون الفرنسي . وتلقى پيرون دروسا في اللغة العربية على يد محمد بن عمر التونسي .

ولما علم پيرون برحلة التونسي في بلاد السودان — دارفور ووادى — شجعه على كتابة مذكراته عنها . وكان الغرض من هذا العمل أول الأمر أن تصبح هذه المذكرات كتابا للمطالعة العربية . ومن مؤلفاته :

— كتاب تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان .

— رحلة وادى . وقام بيلون بترجمتها إلى الفرنسية ، ونشرها في باريس سنة ١٨٥١ . أما النص العربي لهذه الرحلة ، فإنه لم ينشر حتى اليوم ، ولا نعرف عنه شيئا ، ولعله في حوزة ورثة پيرون (١) .

ولما عين پيرون مدير المدرسة الطب بالقصر العيني سنة ١٨٣٩ ، أوصى بتعيين التونسي كبيرا للمرجعين فيها ؛ فأناحت هذه الوظيفة الجديدة للتونسي فرصة الالهام في خدمة اللغة العربية في عصر الترجمة في مصر في منتصف القرن التاسع عشر . فإنه فضلا عما قام به من تصحيح الكتب المترجمة إلى العربية ، أو الموضعية في العلوم الحديثة ، ساعد على استخدام كثير من المصطلحات العلمية المتعلقة بعلوم الطب والنبات والحيوان . ومن مؤلفاته في هذه الناحية :

— الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية ، وهو الكتاب الذي صنفه بتكليف من كلوت بك ، مخطوطه بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٤٦٤١ ، ويوجد منه بدار الكتب المصرية أربع نسخ مصورة عن نسخة باريس . ولم يطبع منه سوى الجزء الأول .

أما الكتب الطبية والعلمية التي تم تقليلها إلى العربية ، وقام التونسي بتصحيحها وتحريرها فهنها :

Encycl. of Islam, art. "Tunsi". (١)

— الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع .

— كنوز الصحة ويواقت المرضة .

— روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى .

— الدر الغوال في معالجة أمراض الأطفال<sup>(١)</sup> .

ولمحمد بن عمر التونسي فضل لا ينكر في مراجعة بعض المؤلفات العربية القديمة التي طبعت في مصر على عهده . ومن هذه المؤلفات : مقامات الحريري ، والمستظر للأشبيسي . ثم انه أشرف على طبع القاموس المعiste للقىروز أبادى بمطبعة بولاق ، وذلك بعد مراجعة نسخة كلكتا على نحو سبع نسخ مخطوطة لهذا القاموس .

. . . وجرى محمد بن عمر التونسي ، في أواخر أيامه ، على القاء دروس في الحديث بمسجد السيدة زينب ، في يوم الجمعة من كل أسبوع ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) بعد أن عمر سبعين سنة هجرية<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

كان الأصل المعتمد في نشر كتاب « تشحيد الأذهان ، سيرة بلاد العرب والسودان » هو النسخة المطبوعة بالحجر ، التي كتبها المستشرق *پيرون* *Perron* بخطه ، ونشرها في باريس سنة ١٨٥٠ م ، كما جاء في آخر النسخة حيث نجد ما نصه : « وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة ، المنقة الجميلة ، بدار طباعة السيد *كينيلين* <sup>(٣)</sup> الفاخرة ، الكائنة بمدينة باريز البارزة ، وذلك برسم وخط السيد *پيرون* ، بنعمته الله وعون . وكمل طبعه على ذمته ،

(١) جمال الدين الشيال : ( دكتور *پيرون* والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد بن عمر التونسي ) ، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، المجلد الثاني ١٩٤٤ ، ص ٢٢١ .

Encycl. of Islam, art. Tunsi. (٢)

Kaeplin (٣)

ونظره وهمته ، في سلخ شهر نوئمبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الألف المسيحية ، والحمد لله في البدء والنهاية ، ونائله من الخير بلوغ العاية ، آمين » .

وفي الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية<sup>(١)</sup> ، أن النسخة العربية التي نشرها بيرون عام ١٨٥٠ « هي النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده » ، ومن المؤكد أن المترجم التبس عليه الأمر ، فالعبارة المذكورة في آخر النسخة العربية صريحة في بيان أن النسخة مكتوبة برسم بيرون وخطه ، فضلاً عن أن الأصلين الألماني والإنجليزي للدائرة يفيدان أن النسخة العربية كتبها بيرون بخطه .

وقد نشرت الطبعة التي بالحجر في نطاق ضيق للغاية ، إذ كان عدد النسخ التي طبعت من الكتاب آنذاك لا يتجاوز المائة<sup>(٢)</sup> ، فنسخه منذ طبع نادرة ، وهي اليوم أندر .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الكتاب طبع قبل وفاة المؤلف بسبعين ، وأن المؤلف كان يعيش حينذاك في القاهرة حيث كان يعمل بيرون .

وفي آخر النسخة المطبوعة بالحجر تصويبات كثيرة تربو على السبعين ، منها المفظي الذي عدل فيه عن لفظ الى لفظ غيره ، ومنها ما هو اضافة لفظ أو عبارة أو عبارات سقطت عند النسخ فاستدركـت عند المراجعة من مثل قول المؤلف في الأصل : « فتخرج الشابات من النساء صفوافا صفوافا ». وقد صحح عند المراجعة فصار : « فتخرج الشابات من النساء متزيـنـات ، والشبان من الرجال في أكمـل زينة يقدرون عليها ، وتصطف النساء صفوافا صفوافا »<sup>(٣)</sup> .

(١) مجلد ٦ ص ١١٧ ، مادة « التونسي » .

(٢) راجع كتاب « محمد بن عمر التونسي » للدكتور عبد العزيز عبد المجيد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٧ .

(٣) تسمى الاضفافات التي من هذا النوع اذا كتبت في هامش المخطوطـة عند المراجـعة الحـاقـا جـمـع لـحـقـ ، بفتح اللـام والـحـاء .

ووجود هذا القدر الكبير من التصويبات والاستدراكات في آخر النسخة  
جعلنا نطمئن إلى أنها روجعت بدقة وعناية ، وأن المتن بعد المراجعة في جملته  
سليم ، غير أنها وجدنا بالمتن عند التحقيق وانعام النظر غموضاً أو خفاءً أو خللاً  
في طائفة من المواضع ، فكان لا يسعفنا في استجلاء الغامض واظهار الخفي وسد  
الخلل غير الرجوع إلى الترجمة الفرنسية .

فإن للكتاب ترجمة فرنسية عملها بيرون كذلك وطبعها في باريس  
سنة ١٨٤٥ م <sup>(١)</sup> أي قبل الطبعة العربية بخمس سنوات ، وجعل عنوانها :  
في الفرنسية — بعد تقليلها من العربية — في شيء من التصرف كالتالي :

Voyage au Darfour, ou :

L'aiguisement de l'esprit, par le voyage au Soudan et parmi les arabes  
du centre de l'Afrique.

وكتب بيرون في آخر الترجمة ملاحظات وتوبيخات تقع في أكثر من تسعين  
صفحة ، أكثرها مستمد من التونسي مؤلف الكتاب ، ورمز له بكلمة « الشیخ » ،  
وأقلها للمترجم الذي أضاف إلى الترجمة فصلاً من تأليفه جعله ملحقاً لها ،  
وعنوانه : « السلطان أبو مدين » .

ونحن نعلم أن التونسي ألف كتابه « تشحيد الأذهان ... » تلبية لرغبة  
صديقه بيرون ، وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن التونسي كتب مذكراته عن  
الرحلة إلى دارفور ثم حررها وجعل منها هذا الكتاب الذي نستطيع أن نعتبر  
نسخته هي النسخة الأصلية ، وهذه اعتمد عليها بيرون في أمرين :

الأول : في الترجمة الفرنسية التي نشرها قبل أن ينشر النسخة العربية  
كما سبق القول .

---

(١) وللرحلة كذلك ملخص باللغة الإنجليزية مطبوع بعنوان

Travels of an Arab Merchant in the Sudan

(راجع عبد العزيز عبد المعيد : « محمد بن عمر التونسي » ص ٧ ) .

والآخر : في كتابة النسخة العربية التي طبعت بعد ذلك برسم المترجم وخطه .

وهذه النسخة الأصلية التي هي نسخة المؤلف ، والتي يمكن أن نرمز لها بالرمز (أ) لم تصلنا ولا نعرف عنها شيئاً ، فهي في حكم المفقودة . ومما لا شك فيه أنها كتبت قبل عام ١٨٤٥ م بفترة .

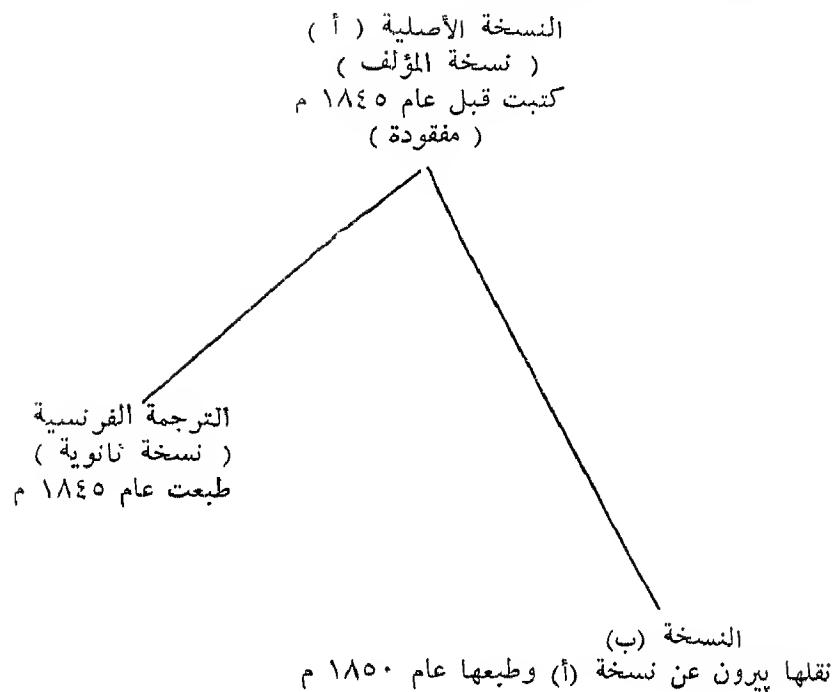
أما النسخة الأخرى وهي نسخة المترجم فهي التي وصلتنا مطبوعة بالحجر عام ١٨٥٠ م ، بخط بيرون نفسه ، وهذه يمكن أن نرمز لها بالرمز (ب) .

أى أن الترجمة الفرنسية التي طبعت عام ١٨٤٥ م والنسخة العربية (ب) التي كتبها بيرون تنتسبان إلى أصل واحد هو نسخة المؤلف .

وعلى هذا يسوغ لنا أن نعتبر النسخة العربية المطبوعة بالحجر بمثابة نسخة خطية للكتاب ، كتبت في زمان المؤلف ، ثم روجعت بعد الطبع وقوبلت على نسخة المؤلف وكتبت التصويبات في آخر الكتاب ، ولو حدث أن روجعت بعد نسخها بوصفها مخطوطة لكتبت تصويبات في هامش المخطوطة ووضعت العبارات المستدركة عند المراجعة في الهامش كذلك على شكل الحالق ، كما يتبع في تصحيح المخطوطات ومراجعةها ومقابلة بعضها على بعض .

أما الترجمة الفرنسية فتعتبر نسخة ثانية تقوم مقام نسخة المؤلف في تقويم المتن وأكمال ما فيه من نقص عند الضرورة . والذى يؤكد لنا أن بيرون عمل الترجمة عن نسخة المؤلف سقوط ألفاظ أو عبارات أو ما يكاد يقرب من الصفحة ، من متن النسخة (ب) ، فلم يستقم لذلك سياق الكلام بدونها . ومن أهم ما أضيف إلى المتن اعتماداً على الترجمة الفرنسية ما جاء في صفحتي ٢٠٦ ، ٢٠٧ من الكتاب وقد بلغت مواضع الإضافات التي من هذا النوع حوالي ثلاثةين موضعًا .

وفيما يلى جدول لبيان ذلك :



والنسخة (ب) المعتمدة في نشر الكتاب مكتوبة بقلم النسخ المعتمد وتقع في ١٥٧ ورقة ، وهي خالية من أرقام الصفحات ، ولكننا وضعنا لصفحاتها أرقاماً انتهت إلى رقم ٣١٤ على ضوء التصويبات الموجودة في آخر النسخة ، وفي الصفحة سبعة عشر سطراً . والنسخة مضبوطة بالشكل في كثير من المواقع ، وبخاصة الأعلام ومصطلحات الوظائف والرتب والألقاب وأسماء النبات والأشجار والأمراض والأطعمة والملابس والحلوى وغيرها ، وكذلك متون الأغانى سواء أكانت بالعامية أم بلغة الفور . غير أن هناك مواضع غير لغوية لم تضبط بالشكل ، ولم يسعفنا في ضبطها إلا الترجمة الفرنسية .

\*\*\*

ولا بأس من أن تقف الآن وقفه عند أسلوب التونسي في كتابه هذا فهو أسلوب من نوع خاص . ذلك بأننا نلاحظ في مواضع كثيرة من المتن خروجاً

على قواعد النحو والصرف ، كما نلاحظ مجافاة للأسلوب العربي السليم .  
نem نجد بعد ذلك عدم اكتراث بالقواعد الاملائية أحياناً .

ولو أن المؤلف توخي أسلوب اللغة العربية الفصحى وسار على النهج القوي ، ملتزماً في كتابه ما تقتضيه علوم اللغة لكان الطريق إلى تقويم المتن وتحريره واضح لا خلاف فيها ، ولكن الذي لاحظناه منذ البداية أن المؤلف كان يلتزم العربية الفصحى بصفة عامة في كتابه ، غير أنه كان يزاوج حيناً بين الفصحى والعامية ؟ أو يجتاز حيناً آخر في بعض العبارات إلى العامية الخالصة .

وقد جعلنا هذا الضرب من التأليف نكر ونقدر ونترى قبل أن تقوم بأى تغيير في المتن . ولو أن النسخة كانت مكتوبة بخط التونسي نفسه وأنه هو الذي ضبطها بالشكل على نحو ما جاء في نسخة بيرون التي بين أيدينا لما كان هناك للتفكيير والتقدير والتريث مجال ، فإن النسخة في هذه الحالة تنشر كما هي بدون أدنى حرج وإذا كان للناشر ملاحظات أو اعتراض على شيء فيها كتب ذلك في الحاشية ، ولكن النسخة كتبها مستشرق بخطه نقلاب عن نسخة المؤلف ، ثم قابلها عليها كما سبق القول .

ومهما يكن فقد حاولنا جهد الطاقة تفهم الأسلوب الذي جرى عليه المؤلف وهو أسلوب لا يسير على وطيرة واحدة ؛ وهو بحاجة إلى شيء من الدراسة التي لا بد منها لتقديم صورة محررة من المتن أقرب ما تكون من الصورة التي يرجح أن المؤلف توخاها وقصد إليها .

ومما لاحظناه وسبقت الاشارة إليه أن المؤلف يتجاوز أحياناً عما تقتضيه القواعد النحوية مراعاة للسجع ، لدرجة يصبح معها تصحيح المتن نحوياً ضرباً من افساده . ومن الأمثلة على ذلك قول المؤلف <sup>(١)</sup> : « واعتذر بعذر ساقط ، لا يجد له لاقط ». و قوله <sup>(٢)</sup> : « ففسد ما به من التخيل ، وذهب رونقه بعد

---

(١) صفحة ٣٤

(٢) صفحة ٤٨

أن كان جميل » . والراجح أن ما جاء في آخر النسخة وهو قوله : « وذلك برسم وخط السيد بيرون ، بنعمة الله وعون » إنما هو من هذا القبيل .

ومما هو مزيج من الفصحى والعامية قوله (١) : « فاغتاظ وعرف أنها حيلة وتمت عليه » وقوله (٢) : « قد انكسرت سفيته ، وضاع ما كان حيلته » وقوله : (٣) « فحيئذ يحملها الغيظ على أن تفتن عليه » .

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة ففيما ذكرنا ما يكفي فيما نظن لبيان أن أسلوب المؤلف هو حقيقة من نوع خاص . ونحن نرجو أن تكون الصورة التي انتهى إليها المتن في هذه الطبعة هي الصورة المثلث له أو هي أقرب .

\* \* \*

#### علامات ورموز جديدة :

وردت في كتاب « تشحيد الأذهان » للتونسي بعض الأغانى بلغة الفور ، وأعلام لأشخاص وبلاط وأماكن ، وأسماء لمناصب إدارية ، وكذلك ألفاظ وعبارات عامية . وأضبط ذلك كله ضبطا صحيحا دقينا ، استعملنا العلامات الآتية (٤) :

(١) علامة خاصة بالإملاء وهي : (— = e) وتوضع تحت الحرف المال . وتنطق كـ تـنـطـقـ الـ eـ فيـ الـ كـتـابـةـ الـ لـاتـينـيـةـ . وإذا مدـتـ هـذـهـ الحـرـكةـ أـتـبعـنـاـهاـ الـيـاءـ ،ـ كـافـ :

ڭوبـيـهـ ،ـ تـارـنـيـهـ ،ـ بـيـتـ ،ـ شـيـنـ ،ـ دـارـ صـلـيـحـ ،ـ مـرـهـيـبـ .

(١) صفحة ١٧ (٢) صفحة ٣١ (٣) صفحة ٢٥٥

(٤) انظر بحثا لخليل عساكر القاه في مؤتمر المجمع اللغوى ونائش المؤقر البحث في يناير ١٩٥٠ ، ونشر بمجلة المجمع ( العدد الثامن ) وعنوانه : « طريقة لكتابه نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية » . وبهذه الطريقة نفسها مع اضافات يسيرة كتبت خمسة كتب صغيرة للقراءة بمدارس جنوب السودان بلغات الدنكا والزاندى والبارى والمورو واللاتوكا وطبعت بمكتبة التشر بالخرطوم وجوبا فيما بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠

(٢) علامة خاصة بالضمة الممالة وهي (ء = o) وتوضع فوق الحرف ، وتنطق كـ تنطق  
الـ o في الكتابة اللاتينية . وإذا مدت هذه الحركة أتبعها الواو كـ اـ فـ :  
مـيدـوب ، الدـاجـو ، شـعلـوب ، شـوتـر .

(٣) الجيم ذات النقطتين (يـحـ) ، وهذه يرمـزـ بها للجيم الشديدة غير المعطشـة ،  
المعروفـةـ بالجـيمـ الـقاـهـرـيـةـ ، وتنـطقـ كـاـيـنـطـقـ صـوتـ الـ oـ فيـ الكلـامـةـ الإـنـجـلـيـزـيـةـ : go .  
ومـثـالـهـاـ : موـجـيـهـ .

(٤) النون والـجـيمـ الشـدـيـدـةـ غيرـ المعـطـشـةـ (ـنـيـحـ) ، وتنـطقـ كـاـنـطـقـ الـ ngـ المـوـجـوـدـةـ  
مـثـلـاـ فيـ المـفـظـةـ الإـنـجـلـيـزـيـةـ singerـ ، وـمـثـالـهـاـ :  
رـوـنـجـيـهـ ، دـوـنـجـيـهـ ، دـيـنـجـيـهـ .

أما الطريقة التي اتبـعـتـ للدلـالـةـ علىـ هـذـهـ الأـغـارـاضـ فـيـ النـسـخـةـ التـىـ كـتـبـهـاـ  
پـيـسـونـ ، والتـىـ لاـ نـدـرـىـ هلـ هـىـ منـ عـمـلـهـ أوـ منـ عـمـلـ التـوـنـسـىـ فـهـىـ أـنـ مـجـمـوعـةـ  
الـكـلـمـاتـ الـأـوـلـىـ مـثـلـاـ — وـكـلـهـاـ تـنـطـقـ بـالـأـمـالـةـ — كـتـبـتـ عـلـىـ النـحـوـ التـالـىـ :  
كـوـبـيـهـ — تـارـنـيـهـ — بـيـتـ (١) — شـينـ (٢) — دـارـ صـلـيـحـ — مـرـهـبـيـنـ  
وـلـيـسـ فـيـ كـتـابـةـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ هـكـذـاـ شـىـءـ مـنـ الدـقـةـ لـأـنـهـ تـدـعـوـ إـلـىـ الـلـبـسـ .  
وـأـمـاـ الـمـجـمـوعـةـ الـثـانـيـةـ مـنـ الـكـلـمـاتـ — وـكـلـهـاـ تـنـطـقـ بـالـضـمـةـ الـمـمـالـةـ — فـقـدـ  
كـتـبـتـ هـكـذـاـ :  
مـيدـوبـ — الدـاجـوـ — الشـعلـوبـ — شـوتـرـ

وـكـتـابـتـهـاـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ مـدـعـاـةـ لـلـبـسـ كـذـلـكـ .  
وـفـيـ النـسـخـةـ رـمـزـ الـكـافـ ذـاتـ النـقـطـ الـثـلـاثـ . وـقـدـ لـاحـظـنـاـ أـنـ هـذـاـ الرـمـزـ

---

(٢٠١) المقصود هنا نـطقـ المـعـظـيـنـ فـيـ العـامـيـةـ لـأـفـصـحـيـ ، وـهـوـ نـطقـهـماـ بـالـمـالـةـ  
أـبـاءـ وـالـشـيـنـ .

استعمل للدلالة على صوت الجيم الشديدة غير المعطشة (ج) ، كما استعمل أيضا للدلالة على صوت النون مع الجيم الشديدة (نج) الذى ينطق كما تنطق الـ (g) في الكلمة الانجليزية ( singer ) ، فآخرنا استعمال نوعين من الرموز منعا للبس .

\* \* \*

ثم ان هناك مجموعة من الكلمات وردت في النسخة مكتوبة بالقاف ونود أن نلفت النظر الى نطق هذه القاف التي وردت في مثل الكلمات : باقرمه وبرقو وقرلى وغيرها . فان هذه القاف لا تنطق على النحو الذى تنطق به في العربية الفصحى وانما تنطق كما تنطق الجيم الشديدة غير المعطشة أو كما ينطق صوت الـ (g) في الكلمة الانجليزية (go) . وهذه الطريقة التى اتبعها التونسي للدلالة على صوت الجيم الشديدة غير المعطشة بالقاف هي التي اتبعها الفقيه محمد ود ضيف الله المتوفى عام ١٢٢٤ هـ — أى قبل أكثر من قرن ونصف قرن — في كتابه المعروف « طبقات ود ضيف الله في أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان » ، وهى كذلك التى لا يزال السودانيون يتبعونها حتى اليوم اذ يكتبون مثلا : قراند هوتل ، وفاقارين ، بالقاف .

ولا بأس من ايراد طائفه من هذه الكلمات لتكون تذكرة للقاريء حين يطلع عليها في ثانيا الكتاب وتلك هي :

أَبْ دَرَقْ ، أَدْقَرْ ، بَاقِرْمَه ، بِرْقِدْ ، بَرَقُو ، بِيقو ، تُرْقَنْكَ مُحَمَّد ، دَارْ فَنَقْرُو ،  
دار قِمَر ، دَقَرَه ، دُقَلَه ، دَمْزُوقَه ، دِنْقَار ، دُودَ بَنَقَه ، الرُّزِيقَات ، الشَّائِقَيَّة ،  
صَقَل ، فَلَاقِنَه ، فَلْقَنَاوِي ، فَاقُو ، قُدَانِي ، قُطْطِيَّة ، قُويَا ، لِقَدَابَه ، مِنْقَال .

## ملاحق الكتاب :

رأينا من المناسب أكمالاً للفائدة المنشودة من نشر هذا الكتاب إضافة ثلاثة من الملاحق إليه :

**الملحق الأول :** وعنوانه «الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور»، ومشروع الحملة المصرية على دارفور سنة ١٨٤٣ م<sup>(١)</sup>، كتبه الدكتور بيرون في كتاب Voyage au Darfour نقلًا عن الأمير أبي مدين نفسه أثناء اقامته في مصر من سنة ١٨٣٤ م إلى سنة ١٨٤٣ م. وهذا الملحق وثيقة تاريخية هامة افرد بيرون بتسجيلها، وهي تلقى كثيراً من الضوء على تاريخ الأمير أبي مدين، وعلى علاقة مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر بسلطنة دارفور، قبل دخولها تحت الادارة المصرية في السودان.

أما الملحق الثاني الذي عنوانه «تاريخ سلطنة دارفور منذ أول نشأتها إلى النسخة المصرية» فنقلناه من كتاب : «تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته»، تأليف : نعوم شقير. وتناول فيه المؤلف شرح أصول هذه السلطنة الإسلامية السودانية وتاريخها. واستمد نعوم شقير مادته من الشيخ الطيب محمد بن أحد علماء دارفور اللاجئين إلى مصر أواخر القرن التاسع عشر. وأورد المؤلف في هذا الملحق ترجمة للسلطانين السابقين للسلطان محمد تيراب، وهم السلاطين الذين لم يرد لهم ذكر في كتاب : تشحيد الأذهان . فهو لهذا يحتوى على مادة تاريخية ، تضيف كثيراً إلى ما أورده التونسي في كتابه ، وذلك فضلاً عن أنه يتيح للباحث فرصة المقارنة وترجيح رأى على آخر . وليس في

---

(١) قام مصطفى مسعد بترجمة هذا الفصل الخاص بأبي مدين .

نقل هذا الملحق من كتاب مطبوع ما يقلل من قيمته ؛ ولكن العكس هو الصحيح ، فكتاب شقير جداً من الكتب النادرة التي يصعب الحصول عليها .

ولدينا ملحق ثالث من نوع جديد ، يحتوى على ثلاثة أقسام <sup>(١)</sup> :

الأول : معجم عربى — فوراوى ؟ مترجم عن المعجم الفرنسي — الفوراوى ، الذى جمعه المسيو چومار وأودعه المقدمة التى كتبها للترجمة الفرنسيه Voyage au Darfour

والثانى : ألفاظ عربية — فوراوية — رونجاوية ؛ وهذه أيضاً مترجمة عن الألفاظ الفرنسيه — الفوراوية — الرونجاوية ، وتشمل الألفاظ التى جمعها چومار بنفسه والتى تقلها عن التونسى وعن براون ، وقد أودعها المقدمة كذلك . أما القسم الثالث فيحتوى على ألفاظ وعبارات عربية فوراوية جمعناها من مشافهة عن أهل جبل مرة أثناء الرحلة التى قمنا بها إلى دارفور فى شتاء عام ١٩٦١ .

وهذه الأقسام الثلاثة من المعجم مكتوبة على الطريقة التى سبق شرحها في صفحة ٢١ .

وللقيمين الأول والثانى من هذا الملحق قيمة لغوية إذ أن مادتهما اللغوية جمعت قبل أكثر من قرن ونصف قرن عندما بدأ علماء أوربا يهتمون بدراسة اللغات الأفريقية في قلب إفريقيا ويسجلون مفرداتها ويستبطون القواعد النحوية لها .

وأما ما جمعناه أثناء الرحلة فكان يقصد المقارنة بين بعض المفردات التي كانت ضمن ثروة هذه اللغة آنذاك ونظائرها في لغة الفور اليوم .

\* \* \*

ومما أضفناه إلى الكتاب كذلك عدد من الصور والأشكال والخرائط .

(١) قام خليل عساكر باعداد ما ورد في هذا الملحق بآقسامه الثلاثة ، من ترجمة وجمع وترتيب .

وهنالك صورة للمؤلف في أول الكتاب وهذه أخذناها من الترجمة الفرنسية  
لرحلة المؤلف إلى وادى وعوانها : *Voyage au Ouaday*

وهنالك كذلك صورة للأمير أبي مدين وضعت أمام صفحة ٣٤٣ وأخرى  
للمرجحية (ص ١٩٠) وهاتان مأخوذتان من الترجمة الفرنسية *Voyage au Darfou*<sup>٢</sup>  
التي أخذنا منها أيضا خريطة سلطنة دارفور والمدونة الموسيقية بعد تقليلها  
إلى العربية .

أما خريطة دارفور وغيرها ، وخربيطة مديرية دارفور فقد أخذناهما من  
مجلة السودان في مذكرات ومدونات (SNR)

وأما جدول سلاطين دارفور بصفحة ٧٨ فقد اعتمدنا في ترتيبه على  
ما ورد في المتن فضلا عما ورد من تفصيلات في مادة : «دارفور» في دائرة المعارف  
الإسلامية ، وفي نعوم شقير (تاريخ السودان) ، وبذلك استطعنا أن نضيف  
أسماء سلاطين وأمراء غير واردة في زامباور (الترجمة العربية ج ١ ص ١٣٩) .

\* \* \*

وعندما بدأنا العمل في تحقيق هذا الكتاب واعداده للطبع ، رأينا من  
الضروري أن تقوم برحلة إلى مديرية دارفور وجبل مرة بها ، وتهيأت للرحلة  
أسبابها حين قمنا مع فريق من زملائنا أستاذة كلية الآداب بفرع جامعة القاهرة  
بالخرطوم ، ومعنا طلاب السنة الرابعة من قسم اللغة العربية ، برحلة علمية في  
ديسمبر سنة ١٩٦١ ، استطعنا أن نجمع أثناءها ذخيرة لغوية وأدبية وتاريخية  
واجتماعية ، أفادتنا في تحقيق على الطبيعة لما ورد فيه من روايات تاريخية ،  
ومصطلحات ادارية ، وألفاظ وعبارات وأناشيد باللغة الفوراوية .

ويرجع الفضل في تيسير مهمتنا إلى السيد اللواء حمد النيل ضيف الله ، قائد  
المنطقة الغربية سابقا ، ورئيس أركان حرب الجيش السوداني . وكان من  
اتصلنا بهم ونقلنا عنهم من أبناء جبل مرّة : الشرتاي منصور شرتاي بلدة

كأس ، والشيخ سيف الدين عمدة نيارتنى ، ثم الأمير سليمان ابن السلطان على دينار ، ومحمد الحلة من أعيان الفاشر .

ونود أن نختتم هنا برجاء إلى كل قارئ كريم أن يمدنا بما عساه يتراهى له من ملاحظات تساعدنا على استيفاء ما هناك من مواضع تستأهل إعادة النظر في إخراج الكتاب ، لا سيما وأن هناك تفسيرا في إخراج كتاب « رحلة وادى » ، وهو الكتاب الثاني من رحلات التونسي ، ونأمل أن يمدنا القارئ بما يكون لديه من معلومات تسير الطريق إلى العمل في هذا الكتاب الثاني .

#### المحققان

خليل محمود عساکر و مصطفى محمد مسعد

القاهرة في } ٢٧ من صفر سنة ١٣٨٥ هـ  
} ٢٧ من يونيو سنة ١٩٦٥ م



# المحتوى

صفحة

٥

تصدير ، بقلم المحققين .

٢٩

فهرس الكتاب

٣٥

المراجع

## المقدمة

و فيها ثلاثة أبواب :

**الباب الأول :**

في السبب الباعث لرحمة التونسي للبلاد السودان ..... ٧

**الباب الثاني :**

الرحلة من الفسطاط إلى دارفور ..... ٤١

**الباب الثالث :**

في ذكر نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد ،  
وأول أمره وولايته ووفاته ..... ٩٩

## المقصد

و فيه ثلاثة أبواب :

**الباب الأول :**

و فيه خمسة فصول

الفصل الأول : في صفة دارفور ..... — ..... ١٣٢

الفصل الثاني : في عوائد ملوك الفور ..... ١٦٦

الفصل الثالث : في مناصب ملوك الفور ..... ١٧٩

**صفحة**

- الفصل الرابع : في كيفية مجلس السلطان ..... ١٩٤  
 الفصل الخامس : في ملابس ملوك الفور ..... ٢١٠

**الباب الثاني :**

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : في اصطلاح تزويع الفور ..... ٢٢٧  
 الفصل الثاني : في الخصيائـن المعروـفين في مصر بالطواشـية ..... ٢٤٩

**الباب الثالث :**

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : في أمراض السودان والماكولات وصحة الأقاليم ..... ٢٦٨  
 والصيد وبعض الحيوانات ..... ٢٩٦  
 الفصل الثاني : في معاملة أهل دارفور ..... ٣٠٣

**الخاتمة**

**باب :**

- فيما ينبع في دارفور من النبات ، وفي السحر والتعزيم وضرب الرمل ، وغير ذلك ..... —

**ملاحق الكتاب**

**ملحق رقم (١) :**

- الأمير أبو مدین : مترجم عن ملحق باللغة الفرنسية ، بقلم :  
 بیرون مترجم الكتاب ..... ٣٤٣

**ملحق رقم (٢) :**

- تاریخ سلطنة دارفور . منقول من كتاب : تاريخ السودان القديم  
 والحدث وجغرافيته ، لنعمون شقیر ..... ٣٦٧

**ملحق رقم (٣) :**

- معجم عربى - فوراوى . مترجم عن معجم فرنسي - فيوراوى  
 جمعه : چومار . ..... ٤١٥  
 ألفاظ عربية - فوراوية - رونجاوية ..... ٤٢٨  
 ألفاظ وعبارات عربية . فوراوية ..... ٤٣١

## كتاب الكشاف

### صفحة

فهرس بأسماء الأعلام والبلاد والأماكن ..... ٤٣٩
مصطلحات الوظائف والرتب والألقاب ..... ٤٥٩
العملة وأنواع الضرائب ، والأدوات المنزليه وغيرها ، والملابس ، والحلوي ، وأنواع الطيب ..... ٤٦٢
النبات والأشجار ، والأطعمة والأسربة ، وفصول السنة وشهورها ..... ٤٦٦
الأمراض ..... ٤٧٠
المساكن والمباني وأقسامها ..... ٤٧٢
أنواع الرقص ..... ٤٧٣
السحر وضرب الرمل ..... ٤٧٣
تصويبات واستدراكات ..... ٤٧٥

## الصور والأشكال والخرائط والمدونات الموسيقية

### صفحة

١٠٥	سفروك	.....
١٤٧	جدول يبين كيفية دار الغور ووضع منازل القبائل والأعراب المحتفين بها	.....
١٦٨	كرابيج من الحديد	.....
١٦٩	دقصار ، أي : طبل عظيم من خشب	.....
١٧٠	ريش ، وهى مروحة كبيرة من ريش النعام	.....
١٧٢	هيئنة ديوان السلطان	.....
١٧٦	صفة دخول السلطان بعد العرض	.....
١٨٦	قرعة جافة فيها بعض حصبياء تستعمل آلة موسيقية	.....
١٨٧	تسكجل ، أي : دربكة	.....
١٨٨	عصابة يلبسها الموجيـه على رأسه	.....
١٨٩	عصا معوج أعلىـها تكون بـيد الموجـيـه	.....
١٩٠	صـورة الموجـيـه	.....
١٩٤	خشبة بـآخرـها شـعبـتـان ، تستـعملـ في بـنـاءـ الـلـقـادـةـ	.....
١٩٥	حـفـرـ علىـ شـكـلـ سـطـورـ مـتـقـابـلـةـ يـدـخـلـونـ فـيـ كـلـ حـفـرةـ خـشـبـةـ	.....
١٩٦	مـرـبـعـ مـسـطـيلـ فـيـ وـسـطـهـ مـرـبـعـاتـ يـوـضـعـ فـوـقـ الـبـلـدـاـيـاتـ	.....
١٩٧	ديـوانـ السـلـطـانـ ، وـبـهـ مـحـلـ عـالـ ، مـرـكـزـهـ أـعـلـىـ مـنـ جـانـبـيـهـ لـجـلوـسـ السـلـطـانـ	.....
٢٠٢	سـكـنـاتـيـةـ	.....
٢٠٣	تكلـتـىـ	.....
٢٠٤	ثـيـابـ حـمـراءـ وـبـيـضـاءـ ، يـكـسـوـ بـهـ السـلـطـانـ أـعـلـىـ سـكـنـاتـيـهـ وـتـكـالـيـهـ	.....
٢٠٥	أـعـوـادـ مـرـبـطـةـ بـالـقـدـ ، عـلـىـ هـيـئـةـ شـبـاكـ ، تـسـتـعـمـلـ أـبـوـابـاـ لـوـرـيـدـاـيـاـ	.....
٢٠٨	صفـةـ دـارـ السـلـطـانـ (ـخـرـيـطةـ)	.....
٢١٣	خـزـامـ حـلـقـىـ	.....
٢١٣	خـزـامـ شـبـوـكـىـ	.....
٢١٥	عقدـ بـفـرـعـينـ	.....
٢١٥	عقدـ بـأـرـبـعـةـ فـرـوعـ	.....
٢١٦	جلـجلـ أوـ وـدـعـةـ عـلـىـ هـيـئـةـ عـنـقـودـ تـجـعـلـ أـسـفـلـ التـيـمـةـ	.....
٢١٧	لـدـائـ يـوـضـعـ قـرـيبـاـ مـنـ جـبـهـةـ الـمـرـأـةـ وـيـشـبـكـ فـيـ شـعـرـهـ	.....
٢٦٩	آـلـةـ لـقـطـعـ زـائـةـ كـلـسـانـ الـعـصـفـورـ عـنـ أـصـلـ تـسـانـ الطـفـلـ	.....

صفحة

٢٧١	كيسات السرة
٢٧٥	تشريح الأضلاع
٢٨٩	حربة
٢٩١	شبكة الصيد العصافير
٣٠١	حشاشة بدون قضيب
	<b>أشكال ضرب الرمل :</b>
٣٣٤	الطريق
٣٣٤	الجماعة
٣٣٤	اللحيان
٣٣٤	النكس
٣٣٥	الاجتماع
٣٣٥	العقلة
٣٣٥	العقبة الداخلية
٣٣٦	العقبة الخارجية
٣٣٦	القبض الداخل
٣٣٦	القبض الخارج
٣٣٦	البياض
٣٣٧	الحمرة
٣٣٧	الجودلة
٣٣٧	نقى الخد
٣٣٨	النصرة الداخلية
٣٣٨	النصرة الخارجية
٣٣٨	ضرب الرمل

\* \* \*

٥	أمام صفحة	صورة مؤلف الكتاب
٣٤٣	أمام صفحة	صورة الأمير أبي مدين
٤٧٨	.	جدول سلاطين دارفور

ملحقة بآخر الكتاب

{	خريطة سلطنة دارفور
	خريطة دارفور وجيانها
	خريطة مديرية دارفور
مدونة موسيقية ، بعض الأغانى الفوراوية	



## المراجع<sup>(١)</sup>

### اولاً : المراجع العربية

- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبيدة الله ، ت ٧٧٩ هـ ١٣٧٧ م) :  
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جزءان - مصر ١٩٣٨ م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) :  
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، مصر ١٢٨٤ هـ .
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) :  
لسان العرب أبو الفدا .

أبو الفدا (اسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب ، ت ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) :  
جغرافيته . نشر رينو ودى سلان ، باريس ١٨٤٠ م .

### احمد كاتب الشونة :

مخطوطه كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية . تحقيق  
الشاطر بوصيل عبد الجليل ، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، طبع ادارة  
(احياء التراث) القاهرة ١٩٦١ م .

الادريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس) :  
صنفه المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخذة من كتاب نزهة المشتاق  
في اختراق الآفاق ، نشر دوزي ودى خويه ، ليدن ١٨٦٦ م .

---

(١) تتضمن هذه القائمة المراجع الواردة في حواشى الكتاب ؛ كما تتضمن  
ما يمكن جمعه من المراجع المتعلقة باقليم دارفور ليستعين بها الباحث على دراسة  
هذا الاقليم .

**بوصيل ( الشاطر ) :**

معالم تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٥٥ .

**حسن محمود ( الدكتور ) :**

الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، طبعة تانية، القاهرة ١٩٦٣ .

**شبيكة ( الدكتور مكي ) :**

السودان في قرن ، القاهرة ١٩٤٧ م .

**شقر ( نعوم ) :**

تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته . ٣ أجزاء في مجلد واحد ،  
القاهرة ١٩٠٤ م .

**الشیال ( الدكتور جمال الدين ) :**

دكتور پیرون والشیخان محمد عیاد الطنطاوی ومحمد بن عمر التونسي ، مجلة  
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد الثاني ١٩٤٤ ، ص ٢٢١ .

**عابدين ( الدكتور عبد المجيد ) :**

(أ) تاريخ الثقافة العربية في السودان ، القاهرة ١٩٥٣ م

(ب) دراسات سودانية ، الخرطوم ١٩٥٧ .

**عبد المجيد ( الدكتور عبد العزيز أمين ) :**

(أ) التربية في السودان .

(ب) محمد بن عمر التونسي - القاهرة ١٩٥٦ .

**عسماکر ( الدكتور خليل ) :**

طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية . مجلة المجمع  
اللغوي ، العدد ٨ ، سنة ١٩٥٥ .

**العمرى ( ابن فضل الله ، ت ٧٠٣ هـ - ١٣٤١ م ) :**

(أ) التعريف بالصطلاح الشريف ، مصر ١٣١٢ هـ

(ب) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الثاني والثالث . مخطوطه  
مصورة بدار الكتب المصرية ، معارف عامه ٥٥٩ وتاريخ برقم ٢٥٦٨ .

**عوض ( الدكتور محمد ) :**

السودان الشعالي - سكانه وقبائله . القاهرة ١٩٥١ .

**الفيروزبادى ( مجد الدين محمد بن يعقوب ) :**  
القاموس المحيط .

**القلقشندى ( ابو العباس احمد ، ت ٨٣١ هـ - ١٤١٨ م ) :**  
صبح الاعشى فى صناعة الانسا ، ١٤ جزءا ، مصر ١٩١٣ - ١٩١٧ م .

**مصطفى مسعد ( الدكتور ) :**

- (١) الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى - القاهرة . ١٩٦٠ .
- (ب) سلطنة دارفور - تاريخها وبعض مظاهر حضارتها - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ( العدد ١١ ) سنه ١٩٦٣ .

**المقريزى ( تقى الدين احمد ، ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م ) :**  
(١) الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان بولاق ١٢٧٠ هـ .  
(ب) السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة من سنة ١٩٣٤ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .  
(ج) البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، نشر الدكتور عبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ .

**ود ضيف الله ( محمد ) :**  
كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان،  
مصر ١٩٣٠ م .

## ثانياً : المراجع الأوروبية

- Arkell, A.J. : A History of the Sudan up to A.D. 1821. London, 1955.
- Browne, W.G. : Travels in Africa, Egypt and Syria, 1792-1799, London, 1806.
- Bruce, J. : Travels to discover the Sources of the Blue Nile, Edinburgh, 1805.
- Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, its History and Monuments, London 1907.
- Burchardt, J.L. : Travels in Nubia, London 1819.
- Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951.
- Gleichen, Count, A.E.W. : The Anglo-Egyptian Sudan, 2 vols., London, 1905.
- Hall, P.M. Modern History of the Sudan, 1961.
- Hamilton, J.A., de Ce ed. : The Anglo Egyptian Sudan from Within, London 1935.
- Hill, R.L. : Egypt in the Sudan, 1821-1887, London 1955.
- Jackson, H.C. : Tooth of Fire, being some account of the Ancient Kingdom of Sennar. Oxford, 1921.
- Leo Africanus : A History and Description of Africa, done into English by John Pary, 1600, ed. Browne, Hakluyt Society 1896, Vol. III, London.
- MacMichael, H.A. : A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols., Cambridge, 1922.
- "The Coming of the Arabs in the Sudan". Anglo Egyptian Sudan from within, London, 1935.
- Meek, C.K. : Tribal Studies in Northern Nigeria, London, 1931.
- Sudanese Kingdom, London.
- Palmer, R. : The Bornu Sahara and Sudan, London, 1936.
- Roland Oliver, ed., : The Dawn of African History, London, 1961.
- Seligman and Brenda, Z. : Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, London, 1932
- Shukri, M.F. : Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, Cairo, 1937.

- Slatin, R. : Fire and Sword in the Sudan, London, 1896.
- Trimingham, J.S. : Islam in the Sudan, London, 1949.
- Tunsi, al (Moh. ibn Omar): Voyage au Darfour. Transl. Perron, Paris, 1845.
- Voyage au Ouaday. Transl. Perron et Jomard, Paris, 1851.
- Villard, Ugo Monneret De : Storia Della Nubia Cristiana, Roma, 1938.
- Encyclopaedia of Islam.

\* \* \*

#### PERIODICALS

- Arkell, A.J. : "The Coinage of Ali Dinar, S.N.R.(<sup>1</sup>), XXIII, (1940), part 1, pp. 150-160.
- Darfur Antiquities I, Ain Farah, S.N.R., part 2, (1936), pp. 301-312.  
II, XX, part 1, (1936), pp. 91-106.
- The Steel and Tinder in Darfur, S.N.R., XIX, (1936), part 2, pp. 320-321.
- Rock Pictures in Northern Darfur, S.N.R., XX, (1937), part 2, pp. 281-288.
- The Tigda or Reaping Knife in Darfur S.N.R., XX, part 2, (1937), pp. 306-307.
- Beads made in Darfur and Wadai, S.N.R., XXII, (1945), part 2, 305-310.
- Darfur Antiquities, S.N.R., XXIII, (1940), pp. 185-202.
- Darfur Pottery, S.N.R., XXII, (1939), part 1, pp. 79-88.
- Throwing Sticks and Throwing Knives in Darfur, S.N.R., XXII, (1939), part 2, pp. 251-268.
- More about Fung Origins, S.N.R., XXVII, (1946), pp. 87-97.
- The History of Darfur, 1200-1700A.D., S.N.R., XXXII, (1951), part 1, pp. 37-70.  
S.N.R., XXXII, (1951), part 2, pp. 207-238.  
S.N.R., XXXIII, part 1, (1952), pp. 129-155.
- Auriant, A. : Histoire d'Ahmed Aga le Zantiote Un projet de conquête du Darfur (1796-1799), Revue de l'histoire des colonies françaises, 14, (1926), pp. 181-234.
- Baustead Bey, J.E.H. : The Youth and last days of Ali Dinar, S.N.R., XXII, (1939), part 1, pp. 149-154.

---

(1) S.N.R. = Sudan Notes and Records.

- Beaton, A.C. : The Fur, S.N.R., XXIX, (1948), part 1, pp. 1-39.
- Fur Dance Songs, S.N.R., XXIII, (1940), part 2, pp. 305-330.
- Cooke, R.C. and Beaton, A.C. Bari and Fur Rain Cults and ceremonies, S.N.R., XXII, 1939, part 2, pp. 181-204.
- Gillan, J.A. : Darfur 1916, S.N.R., XXII, (1939), part 1, pp. 1-26.
- Henderson, K.D.D. : Origin of Dagu., S.N.R., XV, (1932), part 2, pp. 151-152.
- Lampen, E. : A Short account of Meidob., S.N.R., VI, (1928), pp. 55-68.
- Lampen, G.D. : The Baggara Tribes of Darfur, S.N.R., XVI, (1933), Part 2, pp. 97-118.
- History of Darfur, S.N.R., XXXI, (1950) part 2, pp. 177-209.
- Lynes, H. : Notes on the Natural History of Jebel Marra., S.N.R., IV, No. 3, (1921).
- Macintosh, E.H. : A Note on the Dagu Tribe., S.N.R., XIV, (1931), part 2, pp. 171-178.
- MacMichael, H.A. : Nubian elements in Darfur, S.N.R., I, (1918), pp. 30-48
- Note on the Burial Place of Fur Sultans of Tura in Jebel Marra., S.N.R., IX, (1926), part 2, pp. 75-77.
- Michelmore, A.P.G. : A Possible Relic of Christianity in Darfur., S.N.R., XV, (1932), part 2, pp. 272-273.
- Palmer, H.R. : A Bornu Mahram and the Pre-Tunjur Rulers of Wadai, S.N.R., V, No. 3-4, (1922), pp. 197-199.
- Shaw : Darb el Arbaén, S.N.R. XII, 1930, pp. 63-71.
- Walker, J. : The Coinage of Ali Dinar, S.N.R., XIX, (1937), part 1, pp. 147-150.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَاحِبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيرًا . يَا مَنْ سَيِّرَ أَفْدَامَ  
الْأَنَامِ بِإِرَادَتِهِ السَّلِيّْةِ ، وَجَعَلَ رَحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصِّيفِ بِحُكْمَتِهِ الْبَهِيَّةِ ، نَحْمَدُكَ حَمْدًا مَنْ  
تَلَذَّذَ بِحَلاوةِ الرَّاحَةِ بَعْدَ مَرَارِ مَشْقَةِ السَّفَرِ ، وَنَشَكَرُكَ شَكْرَ مَنْ تَنَعَّمَ بِالْإِقَامَةِ بَعْدَ كَدْ  
الرَّحْلَةِ وَالْكَدْرِ ، وَنَسْأَلُكَ يَا مَالِكَ الْأَمْلَاكِ ، بِمَا قَدِرْتَ مِنْ سَيِّرِ السَّكُوَّاْكِبِ  
فِي الْأَفْلَاكِ ، أَنْ تُهْطِلَ شَآيِّبَ رَحْمَتِكَ وَرَضْوَانِكَ ، وَتُنْزِلَ غَيْثَ صَلَاتِكَ وَسَلَامِكَ ،  
عَلَى أَفْضَلِ مَنْ ارْتَحَلَ وَأَقَامَ ، وَسَافَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا ، الشَّفِيعِ  
يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمَذْبَنِيْنِ ، الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ : « قُلْ سَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ <sup>(١)</sup> » ، وَعَلَى أَهْلِ الْدِينِ رَحِلَوْا مِنْ أَوْطَانِهِمْ فِي حُبِّهِ ،  
وَأَحْبَابِهِ <sup>(٢)</sup> الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِيْنَةِ رَغْبَةً فِي قُرْبِهِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيرًا .  
وَبَعْدَ : فَيَقُولُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّ الْمَنَانِ ، مُحَمَّدُ بْنُ السَّيِّدِ عَمَرِ التَّوْنِيِّيِّ :

ابن سليمان :

لَمَا وَقَنَى اللَّهُ تَعَالَى لِقْرَاءَةِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَتَرَعَ كَاسِيَّ مِنْ بَيْنِهَا بِالْفَنُونِ  
الْأَدْبَرِيَّةِ ، حَتَّى حُسِبَتْ مِنْ بَنِي الْأَدْبِرِ وَذُوِّيهِ ، وَعَشِيرَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، أَنَانِ الْدَّهْرُ

(١) سورة الأنعام ، آية ١١ .

بكلكله على ما يدي من العين<sup>(١)</sup> ، فقادره أثراً بعد عين . وكانت همتي إذ ذاك مصروفةً  
بتحصيل العلوم ، وجمع المنشور منها والمنظوم .

وحين شاهدت معاندة الزمان لِمَقْتَى ، تَمَثَّلت بقول العلامة الصفتى ،  
من الكامل :

هبطت ثریا الشارداتِ لهمتی وصعدتُ في العرفان كلَّ ساءٍ  
وقةٌ غیری في العلوم وإنما بيني وبين المال كلُّ تناٌ  
فعجبتُ إذ عُقد اللواه بجاهلٍ والفقرُ عمَّ عماهم الفقهاء  
ولما صفتُ الراحة ، وقرعت<sup>(٢)</sup> المساحة ، ومالَ المال ، وحالَ الحال ، وغار  
النبع ، ونبأ الرابع ، أنشدتُ من مقالٍ ، على شرح حالٍ ، شعراً من الكامل :  
ما حيلى ولذا الزمانِ متاعبٌ يؤذى الشريفَ ولو ضيع يصونُ  
زمنٌ له حربٌ على أهلِ التقى بِإِزَانِه حربُ البسوس يهون<sup>(٣)</sup>  
فتراه يرفع كلَّ غَمَر<sup>(٤)</sup> جاهلٍ ويسيء كلَّ مهذبٍ ويُهين  
(٤) وتمثَّلت بقول القائل ، من الوافر :

تبَيَّنَ الأَسْدُ فِي الغَابَاتِ جَوَعًا وَلَمْ الضَّانِ يُلْقَى لِلْكَلَابِ  
وَخَنَزِيرِ يَنَامُ عَلَى حَرِيرٍ وَذِي عَلَمٍ يَنَامُ عَلَى التَّرَابِ  
ثُمَّ ناجتني الْقَرْوَنَة<sup>(٥)</sup> ، أَنْ أَسْأَلَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ الْمَعْوَنَةَ ، فَتَذَكَّرَتْ أَنْ لَيْسَ كُلُّ

(١) في الأصل : العين بالباء ، وهو تصحيف لكلمة العين التي يريد بها الذهب والفضة والثياب كما سيرد في الباب الثالث من المقدمة .

(٢) قرعت : خلت ، وفي اللسان : قرع المكان خلا ولم يكن له غاشية يغشونه .

(٣) الحرب مؤنثة وقد تذكر .

(٤) الغمر : من لم يجرِ الأمور .

(٥) القرونة : النفس ( القاموس ) .

أَحْرَجَ لَهُ ، وَلَا كُلُّ أَبِيسَ شَحْمَةً ، وَرَبِّا يُرِيقُ الْإِنْسَانَ مَاءً وَجْهَهُ ، وَلَا يَحْتَلُ بِقَصْدَهُ ،  
وَإِنْ إِرَاقَةَ مَاءَ الْمُحْيَا ، سَيِّئًا إِذَا وَقَعَ التَّعْسُ وَالْمَكْسُ ، وَكَانَ الطَّلَابُ  
مِنْ نَحْسٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ ، [مِنْ] الرِّجَزِ :

لقلع ضرسٍ وضنكٍ حبسٍ  
 ولفتح نار وحمل عار  
 وقود فرد وفرط برد  
 وقسد إلف وضيق خسف<sup>(١)</sup>  
 أهون من وقف ملر  
 لاسيا وقد وجد على بعض الأحجار ، بقلم قدرة العزيز الجبار : « كل من كد  
 يعينك ، وعرق جبينك ، وإن ضعف يقيئنك ، اسأل الله يعينك ». <sup>(٢)</sup>

فدخلتُ في خدمةٍ من تزيّنتْ بلطائفه صفحاتِ الأيام ، ونارتْ<sup>(٣)</sup> بعوارفه حوالكَ الظلام ،  
ظلَّ اللهُ الظليلُ على<sup>(٤)</sup> البلادِ والأمسار ، حامي ذمارِ الإسلام ، وقامع الفجار ، مَنْ أَنامَ الأنام  
فِي وارفِ حَمَّهِ وإحسانِه ، وأذاقهم حلاوةَ الأمْنِ بسجدةِه وأمانِه . [شعر] من الحفيظ :

ملكُ ماجدٍ حليمٍ كريمٍ ،  
جودُه ناسخٌ لـكـلـ الـوـجـودـ  
ناشرُ العـدـلـ ، وـهـوـ لـلـجـوـرـ طـاوـيـ  
واقـفـ فـيـ الـأـحـكـامـ عـنـدـ الـحـدـودـ  
صـالـحـ الفـعـلـ صـادـقـ القـوـلـ وـافـ  
بـوـفـاـ الـعـمـدـ مـنـجـزـ لـلـوـعـوـدـ

(١) الخسف : مخرج ماء البئر (القاموس)

(٢) القلس : حبل ضخم من ليف أوكخوص أو غيرهما ، بهذا شرحه القاموس . ولعله هو الذى يسمى فى بعض ديف مصر بالالس و يكون غالباً من ليف ، ويستعمل فى ربط الدواب .

(٣) نارت و نورت و آنارت بمعنی .

هُنَّا القطع للفساد وإصلاً خُجِّيْعَ الْبَلَادِ وَالْمَهِيدِ  
 نَحْنُ مِنْ رُؤْسِ أَمِنِ دُولَتِهِ فِي  
 حَدَّ أَوْصافِهِ الْعَلَا بِحَدَّ دُودِ  
 أَنْتَ مِنْ حَصْنِ رَبِّنَا فِي أَمَانٍ مِنْ عَيْنِ الْعِدَا وَكَيْدِ الْحَسُودِ  
 أَلَا وَهُوَ فَاتِحُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِجَيْشِهِ الْمَنْصُورِ ، وَمَالِكُ الْأَقْطَارِ الشَّامِيَّةِ يَا بِرَاهِيمِ  
 الْبَطِلِ الْفَضَّنْفَرِ الشَّهُورِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجُ مُحَمَّدُ عَلَى باشا<sup>(١)</sup> وَلِيُّ النَّعْمَ ، أَعْلَى اللَّهُ سرَادِقَ  
 عَزَّ دُولَتِهِ ، وَأَبَدَ مُلَكَّهُ بِمَجْدِهِ وَصَوْلَتِهِ .

وَكَانَ أَوْلُ خَدْمَتِي بِوَظِيفَةِ وَاعْظِيْفِ الْآلَاءِ الثَّامِنِ مِنَ الْمَشَاهَةِ ، وَسَافَرْتُ مَعَهُ إِلَى الْمُورَةِ  
 وَكَابَدْتُ الْمَشَقَّاتِ ، وَكَتَبْتُ قَبْلَ ذَلِكَ سَافَرْتُ إِلَى بَلَادِ السُّوْدَانِ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ  
 مَا إِذَا سُطْرَ يَكُونُ كَرْزِهِ بِسْتَانٍ . ثُمَّ اسْتَخَدَمْتُ فِي مَدْرَسَةِ أَبِي زَعْبَلَ لِتَصْحِيحِ الْكِتَبِ  
 الْأَطْبَيْهِ ، وَخُصِّصْتُ مِنْهَا<sup>(٢)</sup> بِتَصْحِيحِ كِتَبِ الْأَجْزَاءِ .

وَمَكَثَتُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى اجْتَمَعَتْ بِأَبْرَعِ أَهْلِ زَمَانِهِ حِذَافَةً وَفَهْمًا ، وَأَذْكَرُ أَهْلَ  
 عَصْرِهِ صِنَاعَةً وَعِلْمًا ، مَعْلَمَ الْكِيَمِيَا الْحَكِيمِ « بِيرُون » الْفَرَنْسَاوِي ؛ وَقَرَأَ عَلَىْ كِتَابِ  
 « كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ » بِالْعَرَبِيَّةِ . فَذَكَرَتُ لَهُ بَعْضَ مَا عَيْنَتُهُ فِي أَسْفَارِي مِنَ الْعَجَائِبِ  
 الْبَهِيَّةِ ، فَخَمَنَى عَلَى أَنَّ أَزِيْنَ وَجْهَ الدَّفَرِ يَأْيَضَحَ مَا شَاهَدَتُهُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَأَخْبَرَهُ  
 بِمَا حَصَلَ لِي فِي تَلْكَ الأَسْفَارِ مِنَ الْغَرَائِبِ ، فَامْتَشَلتُ أَمْرَهُ لِمَا لَهُ عَلَىْ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضاً ،  
 وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ أَجْمَلُ بِأَيْضًا ، لِقَوْلِ صَاحِبِ « الْمَقْصُورَةِ »<sup>(٣)</sup> ، مِنَ الرَّجْزِ :

(١) هذه عبارات تقليدية كان الكتاب يلتزمونها خضوعاً لأوضاع العصر ، حتى لقد بلغ من المبالغة فيها أن سمي ( محمد على ) « أمير المؤمنين » !

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عتابية الأزدي المعروف بابن دريد . عاش في فارس في بلاط والي نيسابور عبد الله محمد بن ميكال وأبنه اسماعيل ، ==

إنما المرء حديثٌ بمُدَّةٍ فـكـنـ حـدـيـشـاً حـسـنـاً لـمـ وـعـيـ  
 فـشـرـعـتـ فـيـ إـبـرـازـ فـرـائـدـهـاـ مـنـ صـدـفـ الـأـذـهـانـ ،ـ وـكـشـفـ حـجـابـ خـرـائـدـهـاـ الـحـسـانـ  
 إـلـىـ الـعـيـانـ ،ـ وـضـمـمـتـ لـذـلـكـ مـنـ النـوـادـرـ مـاـ سـعـتـهـ مـنـ الثـقـاتـ ،ـ أـوـ نـقـلـتـهـ مـنـ الـكـتـبـ عـلـىـ  
 سـبـيلـ الـاسـتـطـرـادـ الـلـمـنـاسـبـاتـ ،ـ لـتـكـونـ هـذـهـ الرـحـلـةـ رـوـضـةـ يـانـعـةـ الـأـزـهـارـ ،ـ لـمـ تـأـمـلـ فـيـهـاـ ،ـ  
 وـحـدـيـقـةـ دـانـيـةـ الـمـهـارـ ،ـ لـمـ تـصـفـحـ مـعـانـيـهـاـ ؛ـ وـلـمـ آـكـلـ جـهـدـاـ فـيـ إـيـضـاحـ مـعـانـيـهـاـ الـمـأـمـلـينـ .ـ  
 وـلـمـ أـتـعـمـقـ فـيـ غـرـيـبـ الـلـغـةـ لـيـسـهـلـ فـهـمـهـاـ عـلـىـ السـامـعـينـ .ـ  
 وـرـتـبـتـهـاـ عـلـىـ مـقـدـمـةـ وـمـقـصـدـ وـخـاتـمـةـ ،ـ وـفـيـ كـلـ مـنـهـاـ أـبـوـابـ كـاـيـعـلـ مـنـ الـفـهـرـسـةـ ،ـ  
 وـسـمـيـتـهـاـ :ـ «ـ تـشـحـيدـ الـأـذـهـانـ ،ـ (ـ٧ـ)ـ بـسـيـرـةـ بـلـادـ الـعـرـبـ وـالـسـوـدـانـ (ـ١ـ)ـ »ـ .ـ وـالـلـهـ أـسـأـلـ أـنـ  
 يـنـشـرـ عـلـيـهـاـ حـلـةـ الـقـبـولـ ،ـ وـيـقـيـمـهـاـ شـرـّـ حـاسـدـ يـطـعـنـ فـيـهـاـ مـنـ الـمـقـوـلـ ،ـ  
 وـكـمـ مـنـ عـاـئـبـ قـوـلـاـًـ صـحـيـحـاـًـ وـآـفـتـهـ مـنـ الـذـهـنـ السـقـيمـ  
 عـلـىـ أـنـيـ وـإـنـ أـنـقـثـهـاـ وـهـذـهـهـاـ ،ـ وـفـيـ أـحـسـنـ قـالـبـ سـبـكـتـهـاـ ،ـ لـأـقـولـ إـنـهـاـ عـارـيـةـ  
 عـنـ الـخـلـلـ ،ـ بـرـيـةـ (ـ٢ـ)ـ عـنـ الزـلـلـ ،ـ لـأـنـيـ إـنـمـاـ أـنـاـ بـشـرـ مـنـ الـإـنـسـانـ ،ـ مـحـلـ لـلـخـطاـ وـالـزـلـلـ  
 وـالـنـسـيـانـ .ـ لـكـنـ إـنـمـاـ أـتـعـوـذـ مـنـ نـعـمـرـ يـرـقـهاـ بـعـيـنـ الـحـسـدـ ،ـ وـيـنـدـدـ بـأـنـهـاـ مـنـ الـخـرافـاتـ عـنـدـ  
 كـلـ أـحـدـ .ـ

= وـكـتبـ فـيـ مـدـهـمـاـ قـصـيـدـتـهـ الشـهـورـةـ «ـ الـمـقصـورـةـ »ـ وـمـطـلـعـهـاـ :ـ  
 يـاظـبـيـةـ أـشـبـهـ شـيـءـ بـالـهـمـاـ تـرـعـيـ الـخـزـامـيـ بـيـنـ أـشـجـارـ النـقاـ  
 وـتـقـعـ فـيـ أـكـثـرـ مـنـ مـائـيـنـ وـخـمـسـيـنـ بـيـتـاـ ،ـ وـلـهـاـ عـدـةـ شـرـوحـ .ـ وـتـوـفـىـ اـبـنـ درـيدـ  
 فـيـ ١٨ـ رـمـضـانـ سـنـةـ ٣٢١ـ هـ .

(ـ١ـ)ـ سـوـفـ يـتـضـعـ لـلـقـارـيـءـ مـاـ يـلـيـ أـنـ الـمـقصـودـ بـبـلـادـ الـعـرـبـ فـيـ هـذـاـ العنـوانـ بـلـادـ  
 السـوـدـانـ الـتـيـ تـسـكـنـهـاـ الـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ وـأـنـ الـمـقصـودـ بـبـلـادـ السـوـدـانـ فـيـ هـذـاـ  
 العنـوانـ كـذـلـكـ اـقـلـيـمـ دـارـفـورـ .

(ـ٢ـ)ـ فـيـ الـأـصـلـ :ـ بـرـيـةـ .ـ

وَهَبْنِي قَلْتُ هَذَا الصَّبَحُ لَيْلٌ أَيْعَمِي الْعَالَمَوْنَ<sup>(۱)</sup> عَنِ الضَّيَاءِ ؟  
فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً رَأَى الرَّذْلَ فَسَتَرَهُ ، وَشَاهِدَ الْخَلَلَ فَجَبَرَهُ .  
إِنْ تَجْدُ عَيْنًا فَسُدَّ الْخَلَلَ جَلَّ مَنْ لَا عِيْبَ فِيهِ وَعَلَّا  
وَبِاللَّهِ أَسْتَمدُ التَّوْفِيقَ ، إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ، وَهُوَ حَسْبِيْ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، نَعْمَ الْمَوْلَى  
وَنَعْمَ النَّصِيرُ .

---

(۱) فِي الْأَصْلِ : أَتَعْمَى الْمَعَالِمُونَ .

## المقدمة

وفيهـا ثلاثة أبواب

## الثيـاب الـأـفـارـقـاء

في السبـب الـبـاعـث لـرـحـاتـي لـبـلـاد السـوـدـان

حكى لي والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان ، أن جده كان من عظاماء أهل تونس ، وكيلـا من طرف سلطـان المـغرب المـولـي الـأـكـمل ، المـلـك المـظـفـر الـعادـل ، المـرـحـوم الشـرـيف محمد الحـسـنـي<sup>(١)</sup>؛ فاجـتمع له بذلك مـال جـزـيل ، حتى صـارـ من أـغـنى أـهـل(٨) زـمانـهـ. ولـما مـاتـ كان قد خـلـفـ من الـوـلـدـ ثـلـاثـةـ بـنـينـ ؛ فـتـنـازـعـوا تـرـاثـ أـيـهـمـ ، وـبـاعـوا دـارـهـ الـتـيـ كـانـ تـؤـويـهـمـ<sup>(٢)</sup> ، وـسـكـنـ كـلـ مـنـهـمـ عـلـىـ حـدـتـهـ ، بـأـوـلـادـهـ وـزـوجـتـهـ .

فـاتـفـقـ أـنـ أـبـاهـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ ، جـيـدـ الـخـطـ ، يـنسـخـ الـكـتـابـ فـيـيـعـهـ بـضـعـفـ ماـ يـبـيعـ بـهـ غـيـرـهـ ، وـكـانـ يـعـرـفـ صـبـاغـةـ الـثـيـابـ بـالـأـلوـانـ ، فـكـانـ أـرـفـهـ إـخـوـتـهـ مـعـاشـاـ ، وـأـحـسـنـهـمـ اـرـتـيـاشـاـ ، فـاتـفـقـ لـهـ أـنـهـ اـشـتـاقـ لـرـؤـيـةـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ ، وـزـيـارـةـ قـبـرـ نـبـيـهـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ ، فـبـاعـ بـعـضـ

(١) تـرـجمـ بـيـرونـ هـذـاـ اللـفـظـ إـلـيـ Hosny انـظـرـ : Voyage au Darfour, p. 9.

(٢) فـيـ الأـصـلـ : تـاوـيـهـمـ

عَقَارٍ كَانَ لَهُ وَتَاهَّبَ لِلسَّفَرِ ، وَاشْتَرَى مَعَهُ أَحْرَمَةً وَطَرَايِشَ ، وَأَعْطَاهُ النَّاسُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً  
يَتَجَرَّ لَهُ فِيهَا ، لَمَا يَعْلَمُونَ مِنْ صَدَقَةٍ وَأَمَانَتِهِ ، حَتَّى أَنَّهُ وَسَقَ مِنَ السَّفِينَةِ جَانِبًا عَظِيمًا .

وَحِينَ تَوَجَّهَ وَدَّعَهُ إِخْرَانُهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى السَّفِينَةِ ، فَرَكَبَهَا وَأَقْلَعَتْ بِهِمْ بَرِيجٌ  
طَيِّبَةٌ . ثُمَّ اخْتَلَفَتِ الرِّياحُ عَلَى السَّفِينَةِ ، حَتَّى أَنَّهُمْ أَخْذُوا طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِمْ : وَذَلِكَ  
أَنَّهُمْ جَاءُوا عَلَى طَرِيقِ رُودُسٍ<sup>(١)</sup> . وَبَيْنَا هُمْ آمْنُونَ مُطمَئِنُونَ<sup>(٢)</sup> ، إِذَ هَبَّ عَلَيْهِمْ قَاصِفٌ  
رِيحٌ ، وَكَانُوا إِذَا كَبَ رُودُسٌ ، فَتَلاطَمَتْ عَلَيْهِمْ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ ، وَبَدَّلَ الصَّفَوَ  
بِالْكَدْرِ ، عَلَى حَدَّ قَوْلِ الشَّاعِرِ . شِعْرٌ مِنَ الْبَسِيطِ :

حَسَنَتْ ظَنَنَكَ بِالْأَيَامِ مِذْ حَسَنَتْ لَمْ تَخْفَ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ

وَسَلَّمَتْ الْلَّيَالِي وَاغْتَرَرَتْ بِهَا وَعِنْدَ صَفِّ الْلَّيَالِي يَحْدُثُ السَّكَدُرُ

(٩) وَكَانَ بِسَفِينَتِهِمْ خَلَلٌ ، فَلَمَّا تَلَاطَمَتْ عَلَيْهَا الْأَمْوَاجُ ، وَسَطَتْ عَلَيْهَا سُطُوة<sup>(٣)</sup>

الْحَجَاجُ ، تَحَلَّلَ تَرْكِيَّهَا ، وَفَسَدَ تَرْتِيَّهَا ، وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهَا ، وَانْفَصَلَتْ أَفْلَادُهَا ، وَغَرِقَ  
مِنْ فِيهَا ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ رَاكِبِهَا .

وَكَانَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ جَدِّيُّ المَذْكُورِ ، فَخَلَصَ بَعْدَ غَصَّ الْرِّيقِ إِلَى الْبَلْدِ المَذْكُورِ .

[شِعْرٌ مِنَ الطَّوِيلِ] :

إِذَا سَلَمَتْ هَامُ الرِّجَالِ مِنَ الرَّدَى فَإِنَّ الْمَالُ إِلَّا مِثْلُ قَصْ الأَظَافِرِ

فَسَكَثَ فِي رُودُسٍ مَدْةً ، وَنَفَعَهُ فِيهَا هِمْيَانٌ<sup>(٤)</sup> كَانَ فِي وَسْطِهِ ، فِيهِ بَعْضُ ذَهَبٍ ،

(١) كَتَبَتْ رُودُسٌ هَكَذَا بِضمِ الدَّالِ فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : آمِنَينْ مُطمَئِنَينْ .

(٣) فِي الْقَامُوسِ : سَطَا عَلَيْهِ وَبِهِ قَهْرَهُ بِالْبَطْشِ .

(٤) الْهِمْيَانُ : وَعَاءُ لِلنَّدْرَاهِمِ (الْقَامُوسِ) .

فكان ينفق منه مدة إقامته . ثم اشتري زاداً وركب في سفينة إلى نهر إسكندرية ، وكان ذلك إبان الحجّ ، والذهاب إلى العَجْ والعَجْ<sup>(١)</sup> ، فتوجه في الحال ، من غير إهمال ، إلى تلك البقاع ، وبَلَغَ مأموله قدر ما استطاع ، وكان لسان حاله يقول ، قبل بلوغ المأمول ، من الرمل :

أَبْرَكُ الْأَيَامِ يَوْمَ قِيلَ لِي  
هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ الْكِتَبِ  
هَذِهِ رُوضَةُ طَهَّ الْمُصْطَفَى<sup>(٢)</sup> لِدِيْكُمْ فَاشَرَ بِوَا  
وَالْيَاهُ فِي «هَذِهِ» بَدَلَ عَنِ الْهَاءِ .

ولما قضى ما وجب عليه ، وتَلَى بزيارة الحبيب وصاحبِيهِ ، أفاق من دهشهته ، وفاء إلى سكينته ، واقتصر في ضياع ماله ، وتشتت حاله ، وافتضح من (١٠) دخوله إلى تونس ذا عُسْرٍ وفاقة ، بعد أن كان ذا يُسْرٍ وإفادة . وكيف يصبر بعد الرفاهية على السَّكَدِ ، أو يراه على هذه الحالة أهل البلد ؟!

وَلَا تَذَكَّرْ مَا قَدْ حَدَثَ ، أَنْشَدَ عَلَى وَجْهِ الْجَدِّ لَا الْعَبِيثَ ، مِنَ الطَّوِيلِ :  
سَأَضْرِبُ فِي الْآفَاقِ شَرْقًا بِغَرْبِهَا      وَأَكْسِبُ مَالًاً أَوْ أَمْوَاتَ غَرِيبًا  
فَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي فَلَلَهِ رُدُّهَا      وَإِنْ سَلَمْتْ كَانَ الرَّجُوعُ قَرِيبًا  
وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَى الْمَرءِ أَنْ يَعِيشَ فِي تَعْبٍ وَنَصْبٍ وَكَدَّ ، فِي بَلَدٍ  
لَا يَعْرَفُهُ فِيهِ أَحَدٌ ، خَصْوَصًا فِي هَذَا الزَّمْنِ الَّذِي يُسْكُنُ بِهِ الْيَهُودِيُّ مَالِهِ ، وَيُهَانُ  
الشَّرِيفُ لِفَقْرِهِ وَسُوءِ حَالِهِ ، وَرَحْمُ اللَّهِ الْقَائِلُ ، مِنَ الْكَامِلِ :

(١) العَجْ : رفع الصوت بالتلبية ، والعَجْ : صب الدم وسيلان دماء الهدى أى الذبح ، وفي الحديث : أفضل الحج ، العَجْ والعَجْ (اللسان) .

(٢) في الأصل : الزرقاء بالهمزة ، وهي عين بالمدينة .

يغدو الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضدهُ  
 والأرض تُغلِّق دونه أبوابها  
 وتراء مَقْوِتة وليس بمذنبٍ  
 ويرى العداوة لا يرى أسبابها  
 حتى الكلابُ إذا رأتهُ ذا ثروة  
 مالتُ إليه وحركتُ أذنابها  
 وإذا رأتهُ يوماً فَقَرِيراً عارياً  
 نبحتُ عليه وكشرتُ أننيابها  
 ولذا قال الإمام على كرم الله وجهه : الفقر داء لا دواء له ، إن أذعنته فضحيتني ،  
 وإن كتمته قتلتني . وقد قيل : إذا افتقر الإنسان خونه من كان يأمهنه ، وأساء  
 فيه<sup>(١)</sup> الظن من كان يحسنـه ، وأبعدـه مـن<sup>(٢)</sup> (١١) كان يقرـبه ، وملـهـ من كان يحـبهـ .

شعر من البسيط :

إنْ قلَّ مالٌ فلَا خِلٌْ يساعِدُنِي      وإنْ غَنِيتُ فَكُلْ النَّاسُ خَلَّانِي  
 ولَيْتَ إِنْسانٌ إِذَا افْتَقَرَ ، يَتَرَكُ هُوَ وَشَانَهُ وَلَا يَخْتَفَرَ ، لَا وَاللهِ بِلِ يَكْذَبُ  
 فِي الْمَقْالِ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا ، وَيَهَانُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَابِراً . شعر من الكامل :

مِنْ كَانَ يَمْلِكُ دَرَهْمَيْنِ تَعْلَمَتْ      شَفَّاتُهُ أَنْوَاعُ الْكَلَامِ فَقَالَ  
 وَتَقْدِيمُ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمْعُوا لَهُ      وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلِّا  
 لَوْلَا دَرَاهُمُهُ الَّتِي فِي كِيسِهِ      لَرَأَيْتَهُ أَسْوَأَهُ<sup>(٢)</sup> الْبَرِيَّةِ حَالًا  
 إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخُطْبَ      قَالُوا : صَدَقَتْ وَمَا نَظَقْتَ مَحَالًا  
 وَإِذَا الْفَقِيرُ أَصَابَ قَالُوا كَلَّاهُمْ :      أَخْطَأْتُ يَا هَذَا وَقْلَتْ ضَلَالًا

(١) كـذا ، وهو تعبير عامـي بـدل : أـسـاءـ بـهـ ، وقد دـأـبـ المؤـلـفـ عـلـىـ هـذـاـ الـاستـعـمالـ  
فـيـ جـمـيعـ الـكتـابـ .

(٢) فـيـ الأـصـلـ : أـسـوءـ .

إن الدرهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجحلاً<sup>(١)</sup>  
فهي<sup>(٢)</sup> الناسُ لمن أرادَ فصاحةً وهي السلاحُ<sup>(٣)</sup> لمن أرادَ قتالاً  
وإذا كان كذلك فالموتُ خير لذوي الأحساب ، من أن تلصيق أيديهم بالتراب .

شعر من مجزوء السكامل :

الموتُ خَيْرٌ لِلْفَتِيِّ مِنْ أَنْ يَعِيشَ بِغَيْرِ مَالٍ  
وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْكَرِيِّ مِنْ التَّضْرِيعِ وَالسُّؤَالِ  
ولما علم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن القمي<sup>٤</sup> يهان<sup>٥</sup> بعد (١٢) الإكرام ، ويدل<sup>٦</sup>  
بعد العز والاحترام ، قال : « أَكْرِمُوا عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلٍّ ، وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْقَرَ ». لكن  
كل ذلك بحسب ما سُطِّرَ في أم الكتاب ، وقد رأى في عالمه العزيز الوهاب ، وإلا فكم  
من فقير أسعفته الأقدار ، وكم من غني أصبح لا يملك ربع دينار !  
ومن ذلك ما حُكِيَ : أنَّ الْوَزِيرَ الْمَهَلَبِيَّ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ فَقِيرًا ، لَا يَمْلِكُ  
تَقِيرًا<sup>(٤)</sup> ، وَانْفَقَ أَنَّهُ سَافَرَ رَاجِلًا مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مَكَةَ فِي قَافْلَةَ ، وَقَدْ أَضْرَرَ بِهِ الْجُوعُ ،  
وَأَحْرَمَهُ<sup>(٥)</sup> الْمَجْوَعُ ، فَأَنْشَدَ يَقُولُ ، مِنَ الْوَافِرِ :  
أَلَا مَوْتُ<sup>(٦)</sup> يَبْاعُ فَأْشَتِيهِ فَهَذَا الْعِيشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ

(١) في رواية : وجلا .

(٢) في الأصل : وهي .

(٣) في الأصل : اسلح .

(٤) النمير : نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة (اللسان)

(٥) كذا في الأصل . وقد دأب المؤلف على استعمال هذه الصيغة في أكثر من موضع من الكتاب والصواب حرمه

(٦) في الأصل : موتا .

ألا رحم المهيمن روح عبد تصدق بالوفاة على أخيه  
فسمعه أحد التجار فأعطاه رغيفاً ودرهماً .

ثم تغيرت الأحوال ، فترق المهابي للوزارة ، وافتقر التاجر حتى صار لا يملك قوت يومه ، وبلغه أن المهابي ترقى للوزارة ، فذهب إليه ، وكتب له في رقعة ما صورته ، من الوافر :

ألا قلن للوزير فدته<sup>(١)</sup> نفسي مقالاً مذكراً ما قد نسيه  
أتذكر إذ تتول لضنك عيش ألا موت<sup>(٢)</sup> يماع فأشتريه

وأرسل لها له مع بعض خدمه . فلما قرأها بكى واستembr ، وتذكر ما قد سلف ،  
(٣) وأمر له بعمل وسبعين درهم ، وكتب له على رقعة : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَشَلَ حَبَّةً أَنْبَتَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةً حَبَّةً »<sup>(٤)</sup> الآية .  
فعلم من ذلك أنه ينبغي لآكرام من افتقر بعد غناه ، وذلّ بعد أن بلغ في العزّ منتهاه . وإذا  
عَنَتْ لِلإِنْسَانِ حَاجَةٌ وَأَرَادَ [أَنْ] يَسْأَلُ فِيهَا النَّاسَ ، فَإِنْ كَانَ عَاقِلًا لَا يَسْأَلُ إِلَّا مَنْ  
كَانَ ذَا فَضْلٍ وَمَرْوِعَةً ، وَلَا يَسْأَلُ مَنْ تَمَّلَّ بَعْدَ فَقْرِهِ ، وَعَزَّ بَعْدَ ذَلْهُ ، قال الشاعر ،

من الطويل :

سُلِّ الفضلَ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدِيمًا وَلَا تَسْأَلْ      غَنِيًّا رُبِّي فِي الْفَقْرِ رِثْمَ تَمَّولاً  
ثُمَّ إِنَّ الْمَالَ تَمِيلُ إِلَى صَاحِبِهِ الْقُلُوبُ ، وَتَنْصُمُ عَلَيْهِ أَزْرَارُ الْجِيُوبِ ، بِهِ تَمَّ

(١) في الأصل : فداته .

(٢) في الأصل : موتا .

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٦١ .

الإرادات ، وتقضى جميع الحاجات . ولقد أجاد الحريرى فى مدح الدينار ، حيث قال ، من مشطور الرجز :

أَكْرَمَ بِهِ أَصْفَرَ رَاقِتٌ<sup>(١)</sup> صُفْرَتُهُ  
مَأْنُورَةَ سُعْدَتُهُ وَشَهْرَتُهُ  
كَانُوا مِنَ الْقُلُوبِ نُقْرَتُهُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَارَنَتْ نُجُحَ الْمَسَاعِي خَطَرَتُهُ  
وَإِنْ تَفَانَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِزْرَتُهُ  
وَحْبَّذَا مَعْنَاتُهُ<sup>(٦)</sup> وَنَصْرَتُهُ  
وَمُتَرَفِ لَوْلَاهْ دَامَتْ حَسْرَتُهُ  
وَبَدِرَ قَمَّ أَنْزَلَتُهُ بَدَرَتُهُ<sup>(٧)</sup>  
(٨) أَسْرَّ نَجْوَاهْ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ  
أَنْقَدَهُ حَتَيْ صَفَتْ مَسْرَتُهُ  
لَوْلَا التَّقِيَ لَقْلَتْ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ

### ١) راقت : أعيجت .

تراث : بعثت (٢)

(٣) الأسرة : الخطوط التي في الجهة ، وعنى بها هنا النقوش التي في الدينار .

مفردتها سرار ، وجمع الأسرة الأساري .

٤) النقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

(٥) في الأصل : نصرته بضم النون . والنصرة : البهجة والحسن .

٦) مغناطه : غناه و کفايته \*

(٧) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

٨) شرته : نشاطه وحدته .

ولقد شوهد أن الألـكن إذا استغنى يصير فصيحاً ، والأعمش إذا تـمـلـ يعود  
بـصـرـهـ صـحـيـحاـ .

ومصداق ذلك ، أني رأيت في سـفـرـتـيـ هذهـ رـجـلاـ يـسـمـيـ مـحـمـدـ الـكـنـيـ<sup>(١)</sup> ، وـكـانـ  
خـادـمـاـ عـلـىـ بـابـ يـوـسـفـ باـشاـ صـاحـبـ طـرـابـلسـ الغـربـ ، وـكـانـ أـعـمـشـ العـيـنـينـ ، مـسـلـقـ<sup>(٢)</sup>  
الـجـفـنـينـ ، تـرـشـحـ دـمـوعـهـ ، وـيـقـلـ هـجـوـعـهـ . وـدـامـ كـذـلـكـ إـلـىـ أـنـ تـولـىـ حـاكـمـاـ عـلـىـ إـقـاـمـ  
فـرـانـ ؟ فـبـرـئـ عـشـهـ ، وـنـبـتـ رـمـشـهـ ، وـذـهـبـ وـجـعـهـ ، وـبـطـلـ دـمـعـهـ ، وـصـارـ أـجـلـ أـهـلـ  
عـصـرـهـ ، وـأـوـجـهـ أـهـلـ قـطـرـهـ .

قلـتـ : وـلـعـلـ الـأـمـرـاـضـ إـنـماـ تـعـتـرـىـ الـفـقـرـاءـ ، لـمـ يـرـونـهـ مـنـ الذـلـ وـالـمـسـكـنـةـ وـالـعـرـىـ  
وـالـمـسـبـغـةـ ، فـيـهـتـمـونـ لـضـيقـ مـعـاشـهـمـ ، وـعـدـمـ اـرـتـيـاشـهـمـ ، فـتـتـشـوـشـ أـذـهـانـهـمـ ، وـتـسـقـمـ  
أـبـدـانـهـمـ . وـالـغـنـىـ لـيـسـ كـذـلـكـ . نـعـمـ ، وـإـنـ كـانـتـ لـهـ هـمـومـ ، لـكـنـهاـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ .  
شـعـرـ مـنـ الطـوـيلـ :

وـمـنـ يـحـمـدـ الدـنـيـاـ لـشـئـ يـسـرـهـ فـسـوـفـ - لـعـمـرـىـ - عـنـ قـلـيلـ يـلـوـمـهـاـ  
إـذـاـ أـدـبـرـتـ كـانـتـ عـلـىـ الـرـءـ حـسـرـةـ وـإـنـ أـقـبـلـتـ كـانـتـ كـثـيرـاـ<sup>(٣)</sup> هـمـومـهـاـ  
لـكـنـ الغـنـىـ إـذـاـ بـذـلـ الـدـيـنـارـ ، يـبـلـغـ الـأـوـطـارـ .

وـمـنـ ذـلـكـ مـاـ حـكـيـ<sup>(٤)</sup> أـنـ عـلـىـ باـشاـ الـأـوـلـ<sup>(٤)</sup> صـاحـبـ تـونـسـ ، كـانـ قـبـلـ  
وـلـايـهـ فـارـاـ بـالـجـزـائـرـ ، مـسـتـجـيـراـ بـحـاـكـمـاـ أـنـ يـمـدـهـ بـعـساـكـرـ لـيـأـخـذـهـ مـنـ اـبـنـ عـمـهـ حـسـينـ باـشاـ ،

(١) ضـبـطـ المـيـمـ بـالـضـمـ عـنـ التـرـجـمـةـ الفـرـنـسـيـةـ Voyage au Darfour , p. 401 . وبـاـقـيـ  
الـضـبـطـ وـارـدـ فـيـ الـأـصـلـ .

(٢) الـانـسـلـاقـ فـيـ الـعـيـنـ : حـمـرـةـ تـعـتـرـيـهـاـ فـتـقـتـشـرـ . وـبـهـذاـ يـتـضـحـ الـعـنـىـ .

(٣) فـيـ الـأـصـلـ : كـثـيرـ .

(٤) انـظـرـ تـرـجـمـةـ حـيـاتـهـ فـيـ : «ـ الـخـلاـصـةـ النـقـيـةـ فـيـ أـمـرـاءـ أـفـرـيـقـيـةـ »ـ لـمـحـمـدـ الـبـاجـيـ  
الـمـسـعـودـيـ ، صـ ١٢٢ـ - ١٣٠ـ .

وكان صاحبُ الجزائر يعدهُ بذلك ، والأخبار ترد على حسين باشا بذلك ، فـكان يعلمُ إذا سمع شيئاً من ذلك ، لما يعلم مما يطأ عليه من اختطاط شأنه ، وذهب ملوكه وسلطانه .

فاتفق أن ورد عليه خبر أفلقه وأهله ، وأحزنه وأغمه ، فركب وهو ضيق الصدر ، كثير الفكر . وشق في وسط تونس بموكبه ، وكان أحد وزرائه مجازياً له يتحدث معه ، فرأاه على تلك الحالة ، فسألَه عن سبب تغيره ، فأخبره بما سمع من الخبر . فقال الوزير : أيد الله مولانا ونصره ، أتتهم بأمر لا أصل له ؟ على أني أقول إنك ما دمت موجوداً ، لا تقوم له قامة . والتفتَّ عن يمينه - وكان بمحلٍ يسمى : سوق البلاط - فرأى ساق شجرة يابساً ملقى على الأرض ، فقال له : إنَّ كان هذا الساق يعود شجرة حضراء ، يملك على باشا تونس ويصير حاكماً عليها . وأراد بذلك اطمئنان<sup>(١)</sup> صاحبه .

فما مرت إلا أيام قلائل ، حتى جاءَ على باشا بجيش كثيف من الجزائر ، وقتل حسين باشا ، واستوزر الوزير المذكور مدةً حتى تمهدت له الأمور .

فاتفق أنه ركب يوماً في موكبه ودخل تونس ، و[كان] الوزير<sup>(٢)</sup> المذكور مجازياً له كاماً كان مجازياً لحسين باشا ، فتمادي في سيرهما حتى وصلا إلى سوق البلاط . فالتفت على باشا فرأى ساقَ الشجرة ملقى بمكانه ، فقال للوزير : إنَّ عاد هذا الساق شجرة حضراء ، يعود على باشا حاكماً على تونس .

وكان بعض أعداء الوزير ألقى إليه ذلك ، فأسرَه في نفسه إلى ذلك الوقت ، ثم أعرض عنه ، ولم يجادهه بعد ذلك . فعلم الوزير أنه مقتول لا محالة ، لما يعلم من أخلاق على باشا ، لأنَّه كان سفاكاً للدماء ، حتى أنه كان يقتل على المفروة الصغيرة ، فضلًا عن مثل هذه .

(١) في الأصل : اطمئنان .

وَتَمَادِيَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ الْبَاشَا إِلَى مَحْلِ سُلْطَنَتِهِ ، وَإِيَّوْانِ أَبْهَتِهِ ، فَتَقْدِمُ إِلَيْهِ  
الْوَزِيرُ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ فِيهِ بِأَمْرٍ ، وَقَالَ : أَيْدِي اللَّهُ مَوْلَانَا ، إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ حَسِينَ باشا حِينَ سَمِعَ  
بِقَدْوَمِكَ أَوْدَعَ عَنْدِي أُمَوَالًا جَمِيعًا خَبَائِثَهَا فِي مَحْلٍ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرِي ، وَأَنَا مُحْقِقٌ أَنَّكَ قَاتِلُ ،  
وَأَخَافُ إِنْ أَنَا مِتٌّ وَهِيَ بِكَانَهَا ، لَا يَنْتَفِعُ بِهَا مَوْلَاي . فَإِنْ رَأَى سَيِّدُنَا أَنْ يُسْرِحَنِي لِآتِيَهِ  
بِهَا فَلَيَفْعُلْ . فَفَرَحَ عَلَى باشا وَظَنَّ صِدْقَهُ ، وَأَمْرَهُ بِالتَّوْجِهِ ، وَأَنْ تَصْبِحَهُ عَشْرَةً حَوَانِبَ<sup>(١)</sup> .  
وَالْحَوَانِبُ فِي لُغَةِ تُونِسِ هُمُ الْقَوَاصِ<sup>(٢)</sup> بِلُغَةِ أَهْلِ مَصْرُ . وَقَبْلِ تَوْجِهِهِمْ ، قَالَ لِلْحَوَانِبِ :  
إِنْ فَرَّ مِنْكُمْ قَتَلْتُكُمْ أَجْعِينَ .

فَتَوَجَّهُوا مَعَهُ حَتَّى وَصَلَ لِدَارِهِ ، فَأَوْفَهُمْ أَسْفَلَ الدَّارِ ، وَصَعَدَ لِيُبَعِّدَ الْحَرَيمَ  
عَنِ الظَّرِيقِ فَوَقَفُوا . وَحَالَ صَعْوَدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَصَدَ خِزَانَةً أُمَوَالِهِ ، فَلَمَّا مَنَّهَا  
جَيَّوْ بِهِ ذَهَبًا ، وَأَخْذَ مَعَهُ صِندوقًا صَغِيرًا ، يَسْمَى فِي عَرْفِ أَهْلِ تُونِسِ بِالْفَنِيقِ ، مَلُوْءًا ذَهَبًا  
أَيْضًا . وَصَعَدَ عَلَى السُّطُوحِ وَتَسَوَّرَ مِنْ دَارٍ أُخْرَى ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّارِعِ وَتَوَجَّهَ إِلَى دَارِقُونْصُولِ  
الْإِنْجِلِيزِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مُسْتَجِيرٌ بِهِ ، وَأَعْلَمَهُ بِالْقَصَّةِ ، وَأَعْطَاهُ الصِّندوقَ بِمَا فِيهِ ،  
وَقَالَ لَهُ : أَرِيدُ أَنْ تَأْمُرَ بِإِحْدَى سَفَائِنِكَ تَتَوَجَّهَ<sup>(٣)</sup> بِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَى إِنْجِلَاتِيرَةِ .  
فَكَتَبَ لَهُ القُونْصُولُ فِي الْحَالِ كِتَابًا إِلَى أَحَدِ قَبُودَانِاهِ<sup>(٤)</sup> أَنْ : سَافِرْ إِلَى إِنْجِلَاتِيرَةَ  
حَالَ حَلُولِ جَوَابِنَا هَذَا إِلَيْكَ ، وَلَا تَتَأْخِرْ دِقِيقَةً وَاحِدَةً . وَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ وَرَاقِفَهُ بِتَرْجِمَاهُ ،  
وَنَزَلاَ الْبَحْرَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى السَّفِينَةِ . فَخَيْنَ قَرَأَ مُدِيرُ السَّفِينَةِ كِتَابَ القُونْصُولِ أَقْلَمَ عَنِ الْمَرْسَى  
وَأَطْلَقَ مِدْفَعًا عَلَامَةً لِلْقُونْصُولِ بِتَوْجِهِهِ .

(١) الْحَوَانِبُ ، جَمْعُهُ حَوَانِبُ .

(٢) فِي الأَصْلِ : «الْقَوَاصِ» . وَالْقَوَاصُ ، مَفْرَدُ جَمِيعِهِ قَوَاصِ .

(٣) فِي الأَصْلِ : يَتَوَجَّهُ .

(٤) الْقَبُودَانُ هُوَ الْقَبْطَانُ فِي الْلَّهِجَةِ الْمَصْرِيَّةِ .

واستبطأه الحوائب ، فنادُوا : يافلان ، انزل . فقال الحريم : إنه نزل من وقت  
صعوده . فكذَّبُوهُنْ وَهُمْ مَا الدار<sup>(١)</sup> فلم يروا فيها أحداً . وعلم على باشا بِإفلاته ، فاغتناط  
وعرف أنها حيلة وَتَمَّتْ عليه .

فانظر - رحمة الله - إلى هذه القضية ، أترى أن هذا الوزير لو لم يبذل  
هذه الدنانير ، أكان يبلغ مأmetه<sup>(٢)</sup> لا والله ! بل كان يُقتل ويُؤخذ ماله ولا ينفعه<sup>(٣)</sup>  
 بشيء ، لأن الدرهم والدينار إذا لم يُبذل ، لم ينفعوا ولا تُقضى لصاحبهما حاجة ؟ بل إن كأن  
 واليًا عُزل ، وإن كأن تاجراً احتقر .

وفي هذا المعنى أنسد شيخ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير - حين عُزل  
 خورشيد باشا وإلى مصر سابقاً ، وتولاه صاحب السعادة ، لعدم إعطاء مرتبتات العساكر -  
 شعراً ، من مجموع الكامل :

عَزَّوكَ لِمَا قلتَ : مَا أُعْطَى ، وَلَوْا مَنْ بَذَلَ  
 أوْ مَا عَلِمَتَ بِأَنَّ «ما»<sup>(٤)</sup> حَرْفٌ يَكْفُ عن الْعَمَلِ  
 ولقد أجاد أبو القاسم الحیری فِي ذم الدينار ، من حيث إنه لا ينفع صاحبه إلا إذا  
 فرّ من يده ، حيث قال ، من مشطور الرجز :

وَشَرُّ ما فِيـهِ مِنِ الْخَلَائِقِ<sup>(٤)</sup> أَنْ لِيسْ يُغْنِي عَنْكَ فِي الْمُضَارِقِ

(١) كذا في الأصل ، بدل . على الدار .

(٢) في الأصل : مامتها .

(٣) في الأصل : بانما .

(٤) الخلائق جمع خلقة وهي العادة والطبيعة .

إلا إذا فرَّ فِرارَ الْأَبْقَى  
وَاهَا لَمْ يَقْذِفْهُ مِنْ حَالِقٍ<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجَوَى الْوَاقِقٍ<sup>(٢)</sup> قال له قول المحقق الصادق  
لَا رَأْيٌ<sup>(٣)</sup> فِي وَصْلَتَ لِي فَارِقٍ

وفي الأمثال التونسية : إذا وضعتَ الديسارَ على فم البَلَادِ أشْكَتَهُ . وفي الأمثال  
المصرية : حبيبُ مَالَهُ ، حبيبُ مَالَهُ . أى : مَنْ أَحَبَ مَالَهُ وَخَرَّنَهُ ، لَا حَبِيبٌ لَهُ .

ومن هذا القبيل حكاية وقعت بتونس وهي<sup>(٤)</sup> : أن المرحوم الأجداد أبو محمد<sup>(٥)</sup>  
حَمْودَة باشا<sup>(٦)</sup> - بِرَّدَ اللَّهُ (١٩) ثراه - كان له وزير يسمى : يوسف صاحب الطابع<sup>(٧)</sup>، ومعناه:  
المُهُورَدَار ، أى : الذي في يده الخاتم الذي تختتم به الأوامر . وكان يوسف المذكور قبل ذلك  
مملوكاً لقائد صفاقس المسمى محمد الجلوسي ، وكان [على جانب] من المجال والأدب  
والحياة ، فنُعِي خبره إلى الباشا ، فأرسل إلى الجلوسي يقول له : إنه قد بلغنى أن عندك  
مملوكاً صفتة كذا ، واسم يوسف ، فإذا وصلتك كتابي هذا ، أرسله صحبة حامله والسلام .  
فاما قرأ الجلوسي الكتاب ، لم يجد بدأ من إرساله . فلما صار في حيازة الباشا ،  
أعجبه حسنُه وذكاؤه وفطنته ، وصدقه وأماتته .

وأتفق أن بعض الماليك اتفقوا على قتل الباشا ، ودخلوا عليه وهو نائم ، ووضعوا  
الشَّفَرَةَ عَلَى مَذَبَحِه ، فاستغاثَ منهم . ولِيَنْخَتِ يُوسُفَ كَانْ خَلَاصُ الْبَاشَا مِنْهُمْ

(١) الحالق : الجبل المرتفع .

(٢) الواقق : المحب .

(٣) في الأصل : لا رأي .

(٤) في الأصل : وهو .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) انظر ترجمته في : الخلاصة النقية في أمراء أفريقيا ، ص ١٣٤ - ١٣٩ .

(٧) انظر ترجمته في : الخلاصة النقية في أمراء أفريقيا ، ص ١٣٥ - ١٣٨ .

على يده . فنزل عنده منزلة عظيمة ، وأحـلـه محلـه ولـه ، وـقـلـده الـولاـيـاتـ العـظـيمـةـ ، وصارتـ الأولـيـةـ تـخـفـقـ علىـ رـأـسـهـ حتـىـ صـارـ يـشارـ إـلـيـهـ بـأـطـرافـ الـبـنـانـ .

وكان يوسف المـذـكـورـ سـعـيدـ الطـالـعـ ، جـيـدـ التـدـبـيرـ ، مـظـفـرـاـ فـيـ الحـرـبـ ، سـخـيـ الـكـفـ ، يـجـذـبـ القـلـوبـ بـاطـفـهـ ، حتـىـ أـنـ الـبـاشـاـ جـمـلـهـ رـئـيـسـاـ عـلـىـ الـعـسـاـكـرـ الـبـرـيـةـ فـيـ مـحـارـبـةـ سـرـاطـ<sup>(١)</sup> ، وهـىـ مـحـارـبـةـ وـقـتـ بـيـنـ حـاـكـمـ تـونـسـ وـصـاحـبـ الـجـزـائـرـ ، فـيـمـنـ صـاحـبـ<sup>(٢)</sup> الطـابـعـ ، كـانـ الدـائـرـةـ عـلـىـ أـهـلـ الـجـزـائـرـ . وـاغـتنـمـ عـسـكـرـ تـونـسـ أـخـيـةـ الـجـزـائـرـ وـخـيـلـهـ وـإـلـهـ وـسـلاـحـهـ ، وـأـسـرـ مـنـ عـسـكـرـ الـجـزـائـرـ فـيـ هـذـهـ الـوـاقـعـةـ جـمـعـ غـيـرـ .

ثـمـ صـارـ مـدـبـرـ الـجـيـوشـ الـبـرـيـةـ بـحـلـقـ الـوـادـ<sup>(٣)</sup> ، وـذـلـكـ حـينـ قـدـمـ أـسـطـولـ الـجـزـائـرـ لـمـحـارـبـةـ تـونـسـ أـيـضـاـ ، فـكـانـ مـقـيـماـ بـهـرـجـ حـلـقـ الـوـادـ يـدـبـرـ أـمـرـ الـجـيـشـ وـالـسـفـنـ وـالـشـوـانـيـ وـالـعـسـسـ عـلـىـ الشـاطـيـءـ ، وـكـانـ أـكـابرـ تـونـسـ تـأـتـيـ إـلـيـهـ لـقـضـاءـ أـشـغـلـمـ بـحـلـقـ الـوـادـ ، لـأـنـ زـمـامـ الـأـمـورـ كـلـهاـ بـيـدـهـ .

وـكـانـ مـنـ جـمـلـهـ مـنـ يـخـضـرـ دـيـوـانـهـ مـحـمـدـ الـخـلـوـيـ اـبـنـ سـيـدـهـ سـابـقاـ . لـكـنـ كـانـ يـأـتـيـ بـتـيـمـهـ وـخـفـرـ ، مـعـ دـلـوكـ طـرـيقـةـ الـأـدـبـ الـلـاـثـقـةـ بـأـمـثالـهـ . وـكـانـ صـاحـبـ الطـابـعـ يـرـىـ مـنـهـ ذـلـكـ وـيـتـغـافـلـ عـنـهـ ، حتـىـ آنـ أـكـابرـ دـيـوـانـهـ تـكـلـمـوـاـ مـعـهـ فـيـ شـأـنـ ذـلـكـ . وـذـكـرواـ لـهـ أـمـورـاـ كـثـيـرـةـ ، حتـىـ قـالـوـ : إـنـهـ يـرـاكـ إـلـىـ الـآنـ مـلـوـكـ أـبـيهـ ، وـقـدـ صـرـحـ بـهـذـاـ مـرـارـاـ . فـنـقـمـ ذـلـكـ عـلـيـهـ ، وـتـحـيـلـ فـيـ طـرـيقـ الـاـنـتـقـامـ مـنـهـ .

فـأـخـبـرـ أـنـهـ يـدـخـلـ دـارـهـ رـاكـبـاـ ، وـلـاـ يـنـزـلـ خـارـجـ الدـارـ كـبـقـيـةـ الـأـمـرـاءـ ، وـأـنـ

(١) كـذاـ فـيـ الأـصـلـ ، وـفـيـ الـخـلـاصـةـ النـقـيـةـ ، صـ ١٣٧ : سـرـاطـ ، وهـىـ مـكـانـ بـيـنـ

تونـسـ وـقـسـنـطـيـنـةـ Voyage au Darfour p. 406

(٢) حـلـقـ الـوـادـ : مـيـنـاءـ فـيـ تـونـسـ Voyage au Darfour p. 406

سائسه يأخذ بفلته ويربطها في مربط دوابه ، فدعا برئيس الشيّاس وقال له : قد بلغنى أن سائس الجلوسي يربط بفلته في مربط دوابي . إن بلغنى أنه ربطها في مربط خيلي بعد اليوم لا تلوعن<sup>(١)</sup> إلا نفسك . فقال : سمعاً وطاعة . (٢) ثم إن الجلوسي جاء ونزل على عادته ، وأخذ سائسه البغلة وربطها كالعادة - والسائس كان غائباً - وصعد هو إلى مجلس صاحب الطابع وجلس .

وينما هو جالس إذ سمع هيبة<sup>(٣)</sup> وصياحاً ، فنظر من أحد الشبابيك فرأى بفلته تركض عائرة<sup>(٤)</sup> ، وسائسه مضروباً والدم ينبع من رأسه ، فانزعج ونزل ، فأخبره سائسه أن كبير الشيّاس<sup>(٥)</sup> جاء ووجد البغلة مربوطة ، فأطلقها وضر بها ، فخرجت عائرة ؛ فسمعت بذلك ، فقلت له : لم تطلق بغلة سيدي ؟ فشتمني وشتمك ، فرددت عليه ، فضربني وترك حالي كما ترى .

فرجع الجلوسي إلى صاحب الطابع وهو مغضب وقال له : أطلق بفلتي ويُضرب خادمي وأنت موجود ؟ فلم يلتفت إليه ، ولم يرد عليه جواباً . فراد حنفه ، وعلم أن الخادم لا يفعل مثل هذا الفعل إلا بإذن سيده .

فنزل وركب من ساعته ، وتوجه إلى الحضرة ، ودخل على المرحوم حمودة باشا ، وشكاه جميع ما قد جرى عليه من صاحب الطابع فأشكاه ، ولا التفت إليه ،

(١) كذا .

(٢) في الأصل : هيبة ، ولعل المؤلف يقصد اللفظ العامي «هيبة» الذي أثبتناه في المتن .

(٣) من : عار الفرس أي ذهب كأنه منفلت (القاموس) .

(٤) في الأصل : السياس .

فكان يتنمّى من الغيظ ، ونزل من الحضرة ، وتوجّه لداره كثيراً حزيناً ، لا يدرى  
ماذا يصنع .

فاجتمع عليه بعض أصحابه ورأه على تلك الحالة ، فسألوه عن سبب حزنه ، فأخبره  
الخبر ، فلام عليه فيما صنع ، لا سيما في شكواه للباشا ، وقال له (٢٢) : أما تعلم أن صاحب  
الطابع هو المقبول ، وكلته هي المسنودة ؟ أريد أن تعاديه وتشكوه للباشا ، ويسمع لك عليه  
دعوى ؟ بئسما فعلت ، وساء ما توهنت ، أدرك نفسك ، وتلاف أمرك ، وإلا حل بك  
ما يحيل<sup>(١)</sup> من التلف وأنت المذموم . أما سمعت قول الشاعر ، من السالم :

وإذا العناية صادفت عبد الشّرّا تمشي على ساداته أحكامة

فقال الجلولي : وكيف انخروج من هذا الأمر ، و [ما] الحيلة في الخلاص منه ؟  
قال له صاحبه : أعلم أن المال إذا لم يبذل صاحبُه في مثل هذا المهم كان هو [و] حجارة  
الدار سواء ؛ والحيلة أن تختلف في هدية سنية وتقدمها بين يدي صاحب الطابع ، وتتوسل  
إليه بأعزّ أحبابه عليه ، كضررة ابن أبي الصياف ، وقاسم البواب ، وصالح أبي غدير ،  
وأضرابهم ؛ وتبدل لهم من المال ما يرضيهم وينشطُهم للشفاعة ، لأن المال لا يطلب إلا مثل  
هذا المهم .

فأخذ الجلولي نصيحته بقبول ، واحتفل في هدية عظيمة منها : سيف لا يقوم بحال  
لحسن جوهره ، وخاتم من الماس عظيم لا يقوم أيضاً ، وخشجر مرصع بمسارع وياقوت ،  
وعلبة نُشوق وساعة مرصعتان<sup>(٢)</sup> ، وعشرة آلاف محبوب<sup>(٣)</sup> . وأخذ مالاً جزيلاً غير

(١) في الأصل : ما يحيل بك .

(٢) في الأصل : مرصعتين .

(٣) في الأصل : محبوباً .

هذا ، وتلطف حتى اجتمع بأصحابِ صاحب الطابع ، وأخبرهم أنه متواصل بهم إليه ، أن يتولوا له في العفو ، وبذل لهم ما أرضاهم ، (٢٣) وسلّمهم المديّة . فأخذوها وذهبوا إلى أصحابهم ، وأخبروه أن الجلوسي جاء معتذراً يطلب عفو سعادته ؛ وأطلاعوه على المديّة ، وزينوا له أمرَ الصلح ، والعفو عنه ، وتركَ الانتقام منه إلا إنْ عاد لها .

فشرّهت نفسه [على] المديّة ، وقبلها وعف عنها ، وأمرهم بإحضاره ، وأن يبالغوا في وصيّته على سلوك طريق الأدب ، وأن يترك ما كان عليه من التكثير ، ولا يرى لنفسه على غيره فضلاً ؛ بل يقف على قدم العبوديّة ، لأنّه هو وأحد القواد عندنا على حد سواء ، وإن عاد إلى مثلها لا يؤمن إلا نفسه .

فامثلوا أمره وأحضروه ، وبالغوا<sup>(١)</sup> في وصيّته ، ثم دخلوه على صاحب الطابع . فلما رأه بشّ في وجهه ، وأمره بالجلوس ، وأجلّ مجلسه ، واعتنى به ، ولم يفاظ به في شيء ما كان .

ثم إن صاحب الطابع كتب إلى مخدومه البشا ، وأعلمبه بما وقع من الجلوسي ومنه ، وأن الجلوسي استرضاه بهدية ، وأنه رضي عنه ، وأرسل المديّة صحبة الكتاب .

فاما وصله الكتاب قرأه ، وأحضر المديّة ونظرها ، ثم ردّها إليه ، وكتب له ما صورته : قد بلغنا كتابك ، وفهمنا ما انطوى عليه ، ووقدت منا المديّة أحسن موقع ، لكننا [لمّا] رأينا كلّ ما فيها يصلح لك لنا ، فقد ردّناها عليك ، وسأحنناك فيها ، لأنك شاب وتحب الزينة ، ونحن بمعزل (٢٤) عن ذلك . وأما العشرة آلاف [محبوب] فاصرفها في مصالح العسكري . وقد رضينا عن الجلوسي لرضاك عنه والسلام .

(١) في الأصل : بالغوه .

ولما كان من الغد دخل الجلوسى على البشا ، فأعظم ملقاءه ورحب به ، وأضاف له عملاً على ما بيده من الأعمال ، وصار فى أحسن حال .

فتأنى - رحمك الله - في هذه القضية بعين الاعتبار . أترى أن الجلوسى [لو] لم يبذل هذا المال ، أكان يرجع حاله الأول ؟ لا والله ! بل تؤخذ من يده الأعمال ، وربما قُتل فى الحال .

وإذ قد انجر الكلام إلى سيرة المرحوم حمودة باشا ، ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع ، فلنذكر نبذة من سيرتهما ؛ لأن المقصد لا تخلوا رحلتنا عن الفوائد الجميلة . ولا أجل من ذكر الملوك العادلين ، الذين حسنت سيرتهم ، فتفقّمت بهم رعيّتهم . ونبداً بذكر البشا فنقول :

هو المولى الأجل ، الفاضل العادل ، الفطن الحازم ، أبو محمد سعيدة باشا ، بن على باشا ، ابن حسين باشا بن على . ولد ليلة السبت الثامنة عشر [ة] من ربيع الثاني سنة ١١٧٣<sup>(١)</sup> ، وبُويع له يوم وفاة أبيه سنة ١١٩١<sup>(٢)</sup> ، وتوفى ليلة عيد الفطر ١٢٢٩<sup>(٣)</sup> .

كان من الحزم وحسن الرأى والعدل بمكانته ، شجاعاً مهاباً ، عفيف النفس ، عالى المهمة . أنشأ بستان مثوابة<sup>(٤)</sup> المشهور الآن ، الذى أخفى ذكر بستان أبي فهور ، الذى قال فيه أبو عبد الله محمد الوزنـي<sup>(٥)</sup> ، (٢٥) من البسيط :

(١) ربيع الثاني سنة ١١٧٣ هـ = ديسمبر سنة ١٧٥٩ م .

(٢) سنة ١١٩١ هـ = ١٧٧٧ م .

(٣) غرة شوال سنة ١٢٢٩ هـ = أكتوبر سنة ١٨١٣ م .

(٤) هذا الضبط عن : Voyage au Darfour p. 411

(٥) هذا الضبط عن : Voyage au Darfour p. 411

وقف<sup>(١)</sup> هنا بابي فهـر الجميل فقد  
مضت به دولة الشـم العـرـانـين  
ترى الحـنـايا كـسـطـرـيـ النـخـلـ مـدـ به  
بعـضـ لـبـعـضـ بـمـحـفـيـ الـعـراـجـيـنـ  
أـوـ خـرـدـ نـهـضـتـ لـلـرـقـصـ فـاعـتـقـتـ  
كـيـلاـ تـجـيـ بـرـقـصـ غـيرـ مـوزـونـ  
وسـوـرـ عـلـىـ توـنـسـ السـوـرـ الـعـظـيمـ،ـ وـحـصـنـهاـ بـالـأـبـرـاجـ وـالـمـدـافـعـ،ـ وـشـحـنـ الـأـبـرـاجـ  
بـالـسـكـرـ،ـ وـرـفـ النـلـالـ الـقـيـ كـانـتـ بـيـنـ توـنـسـ وـالـبـيـحـيـةـ.ـ وـقـدـ كـانـتـ مـثـالـ الـجـبـالـ الـعـظـيمـةـ  
مانـعـةـ لـجـودـةـ الـهـوـاءـ،ـ يـخـشـيـ عـلـىـ الـبـلـدـ مـنـهـاـ،ـ وـهـيـ مـنـ مـدـةـ دـوـلـةـ بـنـ حـفـصـ،ـ  
فـاجـتـهـدـ فـيـ نـقـلـهـاـ فـيـ مـدـةـ سـبـعـ سـنـيـنـ،ـ حـتـىـ تـرـكـ مـحـلـهـاـ مـزـرـعـةـ عـظـيمـةـ،ـ وـكـشـفـ بـذـلـكـ ثـغـرـةـ  
أـهـلـ توـنـسـ.ـ

وـأـشـأـ مـحـلـاـ لـإـنـشـائـ المـدـافـعـ الـعـظـيمـةـ،ـ وـحـصـنـ حـلـقـ الـوـادـ بـالـأـبـرـاجـ وـالـأـبـنـيـةـ الـعـجـيـبـةـ،ـ  
بـحـيـثـ صـارـ لـاـ تـدـخـلـهـ فـلـوـكـةـ إـلـاـ وـيـفـتـحـ هـاـ بـاـبـاـنـ،ـ وـبـنـ قـلـعـةـ الـكـافـ.

وـأـخـرـجـ توـنـسـ وـأـعـمـاـهـاـ مـنـ رـبـقـةـ الرـقـ منـ أـهـلـ الـجـزـائـرـ إـلـىـ الـحـرـيـةـ الـمـطـلـقـةـ.ـ وـكـانـ  
مـظـفـرـاـ مـيـمـونـاـ لـاـ يـعـادـيـهـ أـحـدـ إـلـاـ خـذـلـ،ـ فـلـمـ تـقـدـرـ لـهـ أـهـلـ الـجـزـائـرـ عـلـىـ شـيـءـ.

وـمـنـ سـعـادـتـهـ أـنـهـ اـسـتـوـزـ يـوـسـفـ صـاحـبـ الطـابـعـ الـمـذـكـورـ،ـ وـأـطـلـقـ يـدـهـ فـيـ جـمـيعـ  
الـأـمـورـ،ـ كـاـقـدـمـنـاهـ.ـ فـكـانـ يـوـسـفـ الـمـذـكـورـ جـيـدـ الرـأـيـ،ـ حـسـنـ التـدـبـيرـ،ـ عـالـيـ الـهـمـةـ.ـ مـحـبـاـ  
لـالـعـلـمـ وـأـهـلـ الـفـضـلـ،ـ مـجـبـلـاـ عـلـىـ فـعـلـ الـخـيـرـ،ـ جـوـادـ مـهـابـاـ.ـ بـنـ الـجـامـعـ الـمـشـهـورـ بـهـ الـآنـ  
بـسـوقـ الـحـلـفـاـوـيـيـنـ بـتـوـنـسـ،ـ وـبـنـ (٢٦)ـ بـيـازـائـهـ مـدـرـسـةـ عـظـيمـةـ لـطـلـبـ الـعـلـمـ،ـ وـرـتـبـ فـيـهـاـ وـفـيـ  
الـجـامـعـ رـوـاتـبـ جـاـيلـةـ،ـ مـنـهـاـ :

أـنـهـ جـعـلـ نـظـرـ الـمـدـرـسـةـ لـأـوـحـدـ أـهـلـ زـمـانـهـ عـلـمـاـ وـديـانـةـ،ـ الـمـولـيـ الـأـجـلـ الـأـدـيـبـ الـبـارـعـ،ـ

(١) فـيـ الـاـصـلـ :ـ وـقـفـ بـضـمـ الـواـوـ .

سيّد الشّيخ إبراهيم الرّياحي، شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس. وشرطَ عليه قراءة درسين في كل يوم : درسٌ في الفقه، ودرسٌ في التفسير. وزاد الشّيخ من نفسه درساً في الحديث ، ودرساً في النحو .

وصرف صاحبُ الطابع على بناءِ الجامع والمدرسة المذكورة مالاً جزيلاً ، حتى أن جامعَه الآن ، في الحسن والإتقان ، أعظمُ جامع يوجد بتونس ؟ بل يمكن ألا يوجد أتقن منه ولا أعجب منه - وإنْ كان صغيراً - إلا فيما لم نشاهده . ولقد رأيتُ عدّة جوامع بالقاهرة ، وبطرابلس الغرب ، والمورة ، والجاز ، فلم أر أتقن منه ، اللهم إلا أن يقال : إنَّ الجامع الأمويَّ بدمشق ، أو جامع القرويين بفاس ، أو جامع أياصوفيا بقسطنطينية ، أعظمُ منه .

وبني أمّا الجامع سوقاً عظيماً للتجار ، وبني فوقه سرّايةَ عظيمةً لجلوسه ، وأنشأ عدّة مكاتبَ ومواردَ في جملةِ مواضع .

ولقد رأيتُ أحدَ المواردِ التي أنشأها ، مكتوباً عليها تاريخٌ<sup>(١)</sup> لشيخنا العلامة الشّيخ

إبراهيم الرّياحي ، وصوريَّته ، من مجروءِ الرجز :

ذا مورِّدُ جَادَ به راجي ثوابِ ربِّه  
صاحبُ طَابَعِ البَهِي (٢٧)  
باشا وذا من سَيِّدِه  
فخُرُّ العَلَا حَمُودَه  
يا وارداً أَدْعُ وقل : تاريختَه بِشُرُّبِيه

١٢٠٩

---

(١) في الأصل : مكتوبٌ عليها تاريخاً .

وهو على طريقة أَيْقَش<sup>(١)</sup> ، أى طريقة حساب المغاربة .

قلت : وهذا القاربُن ، أعني : قوله « بُشِّرْ » به « غير بلين » ، أى : ليس فيه من

(١) تقوم طريقة « أَيْقَشْ » عند المغاربة وطريقة « أَبْجَدْ » المنتشرة فيسائر البلاد العربية على أساس القيم العددية للحروف العربية في حساب الجمل المعروفة .

وتتكون طريقة أَيْقَشْ من الكلمات الآتية : أَيْقَشْ - بَكْر - جَلْس - دَمْت - هَنْت - وَصْنَع - زَعْد - حَفْظ . وقد عرفت الطريقة بهذا الاسم لأن

« أَيْقَشْ » أول كلماتها . أما قيم حروفها العددية فكما يلي :

١٠٠٠	ش	١
١٠٠	ق	١٠
٢٠٠	ي	١٠٠
٣٠٠	ك	٢
٤٠٠	ر	٢٠
٥٠٠	س	٣
٦٠٠	ل	٣٠
٧٠٠	ج	٤
٨٠٠	ت	٤٠
٩٠٠	ه	٤٠٠
	م	٥
	ن	٥٠
	د	٥٠٠
	ص	٦
	ز	٦٠
	ع	٦٠٠
	٧	٧٠
	ح	٧٠٠
	ف	٨
	غ	٨٠
	ط	٨٠٠
	٩	٩٠

وتتكون طريقة « أَبْجَدْ » من الكلمات التالية : أَبْجَد - هَوْز - حَطْي - كَلْمَنْ

المعنى شيء حسن . وأين هذا من تاريخ الأديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين

= سعفصن - قرشست - ثخذ - ضظغن . وقييم حروفها العددية كما يلى :

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠	

وتتفق الطريقتان من ناحية القيمة العددية لكل حرف ، عدا ما يأتي :

(١) تساوى الشين فى طريقة أيقشن ١٠٠٠ وفي طريقة أبجد ٣٠٠

(٢) تساوى الصاد فى طريقة أيقشن ٦٠ وفي طريقة أبجد ٩٠

(٣) تساوى السين فى طريقة أيقشن ٣٠٠ وفي طريقة أبجد ٦٠

(٤) تساوى الغين فى طريقة أيقشن ٩٠ وفي طريقة أبجد ١٠٠٠

وكان كثير من الشعراء وبخاصة فى العصر الحديث ينظمون شعراً يتroxون فيه أن ينتهي بتاريخ يدل على العام الذى وقع فيه ما يريدون تاريه ، كوفاة أحد العظام أوكسوة لكتيبة بيت الله الحرام ، أو إنشاء مورد يستقى منه الناس أو غير ذلك . ومن هنا سمي هذا النوع من الشعر شعر التاريخ . وتكون الكلمات الدالة عليه فى آخر بيت من القصيدة أو المقطوعة فى الغالب ، كما تكون تالية لأحد الألفاظ الدالة على التاريخ ، كأن يقول الشاعر مثلاً : « السعد أرخه » أو « والسعـد قال مؤرخـاً » أو « لاغـرـوـأـنـأـرـخـتـهـ » أو « ادعـوـقـلـتـارـيـخـهـ » أو غير ذلك .

وفي شعر التاريخ السابق الذى أوله : « ذا مورد جاد به » نجد أن كلمة « بشربه » اذا جمعت قيم حروفها العددية على طريقة « أيقشن » كانت كما يلى :

$$\begin{array}{r} \text{ب} \quad \text{ش} \quad \text{ر} \quad \text{ب} \quad \text{ه} \\ + \quad + \quad + \quad + \quad + \\ ٢ \quad ١٠٠٠ \quad ٢٠٠ \quad ٢ \quad ٥ = ١٢٠٩ \end{array}$$

راجع فيما يختص بطريقة أيقشن الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour p. 417.

المصري ، في السبيل الذي أنشأه محمود أفندي بالمحروسة ، السكائن بين الأزهر والمقام الحسيني . وصورته ، من البسيط :

اشرب هنيئاً فهذا العذب <sup>(١)</sup>	سَلْسِيلًا راقَ مُنْهَلُه
سبيله عاطفُ الخيرِ مُحَمَّدُ	وَانْظُرْ إِلَى حُسْنِه وَالسَّعْدُ أَرْخَهُ
٩٨	٨٧٠
١٦٠	١٠٧
<hr/> ١٢٣٥	

ومن<sup>(٢)</sup> بعض تواريخ أديب زمانه ، الشيخ على الدرويش ، في كسوة البيت الحرام ، ونصه ، من مجزوء الرجز :

يزهو بهَا خَزْ وَبَزْ	يَانُورَ ناظِرِ كِسْوَة <sup>(٣)</sup>
فلهْ بَهَا سَعْدُ نَجَزْ	بُشَرَى خَلِيلِ ناظِرًا
سِرْ لَبِيتِ اللَّهِ عَزْ	وَالسَّعْدُ قَالَ مُؤْرِخَا
٧٧	٦٦
٤٤٢	٦٦٠
<hr/> ١٢٤٥	

وأين هذا التاريخ من تاريخي اللذين<sup>(٤)</sup> نظمتها للمرحوم السيد محمد المحروق ، حين أنشأزاوية التي تجاه زاوية الشيخ العفيف ، بالقرافة الصغرى ، والمورد الذي أنشأ ببركة الرّاطلي بالمحروسة ونص الأول ، من السكامل :

أنظر لزاويتِ تكامل حُسْنَها وصبا إِلَيْهَا لَبَّ كلَّ مَشْوَقِ

(١) في الأصل : العذب ، بضم العين .

(٢) معطوف على : « من تاريخ الأديب » .

(٣) بكاف مكسورة في الأصل ، وفي القاموس : الكسوة بالضم ويكسر .

(٤) في الأصل : الذين .

وَبَدَأَتْ بِإِتقانٍ فَأَبْجَزَ وَصَفَهَا  
ذَا النُّطْقِ بِالْمَفْهومِ الْمُنْطَوِقِ  
وَقَدْ اسْتَضَاعَتْ بِالسَّيَادَةِ أَرْخُوا

مُلْئَثٌ	بِنُورٍ	الْسَّيِّدِ	الْمَحْرُوقِ
٢٩٥	١٠٥	٢٥٨	٢٨٠
١٢٣٨			

تَأَمَّلْ لِكَا شَادَتْ يَدُ الْعِزَّ وَالْبَهَاء  
وَقَدْ شَادَهُ مِنْ نَسْلٍ أَكْرَمٍ مُرْسَلٍ  
مُحَمَّدٌ الْمَحْرُوقِ أَنْشَاءَ رَاجِيًّا  
وَمُذْتَمَّ قَالَ السَّعْدُ لِلشَّرَبِ<sup>(١)</sup> أَرْخُوا

زَلَالٌ	شَفَاءٌ	جَيْدٌ	وَهُوَ مُشْتَهَىٰ
٧٥٥	١٧	١٧	٣٨١
٦٨			
١٢٣٨			

ونص الثاني ، من الطويل :

تَوْفِيَ الْمَرْحُومُ يُوسُفُ خُوْجَةُ ، صَاحِبُ الْطَّابَعِ ، فِي شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ ١٢٣٠<sup>(٢)</sup>  
وَمَاتَ قَتِيلًاً ، وَطَيْفَ يَشْلُوَهُ<sup>(٣)</sup> يُجَرُّ فِي الْأَسْوَاقِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ الْبَصْرُ يَخْشَىُ أَنْ يَمْتَدَّ إِلَيْهِ  
فَسُبْحَانَ الْمَعْزِ الْمَذِلِّ .

وَرَثَاهُ شِيخُنَا الْعَلَامَةُ الشِّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الرِّيَاحِيُّ ، بِأَبِيَاتٍ كُتُبَتْ عَلَى قَبْرِهِ ،

وَهِيَ هَذِهُ ، مِنْ مُجزَوءِ الْكَاملِ :

اللَّهُ قَدْ وَجَبَ الدَّوَامُ  
وَسِوَاءُ نَهَبُ الْحِجَامُ  
(٤) سِيَانٌ فِي تَنْفِيصِهِ  
عَالٍ وَمَنْخَفِضٌ الْمَقَامُ  
أَيْنَ الْمَلُوكُ وَأَيْنَ مَنْ  
كَانَتْ لَهُمْ تُرْعَى الْذِمَامُ

(١) فِي الْأَصْلِ : لِلشَّرَبِ بِكَسْرِ الشَّيْنِ . وَالشَّرَبُ بِفَتْحِهَا : الْقَوْمُ يَشْرَبُونَ (الْمَسَانِيَّ) .

(٢) صَفَرُ سَنَةِ ١٢٣٠ هـ = يَانِيرُ ١٨١٥ م

(٣) الشلو : الْجَسَدُ .

لَمْ يُظْفِرُوا بِسُوئِ الْدِيْنِ  
 عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ فَدَامُ  
 هَذَا الَّذِي بَصَنِيعَهُ  
 قَدْ رَأَمَهُ هَذَا الْهَمَامُ  
 يَغْنِي الْأَنَامُ عَنِ الْغَمَامُ  
 مِنْ فَعْلِ خَيْرٍ عَزَّ أَنْ  
 وَجْهًا وَمَوَاعِدًا وَمَكَانِي  
 وَمَوَارِدٍ تَسْقِي الْأَوَامُ<sup>(١)</sup>  
 اللَّهُ يَرْحُمُ يُوسُفًا  
 خَتْمَ الْكَرَامِ بِلَا كَلَامٌ  
 لَا غَرُونَ أَنْ أَرْخَتْهُ  
 بِمَا تَهْ يَسْتَمِعُ الْكَرِيمُ  
 ٢٩٢      ٤٥٠      ٤٨٨  
 ١٢٣٠

ولترجع إلى ما نحن بصدده .

ثُمَّ إِنْ جَدَّى خُرُجَ مِنْ مَكَةَ الْمَشْرُفَةَ إِلَى بَنْدَرَ [جُدَّةَ] ، أَى : مَرْسَى جُدَّةَ ، وَمَكَثَ  
 يَنْسَخُ الْكِتَبَ بِالْأَجْرَةِ ، وَكَانَ جَمِيلَ الْخُطَّ كَمَا قَدَّمَا . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي تَلَكَ الْمَدِّةِ  
 بِأَنَّاسٍ مِنْ أَهْلِ جَزِيرَةِ سِنَارٍ<sup>(٢)</sup> ، وَتَوَدَّدَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، وَارْتَبَطَتْ بَيْنَهُمْ صُحْبَةٌ ، فَسَأَلَهُ :  
 مَنْ أَى الْبَلَادَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ تُونِسٌ . فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ إِقَامَتِهِ بِجُدَّةَ ، فَأَخْبَرَهُ  
 بِقَصَّتِهِ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ السِّنَارِيُّ : أَلَا تَنْتَوِجَهُ مَعَنِّا إِلَى مَدِينَةِ سِنَارِ<sup>(٣)</sup> وَيَحْصُلُ  
 لِكَ الْعَزَّ وَالْفَخَارِ ؟ لَأَنَّ مَلِكَنَا<sup>(٤)</sup> أَى مَلِكَنَا - رَجُلٌ مُبْسَطُ الْيَدِ ، لَا يَبْلِي بِلْجَيْنِ

(١) الأَوَامُ : الْعَطَشُ أَوْ حَرَّهُ (القاموس) .

(٢) المقصود بجزيرة سنار المناطق المحصورة بين النيلين الأبيض والأزرق وتعرف في الوقت الحاضر بأرض الجزيرة أو جزيرة النيل الأزرق . انظر : نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ١ ، ص ٢١ .

(٣) مدينة سنار عاصمة مملكة الفونج من سنة ١٥٠٤ م حتى الفتح المصري للسودان سنة ١٨٢٠ . انظر شقير : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٤) الملك في السودان هو الملك ، وقد يطلق على شيخ القبيلة ، وجمعه موك .

(٣٠) ولا عَسْجَدْ ، يَحْبُّ الْفَضْلَ وَأَهْلَهُ ، وَيُحِلُّ كُلًا مِنْهُمْ مَحَلًّهُ ، وَيَنْيِلُ الْأَشْرَافَ ،  
عَا يَقِدِّرُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْعَافِ . وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ - إِنْ ذَهَبْتَ مَعْنَا - أَنْ يَجْهَرَ كَسْرَكَ ،  
وَيُسْدَدَ خَلَالَكَ ؟ وَتَصْبِحُ ذَا مَالٍ وَنَوَالٍ ، وَرَفِيقٌ وَجَاهَلٌ .

فَطَمَعَ جَدِّي فِي نَوَالِ الْمَلَكِ الْمَذْكُورِ ، وَتَوَجَّهَ مَعَهُمْ يَأْمُلُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ . وَحِينَ  
وَصَلَ مَعَهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ سَنَارِ ، قَابَلُوا بِهِ الْمَلَكَ ، وَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، غَرِيبٌ  
الْدِيَارِ ، قَدْ اسْكَرَتْ سَفِينَتَهُ ، وَضَاعَ مَا كَانَ حِيلَتَهُ<sup>(١)</sup> . فَرَحِبَ بِهِ وَأَعْظَمَ مَلْقَاهُ ،  
وَبَشَّرَهُ بِالْيُسْرِ وَهَنَاءَ ، وَأَنْزَلَهُ دَارٌ إِكْرَامَهُ ، وَأَمْرَرَ لَهُ بَحْرَ زِيلَ إِنْعَامَهُ . فَكَانَ فِيهَا أَنْعَمُ  
عَلَيْهِ بِهِ : جَارِيَّةٌ مَكَادِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> ، بَهِيَّةٌ سَنَيَّةٌ ، غَالِيَّةٌ القيمةُ ، تَسَمَّى : حَلِيمَةٌ . فَتَسَرَّعَ  
جَدِّي بِجَهَلِهَا ، فَجَاءَتْ لَهُ بَغْلَامٌ وَجَارِيَّةٌ مَثَاهَا . وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقًا ، فَاسْتَقْرَرَ جَدِّي  
بِسَنَارِ ، وَنَسَى أَهْلَهُ بِتُونَسِ وَأَوْلَادَهُ الصَّغَارِ .

وَكَانَ حِينَ خَرُوجِهِ مِنْ تُونَسَ تَرَكَ ثَلَاثَةَ أَوْلَادَ مَعَ أَهْمَمِهِ ، أَكْبَرُهُمْ عَمِّيُّ الْمَرْحُومِ  
السَّيِّدِ مُحَمَّدٌ ، كَانَ عُمُرُهُ تِسْعَ سَنِينَ ؛ وَأَوْسَطُهُمُ الْفَغُورُ لَهُ وَالَّذِي ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَتُّ  
سَنِينَ ، وَأَصْغَرُهُمْ عَمِّيُّ الْمَرْحُومِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ طَاهِرٍ ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثَ<sup>(٣)</sup> سَنِينَ . هَكُذا سَمِعْتُ  
مِنْ وَالَّذِي وَجَدَّتِي - عَلَيْهَا سَحَابَ الرِّحْمَةِ - وَالْعُهْدَةِ عَلَيْهِمَا .

فَانْجَنِي عَلَيْهِمْ خَالِمُ الْمُولَى الْأَجْلِ الْأَكْمَلِ الْأَمْثَلِ ، الْفَقِيهِ الْمُحَدَّثُ ، الْعَالَمُ الْفَاضِلُ ،

(١) « ما كَانَ حِيلَتَهُ » عَبَارَةٌ عامِيَّةٌ مَعْنَاها : مَا كَانَ يَمْلِكُهُ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ . وَعَلَى هَذَا  
يُسَوِّغُ ضَمُّ التَّاءِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ السُّجُوعُ ، كَمَا يَحْسَنُ تَسْكِينُ النَّوْنَ فِي سَفِينَتِهِ ،  
وَاللَّامُ فِي حِيلَتَهُ .

(٢) نَسْبَةٌ إِلَى « مَكَادِيَّةٍ » وَهُمُ الْأَحْبَابُ النَّصَارَى . شَقِيرٌ : تَارِيخُ السُّودَانِ الْقَدِيمِ  
وَالْحَدِيثِ وَجُفْرَافِيَّتِهِ ، ج١ ، ص٦٤ .

C/f Palmer, R. : Bornu Sahara and Sudan pp. 38, 94, 137.

(٣) فِي الْأَصْلِ : ثَلَاثَةٌ .

السيد أحمد بن العلامة الرُّحْل<sup>(١)</sup> (٣١) السيد سليمان الأزهري ، صاحب التصانيف العديدة ، والتأليف المفيدة .

كان السيد أحمد عالماً فاضلاً ثقةً حجّةً في المنقول . عرض عليه منصب القضاء بتونس فامتنع منه ؛ وكان مشتغلاً بالتدريس ، وولى وظيفة التدريس بمدرسة على باشا الأول فلازمها . وأصيب في آخر أمره بداءً أَزْمَنَه<sup>(٢)</sup> ، فـكان يقرأ الدروسَ في داره ، وتحضره أكابر طلبة العلم والفضلاء . ولم يزل كذلك حتى شبَّ والدى وبلغ مبلغ الرجال ، وكان حفظ القرآن ، وحضر بعض دروس في العلم على خاله وغيره .

وبينما هو كذلك إذ تحرّك شوّقه إلى الحجّ ، فاستشار خاله في السفر ، فتحرّك شوّقه هو أيضاً . فتجهزوا للسفر معًا ، وركباً البحر من تونس إلى إسكندرية ، ومنها إلى مصر ، ومن مصر توجّهاً إلى القصرين ، وكان ذلك قبل أشهر الحجّ .

وبينما هما سائران في القافلة ، إذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنّار ، فناداهما منادٍ :

يأيها المغاربة ! هل فيكم أحد من تونس ؟ فقال أبي : نعم ، نحن منها . فقال : هل تعرفون السيد أحمد بن سليمان ؟ فقال أبي : نعم ، نعرفه ! ومن أنت ؟ قال : أنا نسيبُ أحمد ، قد خرجتُ من تونس منذ كذا وكذا ، وتركتُ أولادي وأهلي ، ولا أدرى أمْ أحياء أمْ أموات ؟ وكان خال أبي في شِبْرِيَّة<sup>(٣)</sup> مُرْحَى عليها ستز . فسمع ذلك كله ، فقال لأبي : يا عمر سلم على أبيك . فأكبَّ والدى يسلم على أبيه ويقبل يده ، وأعلمَه أنَّ خالَه (٣٢) في الشِّبْرِيَّة : خاءً جدي وسلامً على نسيبه .

(١) كذا في الأصل .

(٢) أَزْمَنَه : سبب له عاهة .

(٣) الشِّبْرِيَّة هي المعروفة في مصر بالتختح روان .

وبعد انتهاء السلام قال أبي لوالده : أيسوغ لك أن تتركنا هذه المدّة بدون نفقة  
ونحن صغار ، ولو لا أن الله سخر لنا خالنا <sup>(١)</sup> كنا ضائعين ؟ فقال والدى : ما حيلتى  
والقضاء والقدر يجر بان على وفق الإرادة العلية ، مفرد من السكامل :

إِنَّ الْمَقْدِرَ كَاذِنٌ لَا يَنْهَا حِيٌ      وَلَكَ الْأَمَانُ مِنَ النَّى مَا قُدِرَ إِرْأَهُ  
قال أبي لوالده : ألم يأن لك أن ترجع إلى بلدك ، وتقر أعيننا برويتك ؟  
قال : يكون ذلك إن شاء الله . قال له والدى : متى ؟ قال : أنا الآن متوجه  
إلى القاهرة ، أبيع ما معى من الرقيق ، وأرجع إلى سنار ، وأخذ متاعى وأولادى ،  
وآتى <sup>(٢)</sup> إلى القاهرة ، وأتمنا توجهان للحج ، وترجعان إلى القاهرة ، فنجتمع هناك ، وكل  
من سبق صاحبها انتظره هناك . ثم دعهما وتوجه كلّ منهما إلى سبيله ، على حد  
قول الشاعر ، من السكامل :

لَمْ أَسْتِمْ سَلَامَةً لِقُدُومِهِ      حَتَّى ابْتَدَأْتُ سَلَامَةً لِوَدَاعِهِ  
فَتَوَجَّهَ وَالَّذِي وَخَالَهُ إِلَى الْحَجَّ ، وَتَوَجَّهَ جَدِّي إِلَى الْمَحْرُوسَةِ . أَمَا جَدِّي فَبَاعَ رَقِيقَهُ  
وَتَسْوِقَ ، وَرَجَعَ إِلَى سَنَارِ . أَمَا وَالَّذِي وَخَالَهُ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْحِجَازِ ، وَمَكَثَ بِالطَّائِفِ حَتَّى  
جَاءَ وَقْتُ الْحِجَّةِ ، فَقَدِّمَ مَكَّةَ وَحِيجَانًا . وَبَعْدَ انتهاءِ الْحِجَّةِ تَوَفَّ خَالَهُ فِي مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، وَدُفِنَ  
بِبَابِ الْمَعْلَى ، ثُمَّ رَجَعَ وَالَّذِي إِلَى الْقَاهِرَةِ فَإِنَّهُ وَجَدَ أَبَاهُ ، فَأَقَامَ يَنْتَظِرُهُ مَدَّةً فَلَمْ يَأْتِ . (٣٣)  
وَكَانَ أَبِي فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ يَحْضُرُ الْعِلُومَ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَلِمَا أَعْيَاهُ الانتِظَارُ ، تَوَجَّهَ إِلَى  
سَنَارِ ، مَعَ قَافْلَةِ أَتَتْ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، وَجَدَهُ قَارِئًا فِي دَارَهُ ، مَفْتَبِطًا بِأَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ ،  
لَا يَسْأَلُ عَنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَا يَخْتَرُ لَهُ السَّفَرُ عَلَى بَالِهِ . فَسَأَلَهُ عَنْ سَبْبِ خُلْفِ الْوَعْدِ ، وَلَمْ جُمِلَ

(١) كذا في الأصل .

(٢) رسم الكلمة في الأصل : وَالَّتِي .

الهزل مكانَ الجِد؟ فاعتذر بعذر ساقط ، لا يجدُه لاقط<sup>(١)</sup> . فقال له : يا بُنْيَ إِنْ لِي دِيْوَنًا  
على بعض الناس ، وقد ماطلوني في دفعها ، ولا يمكنُني الارتحال ، إِلَّا بعد خلاصها على كل  
حال ، ليستقيم بها أَوْدِي ، ويقوى في السفر عصُدِي .

فَكَثُرَ مَعَهُ نَحْوَ سَتَّةِ أَشْهُرٍ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَجَهَّزْتُ قَافْلَةً إِلَى الْأَقْطَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، فَسَأَلَ  
أَبِي وَالَّدَهُ فِي أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، بِأَنْ قَالَ لَهُ : هَذِهِ الْقَافْلَةُ مَتَوَجِّهَةُ [إِلَى مَصْرٍ] ، فَإِنَّمَا أَنْ تَتَوَجَّهَ  
بِنَا صَحْبَتِهَا ، أَوْ تَأْذَنَ لِي بِالتَّوَجُّهِ مَعَهَا . فَأَبَنِي عَلَيْهِ فِيهَا ، وَقَالَ : أَمَا الْذَّهَابُ فَلَا سَبِيلُ  
إِلَيْهِ ، إِلَمْ أَعْلَمْ فِي تُونِسِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، لَاسِيَّا وَقَدْ أَخْبَرْتُ بِأَنَّ أُمَّكَ تَرَوَجَتْ ؟ وَأَمَا إِلَذِنِ  
لَكَ فَيَكُونُ ، لَكِنْ فِي قَافْلَةٍ أُخْرَى إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، حَتَّى أَجْمَعَ لَكَ مَا تَسَافِرُ بِهِ مِنْ  
الرِّيقِ وَالْجَمَالِ ، وَالْذَّهَبِ وَالْأَمْوَالِ ، بِحِيثُ إِنَّكَ لَا تَنْعُودُ إِلَّا مُجْبُورًا إِلَى الْحَاطِرِ . فَأَبَنِي وَالَّدَهُ  
الْمُكْثُ ، وَاسْتَطَالُ الْلَّبِثُ<sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ : إِنِّي مُشْتَاقٌ أَطْلَبُ الْعِلْمَ ، وَفِي إِقَامَتِي هُنَا ضِيَاعُ  
زَمْنٍ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ . فَاخْتَلَفَ رَأِيْهِمَا ، وَحَصَّلَتْ بَيْنَهُمَا وَحْشَةٌ .

فَرَجَ وَالَّدُ مُغْضَبًا ، وَتَوَجَّهَ مَعَ الْقَافْلَةِ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، فَأَلْحَقَهُ وَالَّدُهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ (٣٤)  
أَيَّامٍ بِثَلَاثَةِ جَمَالٍ ، وَأَرْبَعَ جَوَارِي ، وَعَبْدَيْنِ ؛ وَعَلَى الجَمَالِ أَهْبَةُ السَّفَرِ ، مِنْ مَوْنَةٍ وَمَاءٍ ،  
وَعَلَى أَحَدِ الْجَمَالِ حِلْ صَمْعٌ ، فَأَخْذَهَا وَالَّدُهُ وَسَارَ صَحْبَةَ الْقَافْلَةِ .

وَبَيْنَا هُمْ سَائِرُونَ ، إِذْ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ ، وَأَدْرَكُوهُمُ الْعَطْشُ ، وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ ،  
فَمَاتَ الرِّيقُ وَالْجَمَالُ ، وَرَجَعَ إِلَى مَصْرٍ فَقِيرًا كَمَا كَانَ . مَفْرُدٌ مِنَ الطَّوَيْلِ :  
إِذَا أَقْبَلْتُ كَانَتْ تُقْسِدُ بَشَرَةٍ      وَإِنْ أَدْبَرْتُ كَانَتْ تَقْدُّسَ السَّلَاسِلَا

(١) كذا بالأصل ، وقد عدل المؤلف عن نصب لفظ « لاقط » مراعاة للسبع .

(٢) في الأصل : الليث .

فَنْ لَطْفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [أَنْ] مَرْضُ خَبِيرِ الْقَافْلَةِ بِصَدَاعِ أَحْرَمِهِ<sup>(١)</sup> الْمُجَوْعُ، وَعَجْزٌ  
عَنْ شَفَائِهِ الْجَمْعُ؛ وَبَلْغَ وَالَّذِي هَذَا النَّبْرُ، فَكَتَبَ رَقْعَةً وَأَخْذَهَا النَّبْرُ بِاعْتِقَادِهِ، وَوَضَعَهَا  
مَحْلَّ الْأَلَمِ، فَبَرِيَّ لَوْقَتِهِ، فَاعْتَقَدَ فِي وَالَّذِي الصَّالِحُ، وَأَمْرَ أَنْ يُحْمَلَ، وَيُحْمَلَ لَهُ عِدْلٌ  
صَمْعٌ عَلَى إِبْلِهِ.

فَوَصَلَ وَالَّذِي إِلَى الْقَاهِرَةِ بَعْدَ غَصَّ الْرِيقِ، وَبَاعَ عِدْلَ الصَّمْعِ بِخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ  
فُنْدُقْلِي<sup>(٢)</sup>؛ وَدَخَلَ الْجَامِعَ الْأَزْهَرَ لِطلبِ الْعِلْمِ؛ وَتَزَوَّجَ وَالَّذِي إِذَا ذَاكَ، وَمَكَثَ مَعْهَا نَحْوَ  
سَتِينَ، جَاءَتْ مِنْهُ بُولَدَ سَمَّاَهُ أَحْمَدُ، عَاشَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ مَاتَ، فَحَرَنَ عَلَيْهِ وَتَمَثَّلَ  
بِقَوْلِ الشَّاعِرِ، مَفْرِدٌ مِنَ الطَّوَيْلِ :

لَقَدْ خَانَتْ الأَيَّامُ فِيكَ فَقَرَّبَتْ يَوْمَ الرَّدَّى مِنْ لَيْلَةِ الْمَيَادِ<sup>(٣)</sup>

وَبِقَوْلِ الْآخَرِ، مِنَ الْكَامِلِ :

عَجَباً لِمَوْلَدِ قَضَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِي لِأَيَّامِ الصَّبَّا مِيقَاتَانَ

(٤) فَكَانَهُ مِنْ نُسُكِهِ وَصَلَاحِهِ وَهَبَ الْحِيَاةَ لِوَالَّدِيَّةِ وَمَا تَأ

وَبِقَوْلِ التَّهَاهِي فِي [رَثَاءً] وَلَدِهِ، مِنَ الْكَامِلِ :

يَا كَوْكَباً مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمُرَهُ وَكَذَا تَكُونُ<sup>(٥)</sup> كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

ثُمَّ إِنَّ وَالَّذِي تَوَجَّهَ إِلَى تُونِسَ، وَأَخْذَ أُمِّي وَأَمَّهَا مَعَهُ، وَكَنْتَ إِذَا ذَاكَ حَمْلاً.

(١) كَذَا بِالْهِمْزِ، وَقَدْ دَأْبَ الْمُؤْلِفُ عَلَى اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصِّيَغَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ.

(٢) الْفَنْدَقِيُّ الْمُسْتَعْمِلُ هَنَا قَطْعَةً ذَهْبِيَّةً مِنَ الْعَمَلَةِ كَانَتْ تَتَرَاقَحُ قِيمَتُهَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ قَرْوَشٍ وَأَرْبَعَةَ . رَاجِعُ مَا جَاءَ فِي هَامِشِ صَفْحَةِ ١٨ مِنَ التَّرْجِمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ الَّتِي طُبِّعَتْ عَامَ ١٨٥٠ .

(٣) هَذَا الشَّطَرُ مِنَ الرِّجْزِ لِامْنَاعِ الطَّوَيْلِ .

(٤) فِي رَوَايَةِ : وَكَذَاكَ عَمْرَ .

فَلَمَا وَصَلَ إِلَى تُونس ، نَزَلَ بَدْارٌ أَخِيهِ الْمَرْحُومِ السَّيِّدِ مُحَمَّد ، وَكَانَ مِنْ مُشَاهِيرِ الْمَعَلَّمِينَ بِسُوقِ الشَّوَّاشِيَّةِ<sup>(١)</sup> ، أَيْ : طَرَابِيشَةِ<sup>(٢)</sup> . فَوُلِدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ ، فِي السَّاعَةِ الْثَالِثَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ تَنْصِيفِ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup> الْقَعْدَةِ سَنَةِ ١٢٠٤<sup>(٤)</sup> . وَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ ثَلَاثِ سَنِينَ ، ثُمَّ حَصَلَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخْوَيْهِ وَحْشَةٌ ، فَقَفَلَ بَنَاهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٠٧<sup>(٥)</sup> ؛ فَصَارَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي الْأَزْهَرِ ، وَيَحْضُرُ<sup>(٦)</sup> دَرْسَ الْعَالَمِ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ عَرَفَةِ الدَّسْوِيقِ الْمَالِكِيِّ ، وَشَيْخِ مَشَايخِنَا الْعَالَمِ الْأَوَّلِ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ . وَتَوَلَّ نَقِيبًاً بِرَوَاقِ السَّادَةِ الْمَغَارِبَةِ ، وَكَانَ فِي عِيشٍ مُتَوَسِّطٍ .

وَمَا زَالَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةَ ١٢١١<sup>(٧)</sup> ، وَوَرَدَ<sup>(٨)</sup> عَلَيْهِ كِتَابًا مِنْ أَخِيهِ لَأُبِيهِ مِنْ سَنَّارَ مَعَ الْقَافِلَةِ ، مَضْمُونُهُ بَعْدَ السَّلَامِ :

إِنَّ وَالَّدَنَا تَوَفَّى إِلَى عَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَرَكَ جَمْلَةً مِنَ الْكِتَبِ ، فَسَرَقَهَا مِنَ رَجُلٍ يَسْمِي بِأَحْمَدَ الْبَنْزَرِيِّ ، أَمِنَّاهُ عَلَيْنَا ؛ لَأَنَّهُ ادَّعَى الْقِرَابَةَ لِوَالَّدَنَا ، وَبِقِينَا فِي حَالَةِ تَسْرُّعِ الْعَدُوِّ ، [وَ] تَسْئِيَ الصَّدِيقِ . فَإِذَا وَصَلَكَ<sup>(٩)</sup> كِتَابِي هَذَا ، عَجَّلَ بِالْقَدُومِ عَلَيْنَا لِتَأْخُذَنَا مَعَكُمْ ، نَعِيشُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ ، وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ ، بَكَ وَاسْتَعْبَرَ ، وَأَخْذَتْهُ الشَّفَقَةُ عَلَى أَخْوَيْهِ ، فَتَعَجَّلَ وَسَافَرَ

(١) التسواشية جمع شاشية، أى : طربوش .

(٢) فى الأصل : طرابيشه .

(٣) كذا .

(٤) ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م .

(٥) ١٢٠٧ هـ = ١٧٩٢ م .

(٦) فى الأصل : وتحضر .

(٧) ١٢١١ هـ = ١٧٩٦ م .

(٨) فى الأصل : ورد .

إليهما . وكنت إذ ذاك ابن سبع سنين ، قد ختمت القرآن بدأيَّة ، ووصلت في العيادة<sup>(١)</sup> آخر آل عمران ؛ وكان لي أخ عمره أربع سنين ، وترك لنا نفقة تكفينا ستة أشهر . فـكثنا سنة ، باعت فيها والدتي أشياء كثيرة من نحاس وحلي .

ثم جاء عُيُّ الصغير المسمى بالطاهر ، فانحنى علينا يربينا . وكان قد جاء للحج والعبرة ، ومعه ولد كالشمس الصاحية ، في السماء الصاحية ، اسمه محمد ؛ وكان أسن مني بسحو سنة ونصف ؛ فـكان يذهب معى إلى المكتب لقراءة القرآن ، حتى سافر به والده إلى الحج آخر سنة ١٢١٢<sup>(٢)</sup> .

ثم دخلت الفرانسيس القاهرة وملـكـوها في أول سنة ١٢١٣<sup>(٣)</sup> ، وكان عمى إذ ذاك مع الحجاج ، فهرب<sup>(٤)</sup> الغز ، وتمزقوا كل مرق . ودخل الحجاج ، وفوجدوا الفرانسيـسـ في مصر وأعمالـهاـ ، ومـكـثـواـ كذلك إلى أول سنة ١٢١٦<sup>(٥)</sup> ، [ثم] جاء الوزير [يوسف باشا]<sup>(٦)</sup> بالمساكر ، وخرجت المفرنساويـنـ .

وكان ابن عمى المذكور قد حفظ القرآن ، وابتدا يحضر دروسـ العلمـ ، وكان من الحياة والأدب بمـكانـ .

فوقـتـ في تلك السنة أمراض وبائية ، وألمـتـ بـابـنـ عمـىـ المـذـكـورـ ، فـأـخـرـجـتهـ من القصور إلى القبور ، (٣٧) بل للملائكة مع الخور . ولما قـضـىـ عليهـ ، حـزـنـ عليهـ والـدـ

(١) في الأصل : العبادة . والعيادة هنا حفظ القرآن للمرة الثانية ، وأما حفظه للمرة الأولى فيسمى بدأيَّة . يقال ختمت أو حفظت القرآن بدأيَّة وعيادة .

(٢) في الأصل : ١٣١٢ ، و ١٢١٢ هـ = ١٧٩٨ م .

(٣) في الأصل : ١٣١٣ .

(٤) في الأصل : فهرت .

(٥) في الأصل : ١٣١٦ ، و ١٢١٦ هـ = ١٨٠١ م .

(٦) ما بين الحاضرين مأخوذ عن الترجمة الفرنسية . Voyage au Darfour, p. 24

أشدَّ الحزن ، حتى كاد يهلك أَسْفَا ، ويدخلُ رمسه توجعاً ولهفاً . ورحم الله القائل ،  
من الرجز<sup>(١)</sup> :

الناس لِمَوْتٍ كَحِيلُ الْطَرَادِ فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَوَادُ  
وَلِمَوْتٍ نَّقَادِ ، عَلَى كَفَّهِ جَوَاهِرُهُ ، يَخْتَارُ مِنْهَا الْجَيَادُ  
وَكَرِهُ الْمَقَامُ بِعَصْرٍ خَلَوْهَا مِنْ وَلَدِهِ ، وَفِلَذَةُ كَبْدِهِ ، وَفِي ذَلِكَ قَلْتُ ، مِنْ الْوَافِرِ :  
إِذَا رَحَلَ الْحَبِيبُ مِنَ الدِّيَارِ كَرِهْتُ لِبَعْدِهِ تِلْكَ الدِّيَارَ [١]  
فَأَرَادَ أَنْ يَرِدَ نَارَهُ ، وَيَوَارِي أُوارَهُ ، بِحَجَّ يَدِيَ اللَّهِ الْحَرَامُ ، وَرَؤْيَةُ قَبْرِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَلَهُ دُرُّ مِنْ قَالَ ، مِنَ الْكَامِلِ :

نَقَّلْ فَوَادِكَ حَيْثُ شَئْتَ مِنَ الْمَوْىِ مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأُولِ  
وَفِي هَذَا الْمَنْيِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمَصِيبَةٍ فَلَا يَذَكُرْ  
مَصِيبَتَهُ بِي ، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَابِ » . [شِعْرٌ] مِنَ الْكَامِلِ :

إِصْبِرْ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ وَتَجْهِيلِهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرءَ غَيْرُ مُخْلِدٍ  
وَإِذَا أُصِيبَ بِفَقْدِهِ مِنْ أَحَبِبَتْهُ فَاذْكُرْ مَصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدَ  
فَتَوَجَّهُ إِلَى الْحِجَازِ وَتَرَكَنِي بِعَصْرِ لَطَابِ الْعِلْمِ بِالْأَزْهَرِ ، وَأَبْقَى لِي نَفْقَةً تَكْفِينَا أَرْبَعَة  
أَشْهُرَ ، وَمَكَثَ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَنَفِدَتْ<sup>(٢)</sup> وَضَاقَ ذِرْعِي لِذَلِكَ - وَأَنَا إِذَا ذَلِكَ  
فِي شَرْحِ الشَّيَابِ - فَيَقِيتُ مُتَحِيدًا لَا أَدْرِي مَا أَصْنَعَ . وَاسْتَنْكَفْتُ أَنْ أَتَرَكَ طَلبَ الْعِلْمِ ،  
وَأَتَعْلَمَ إِحْدَى (٣٨) الصَّنَاعَيْنِ .

وَيَنِّي أَنَا مُتَحِيدٌ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ ، وَضَيِيقُ الصِّدْرِ لِعدَمِ الْأَرْتِيَاشِ ، إِذَا بَلَغْتُ أَنْ

(١) فِي هَامِشِ الأَصْلِ : الْمَسْرِحُ .

(٢) فِي الأَصْلِ : فَنِدَتْ .

قافلة وردت من بلاد السودان ، من دارفور . وكان قبل ذلك بلغنا أن والدى توجه من سنار إليها صحبة أخيه . فلما استقرت بوكلة الجلابة ، توجهت إليها لأسأل عن أبي ، أهو حى يُتوقع ، أم أودع اللحد البقْع ؟

فلم يقل على سبيل المصادفة ، رجلاً من أهل القافلة مُسِنًا ، ذا هيبة ووقار ، يسمى السيد أحمد بدوى . فقبلت يده ، ووقفت أمامه برهة . فسألني بطفى وقال لي : ماذا تريدى ؟ قلت : أسأل عن رجل غائبٍ لي في بلدكم ، لعل يعرفه منكم أحدٌ<sup>(١)</sup> يدلنى عليه . فقال : من هو ، وما اسمه ؟ قلت : اسمه السيد عمر التونسي ، وهو رجل من أهل العلم . فقال : على الخبر به سقطت ؛ هو صاحب وأنا أعرف الناس به ، وأرى بك شبهًا له ، فكن ابنه ! قلت : أنا هو ، على تغيير حالى ، وتبدل إلى . فقال : يا بُنى ، ما يُعدك عن الْحَاقِ بِأَبِيكَ ، لترى عنده ما يهنيك ؟ قلت : قلة ذات يدي ، واعتدادى وعددى . فقال : إن أباك من أعظم الناس عند السلطان ، وأكرمهم عليه دون أهل الديوان . وإن أردت التوجة إليه فأنا على مُؤْنَتك ، ومركتوبك وراحتك ، حتى تصل إليه ، وتقف بين يديه . قلت : أحق ما تقول ؟ فقال : إى<sup>(٢)</sup> ، وحياة الرسول ، لأن أباك فعل معى معروفا لا أقدر على (٣٩) مكافأته فيه ، ولو بذلت جمِيع ماتملـكه يدى وتحويه . قلت : أنا أطوع لك من نعلك ، وأتبع لك من ظلك .

فعاهدتُه على ذلك ، واستوفقت منه هنالك . وجعلتُ أتردد عليه ، حتى تأهب

(١) كذا بالأصل وهو كما يبدو أسلوب ركيك ، وذلك بدل أن يقول مثلا : لعل أحدا منكم يعرفه .

(٢) اي ، بمعنى : نعم .

[لارحيل] وقال لي : السفر غداً ، فإن شئتَ بِتَ عندنا لنُصْبِح على السفر مبَكِّرين .

فقلت : على الرأس والعين .

فِيَتَ عندَه في الْدِّيْشِ وأهْنَاه ، وَأَحْسَنَ حَالِ وأَصْفَاه ، إِلَى أَن لَاحَ ابْنُ الدَّكَّا<sup>(١)</sup> ،  
وَالْتَّحْفُ الْجَوْ بِالضَّيَا ، [فِي نَهْضَانِ الْمَكْتُوبَةِ<sup>(٢)</sup> فَادِيَنَاها ، وَأَبْرَزَنَا الْحَمْولَ<sup>(٣)</sup> وَأَخْرَجَنَاها .  
وَجِيَ حِينَئِذٍ بِالْجَمَالِ ، وَجُحِّلَتْ عَلَيْهَا الْأَحْمَالُ ، فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الْفَزَالَةِ ، إِلَّا وَقَدْ تَمَّ التَّحْمِيلُ ،  
وَأَخْدَتْ الْعِيسُ<sup>(٤)</sup> فِي الدَّمِيلِ<sup>(٥)</sup> . وَلَا زَالَتْ كَذَلِكَ حَتَّى أَنْيَخَتْ بِالْفَسْطَاطِ عَلَى شَاطِئِ  
الْدِيْلِ ، وَابْتَدَئَ فِي شَحْنِ الْفُلْكَ بِهَا ، حَتَّى تَمَّ كُلُّهَا . ثُمَّ صَبَرْنَا حَتَّى صَلَيْنَا الْجَمَعَةَ خَلْفَ  
الْإِمَامِ ، وَنَزَلْنَا الْفُلْكَ وَوَدَّعْنَا مَصْرَ بِسْلَامٍ .

(١) كنا بـالـأـلـفـ والـلـامـ فـيـ الـأـصـلـ . وـفـيـ الـلـسـانـ : ذـكـاءـ اـسـمـ الشـمـسـ لـاتـدـخـلـهـ الـأـلـفـ  
وـالـلـامـ . وـيـقـالـ لـلـصـبـحـ اـبـنـ ذـكـاءـ .

(٢) يـرـيدـ الصـلاـةـ .

(٣) الـحـمـولـ : الـهـوـادـجـ أـوـ الـأـبـلـ عـلـيـهـاـ الـهـوـادـجـ ( القـامـوسـ ) .

(٤) الـعـيـسـ : الـأـبـلـ الـبـيـضـ مـعـ شـقـرـةـ يـسـيرـةـ ، وـاحـدـهـ أـعـيـسـ وـعـيـسـاءـ ( اللـسـانـ ) .

(٥) الدـمـيلـ : السـيـرـ الـلـيـنـ .

## البَابُ الثَّانِي

من المقدمة

### [ الرحلة من الفسطاط إلى دارفور ]

لما امتنعنا الدّهاء لهذا السفر العظيم ، قلنا : « يسْمِ اللَّهُ مُجْرِيَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّ الْفَقُورِ رَحِيمٌ »<sup>(١)</sup> ولما أفلتنا عن ساحل الفسطاط ، ناوين<sup>(٢)</sup> البعد والشّطاط<sup>(٣)</sup> ، تذكرت متاعب الأسفار ، وما يحصل فيها من الأخطار ، خصوصاً مَنْ كان حاله كحالى في الفقر المدقع ، والعسر المفزع . وتَوَسُّوس صدرى وانزعج ، وبقيت في مشقة وحرج ، لاسيما وقد وجدت نفسي ، مع غير أبناء جنسى ، بل بين (٤٠) أقوام لا أعرف من حدتهم إلا القليل ، ولا أرى فيهم وجهاً صبيحاً جميلاً<sup>(٤)</sup> . فقلت ودمى بادى<sup>(٥)</sup> :

بِسْمِكَ مَعْ شَيَّارِكَ وَالْمُحَيَا سَوَادٍ فِي سَوَادٍ وَادٍ .

وندمت على تغريدى بنفسي مع أبناء حام ، وتذكرت ما ينهم من العداوة لأبناء سام ،

(١) سورة هود ، آية ٤١ .

(٢) كذا في الأصل ، وهي صيغة عامية . والصواب : ناوين ، بباء واحدة .

(٣) الشّطاط والبعد متراوّدان .

(٤،٥) عدل المؤلف عن نصب « جميل » مراعاة للسجع ، كما كتب لفظ « بادى » بالياء لتناسب في السجع مع الكلمة : « سواد » في آخر البيت التالي .

فداخلي من الملح مala أقدر على وصفه ، حتى كدت أن أطلب الرجوع ، إلى الرابع .  
ثم أدركتني ألطافُ الله الخفية ، وتذكرت ما مددحت به الأسفار على السنة  
البلغاء الأدبية ، خصوصاً ما ورد في الآخر ، عن خالي البشر : « سافر أحدث لكت رزقاً  
جديداً » . وإن أفضل الأنام ، سافر من مكة إلى الشام . وقد قالت العلامة : إن السفر  
يسير عن أخلاق الرجال ، وهو المميز للذكور عن ربّات الرجال . وقد قيل : إن الدرّ  
لهم يُنقل من معدهه لما رُضعت به التيجان ، ولو لم يُسرِّ البدرُ لكان في غاية النقصان .

قال الشاعر ، من الكامل :

سافر تنبأ رتبَ المكارم والعلا  
فالدرُّ سارَ فصار في التيجانِ  
ما كان إلا زائدَ النقصانِ  
والبدرُ لولا سَيِّرهُ في أفقهِ

وقال الآخر ، من الطويل :

تَهْوِبُ<sup>(١)</sup> عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا  
وَسَافَرْ فِي الْأَسْفَارِ خَسْرَ فَوَائِدِ  
تَفَرَّجْ هُمَّ<sup>٢</sup> وَاكْتَسَابُ مَعِيشَةِ  
وَعَلَمْ<sup>٣</sup> وَآدَابُ وَصَحَّةُ مَاجِدِ  
(٤) وَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلْلَةُ وَغَرَبَةُ  
وَتَشْتَيْتُ شَمْلِ<sup>٥</sup> وَارْتِكَابُ شَدَائِدِ  
بَأْرَضِ<sup>٦</sup> هَوَانِ بَيْنِ وَاشِ<sup>٧</sup> وَحَاسِدِ  
فَوْتُ الْفَتِيْخِيرُ<sup>٨</sup> لِهِ مِنْ حَيَاتِهِ

ولله در الطغرائي حيث يقول ، من البسيط :

إِنَّ الْعُلَا حَدَثَنِي — وَهُنَّ صَادِقَةٌ  
فِيهَا تَحْدِيثٌ — أَنَّ الْعِزَّةِ فِي النُّقْلِ  
لَوْ كَانَ فِي شَرْفِ<sup>٩</sup> الْمَأْوَى بِلَوْغِ<sup>١٠</sup> مَنِّي  
عَلَى أَنِّي لَوْ كَنْتُ أَقْمَتُ بِالْقَاهِرَةِ فِي هَذَا الْحَالِ ، مَا كَنْتُ أَرَى فِيهَا إِلَّا الْوَبَالَ ،  
وَحِينَئِذٍ تَمَثَّلَ بِقُولِ<sup>١١</sup> الطَّغَرَائِيِّ الْمَفْضَالِ ، حِينَئِذٍ قَالَ ، مِنْ<sup>١٢</sup> الْبَسيطِ :

(١) في الأصل : تعرّب .

فِيمَ الْإِقَامَةِ بِالزَّوْرَاءِ لَا سَكَنِي  
فِيهَا وَلَا ناقِتِي فِيهَا وَلَا جَمِيلِي  
وَبِقُولِ الْآخَرِ ، مِنَ الْبَسِيطِ :

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِي تُهَانُ بِهَا  
لَا تَسْكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقِي  
أَلْمَ تَرَ التَّبَرَ تُرْبَاً فِي مَعَادِنِهِ  
وَفِي التَّغْرِيبِ مَحْوُلاً عَلَى الْعُنْقِي  
فَوَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى الْأَسْفَارِ ، وَلَوْ كُنْتُ أَكُوَى بِالنَّارِ .

وَكَذَا قَدْ أَقْلَعْنَا بِرِيحِ طَيْبٍ ظَلَّ مَعْنَا يَوْمَهُ ، وَسَفَيَّنَا تَمِيسُّ بِهِ عُجْبِاً ، وَتَمَاهِيلُ  
بِحَسْنَه طَرَباً ، وَقَدْ مَلَأَ شَرَاعَهَا ، وَأَطَالَ فِي الْمَسِيرِ باعَهَا .

وَعَلَى ذَكْرِ السَّفَيْنَةِ وَوَصْفِ سِيرِهَا ، تَذَكَّرُ لِفْزِي ، الَّذِي كَنْتُ سَأْلَتُ فِيهِ  
الْعَلَّامَةَ الشِّيْخَ مُصطفِيَّ كَسَّابَ ، شِيْخَ مَدْرَسَةِ الْطَّبِّ البَيْطَارِيِّ ، الَّتِي أَنْشَأَهَا صَاحِبُ

السَّعَادَةِ يَإِزَاءِ مَدْرَسَةِ الْطَّبِّ الْبَشَرِيِّ ، (٤٢) بَأْبَيِ زَعْبَلَ ، وَهُوَ هَذَا ، مِنَ الطَّوْلِيْلِ :

أَمْوَالَيَّ يَا كَسَابُ لِلْعِلْمِ وَالْتَّقِيَّ  
وِيَا بَحْرَ عَرْفَانِ لِلَّذِي النَّاسِ يَعْذَبُ  
سَأْلَتُكَ عَنْ شَيْءٍ ثَلَاثَيْ أَحْرَفٍ  
بِهِ كَلَفُ قَلْبِ الشَّقِّ<sup>(١)</sup> مَعْذَبُ  
لَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ وَالْأَمْرِ وَاضْحَى  
وَمِثْلُكُمْ يَتَلَوُهُ دَوْمًا وَيَكْتُبُ  
مُؤْنَثَ لِفَظِي لِلْبَرِيَّةِ يُعْجِبُ  
وَمَادَّتَهُ<sup>(٢)</sup> يُشْتَقُّ مِنْهَا الْمَهْذَبُ  
كَذَاكَ لَهُ إِسْمٌ شَهِيرٌ لِلَّذِي الْوَرَى  
رَبَاعِيَ حُرُوفٍ وَهُوَ مِنْهَا مَرْكَبٌ  
وَأَنْتَ لَبِيبٌ لَيْسَ ذَا عَنْكَ يُحْجَبُ  
إِلَيْكَ ، فَرِيدَ الْعَصْرِ ، وَاتَّخَلَّ أَطْلَابُ  
مَطِيَّةٌ عَزِيزٌ الْأَنْ دَهْمَهُ قَدْ أَنْتَ

(١) فِي الأَصْلِ : السَّفَيِّ . (٢) كَذَا ، وَتَقْرَأُ الْكَلْمَةُ بِغَيْرِ مَدٍ لِيُسْتَقِيمُ الْوَزْنُ .

وأوصافٌ ما قد قلتُ أختُ شهرةٍ  
 بشاريةٍ حسناءٍ للبِّ تسلبُ  
 تميسٌ متى تُكسيَ ويكثرُ سعيها  
 وإن جرّدتْ للسعى تخشى وترهبُ  
 وتحمِّلُ ما يعسرُ على الناسِ تحملهُ  
 ومَحْمَولةً ياقوم منها تعجبُ  
 وفي سعيها تخشى على حُرٍ ظهيرها  
 وأرجلها للبطشِ قد تتبعجَبُ  
 تطيعُ الهوى تخشى اشتدادَ عصوفِهِ  
 ولكن به تزهو وتلهو وتلعبُ  
 وحسبكَ توضيحي فهاتِ جوابهِ  
 فلا زلتَ ، يا مفضلُ ، للحالِ تطلبُ

فأجابَ<sup>(١)</sup> - حفظه الله - بما نصه ، من الطويل :

وبالفضلِ عند العالمين محببُ  
 أيا عالماً بالعلمِ منه وبالنهى  
 ومن هو بالشعرِ المهدبِ يُغَربُ  
 (٤٣) ومن حِذْقةٍ قد شاعَ شرقاً ومغرباً  
 وطاوعه ما قد يضلُّ ويعزبُ  
 ولم لاً ، وقد حاز الفريض<sup>(٢)</sup> بأسره  
 كلامٌ يشير العاشقين ويُطربُ  
 وأنني لقسٍ وامرئ القيسٍ مثله  
 فمن يدعيه فهو لاشكَ كاذبُ  
 أتيتَ بشعري كالنسائم لطافةَ  
 ويحملُ أنقالاً تُكيلُ وتُتعَبُ  
 وألغزتَ في اسمِ عمٍ في البحر نفعهَ  
 ونجي من الطوفان والمواجُ لاعبُ  
 ونوحٌ تولاهُ وأبدع صنعةَ  
 وكذلك مُرساها فلا تترسبُ  
 وقال : اركبوا فيها فبأله مجراهَا  
 إمام له العلامة تُنمى وتنسبُ  
 وقد حلَّ لغزُ التونسي محمدٌ  
 فلما زال يبدِّي مِن نتائج فكريه  
 نفاسَ دُرِّ تَنْبُ<sup>(٣)</sup> عنها المطالبُ

(١) في الأصل : فاحباب .

(٢) في الأصل : جاز الفريض .

(٣) كذا ، بدل : تنبو . وقد حذفت الواو مراعاة لوزن الشعر .

وقد ألغزت في لفظ «بحر» فقلت ، من الطويل :

ألا قل لتحرير العلوم ومن غدا  
فَدِينُكَ مَا اسْمُكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ  
لَهُ الْفَزْرُ طَوْعًا قَدْ يَزُولُ نِقَابُهُ  
وَفِي قَلْبِهِ مَعْنَى اتِساعٍ لَمْ تَهَا بهُ  
مُسْمَاهُ يَسْطُو بِالْأَنَامِ عَبَابُهُ  
وَإِنْ شَئْتْ فَعَلَّا مَاضِيًّا لَا تَهَا بهُ  
فَسْمٌ بِضَدِ الْبَرْدِ وَهُوَ اقْلَابُهُ  
تَأْمُلُهَا فَهُوَ الْعَجِيبُ عَجَابُهُ  
يَتَشَوَّشُهُ تَبَدُّو مَعَانِي ثَلَاثَةِ  
إِمَامٌ عِلْمٌ ، وَالْمَدَادُ ، وَثَالِثُ الـ  
مَعْنَى<sup>(١)</sup> أَمْرٌ لَا يَسْرُهُ مُصَابُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ تَحْذِفْ الثَّالِثَ فَضَدٌ لِاسْمِهِ  
يَصْبِرُ ، فَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ جَوَابُهُ  
(٤) وقلت ملغزاً في «مصابح» ، من الطويل :

ألا قلنَ مَنْ حَازَ الْبَلَاغَةَ وَالْفَهْمَا  
وَأَعْطَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ بَيْنَ الْوَرَى عَلَمَا  
فِدَالَّةَ أَبِي ، مَا اسْمُ خَمْسَيْ أَحْرَفٍ  
بِهِ النَّفْعُ ، بِأَحْبَرَ الْبَرِيَّةَ ، قَدْ عَمَّا  
صَغِيرٌ كَأَنْتُلَةٌ إِذَا قَسَّتْ جَسَمَهُ  
وَيَمْلُأُ يَيْتَأً وَهُوَ فِي حَجْمِهِ جَزْمَهُ  
إِذَا مَا نَسَمَ هَبَّ مَالِ صَبَابَةَ  
وَمَهْمَا تَقُوَّى مَاتَ مِنْ وَجْدِهِ حَتَّى  
فَرِيدٌ بِأَوْصَافِ حَسَانٍ سَمَا بِهَا  
وَأَحْسَنَهَا إِرْشَادُ شَخْصٍ لَهُ أَمَّا<sup>(٣)</sup>  
وَيَمْرَضُ مَهْمَا طَالَ ، يَا صَاحِ ، أَنْفُهُ  
وَيَزْهُومْتَى حَلَّ الْبَهِيمُ ، وَإِنْ رَأَى السَّغْرَالَةَ ذَرَّتْ نَالَ مِنْ ضَعْفِهِ وَضَمَّا  
وَمِنْ إِسْمِهِ حَرْفَانَ شَىءٌ مُحَبَّ  
إِذَا كَانَ مِنْ حُلُولِ الْمَرَاشِفِ ، أَى : أَلْمَى  
وَبَاقِيَهُ فَعَلٌ مَاضٍ كَنْ مَتَفَطَّنَا

(١) كذا ، ويقتضى الوزن تشديد الياء .

(٢) فِي الأَصْلِ : مُصَابَاهُ .

(٣) أَمْ : قَصْدٌ .

وأول حرفٍ منه فاحذف ، ترى الذي  
تبقى رديفاً للغداةِ فـكـن شـهـما  
وحسـبـي لـقد أـونـختـ . هـاتـ جـوابـهـ  
وقد جاء في التـنـزـيلـ فـاـنـظـرـهـ قد تـمـاـ  
وقلت مـاـفـأـ في « السـمـاءـ » ، من البـسيـطـ :

يا من رـقـي لـسـمـاءـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـ  
وـفـضـلـهـ قـدـ غـدـاـ يـنـهـلـ كـالـدـيـمـ  
وـحـسـنـهـ قـدـ بـدـاـ لـلـعـربـ وـالـعـجـمـ  
لـكـنهـ ذـوـ اـرـتـقـاعـ لـاـيـحـلـ<sup>(١)</sup> بـهـ  
مـنـهـ مـصـايـحـ تـبـدوـ وـهـيـ زـاهـيـهـ  
بـهـاـ الـهـدـاـيـةـ فـيـ دـاجـ اـنـاـ بـهـمـ  
لـأـنـهـ جـاءـ فـيـ التـنـزـيلـ ذـيـ الـحـكـمـ  
مـرـكـبـ مـنـ حـرـوفـ أـرـبـعـ رـسـمـتـ  
فـيـ النـظـمـ ، كـنـ فـاـهـاـ لـلـنـظـمـ وـالـكـلـمـ  
لـاـزـلـتـ ، يـاـ حـبـرـ ، فـيـ عـالـيـ مـنـ الـهـمـ  
وـقـدـ تـدـكـرـتـ بـهـذـهـ الـأـغـازـ مـاـ أـلـفـ<sup>(٣)</sup> بـهـ خـاتـمـ الـحـقـقـيـنـ الـإـمـامـ اـبـنـ حـجـرـ الشـافـعـيـ  
ـ رـحـمـهـ اللـهـ ـ فـيـ لـفـظـةـ « مـُـدـامـ » وـنـشـهـ ، مـنـ الـوـافـرـ<sup>(٤)</sup> :

وـمـاـ شـيـءـ حـشـاءـ فـيـهـ دـاءـ وـأـوـلـهـ وـآـخـرـهـ سـوـاءـ  
إـذـاـ مـاـ زـالـ آـخـرـهـ بـجـمـعـ<sup>(٥)</sup> يـكـوـنـ الـحـدـ فـيـهـ كـذـاـ الـمـضـاءـ<sup>(٦)</sup>  
وـإـنـ أـهـمـتـ أـوـلـهـ فـقـعـلـ لـهـ بـالـرـفـعـ وـالـصـابـ اـعـتـنـاءـ

(١) في الأصل : لا يحل ، بضم الياء وكسر الحاء وتشديد اللام .

(٢) كتبت كلمة « الا » في الأصل في آخر السطر الأول .

(٣) في الأصل : ما للغز . (٤) في هامش الأصل : الهزج .

(٥) في الأصل : بجمع . (٦) في الأصل : المعناه .

ولنسُكْ عنان القلم عن جريه في هذا الميدان ، إذ لو تتبَّعْتُ ما قلته من الأشعار  
والأغاز ، لطال الحال ، وجلب الملال . ونرجع إلى ما نحن بصدده فنقول :  
وعند المساء سكن الهوا<sup>(١)</sup> وبطل هبوه ، وفقد شمالي وجنوبي ، وقد جئنا  
مقابل المنية ، وكان فيها جماعة من الغُرُّ ، الذين ابْرَزَ الله منهم حُلَّةَ العِزَّ ، فأخذونا بالقوه  
والقهر ، وأمموا سفينتنا إلى جانب البر ، وكان معسکرهم مخيماً في عرض البلد على الميل .  
وكانوا مقيمين هناك لنهب السُّفَّارَ المَارِّين . فغرّموا صاحبنا جلةً من المال ، وبعد  
الخلاص ألقينا عنهم في الحال .

وفي اليوم الثالث حلّنا مَنْفَلُوط ، فأخذنا منها ما احتجنا إليه<sup>(٢)</sup> ، ثم ألقينا  
حتى دخلنا (٤٦) بني عدّي ، فأقمنا فيها ريثما تأهيت القافلة ، وخرزوا أسيتهم ،  
وصنعوا زادهم .

ثم جيء بالملطي فحملت أحالها ، وضربنا مَهْمَهَا<sup>(٣)</sup> قُفْرًا ، حتى وصلنا إلى  
الخارجة في عشية اليوم الخامس ، فوجدناها قد دار بها النخيل دورة الخال بالساق ،  
أو التفاف يدي العاشق على معاطف المعشوق لعنق . وفيها من التمر ما تشتهيه الأنفس ،  
وتلذ به الأعين ، مع رُخْص الأشعار ، وحسن تلك التمار<sup>(٤)</sup> ، فأقمنا بها مدة خمسة أيام .  
وفي صبيحة اليوم السادس ارتخانا ، وسرنا نحو يومين ، وفي الثالث حلّنا بلدة

(١) في الأصل : الهوى

(٢) في الأصل : ما احتجنا .

(٣) المهمه : المفازة الفاحلة البعيدة (القاموس) .

(٤) في الأصل : التمار .

يقال لها: أَبِيرِيس<sup>(١)</sup> ، وهى بلد قد استولى عليها الخراب من ظلم الحُكَّام ، وتمزق شملُ أهْلِها بعد الانظام ، ففسد ما به من التخليل ، وذهب رونقه بعد أن كان جميل<sup>(٢)</sup> .  
فتقى بها يومين ، حتى أفاقـت دوابُـنا ، وزال عنـها العـنا .

ثم سافرنا يومين، ونزلنا في ثالثهما بلداً يقال لها: بولاق<sup>(٣)</sup>، وهي<sup>(٤)</sup> من الساكن في إملاق، قد درست معلمها كثیرها، وتصدّع بناء أقوّتها وأشهرها. ومن العجائب أن نخلها في غاية القصر، وهو حامل للتمر، لا يتكلّف جانبه القيام، بل يتداول منه ولو في هيئة النّيام؛ فتذكّرت باسمها بولاق مصر الحميّة، حرّسها الله من كل آفةٍ وبليّةٍ، فانهملت دموعي، وهاج وجدي ولوعي، فأنشدت أقول شرعاً، (٤٧) من الطويل:

تدكوت بولاقة مصر وأهلهـ

وأذْكُرْنِي هذِي الَّتِي تُدْعَى<sup>(٥)</sup> بولاقا

فبِاللّٰهِ يَا عَيْنِي اسْعِفِينِي بِأَدْمَعِ<sup>(٦)</sup>

عسى يبردُ القلبُ الذي زادَ إحرقاً

(١) ورد اسم هذه البلدة فى Browne, W.G. : Travels in Africa, Egypt and Syria, (Beirfis p. بدون ألف برس 186.

(٢) كذا بالأصل : وقد عدل المؤلف - كما هو ظاهر - عن نصب خبر كان مراعاة للسجع .

(٢) يقول المؤلف انه من بالخارج نم أميريس ثم بولاق ، على حين يقول برandon الذى سلك نفس الطريق ( درب الأربعين ) سنة ١٧٩٣ م انه من بالخارج نم بولاق ثم بولاق

تم بيريس . Browne W. G. op. cit. p. 186  
 انظر كذلك : Shaw فى مقال له عن درب الأربعين .  
 راجع : S.N.R. Vol. XII. Part I, PP. 63-71.

(٤) في الأصل : وهو  
 (٥) تقرأ هذه الكلمة بحذف حرف العلة مراعاة للوزن .  
 (٦) في الأصل : يادعم .

لُم سافرنا مجدهن من غير لبس ، حتى نزلنا عشية النهار على بلد يسمى : المفس<sup>(١)</sup> .

مفرد من الرجز :

و بلدةٌ ليس بها أئمَّةٌ

إلا اليعافير<sup>(٢)</sup> ولا العيسُ

قيل إن هذا البلد ، كان أعنّ من كل بلد ، فأخذنا عليه الذي أخذنا على تبدّل ، و ترقق شمل أهله ، ولم يبق به أحد . وليس به من الأشجار إلا ما قلت ، وهو بعض أثقل وعَنْل . فأقمنا فيها يومين و ملأنا القرَبَ و ارتحلنا ، وللمفارزة الحقيقة دخلنا . فكثنا خمسة أيام في مهمته قفرا<sup>(٣)</sup> ، وبيَدَاءَ غَبْرَا ، ليس فيها من الحشائش إلا عَاقُول قليل ، كلاماً يوجد بها شجر يصلح للمقيل . وكان يُطبخ لنا في تلك المدة بما تلقطه الخدم من بَعْرِ الإبل الجاف ، لقلة الوقيد<sup>(٤)</sup> الذي يحصل به الإسعاف .

وفي عشية اليوم الخامس ، وردنا محلاً يقال له : الشَّبَّ<sup>(٥)</sup> ، وهو محلٌ بين غُرودٍ<sup>(٦)</sup> من

(١) ورد هذا الاسم في : (Mughess Browne : op. cit. p. 186) بالغين بدل القاف « وهذا هو النطق الشائع للقاف في اللهجة السودانية »

(٢) اليعافير جمع يغور وهو ظبي بلون التراب (القاموس) .

(٣) كما بالأصل وقد يكون المؤلف عدل هنا عن جر اللفظ ليتناسب مع « غبرا » .

(٤) في الأصل : الوقد . والتصحيح عن القاموس ، وفيه : الوقود كصبور العطوب كالوقاد بكسر الواو والopicid .

(٥) ذكر لها اسم آخر في هامش الترجمة الفرنسية هو « عين شب » Voyage, p. 30. وفي براؤن أنها تشتهر بانتاج حجر الشب ، ويسكنها جماعة من العبادلة هاجروا اليها من جهة النيل . Browne, op. cit. p. 186.

(٦) غرود جمع غرد ، بفتح الغين ، وهو - كما في القاموس - الخص بضم الماء

الرمل عليه ريح الوحشة قد هب ، فأرحننا فيه يومين وارتحلنا ، وللمفارزة الثانية دخلنا ، قطع عليناها عَنْقًا وَذَمِيلًا في مدة أربعة أيام ، نزلنا في ضحى خامسها بيئر يقال له : سَلِيمَة<sup>(١)</sup> ؛ وبهذا البئر رسم أبنية قديمة ، وهو في عرض جبل يسمى بهذا الاسم أيضًا ، (٤٨) فـ كثنا فيه يومين ، حتى قضينا منه غرضاً . ومن خواص<sup>(٢)</sup> هذا المخل ، أن الحال به يستأنس به ، ولا يستوحش منه .

ومن العجائب أن الشبان من أهل القافلة يصدرون على الجبل الذي هناك ، ويضربون الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول ، فيسمع لها صوت كالطبل ، ولا يعرف سبب ذلك ، فهو تجاويف في الحجر ، أو هي موضوعة على خلوٍ ؟ فسبحان من يعلمحقيقة ذلك . وأخبرني أهل القافلة أن في بعض الليالي – وأظنهما قالوا في ليلة كل جمعة – يسمع من الجبل أصوات طبول ، وكأنه عرس ، ولا يعرفون حقيقته .

ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث بعد ملء أدوات الماء ودخلنا مفارزة ، سافرنا فيها خمسة أيام ، وصلنا في ضحى سادسها إلى محل يقال له : لَقِيَة<sup>(٣)</sup> . فوجدنا هناك آباراً محاطة بالرمل ، وما زالتها عذبة زلال . وقبل وصولنا لهذا المخل عرضت لنا قافلة صادرة من بئر

(١) تقع هذه البئر في واحة سليمية القريبة من قرية عكاشة عند خط عرض ٢١:٣٢ وخط طول ١٩°٠ وكانت هذه الواحة في الزمن القديم تحت حكم أميرة اسمها سليمية . وانتهت في الأساطير بكثرة اغاراتها على جيرانها في بلاد النوبة . Browne, op. cit. pp. 186-187.

(٢) في الأصل : خواص .

(٣) ورد اسم « لقية » في براون بهذا الرسم : " Leghea " Browne, op. cit. p. 187. وفي مقال شو عن درب الأربعين " Lagia " وهي على مسافة ١٤٠ ميلاً جنوب غربي سليمية S.N.R. XII. Part I, p. 68.

النّطرون<sup>(١)</sup> المسمى بالزّغّاوي ، وأهلهَا من عرب يقال لهم : العaim ، فتَابُلُونَا بالسلام ، ثُمَّ انصرفوا عنا بسلام .

فَكُشِّنَا فِي لَقِيَّةِ يَوْمَيْن ، وَفِي صَبَاحِيَّةِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ ارْتَحَلْنَا لِلزَّغَاوِي قَاصِدِين ، وَإِذْ بِهِجَّان أَقْبَلَ مِنْ نَاحِيَّةِ دَارْفُور يَخْبِرُ بِوفَاتِ الْمَرْحُومِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الْجَيْدِ ، السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّشِيدِ ، مَلِكِ دَارْفُور وَمَا وَالاَهَا ، وَسُلْطَانِ أَقْصَاهَا وَأَدْنَاهَا ؛ وَأَنَّهُ ذَاهِبًا إِلَى مَصْرَ لِتَجْدِيدِ الْخَاتَمِ<sup>(٤)</sup> الَّذِي تَحْتَمُ بِهِ الْأَوَاسِرُ السَّلَاطِينِيَّةُ ، لِعَدَمِ مَنْ يَتَقَبَّلُهُ هُنْكَ ، لَابْنِهِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ فَضْلٍ ، وَذَلِكَ لِلليَالِيِّ مَضَتْ مِنْ رَجَبِ الْفَرَدِ سَنَةِ ١٢١٨<sup>(٢)</sup> . فَخَرَنَ أَهْلُ الْقَافِلَةِ عَلَى مَوْتِ سُلْطَانِهِمْ ، وَخَافُوا مِنْ وَقْعَةِ الْفَتْنَ في أَوْطَانِهِمْ ، لَأَنَّهُ كَانَ سُلْطَانَاهُ عَادِلًا كَرِيمًا ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَذُوِّيهِ ، مِسْنَضًا لِلْجَهَلِ وَمِنْ يَلِيهِ . وَسَنَتَكِلُّمُ عَلَى عَدْلِهِ وَأَحْكَامِهِ فِيهَا يَأْتِي بِأَبْسَطِ عَبَارَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْ هُنْكَ<sup>(٣)</sup> ، خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، أَنْخَنَا فِي سَادِسِهَا بِبَئْرِ الزَّغَاوِي ، وَهُوَ بَئْرُ النَّطِرونَ ، وَبَيْنِهِ وَبَيْنِ دَارْفُورِ مَسِيرَةُ عَشْرَةِ أَيَّامٍ كَامِلَةٌ . فَأَقْمَنَاهُ أَحَدُ عَشَرَ<sup>(٤)</sup> يَوْمًا ، نُصْلِحُ شُؤُونَنَا وَنُرْتَاحُ ، وَتَرْعَى دَوَابَنَا<sup>(٥)</sup> ، لِتَقْوَى عَلَى قَطْعِ هَذِهِ الْمَفَازَةِ الدَّهَاءِ . وَنُخْرِجُ فِي إِقَامَتِنَا تَلَكَّ عِدَّةَ جُزُّرٍ ، وَفُرِّقَ لَهُمَا عَلَى أَهْلِ الْقَافِلَةِ . وَاجْتَمَعْنَا هُنْكَ بِأَعْرَابِ الْبَادِيَّةِ مِنْ دَارْفُور ،

(١) بَئْرُ النَّطِرونَ : يُذَكِّرُ بِرَاؤُونَ أَنَّ اسْمَهُ بَئْرُ الْمَلْحَةِ وَعَلَى مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ مِنْهُ يَسْتَخْرُجُ النَّطِرونُ الَّذِي يَأْخُذُهُ التَّجَارُ إِلَى مَصْرَ حِيثُ يَبْيَعُونَ الْكَمِيَّةَ الْقَلِيلَةَ مِنْهُ بِشَمْنَ

Browne. W.G. op. cit. p. 187.

(٢) رَجَبُ سَنَةِ ١٢١٨ هـ = نُوْفَمْبَرُ ١٨٠٣ م .

(٣) فِي الْأَصْلِ : ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْ هُنْكَ ثُمَّ سَافَرْنَا خَمْسَةِ أَيَّامٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : أَحَدِي عَشَرَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : دَوَابَنَا .

وأتوهنا بلبن الإبل وسمنها ، فاشترينا منهم ما احتجنا إليه . وكانوا أتوا لهذا البئر ليأخذوا <sup>(١)</sup> منه ملحاً ونظروناً لدارفور ، لأن الناظرون وأكثراً الملح لا يجلب لها إلا من هناك .  
وكنا قبل حلولنا بالزّغاوي ، أرسلتْ أهل قافلتنا هجّاناً لدارفور بأوراق إلى الدولة وإلى أهاليهم ، تعلّمُهم بالجىء وأنهم قد قفّلوا سالمين . وكنت قد كتبت معهم كتاباً لوالدى ونصله :

إلى حضرة والدى ، وأعز الناس عندى ، (٥٠) السيد عمر التونسي أبقاء الله آمين .  
بعد تقبيل أيديه الشريفة ، إني قد أتيت مع قافلة الخبير <sup>(٢)</sup> فرج الله ، صحبة السيد أحمد بدوى صاحبكم وحبيبكم ، و فعل معنا من المعروف من أجل خاطركم ، ما لا نقدر على وصفه لسعادتكم ، والسلام .

كاتبه

ولدكم محمد عمر ابن سليمان

فأخذها الهجان وارتحل من وقته . ولم أرف أسفارى التي سافرتها أهون منها ، لأنى كنتُ فيها في غاية الراحة : وذلك أنه <sup>(٣)</sup> حال خروجنا من بني عدى ، أمر السيد أحمد

(١) في الأصل : ليأخذون .

(٢) الخبير : لقب يطلق على قائد القافلة في الصحراء ، ومعنىه العالم بالطريق ، وفي دارفور يبقى متمنعاً بهذا اللقب كل جلابي (أى تاجر) رافق - ولو مرة واحدة - القافلة التي تسير سنوياً من شمال بلاد دارفور مخترقة الصحراء وماربة بدرب الأربعين ، وهو الطريق المعروف الذي يبدأ من شمال البلاد وينتهي في أسيوط . ومنذ هذا القائد أو الدليل تعيينه الحكومة كل مرة عندما تقوم الرحلة . ولكن اللقب يظل صاحبه يحتفظ به . هذا ومن الواجب ملاحظة أن هذا الخبير غير الخبير الذي يطلق على رئيس الجلابة في الأقليم .

Nachtigal, Gustav: Sahara und Sudan, Teil III, S. 333.

(٣) في الأصل : ان .

بدوى عبىدَهُ أَنْ يَضْعُوا الْخِيمَةَ عَلَى أَهْدَأَ<sup>(١)</sup> جَلَّ ، وَأَنْ يُوَطِّئُوهَا لِلرَّكُوبِ تَوْطِيَّةً حَسَنَةً ، فَفَعَلُوا . وَأَخْذَ يَدِي إِلَى أَنْ سَلَمَنِي خِطَامَ الْجَلَّ ، وَأَمْرَأَتْ يَأْتُوا بِزَمْزَمِيَّةَ مَلَانَةَ مَاءَ ، فَبَيْتَهُ وَعُلْقَتْ عَلَى الْجَلَّ ، وَقَالَ : هَذَا جَمَلُكَ تَرْكَبُهُ مَهَا أَرْدَتْ ، وَتَنْزَلُ عَنْهُ مَهَا أَرْدَتْ ، وَهَذِهِ الزَّمْزَمِيَّةُ تَشْرَبُ مِنْهَا كَلَّا احْتَاجْتَ إِلَى الشَّرْبِ ، وَكَلَّا فَرَغْتُ مُرَأْدُ العَبِيدِ يَمْلَأُهَا<sup>(٢)</sup> لَكَ . وَأَمْرَ جَمِيعِ الْعَبِيدِ وَالْخَدَمَةِ بِطَاعَتِي فِي ذَلِكَ .

وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الْعَبِيدِ الْكَبَارِ سَبْعَةَ ، وَعَبْدٌ صَغِيرٌ ، وَثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْخَدَمَةِ ، وَمَعَهُ مِنَ الْجَمَالِ ثَمَانِيَّةٌ وَسَتُونَ جَمَلًا ، قَدْ أَعْدَّ مِنْهَا ثَمَانِيَّةً لِلْمَاءِ ، وَأَرْبَعَةً لِلْزَّادِ . وَفِي وَقْتِ الدُّخُولِ إِلَى الْمَفَازَةِ كَانَ يَعْلَقُ عَلَى كُلِّ جَمَلٍ قَرْبَتِينِ . وَكَانَ مَعَهُ مِنَ السَّرَّارِيِّ (٥١) خَمْسَةً ، وَسَادِسَتُهَا ابْنَةُ عَمِّهِ السَّيْدَةُ جَمَالٌ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْلَنِ نِسَاءِ [عَصْرِهَا] ، وَكَانَ مَعَهُ حَصَانٌ دُقْلَاوِيُّ أَسْوَدٌ ، لَا يُقْوِمُ بِمَالِ الْحَسِنِ ، وَعَلَيْهِ سَرْجٌ غِشَاؤُهُ قَطِيفَةُ خَضْرَاءُ ، يَقُودُهُ عَبْدٌ خَاصٌ بِهِ .

وَكَانَ السَّيْدُ أَحْمَدُ يَلَاطِفُنِي مِلاطِفَةَ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ . فَكَنْتُ إِذَا نَزَلْتُ الْقَافِلَةَ ، رَبِّي نَمَتُ مِنْ تَعَبِ الرَّكُوبِ ، وَهَرَّ الْجَلَّ ، وَحَرَّ الشَّمْسُ ، فَكَانَ يُدَثِّرُنِي ، وَإِذَا جَيَّءَ بِالْعَشَاءِ يَوْقِظُنِي بِلَطْفٍ ، وَيَطْلَبُ مَاءً وَيَفْسِلُ وِجْهِي وَيَدِيَّ ، وَيَأْمُرُنِي بِالْمَضْمَضَةِ لِأَفْيَقِي مِنَ النَّوْمِ ، وَيَأْخُذُ يَدِيَّ وَيَضْعُفُهَا فِي الْإِنَاءِ ، وَرَبِّي أَخْذَ الطَّعَامَ وَوَضَعَهُ فِي فَيَّ ؛ وَلَمْ يَزِلْ هَذَا دَأْبَهُ<sup>(٣)</sup> مَعِي حَتَّى وَصَلَنَا بِالسَّلَامَةِ .

ثُمَّ ارْتَحَلْنَا مِنْ بَئْرِ الرَّغَوِيِّ ، [وَ] سَافَرْنَا عَشْرَةِ أَيَّامٍ سَفَرُ الْمَجِدِ ، نَأْخُذُ مِنْ أَوْلَى

(١) كَتَبَ اللَّفْظُ فِي الْأَصْلِ : أَهْدَى .

(٢) فِي الْأَصْلِ : يَمْلَأُهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : دَأْبَهُ .

الليل قطعة ، ومن آخره دَلْجَة<sup>(١)</sup> ، حتى وصلنا ضحى حاجى عشرين إلى المَزْرُوب<sup>(٢)</sup> ، وهو بئر في أول أعمال دارفور ، وقبله بنحو ثلاثة ساعات أو أربع ، جاءتنا أعراب بِقَرَبٍ من الماء واللَّبن ، فاستبشرنا بالسلامة ، ثم نزانا البئر المذكورة فأقمنا فيه يومنا ، وفي صبيحته ارتحلنا نحو أربع ساعات ووردنا بئراً يقال له : الشوينية<sup>(٣)</sup> ، وهناك قابلنا قائد الولاية وحاكمها ، وكان يسمى الملك<sup>(٤)</sup> محمد سَنْجِيق ، وهو قائد الزَّغاوة<sup>(٥)</sup> ، وهي قبيلة عظيمة من السودان - وأهل السودان يسمون القائد ملكاً - ومعه جيش كثيف أطلقه نحو خمسين فارس ؛ (٥٢) فسلم على أهل القافلة ، وهنأهم بالسلامة .

فأقمنا في هذا المَحَلّ يومين ، ثم ارتحلنا وتفرقَت الناس ، فكلّ أنسأخذوا طريقَ

(١) في القاموس أن الدَّلْجَةَ السير من أول الليل ، وقد جعلها المؤلف السير من آخره.

(٢) لعل « المَزْرُوب » من مجموعة الآبار التي أشار إليها براون أثناء رحلته إلى دارفور ، وقال انه أول بئر في حدود دارفور ، ويقع في وادي مسروق المعروف الآن بوادي زروق الواقع عند خط عرض ١٥ وخط طول ٢٥ -

Cf. Browne, op. cit. p. 189, S.N.R. XII Part I, p. 70.

(٣) بئر الشوينية : بالقرب من بلدة « Sweini » حيث يقيم حاكم من قبل سلطان دارفور وهناك ينتحم على جميع الأجانب وتجار دارفور القادمين بالقوافل أن يبقوا مدة حتى يخطر السلطان بمقدتهم ، ثم يدفعوا الضرائب المفروضة على بضائعهم • Browne, W.G. op. cit. pp. 189-190

(٤) دأب المؤلف على أن يطلق لقب « ملك » في ثنايا كتابه على كل حاكم في سلطنة دارفور من شيخ القبيلة فصاعداً حتى السلطان ، وهو لفظ استعاره الفور من القبائل العربية التي هاجرت إلى دارفور •

(٥) الزَّغاوة : خليط من الزنج والتبو والليبيين . ويبدو مما ورد في كتب المؤلفين العرب مثل المسعودي وابن سعيد والأدريس وابن خلدون ، أن أوطان الزَّغاوة كانت تمتد غرباً إلى أقليم النِّيجير . غير أنهم يعيشون في الوقت الحاضر شمال غرب دارفور . ولهم شعبية تسكن أقليم كامجار « Kamgar » في كردفان . ويتكلّم معظم الزَّغاوة اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية وهي لغة التبو .

MacMichael, H. A. op. cit. p. 54.

بلادهم ، لأن أهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة ، فأكثراهم من بلدتهم المشهور المسمى كوبية<sup>(١)</sup> ، وبعضاهم من كبكابية<sup>(٢)</sup> وبعضاهم كاسيد أحمد بدوى صاحب من سرف الدجاج<sup>(٣)</sup> وبعضاهم من الشعيرية<sup>(٤)</sup> ، وبعضاهم من جدید كريو<sup>(٥)</sup> ، وبعضاهم من جدید السيل<sup>(٦)</sup> .

(١) كوبية : من أكبر مدن دارفور وقنتداك . تقع عند خط عرض ١١° ١٤' وخط طول ٢٨° ٠٥' وهى مركز تجاري هام عند ملتقى عدة طرق فى شمال دارفور . طولها حوالى ميلين من الشمال الى الجنوب ، ولكنها ليست عريضة ، وهى محاطة من جميع الجهات بحلات عديدة تعتمد فى حياتها على ما يجلب من كوبية . ومعظم سكان كوبية من الأجانب أو التجار . Browne, W. G. op. cit. pp. 234-5 . ولقد اندرت معالم كوبية فى الوقت الحاضر ولم يبق سوى الوادى الذى يحمل اسمها وهو وادى كوبية : راجع خريطة الفاشر نشر مصلحة المساحة السودانية .

(٢) كبكابية : مدينة هامة آهلة بالسكان على بعد ٩٢ ميلاً غربى الفاشر . وكبكابية المنفذ الرئيسى للطرق المؤدية الى الأقاليم الغربية ومحطة لمنتجات هذه الأقاليم . Ibid. op. cit. pp. 237-8 . وينذكر Lampen أن سلطان وادى أغوار على دارفور زمن السلطان أحمد بكر (١٦٨٢ - ١٧٢٢ م) ونشيئت بينهما عدة وقائع كان آخرها قرباً من مكان عرف فيما بعد باسم هذه الواقعة التى أحرز فيما سلطان دارفور نصراً على أهل وادى . وكبكابية اسم مركب من كلمتين «كبي-كابيه» ومعناهما فى لغة الفور «ألقوا دروعهم»

S.N.R. XXXII, Part I, P. 185.

(٣) سرف الدجاج : اسم يطلق على بلدة وعلى آبار وربما كان المقصود بها آبار سرف الدجاج الواقعة قرب كبكابية عند خط عرض ١٤° ١٤' وخط طول ١٤° ٠٣' فـ فـ دان باسم : سرف الجداد . وسرف فى لغة الفور معناها : بركة ، بكسر الباء

(٤) الشعيرية : اسم قرية وواد يقعان على مقربة من الفاشر عند خط عرض ٢٨° ١٤' وخط طول ٣٦° ٠٥'

(٥) جدید كريو : لفظ «جدید» من الأسماء المألوفة في اقليم دارفور ويحمل بعض القرى والآبار والوديان والجبال ، اسم جدید فقط ، أو يحمل اسم جدید مضافة اليه اسم آخر ، مثل جدید رئيس الفيل وجدید السيل الخ . غير أن «جدید كريو» لم يرد له ذكر فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية ، ولعله هجر .

(٦) جدید السيل : يقع قريباً من الفاشر عند خط عرض ٥٢° ١٣' وخط طول ٢٨° ٢٥'

فذهب كل منهم في مذهبه ، وأخذنا طريقَ سَرَفَ الدجاج ، فسافرنا سفراً هيناً نحو ثلاثة أيام ، ونزلنا في رابعها قرب الظهر في ظلّ جبل بقرب بئر ، فقلنا هناك . وجاءتْ أناسٌ كثيرون<sup>(١)</sup> يهُنُونَا بالقدوم ، وجاء هناك بدوى ابن السيد أحمد ، ومعه عبيد وخدم بأطعمةٍ كثيرة ، فسلمَ على والده وهناء بالسلامة ، وتغدىنا وأقمنا حتى أهنئ النهار ، وأخذ الشمسَ الطَّفْلُ والأصفار ، [شِمْ] مُحَمَّلتُ الأحوال<sup>(٢)</sup> ، ورُفعتُ الأنفال ، فلم يأت المغارب إلا ونحن على ظهر [رواحلنا] مُقْلُون ، [و] على الجادَة سائرون . فدخلنا سرفَ الدجاج بعد العشاء . مفرد من الطويل :

فَالَّقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوْى      كَأَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافُرِ

وبتنا تلك الليلة في مشقة من كثرة المسلمين ، وازدحام الداخلين والخارجين ، ومع ذلك لم يتهاون السيد أحمد بأمرى ، ولا شغلة<sup>(٥٣)</sup> ما هو فيه عنى ، بل أفردى حجرة ، وجعل فيها من الفرش والآنية ما أحتاج إليه ، وأنا لا أعلم ذلك ، بل حين طال على السهر دخلتُ عليه ، وقلت له : أين أنام ؟ فنادى بأحد العبيد وقال له : أَرِ<sup>(٣)</sup> سَيِّدَكَ حجرته . فأخذني وأدخلني حجرةً رأيت فيها سريرًا وفُرْشًا وآنية ، بل وجميع ما أحتاج إليه . وبِثُ بأنعم ليلة ، حتى إذا أصبحت لبست ثيابي ودخلت عليه ، فوجده جالساً في أبهة عظيمة ، بين خدمه وجواريه وأولاده ، قارئاً سارِّاً ، كأنه لم يكن مسافراً .

فَرَحَّبَ بِي وَأَكْرَمَنِي ، فَقَبَّلَتْ يَدَهُ وَجَلَسَتْ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : إِنَّ ابْنَ أَخِي السَّيِّدِ أَحْمَدَ الصَّغِيرَ ، قَدْ صَنَعَ فِي هَذَا النَّهَارِ وَلِيَةَ الْقَدُومِ ، وَالْمُتَسَّعُ مِنْ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ،

(١) في الأصل : كثيرون .

(٢) في الأصل : الاحمال .

(٣) في الأصل : أرى ، بضم الهمزة .

وتشرّف مجلسـه بحضورك ، فإن رأيتـ بـك نشاطـاً وأردتـ جبرـ خاطره فذاكـ إليكـ ،  
ومـا أـريدـ أـنـ أـشـقـ عـلـيـكـ . قـلـ : سـمـعـاً وـطـاعـةـ ، لـكـنـ لـاـ أـعـرـفـ مـنـزـلـهـ . فـأـمـرـ أـحـدـ  
غـلـامـانـهـ أـنـ يـعـرـفـ فـنـيـ مـنـزـلـهـ ، فـذـهـبـتـ وـحـضـرـتـ ضـيـافـتـهـ ، فـأـعـظـمـ مـلـقـائـهـ ، وـرـحـبـ بـيـ وـكانـ  
يـوـمـاً عـظـيمـاًـ .

ثـمـ إـنـ جـمـيعـ أـهـلـ القـافـالـةـ صـارـواـ يـصـنـعـونـ الـلـأـمـ فـنـوـالـتـ ، وـكـلـ وـلـيـهـ يـدـعـونـيـ  
فـأـحـضـرـهـ ، حـتـىـ جـاءـ عـمـيـ وـتـوجـهـتـ صـحبـتـهـ إـلـىـ والـدـيـ . وـذـكـ أـنـ كـنـتـ فـيـ ضـيـافـةـ  
بعـضـ الـأـحـابـ ، وـأـتـيـتـ قـرـبـ المـسـاءـ ، فـدـخـلـتـ الـحـجـرـةـ الـمـعـدـةـ لـيـ ، فـرـأـيـتـ فـيـهـ  
رـجـلـيـنـ (٥٤) وـعـبـدـيـنـ .

أـمـاـ الرـجـلـانـ ، فـأـحـدـهـاـ أـسـمـرـ قـصـيرـ ، ذـوـ هـيـثـةـ حـسـنـةـ ، جـمـيلـ الـبـرـزـةـ ، يـقـربـ لـوـنـهـ  
مـنـ لـوـنـ الـحـبـشـةـ ، وـالـآـخـرـ أـسـوـدـرـثـ الـهـيـثـةـ . فـسـلـمـتـ عـلـيـهـاـ فـرـدـاًـ عـلـىـ السـلـامـ ، وـجـلـسـتـ  
مـتـعـجـبـاًـ كـيـفـ دـخـلـاـ فـيـ حـجـرـتـيـ بـغـيـرـ إـذـنـيـ ، فـرـأـيـتـهـاـ يـتـغـامـزـانـ ، وـيـقـولـ أـحـدـهـاـ لـلـآـخـرـ :  
أـهـوـ هـوـ ؟ـ فـيـقـولـ الـآـخـرـ :ـ نـعـمـ ،ـ هـوـ .ـ وـلـاـ أـعـرـفـ عـلـامـ (١)ـ يـقـولـانـ ذـلـكـ .ـ ثـمـ سـأـلـنـيـ  
الـرـجـلـ الـأـوـلـ وـقـالـ لـيـ :ـ أـنـتـ مـنـ هـنـاـ ؟ـ قـلـتـ :ـ لـاـ ،ـ أـنـاـ مـنـ مـصـرـ ،ـ جـئـتـ مـلـتـمـسـاًـ  
لـأـبـيـ .ـ فـقـالـ :ـ وـمـنـ أـبـوكـ ؟ـ فـقـلـتـ :ـ أـبـيـ السـيـدـ عـمـرـ التـونـسـيـ .ـ فـقـالـ لـيـ السـوـدـانـيـ :ـ  
سـلـمـ عـلـىـ عـمـكـ السـيـدـ أـحـمـدـ زـرـوـقـ .ـ فـسـلـمـتـ عـلـيـهـ حـيـثـنـذـ .ـ وـبـعـدـ السـلـامـ أـخـرـجـ لـيـ مـكـتـوبـاًـ  
فـيـهـ بـعـدـ السـلـامـ :

إـنـهـ قـدـ جـاءـنـاـ كـتـابـ مـنـ وـلـدـنـاـ السـيـدـ مـحـمـدـ ،ـ أـخـبـرـنـاـ فـيـهـ أـنـ قـدـمـ صـحبـتـكـ وـفـعـلـتـ مـعـهـ  
مـنـ الـمـعـرـوفـ مـاـ أـنـتـ أـهـلـهـ ،ـ فـرـزـالـكـ اللـهـ عـنـاـ خـيـرـاـ ،ـ وـهـذـهـ مـنـهـ لـاـ كـادـ أـقـوـمـ بـشـكـرـهـ ،ـ

(١) فـيـ الـأـصـلـ :ـ عـلـيـ مـ

وصنيعة لا أقدر على مكافحتها ، ومن المعلوم أن المهاداة<sup>(١)</sup> سُنة من أول الزَّمان ، وقد قبل المدية سيد ولاد عدنان ، ولذا قال عليه صلاة ربنا المنشان . « تهادوا تhabُوا وتذهب الشحنة من قلوبكم » . وقد أرسلت لحضرتك صحبة أخي السيد أحمد زروق عبدين سُداسيين<sup>(٢)</sup> ومهراً أحمر ، أرجو من سعادتكم قبولهم ، وهم على قدر مقامى ، لا<sup>(٣)</sup> على قدر مقامك ، والله [ دَرُّ ] القائل ، شرعاً ، من البسيط :

جاءت سليمان يوم العرض هُدْهُدَةٌ  
أَتَتْ لِهِ بِجَرَادٍ كَانَ فِيهَا  
وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْحَمَالِ قَائِلَةً  
إِنَّ الْهَمَدِيَا يَعْلَمُ مَقْدَارَ مُهَدِّيْهَا  
لَوْ كَانَ يُهَدِّي إِلَى إِلْهَانَ قِيمَتِكَ<sup>(٤)</sup> الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
وَمَنَا السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَوْلَادِكُمْ وَأَهْلِ مَنْزِلَكُمْ ، وَمَنْ يَحْوِيْهِ مَجْلِسَكُمُ السَّعِيدِ .

وقال لي : خذ هذا الكتاب واقرأه على عمك السيد أحمد . فذهبت به وقرأته عليه ، وأحضرت المدية فرآها وبارك فيها ، ثم قال : إنني قبلتها ووهبته لابني هذا . يعنيني . فللحثت عليه أنا وعمي في قبولها فأبى إلا ذلك ، وقال : إنني لو أفيضتُ أموالى كلها في مرضاته ، لما كان ذلك جزاء له بما صنع معى من المعروف ، فتجاسرت عليه حينئذ ، وسألته بالله العظيم ، إلا ما أخبرنى عن هذا المعروف الذى صنعه معه .

فقال لي : اعلم يا ولدى أن أعدائى وشوابى إلى حضرة السلطان بأنى أيسع

(١) فى الأصل المهدات .

(٢) العبد السادس : هو الذى يبلغ طوله ستة أشبار من أخمص قدمه إلى شحمة أذنه . Voyage au Darfour, p.39.

(٣) وفي رواية : لكنت أهديتك .

الأحرار<sup>(١)</sup> وزخرفوا له القول حتى استقر في ذهنه أن الأمر صحيح . ففضب لذلك وقال : تاجر مثلك هذا في غناه يفعل هذا الفعل ؟ ! الفقر أولى به ! فأحضرني من داري على غير صورة ، وحين دخلت عليه وبخني وقرّ عنى بالكلام المؤلم ، وطلبت تحقيق ما قبل في فلم أتمكن من ذلك ، ولا سمع لي قول<sup>(٢)</sup> ، بل أمر بالقبض علىَّ ، وأن توضع الأغلال في عنقي ، ويضيق علىَّ في الحبس .

وكان من لطف الله تعالى أنَّ أباك حاضر بالجلس ، فلم يتجرأ أحد [على أن] يشفع لي عنده لما قام به من الغصب . وحين رأى والدك ذلك تقدم وتنحنح ، وذكر أحاديث في العفو عن الجاني ، وتلا : « يَا إِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ مُّنْبَثِثٌ فَتَبَيَّنُوا »<sup>(٣)</sup> . ثم شفع في فশفّعه السلطان وأمر بإطلاق ، وبعد ذلك ظهرت له براءتي ؛ ولكن لم يُسْخِرْهُ الله لي في تلك الساعة لذهبت نفسي وأموالي كلها ! فأيّ جميل أكبّر من هذا ، وأي صنيع<sup>(٤)</sup> أعظم من هذا ؟

ومع ذلك كله فأجرأيك فيما فعله معى على الله ، وإن طالما كنتُ أترقب له حاجة تأتي على يدي فأقضيها له ، فلم<sup>(٥)</sup> يتيسر لي إلا هذه الخدمة ، وعسى أن يكون فيها قضاء بعض ما وجب علىَّ ، ولا أظن ذلك .

ثم أراد عمّي أن يسافر صبح ذلك النهار ، فأبى السيد أحمد . فكثنا بعد ذلك ثلاثة<sup>(٦)</sup>

(١) في الأصل : الأحرار .

(٢) سورة الحجرات ، آية ٦ .

(٣) في الأصل صنع .

(٤) في الأصل : لم .

(٥) في الأصل : ثلاثة .

أيام ، وفي صبيحة اليوم الرابع دخلتُ عليه لأودعه ، فاعطاني خرزًا كثيرًا يضعنه<sup>(١)</sup> نساء السودان في أوساطهنَ من قبيل الزينة يسمى عندهن : رقاد الفاقة ، ومعناه : نوم الراحة . وأعطاني خرزًا آخر غالى الثمن ، يجمعنه في أجيادهن ، وهو على أنواع . منه ما يسمى بالرِّيش ، وهو (٥٧) خرز أبيض مستطيل ، فيه بعض خطوط سُمراء ، معروف بهذا الاسم في مصر أيضًا .

ومنه ما يسمى بالمتصوص ، وهو خرز أصفر من كهرمان<sup>(٢)</sup> مستدير مفرطح . ومهنخ خرز كروي الشكل أحمر غير ناصع ، يسمى بالقيق ، فأعطاني منها ما يزيد على عِقدتين ، وئمه ينوف عن ثلاثة رؤوس من الرقيق . وأعطاني عمامة خضراء من الشاش جديدة ، وسبيلا وتحملها وصندلاً كثيرًا ، وهذه الثلاثة من العطريات ، يتطيبن بها نساء السودان . وقال : فرق هذه الأشياء بين نساء أياك . وذبح لنا شاة وحنّدتها<sup>(٣)</sup> . وبلغتهم يقال لها : نصيص ، ثم زوّدناها وودّعنا وركبنا .

وكان مع عمي عبد آخر كبير . فركبت الفرس ، وركب عمي هجين ، وركب الرجل حمارا فارها ، وسعت العبيد أمامنا ، وسرنا فاصلين محل أبي . وكان بمحل يقال له : أبو الجدول<sup>(٤)</sup> ، وبينه وبين سرف الدجاج ستة أيام سفر .

(١) كذا بنون النسوة وقد دأب المؤلف على مثل هذا التعبير في مواضع كثيرة من الكتاب . وسترى بعد قليل قوله : « يتطيبن بها نساء السودان » .

•

(٢) كذا بالباء ، بدل : كهرمان .

(٣) حند الشاة : شواها وجعل فوقها حجارة محممة لتنضجها فهى حنيذ . أو هو الحار الذى يقطر مأوه بعد التوى . (القاموس)

(٤) أبو الجدول : منطقة كانت تستعمل زمن المؤلف على عدة قرى جنوبى الفاس . ويطلق هذا الاسم الآن على قرية وواد فى هذه المنطقة عند خط عرض ١٣° : ٠٢° وخط طول ٢٨° : ٢٥° .

خرجنا من سرف الدجاج ، ومررنا بالبلد المسمى بـ **كَبْكَابِيَّة** ، وهى بلد أشباه ببلاد ريف مصر ، إلا أنها أعنجر منها وأخصب ، لأنها آهلة بالساكن ، مغتصبة بالقاطن . وأهالها تجار أغنياء ، وعندهم من الرقيق ما لا يُحصى كثرة .

ولهم خليل وأرض واسعة<sup>(١)</sup> ، فيها آبار قريبة الماء ، يزرعون بها أنواع الخضروات والبقول ، من بامية وملوخية وقرع وبذنجان وفقوس وقِنَاء وبصل وحلبة (٥٨) وكمون وفلفل وحبّ رشاد ، وكله كما نعهد إلا الفلفل ، فإنه حب رفيع أغاظ من الشعير بقليل . وعندهم بعض شجر الليمون الحامض .

وبقربهم جبل يقال له : **مَرَّة** ، وهو جبل يشق إقليم النور من أوله إلى آخره مع الاستقامة ، وله عدة طرق تصعد الناس منها إليه ، ولكل قطعة منه اسم خاص به غير الاسم<sup>(٢)</sup> العام . والنور يسكنون في أعلىه ، ولا يألفون الوهاد ، بل يرون أن ذلك أصول لهم ولآموالهم . وسيأتي لهذا مزيد توضيح .

وحين مررنا بـ **كَبْكَابِيَّة** وجدنا سوقها عامرا ، فأخذنا منه ما احتجنا إليه ، ثم توجهنا فسافرنا ثلاثة أيام في عرض جبل **مَرَّة** ، وصرنا نبيت ببلاد أقوام مستوحشين يكرهون الضيوف ، خصوصا إن كانوا من أولاد العرب . فأصابتنا منهم مشقة عظيمة ، حتى صرنا لا نبيت عندهم إلا كرها عليهم ، مع أن معنا أزواادنا ولا نحتاج لهم في شيء ، فكانوا ينفرون منا بالطبع .

وبعد ذلك خرجنا إلى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له : **تَارُنِيه**<sup>(٣)</sup> ، فـ **كَرْمُونَا** هناك وصنعوا لنا ضيافة عظيمة .

(١) في الأصل واسع .

(٢) يقع هذا محل إلى الجنوب الغربي من الفاسير حسبما جاء في خريطة المؤلف المنشورة ضمن الكتاب . وال موجود مكانه في الخرائط الحديثة واد وجبل يحملان هذا الاسم عند خط عرض ١٧ : ١٣ وخط طول ٥٦ : ٢٤ .

وفي صحي اليوم السادس دخلنا البلدة التي فيها والدى ، المسماة : بحارة جولتنو ، وهي من جملة حيل أبي الجدول . فرأينا على باب دار والدى خيلاً وحميراً وخداماً لأضياف كانوا عنده ، فدخلنا الدار ، وعرضنا جوارى وعبيداً يسلامون علينا ويُهُنون (٥٩) بالسلامة . ثم جاء والدى بعد أن ركب أضيافه وسلم علىّ ، فقامت وقبلت يده ، ووقفت أمامه خدمةً له . فأمرني بالجلوس فجلست . فسألنى : ما الحرفة التي تعلمتها ؟ فقلت له : القرآنَ وشينَا من العلم . فسرّ لذلك وصنع ثانٍ يوم مجيئي ولم يُذْجِ فيها عدة شياهٍ وبقر ، ودعا الناس ، فباء خلق كثير فأكلوا وكان يوم سرور .

ثم إنّه بعد ثلاثة أيام جهزني وعمي السيد أحمد إلى الاعتراض السلطانية ، بهدايا من عندي إلى حضرة السلطان ، ووزيره الأعظم إذ ذاك [الأب] [الشيخ] (١) محمد كرما ، والفقير مالك الفوتاوي ، وهو وكيل أبي ، وحوائجه التي تعرض للدولة كلّها على يده ، وهو من

(١) منصب الأب الشيخ من أهم المناصب وأشدّها خطراً في سلطنة دارفور بعد السلطان . فهو الوزير الأعظم - أى رئيس الوزراء ، والقائد العام للجيش . فضلاً عن أنه كان ينوب حكم أحدى الولايات الأربع التي أقطعها إيه السلطان . والمعروف أن الرسم جرى في دارفور ألا يتولى منصب الأب الشيخ سوى عبد خصي ، ومع هذا تولاه محمد كرما وهو من الأحرار . وتفسير ذلك أنه التحق بحرس السلطان تيراب ثم غداً مشرفاً على تربية أولاده ومصالحه الخاصة . ويقال إنه خصي نفسه بيده ليدفع عن نفسه تهمة خيانة سيده ، فألقيه السلطان بخدمة أحد الوزراء وأبدى كفایة ممتازة في عمله . تم تمكن بممارنته أن يساعد عبد الرحمن الرشيد في الوصول إلى عرش السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان تيراب ، فعيّنه في منصب الأب الشيخ . Voyage au Darfour. pp. 44, 62, 65, 78. ٢٧٣، ٨٠ . وكان الأب الشيخ يتولى - فضلاً عن ذلك - النظر في القضايا الهامة التي يحتاج الفصل فيها إلى الرجوع إلى قانون ذاتي ، وهو القانون العرفي للبلاد . فقد كان الأب الشيخ المرجع الأعلى لهذا القانون . I, pp. ٢٣٤-٢٣٥. S.N.R., XXXIII.

نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

[فُوته إحدى حِلَلٍ]<sup>(١)</sup> قبيلة تسمى : الفلان<sup>(٢)</sup>. وأهل دارفور يسمونها . الفلاتة ، وفَلَاتَا بالألف في الآخر أصح . والفقية مالك المذكور أعظم الوزراء من أولاد العرب ، وكان يومئذ السلطان محمد فضل ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا . وكان زمام الأمور كلها بيد [الأب] الشیخ محمد كرما ، و [كرما] معناه بالفوارویة : الطويل ، لأنّه هو الذي عضدَ السلطان محمد فضل بعد موته ، وأجلسه على سرير ملکه ، وناب عنه في الأحكام وتدیر الملكة ليصغر سنّه ، وقد شاع على ألسنة الناس [من] أهل دارفور أنه من عبيد دارفور حتى كان لا تعلو على كنته كلة غير [كلة] السلطان . وكان رحمه الله فيه ذهاءً ومكر ، وشجاعة وإقدام ، وحييل على الأمور حتى ينفذ أغراضه ، وستأنى سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن ، وابنه السلطان محمد فضل ، وأخيه السلطان محمد تيراب مفصلة إن شاء الله تعالى .

(١) أضيف ما بين الحاسرتين عن الترجمة الفرنسية . Voyage au Darfour, p. 44.

(٢) يعرف الفلان في السودان باسم الفلاتا ، ولا يقتصر هذا الاسم على الشعبة التي تعيش في جنوب جبل مرّة ، بل يطلق على جماعة كبيرة منهم انتشرت في كثير من جهات السودان ولاسيما في شرقه . وهم من الحساميين الذين امتنجت دمائهم بالدماء العربية . وإذا كانت بعض جماعات منهم هاجرت من مواطنها الأصلية ، شمال نيجيريا وغرب أفريقيا في أزمنة حديثة إلى دارفور ، فإن غالبيتهم هاجر إلى من زمن بعيد . ولعل أكبر هجرة لهم كانت زمن السلطان أحمد بكر (آخر القرن ١٧ م) ، وهم يتكلمون اللغة العربية ويعيشون على نسق الحياة

الذى اعتادوه في غرب افريقيا . MacMichael, H.A.: op. cit. p.83.

(٣) في الأصل : بعباء .

فرَّحْبَنَا مِنْ أَبِي الْجَدُولِ إِلَى تَنْدَلْتِي<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ مَقْرَرُ السُّلْطَانِ<sup>(٢)</sup> ، فِي أُولَى شَعْبَانَ  
سَنَةِ ١٢١٨<sup>(٣)</sup> ، وَيُسَمَّى بِلِفْتَهُمْ : الْفَاسِرُ<sup>(٤)</sup> . وَكُلُّ مَحْلٍ سَكْنَهُ السُّلْطَانِ يُسَمَّى فَاسِرًا .  
فَسَافَرْنَا يَوْمَيْنِ سَفَرًا غَيْرَ شَطَطِيْطَ ، وَدَخَلْنَا خَمْوَةَ الْثَالِثَ ، فَوَجَدْنَا بَلَدًا يَمْوَجُ بِالسَّاكِنِ ،  
وَيَرْتَجِّ بالقاطنِ مَا بَيْنَ رَاكِبٍ وَمَاشِي<sup>(٥)</sup> ، وَجَالَسْنَا وَغَاشِي<sup>(٦)</sup> ، وَطَبُولُ تَرْعَدَ ، وَخَيْوَلُ  
تَرْكَضَ .

فَدَخَلْنَا دَارَ الْفَقِيهِ مَالِكَ ، فَوَجَدْنَاهُ جَالِسًا بَيْنَ خَدْمٍ وَحَشْمٍ ، وَأَرْبَابِ الْحَوَائِجِ  
مُحْتَفَّوْنَ بِهِ . فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَمِيْ ، فَأَعْظَمَ مَلْقَاهُ وَرَحْبَهُ ، فَعَرَّفَهُ عَمِيْ بِي ، فَسَلَّمَ  
عَلَيْهِ وَبَشَّرَ فِي وَجْهِي ، وَرَحَّبَ بِي .

ثُمَّ إِنْ عَمِيْ أَعْطَاهُ الْكِتَابَ الَّذِي لَهُ ، وَالْكِتَابَ الَّذِي لِلْدُولَةِ ، فَقَرَأَ كِتَابَهُ وَرَحَبَ  
[بَنَا] ، وَأَفْرَدَ لَنَا مَحْلًا وَضَعْنَا فِيهِ مَتَاعَنَا ، ثُمَّ أَخْذَنَا فِي الْحَالِ إِلَى دَارِ [الْأَبِ] الشِّيْخِ مُحَمَّدَ كُرَّا ،  
فَرَأَيْنَا دَارًا عَلَى بَاهِهَا مِنَ الْخَيْلِ وَالدَّوَابِ مَا لَا يُحَكِّمَ كَثِيرًا ، وَدَخَلْنَا فِي أَيْنَاهُ جَالِسًا فِي (٦١) مَجَلسِ

(١) تَنْدَلْتِي : اسْمَ قَدِيمٍ لِبِحِيرَةِ (أَيْ : فُولَةِ) ، وَقَدْ نَشَأَتْ حَوْلَهَا مِدِينَةُ الْفَاسِرِ  
الْحَالِيَّةِ . S.N.R. XXXIII, Part I, p. 138.

(٢) فِي الأَصْلِ : السُّلْطَانِيِّ .

(٣) شَعْبَانَ سَنَةِ ١٢١٨ هـ = دِيْسِمْبِرِ سَنَةِ ١٨٠٣ م .

(٤) كَانَ يُطْلَقُ اسْمُ الْفَاسِرِ أَوْ الْأَمْرَ عَلَى مَجَلسِ السُّلْطَانِ . وَلَا كَانَ هَذَا الْمَجَلسُ  
يَنْعَدِدُ فِي الْغَالِبِ فِي مَيْدَانِ وَاسِعٍ يَقْعُدُ أَمَامَ قَصْرِ السُّلْطَانِ ، فَقَدْ عُرِفَ الْمَيْدَانُ  
كَذَلِكَ بِاسْمِ الْعَاشرِ ، ثُمَّ صَارَ اسْمُ يُطْلَقُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَيِّ مَكَانٍ يَسْتَقِرُ فِيهِ  
الْسُّلْطَانُ .

Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa, Vol. III,  
pp. 552-53.

(٥) فِي وَرْدِ الْلَّفَظِيْنِ : «مَاشِي» ، وَ«غَاشِي» ، بِالِيَاءِ فِي الأَصْلِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ  
الْمَقْصُودُ هُوَ الْإِسْتِعْمَالُ الْعَامِيُّ وَلَا يُسَمِّي الْفَصِيحَ الَّذِي يَقْتَضِي حَذْفِ الِيَاءِيْنِ .  
وَمِنْ هَذَا وَكَثِيرٌ غَيْرُهُ نَلَاحِظُ أَنَّ الْمُؤْلِفَ يَزاوِجُ كَثِيرًا بَيْنَ الْفَصِيحِيْ وَالْعَامِيْ فِي  
أَسْلُوبِهِ .

حَفْلٌ ، وأُرْبَابُ الدُّولَةِ مُخْتَفِونَ بِهِ ، فَسَلَمَ عَلَيْنَا وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ أَنَا ، ثُمَّ سُأْلَ وَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟  
فَقَالَ لِهِ الْفَقِيهُ مَالِكٌ : هَذَا ابْنُ الشَّرِيفِ عُمَرَ التُّونْسِيُّ ، الْعَالَمُ ، الْمَقِيمُ بِأَبْيَانِ الْجَدُولِ ، وَقَدْ  
أَرْسَلَهُ صَحِيْهَ عَمَّهُ لِيُسْلِمَ عَلَى سَعْدَتِكَ ، وَهَذَا كِتَابُ أَبِيهِ .

فَأَخْذَ الْكِتَابَ وَفَتَحَهُ ، وَلَمَّا عَلِمْ مَا فِيهِ صَارَ يَلْطُفُنِي وَيَحْتَيْنِي<sup>(١)</sup> إِكْرَامًا لِوَالَّدِي ،  
وَقُدِّمَتْ لَهُ الْمَهَادِيَا فَقِيلَهَا ، وَأَمْرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَى خَرَائِشِهِ ، وَأَقْبَلَ يَلْطُفُنِي بِالْتَّحْشِيدِ إِكْرَامًا  
لِوَالَّدِي ، ثُمَّ أَمْرَ الْفَقِيهِ مَالِكَ أَنْ يَقِيْنَنَا عَنْهُ حَتَّى يَأْذِنَ لَنَا فِي التَّوْجِهِ ، فَقِيْنَنَا عَنْدَ الْفَقِيهِ  
مَالِكٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَنَحْنُ فِي أَكْرَمِ ضِيَافَةِ وَالَّذِي اعْتَنَسَ .

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ دُعَانَا [الْأَبُ] الشَّيْخُ مُحَمَّدُ كُرَّا عَلَى يَدِ الْفَقِيهِ مَالِكٌ ، وَكَسَانِي كَشْمِيرَا  
أَخْضَرٌ ، وَجُبَّةٌ خَضْرَاءُ ، وَقَفَطَانًا مِنَ الْقَطْنِ الْمَهْنَدِيِّ ، وَأَمْرَ لِي بِجَارِيَتِينَ وَعَبْدَ ، وَكَتَبَ  
لِأَبِي كِتَابًا قَرَأَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ أَبِي وَصُورَتِهِ :

مِنْ حَضْرَةِ مَنْ أَكْرَمَهُ الْكَرِيمُ ، وَلَا يَفَارِقُهُ الْخَيْرُ وَالنَّعِيمُ ، الْوَزِيرُ الْأَعْظَمُ ،  
الْمُتَوَكِّلُ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ وَيَرَى ، الْأَبُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ كُرَّا ، إِلَى حَضْرَةِ الْأَسْتَاذِ الْأَعْظَمِ ، وَالْمَلَادُ  
الْأَفْعَمُ ، عَلَّامُ الزَّمَانِ ، وَخَبِيْهَ سَلَالَةُ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانٍ ، السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عُمَرُ التُّونْسِيُّ  
دَامَ مَجْدُهُ آمِينٌ .

أَمَا بَعْدُ : إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ لَدِينَا بِجُلُوكُمُ الْمَكْرُومُ ، صَحِيْهَ أَخِيكُمُ الْحَتْرُمُ الْمُعْظَمُ ، بِمَا  
أَهْدَيْتُمُوهُ لَنَا ، حَسْبًا هُوَ مَشْرُوحٌ فِي جَوَابِكُمْ ، فَفَرَحْنَا غَايَةَ الْفَرَحِ (٦٢) بِأَمْرِيْنِ : الْأُولُّ  
اجْتِمَاعُ شَمَلَكَ بِقُرْبَةِ عَيْنِكَ . وَالثَّانِي بِأَنَّنَا نَؤْمِلُ إِقْامَتِكَ فِي بَلَدِنَا ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ،  
لِتَحْصُلَ لَنَا الْبَرَكَةَ بِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ . وَقَدْ أَتَحْفَنَا بِمَا صَحِيْهِ ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَقْبُولاً لِدِيْكُمْ .

(١) فِي الْأَصْلِ : يَحْتَيْنِي .

ولولا ما نحن فيه من الأشغال ، لكان الأمر أبلغ من ذلك ، فالمعذرة إليك ، وأؤمّل ألا  
تنساني من صالح دعواتك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثم إن الفقيه مالك قدّم لـ جارية ناهداً ، وجواباً قرأه بعد ذلك أيضاً ، مضمونه

بعد السلام :

إنه قد ورد علينا كتابكم ، صحبة نجلكم وأخيمكم ، وقدمناها إلى حضرة [الأب]  
الشيخ محمد كرما ، وقد دخل عليه من السرور ما لا يعلمه إلا الله بقدوم نجلك ، كما يُفصح لك  
كتابه عن ذلك ، ونحن أشد فرحاً منه ، لما ييننا من المودة ، وما أهداه [الأب] الشيخ محمد  
كرما لنجلك يتعلّى عليك ، ويصل بين يديك ؟ وهذا نحن قد أتّهفنا نجلك الكريم بجارية  
كوعبة متربة — أراد هنا : كاعبة<sup>(١)</sup> ، وأما قوله : متربة ، لا<sup>(٢)</sup> معنى له ، وذلك من جهل  
الفقيه ، وهذا أي «كاعبة» و «متربة» مذكور في القرآن في وصف الحور<sup>(٣)</sup> ؛ وأراد الفقيه  
أنه يدعى عالماً فإنه غلط<sup>(٤)</sup> ، وقال هنا قولًا بدون معنى — واسمها حميّدة<sup>(٥)</sup> ، عسى أن  
تُلحظ بالقبول ، كما هو المأمول ، والسلام .

فأخذنا جميع (٦٣) ذلك ، وتوجهنا لوالدى فرحين مسرورين ، ففرج بقدومنا ، ثم  
أقنا جمِيعاً مدة شهر رمضان ، وحين انتصائه توجّه أبي إلى الفاسير للسلام ، وقابل الأب

(١) يقال : جارية كاعب ، أي : نهد ثديها ، ولا يقال : كاعبة .

(٢) كنا في الأصل بدون فاء ، وكثيراً ما تمحّف الفاء في مواضع آخر كهذا الموضع .

(٣) يقصد بذلك قوله تعالى : «وكواعب أثراها وكأسا دهاقا» سورة النبأ ، آية

٣٣ ، ٣٤ .

(٤) كنا في الأصل : وهي عبارة مضطربة الأسلوب .

(٥) بدون ضبط في الأصل : وقد ضبطناه هكذا في المتن عن الترجمة الفرنسية

الشيخ محمد كرّا ، وطلب منه الإذن في التوجه إلى تونس ليرى أمّه وأخويه ، ويجتمع بهم قبل وفاة أمّه . وأعلم أنه سيتركني في بيته وبلاده ، لأنّ البلد التي كان فيها إقطاع له ، أقطعها له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته ، وكان قبل ذلك أقطعه بلاداً في المثلث المسمى بقرولي<sup>(١)</sup> ، فأبى والدى الإقامة فيه لمعجمة أسان أهلها ، وعدم معرفتهم العربيّ ، فنقله إلى هذه البلد .

وهذا الإقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد : حلة جولتو الذي فيه بيتنا ، والدبّة ، وأمّ بعوضة<sup>(٢)</sup> . فاتفق مع الشيخ محمد كرّا أن يتركني في هذه البلد ، أجمع خراجهما ، وأنتفع بزرعهما . فأخذ عليه المواثيق بالعود ، وأذن له ، وكتب له عدة أوامر إلى العمال الذين بطريقه أن يعطوه جميع ما يحتاج إليه ، وأن يرسلوا معه جنداً يوصله إلى محلّ الأمان . ووَدَّه ورجع إلىينا مهتماً بأمر السفر :

فيَهْزَ نفسه في أقرب وقت : وذلك أنه باع ما عنده من القطن ، وكان عنده قطن كثير يُنوف عن<sup>(٣)</sup> مائة قطار ، لأنّه كان زارعاً قطعة أرض تزيد عن<sup>(٤)</sup> عشرين فدانًا من أفرديته بمصر قطناً ، وكانت هذه القطعة يُحْمِّل منها وقت (٦٤) هجوم القطن في كل يوم أربع عشرة ريكة<sup>(٥)</sup> ، والريكة في عُرف أهل دارفور كالقففة في عُرف أهل مصر .

(١) قرلي : يقع هذا المحل شرقى كبكابية كما ورد فى خريطة المؤلف المنشورة مع الكتاب ، وجنوبى كبكابية كما ورد فى خريطة المترجم بيرون ، وفي لامپن فى S.N.R. XXXI Part. II p. 186 تقويم البلدان والأماكن السودانية ، والراجع أنه هجر .

(٢) الدبة وأم بعوضة حلتان كانتا تقعان فى منطقة جولتو فى الجنوب الغربى من الفاشر ، وليس لها ذكر فى تقويم البلدان والأماكن السودانية .

(٣) كذا ، بدل : على ، فى الموضعين .

(٤) ريكة تنطق هذه الكلمة : بامالة الراء .

وهي ربّما لو صُبّت فيها غلالٌ تسع<sup>(١)</sup> نحو خمسة أرباع بالثبع المصري . فباع كل ذلك ، وباع مُراحَ غنمٍ كان عنده ، وكذا باع البقر والحمير ، وأخذ جواريه وعيده ، وما حصل لى من السيد أحمد بدوى ، ومن الأب الشيخ محمد كرّا ، ولم يترك لي إلا جاريَة بعينها بياض تسمى فرحانة ، وعبدَيْنِ وأمرأتهما ، وحماراً وهجينًا ضعيفاً ، وترك لي إحدى نسائه [و] تسمى : زهرة ، وأمرأة أخيه ، وكل منها<sup>(٢)</sup> معها بنت . وباع مطامير الغلال ، ولم يُبقي لي إلا مطموراً واحداً ، وأعطاني وثيقة الإقطاع التي كتبها المدحوم السلطان عبد الرحمن حين أقطعه الأرض المذكورة ونصّها :

من حضرة السلطان الأعظم ، والملاذ الأعلم ، سلطان العرب والجم ، ومالك رقاب الأُمّ ، سلطان البحرين والبحرين ، وخادم الحرمين الشرفين ، الواثق بعنانة الملك المُبدي المعيد ، السلطان عبد الرحمن الرشيد<sup>(٣)</sup> ، إلى حضرة المولى<sup>(٤)</sup> والحكام والشرّاتي<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل : يسع .

(٢) في الأصل : منها .

(٣) السلطان عبد الرحمن الرشيد (١٧٨٧ - ١٨٠١ م) . كان من بين الألقاب التي تلقب بها عبد الرحمن : اليتيم والعادل والرشيد . ويقال انه لقب باليتيم لأن أبوه مات وتركه طفلاً رضيعاً . ولقب بالعادل لعدله ، وبالرشيد لأنه أرسل هدية للسلطان العثماني فأرسل اليه السلطان كتاباً يشكّره فيه على هديته ويلقبه بالرشيد ، وهو اللقب الذي عرف به في اختتام سلاطين دارفور . شقيقه : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ٢ ص ١١٨ ، وستاتي سيرته مفصلة في هذا الكتاب .

(٤) سبقت الاشارة إلى هذا اللفظ في ص ٥٤ حاشيته ٤ .

(\*) الشراتي أو الشراطي ، جمع مفرده : شراتي أو شرطاي . وهو لقب يطلق على حاكم الأقاليم . وفي ١٠٤ MacMichael. H.A. op. cit. p. أن الفور يطلقون على الشرطاي لقب « كيزو » أو « كيزونج » .

والدمالج<sup>(١)</sup> ، وأولاد السلاطين والجبائيين<sup>(٢)</sup> ، وأهل دولة السلطان ، من العرب والسودان .  
 أما بعد : فإن السلطان المذكور المبرور ، المؤيد المظفر المنصور ، تفضل وأمده  
 بمعونته ، وأعطى العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الأرض ، كائنة بأبي(٦٥)  
 الجدول ، حاوية ثلاثة حمل<sup>(٣)</sup> : حلة جو لتو والدببة وأم بعوضة ، بحدودها المعروفة ،  
 وأنجامها الموصوفة ، حسبما حدده الملك جواهر للملك خميس عرفان<sup>(٤)</sup> ، لا يعارضه فيها  
 معارض ، ولا ينزع منها منازع من أهل المملكة ، خصوصاً جبائي العيش<sup>(٥)</sup> يتصرف فيها  
 بأى نوع من وجوه التصرفات شاء ، هبة لوجه الله تعالى ، وطلبها ثواب ، في دار المأب .  
 والخذر ثم الخدر من الخلاف ، والتعرض من الخاص أو العام .

ثم إن والدى حمل أثقاله ، وأخذ ذرقيقه وسريرته وأخاه ، وتوجه وألقاني  
 في الحلة .

وفي شهر رجب سنة ١٢١٩<sup>(٦)</sup> ، قُتل الأب الشيخ محمد كراراً في حرب عظيم ،

(١) الدمالج جمع : دملج . وهو لقب يطلق على شيخ القبيلة . ويرأس  
 الشرتاي عدداً من الدمالج . والدمالج لفظ عربي معناه : السوار . وقد حور  
 الفور اللفظ إلى دلمونج وجمعه على : كلمو ، بكسر الكاف راجع :

Mac Michael, H.A. op. cit. p. 104

(٢) الجبائيون جمع جبائى أي جابى . وهو لقب يطلق على من يجيء الضرائب  
 المفروضة على أهل أقليميه . ويعرف رئيس الجبأة عند الفور باسم : ملك  
 الجبائيين Voyage au Darfour. p. 51

(٣) في الأصل : حل من .

(٤) كذا في الأصل ، وفي الترجمة الفرنسية : عرمان ، بالليم

Voyage au Darfour p. 51

(٥) العيش : بامالة العين ، معناه في اللهجة السودانية : الذرة بأنواعها ، ويعمل  
 منها الخبز .

(٦) رجب سنة ١٢١٩ هـ = أكتوبر - نوفمبر سنة ٤١٨٠ م .

وقع بينه وبين السلطان محمد فضل . وسببه : أن أعداء الأب الشيخ محمد كرما دخلوا بالفتنة والسماعة بينه وبين السلطان ، وقالوا للسلطان : إن الأب [الشيخ] يريد نزع المملكة من يدك ، ويولى عليها أخاه باسي<sup>(١)</sup> عوض الله ! فأظلم الجلوس بيهما ، واحتلال السلطان وجماعته في القبض عليه ، فلم يتيسر له ذلك . وانعزل الأب [الشيخ] [بجماعته] في بيت آخر كان له بتندلتى ، بعيد عن بيت السلطان . وأرسل له السلطان أن يأتي إليه فأبى ، فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلة لاقبض عليه وامتنع عنهم<sup>(٢)</sup> ، متعوه الماء . فكث ثلاثة أيام يستقى من جديد السيل . ثم لما اشتد العطش بجماعته قالوا له : إننا قد عطشنا ، وليس عندنا من الدواب والقراب ما يأتيانا بالماء الذي يكفيانا ، فارحل بنا إلى محل آخر نشرب منه الماء ، أو دبر لنا حيلة .

فركب حينئذ هو وعسكره ، وتوجه للرّهد ، وهو غدير الماء بتندلتى ، فوجد عليه حارساً من دولة السلطان ، مع عسكري كثيف يمنع جماعته ، وهو الملك محمد دلدن ، ابن عصّة السلطان محمد فضل ، فقتله وقتل جماعته قتلاً ذريعاً .

وسمع بذلك جماعة السلطان خرجوا عليه ، ونشب الحرب بينهما ، فانكشفت جماعة السلطان ، وكان [ذلك] ظهر يوم الخميس ، وخف السلطان على نفسه ، ففر إلى جديد السيل . وكان يوماً على السلطان وجماعته لا لهم ، وما زال الحرب بينهم حتى أمسى المساء ، فنزل [الأب] الشيخ محمد كرما بجماعته في عرض الغدير ، ونزل جماعة السلطان قبلتهم من الجانب الآخر ، حتى أصبح الصباح .

(١) باسي : لقب ، معناه في لغة الفور : عظيم أو طويل ، وعمل صاحب هذا اللقب الاشراف على أمراء البيت الملك في دارفور ومراتبة سلوكهم وتصرفاتهم . ويشترط فيمن يحملون هذا اللقب أن يكونوا من نسل السلاطين السابقين :

Nachtigal : op. cit. p. 427, S.N.R. XXXII, Part I, p. 44.

(٢) كما

وكان الأب [الشيخ] افتقد بالليل جماعته ، فوجد أخاه باسي عوض الله قد قُتل في الحرب . فحزن لذلك وقال : لم يُقتلُ وقد مات أخى وأعز الناس عندي . وكان قد أخرج معه باسي طاهر بن السلطان أحمد بُكْر<sup>(١)</sup> ، عم السلطان محمد فضل ، وبايده على السّلطنة . وتلك حيلة عملها لثلا تنفر به أهل دارفور ، لأن من عادتهم أَلَا يتولّ عليهم إلا من كان من أولاد الملك ، من (٦٧) بيت سلطنتهم<sup>(٢)</sup> .

ولما علم بقتل أخيه قال من حَوله : إني قد كرهت الحياة ، ففي غير إياكم أن تقابلونا ، بل أدخلوني في الحرب وإنجحوا أتم بأنفسكم . فحين شاع عنه ذلك ، فرَّت جميع عساكره الأبعد ، ولم يبق معه إلَّا ذُو قرابة في نَفَرٍ يسير ، تبلغ عِدَّتهم ألفاً أو أَكْثَرَ بقليل .

فلما أصبح ضُربت طبول الحرب ، وركبت جماعة السلطان ، وركب هو أيضاً في جماعته ، وأدخلوه في الحرب ، والتزم القتال ، وغاص الأب [الشيخ] في جماعة السلطان ، واخترق الصيفوف حتى لم يبقَ بينه وبين السلطان أحد ، ولو أراد قتله لفعل ، ولكن تذَكَّر معرفَ أبيه ، فمنع يده عنه ، ووقف أمامه برهةً وقال له : يا ابن الفاعلة ، أتسمع

(١) حكم هذا السلطان بلاد دارفور أربعين عاما من ١٦٨٢ إلى ١٧٢٢ م ، وأحبته رعيته لما اشتهر به من الحزم . واليه يرجع الفضل في تعميم الإسلام في بلاد دارفور . واعتنى هذا السلطان ببناء المدارس والمساجد واستقدم عددا من المشايخ من مختلف البلاد ومنهم أراضي وأعفاه من الضرائب . وجعل هذا السلطان عاصمته أحيانا في قرلى وأحيانا في مرة وأحيانا أخرى في أبو عسل ، وأخضع جمادات القمر لسلطانه . واستعان السلطان أحمد بكر بالأمراء الماليك في مصر لامداده بالأسلحة لدفع اغارات أهل وادى .

Lampen, G.D. op. cit. pp. 185.

(٢) في الأصل : سلطانتهم .

فيَ كلامَ الناسِ ، ويَكُونُ هذَا جزائِي معاكَ ؟ ! وَخَافَ السُّلْطَانُ حِينَشِدِي عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَفِرَّ ، وَنَادَى : قَدْ جَاءَ إِيمَتَلَنِي ! فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَدَارُوا بِهِ كَالْحَاتَمِ بِالْإِصْبَعِ ، وَلَمْ يَجِدْ مَعِينًا لَا مَسَاعِدًا ، فَقَاتَلَ حَسْبَ طَاقَتِهِ ، وَقُتِلَ عَدَّةً أَبْطَالٍ ، وَجُرْحٌ جِرَاحَاتٍ غَيْرَ بِالْغَةِ فَلَمْ يَكْتُرْ بِهَا ، وَخَافُوا أَنْ يَدْرِكَهُ أَحَدٌ مِنْ جَمَاعَتِهِ فَيَخْلُصَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، مَعَ أَنَّ جَمَاعَتَهُ كَلَّهَا اسْكَنَشَتْ عَنْهُ ، وَبَقَ فِيهِمْ وَحْدَهُ ، فَصَارَ يَقَاتَلُهُمْ نَحْوَ سَاعَةٍ ، ثُمَّ لَمَّا عَجَزُوا عَنْهُ (٦٨) عَقَرُوا جَوَادَهُ ، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ اسْتَطَاعَ النَّهْوُضُ لِثَقَلِهِ : لَأَنَّهُ كَانَ لَابْسًا درَعِينَ مِنَ الْحَدِيدِ ، فَتَكَاثَرُوا وَتَكَالَبُوا عَلَيْهِ بِالرَّماحِ وَالسَّبُوفِ ، حَتَّى قُتِلَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَلَقَدْ جُرِدَ بَعْدَ مَوْتِهِ فَوْجِدَ فِيهِ مَا يُنُوفُ عَنْ مَائَةَ جُرْحٍ ، مِنْ ضَرَبَةِ سِيفٍ وَطَعْنَةِ رِمَحٍ .

وَرَجَعَ ابْنُ زَوْجِهِ مُحَمَّدٌ شِيلِفُوتُ (١) ظَنَّا مِنْهُ أَنْ يَجِدَهُ حَيًّا فَيَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَوَجَدَهُ قَدْ قُتِلَ ، فَجَرَّدَ سِيفَهُ وَغَاصَ فِيهِمْ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَّةً أَبْطَالٍ وَهُوَ يَنْادِي : يَا لَثَارَاتِ [الْأَبِ] الشَّيْخِ مُحَمَّدٌ كُرَّا ! وَأَخِيرًا تَكَالَبُوا عَلَيْهِ ، وَقُتِلَ هُوَ الْآخِرُ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ مِنَ الْمَعْدُودِينَ .

وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَقْتَلَ الْأَبِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٌ كُرَّا ، فَلَنَذَكِرْ مُبَدِّأً أَمْرَهُ ، وَكَيْفَ تَرَقَّ بِهِ الْحَالُ .

وَتَتَعرَّضُ لِسَلاطِينِ دَارِفُورِ حَسْبَمَا عَلِمْنَا مِنْ ثَقَاتِهِمْ ، وَأَخْبَرْنَا بِهِ الْجَمُّونِيُّونَ مِنْ مُسْتَنِيْمِ ، فَأَقُولُ :

إِنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ فَضْلَ ، هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السُّلْطَانِ أَمْهَدِ بُكْرٍ .

(١) شِيلِفُوتُ : لفظ عَرَبِيٌّ مركبٌ مِنْ كَلْمَتَيْنِ عَامِيَتَيْنِ هُمَا : « شِيلِ » وَ « فُوتِ » ، أَيْ : احْمَلْ وَامْضِ . Voyage au Darfour pp. 54,55

قبل : إن السلطان أحمد بكر كان له من الولد سبعة بنين ، وهم : عمر<sup>(١)</sup> وأبو القاسم<sup>(٢)</sup> وريز وريفا وتيراب<sup>(٣)</sup> وظاهر وعبد الرحمن<sup>(٤)</sup> ، وهو المدعاو باليتيم ، لأن أباه مات وتركه حملًا ، فلما حضرته الوفاة جمع أرباب دولته ، وجعل ولاية العهد لجميع أولاده ، يتولّها كلّهم الأكابر فالأكابر ، وشرط ألا يتولّ هذا الأمر أحدٌ من أولادهم إلا بعد (٦٩) انقضتهم . فلما توفي تولى أكبرهم المسماً بعمر . فشك في الملك سبع سنين ، ثم قُتل في حرب كان يشنّه وبين السلطان [ محمد ]<sup>(٥)</sup>

(١) امتد حكم هذا السلطان من ١٧٣٢ إلى ١٧٣٩ م . وتذكر المراجع أنه لم يكن ابن السلطان أحمد بكر ، بل حفيده ، وأنه خلف أباه السلطان محمد دوره ابن السلطان أحمد بكر . وفي شقير : ( تاريخ السودان ) ، ج ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦ ) أن عمر هذا من أعدل سلاطين دارفور وأكثرهم محافظة على الكتاب والسنّة وفي ١٨٥-١٨٦ G.D. op. cit. pp. Lampen ، انه لقب بعمر ليله ، أي : عمر الحمار ، بسبب ما اشتهر به من عناد وقسوة .

(٢) حكم هذا السلطان من ١٧٥٢ إلى ١٧٣٩ م ، وهو ابن السلطان أحمد بكر ، وجاء بعد ابن أخيه عمر ليلة في حكم دارفور . وبدأ أبو القاسم عهده بمحاباة جماعات العبيد دون الأحرار ، وامتلاّت وظائف الإدارة والحكم بالعبيد ، فكره الناس حكمه ، وعزم على الانتقام لسلفه عمر ليله من أهل واداي . وأدى اختفاءه واسعة قتله في أثناء حربه ضد أهل واداي إلى تنصيب أخيه محمد تيراب عرش السلطنة . ولما ظهر أبو القاسم بعد شفائه على يد الأعراب الذين آزووه ، أصر رجال الدولة على أن يتنازل لأخيه عن السلطنة ، وما زالوا بتيراب حتى وافق Lampen, G.D. : op. cit. p. 186 على خنقه ودفن في مدافن السلاطين بتره

٣ و ٤) سياتي ذكر هذين السلطانين : تيراب وعبد الرحمن بالتفصيل .

(٥) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour p. 56

جَوَدَة<sup>(١)</sup> ، سُلْطَانٌ دَارُ صَلِيْحٍ<sup>(٢)</sup> الْمَسَّمَاءُ بَدَارٌ وَدَائِي<sup>(٣)</sup> وَبَدَارٌ بَرْ قُو<sup>(٤)</sup> .

ثُمَّ تَوَلَّ بَعْدَهُ أخُوهُ أَبُو القَاسِمَ ، فَكَثُثَ ثَمَانَ سَنِينَ ، وَقُتُلَ فِي الْحَرْبِ مَعَ سُلْطَانِ بَرْ قُو أَيْضًا .

ثُمَّ تَوَلَّ بَعْدَهُ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ تِيرَابُ ، فَكَرِهَ الْحَرْبَ وَأَقَامَ فِي بَلْدَهُ آمِرًا نَاهِيًّا سُلْطَانًا ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . [وَ] إِنَّمَا سُمِّيَ تِيرَابَ أَرْضِ الشَّامَ ، لِأَنَّ الْفُورَ يَسْمَعُونَ أَنَّ أَرْضَ الشَّامِ مُخْصَبَةَ ، وَأَنَّهَا مِنْ أَرْضِ الْجَنَّةِ ، سِيَّا وَفِيهَا الْمُحْشَرُ . وَهِيَ عُشُّ الْأَنْبِيَاءَ . فَلَقَّبُوهُ بِهَذَا الْقَلْبَ ، لِصِدْرُ الْأَفْعَالِ الْجَيْلَةِ مِنْهُ ، كَمَا أَنَّ أَرْضَ الشَّامِ نَبَاتُهَا كَلْمَهَا جَيْلَ ، وَمَعْنَى التِّيرَابِ بِلِغَتِهِمْ : الْحَبُوبُ الَّتِي تُرْزَعُ فِي التُّرَابِ ، [وَ] الَّتِي يُعْبَرُ عَنْهَا أَهْلُ مَصْرَ بِالْتَّقَاوِيِّ . وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ بِالْزَّرِيعَةِ . وَلَقَّبُوهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا كَرِيمًا حَلِيبًا ، وَاسِعَ

(٢١) كانت الأقاليم الواقعة بين كردفان وبحيرة تشاد خاضعة لحكم التجور ، ثم قامت على أنقاض دولة التجور في القرن السابع عشر للميلاد ثلاثة ممالك إسلامية هي من الشرق إلى الغرب : سلطنة دارفور وسلطنة وادي وسلطنة باجرمي . أما سلطنة وادي فتأسست حوالي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) على يد أسرة من قبيلة الجوماعة تعرف بالجسمير بقيادة زعييمهم وودا . ثم دخل هذا الرعيم مدة في خدمة ملك التجور واستطاع حفيده عبد الكريم أن يقضي على حكم التجور سنة ١٦١١ م وأن يؤسس دولة اشتهرت باسم وادي نسبة إلى جده وودا . وخلف السلطان عبد الكريم من سلالته عدة سلاطين منهم السلطان محمد جودة الذي عرف كذلك باسم محمد صليح أي المخلص وذلك لأنَّه نجح في صد هجوم قام به أبو القاسم سلطان دارفور (١٧٣٩ - ١٧٥٢ م) وغدت بلاده تعرف كذلك باسم دار صليح أو دار وادي

Barth H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa, III, pp. 528-530.

Cf, Palmer, R. : The Bornu Sahara and Sudan, p. 102.

(٤) سبقت الاشارة إلى أن البرقو من سكان وادي ، وأن جماعة منهم هاجرت إلى دارفور . وقد تعرف بلاد وادي كذلك ببلاد برقو نسبة إلى سكانها .

الصدر ، جيد التدبير ، شفوقاً<sup>(١)</sup> على المساكين . وكان إناءة<sup>(٢)</sup> ، وكان فيه محبون ، يحبُّ  
الزينة وأنواع الملابس .

وكانت أيامه كلها خصباً وذمةً ورخاءً أسعار . إلا أنه<sup>(٣)</sup> آخر أمره كرهته  
الناس ، لظلم أولاده ، لأن له ما ينوف عن ثلاثة ولداً ذكرًا<sup>(٤)</sup> غير الإناث . فصاروا  
يركبون ويحوسون خلال البلاد ، وكلما سمعوا بشيء جميل أخذوه من (٧٠) صاحبه ،  
ويتكلّفون الرعية ما لا تطيق ، حتى كان فيهم ابنٌ له يقال له : مساعد ، كان من عترة  
وتبحث به يأبى أن يركب الخيل ، بل كان يركب ظهور الآدميين . فكلما وجد شابًا  
أمر بالقبض عليه وركبه حتى أعياه ، وربما سافر السفر البعيد ، لا يركب فيه جواداً  
ولا حماراً ، بل ينتقل على الناس حتى ينتهي سفره . وإذا لم يجد غريباً ركب [رجل][٥]  
من جماعته ، وكانت الرعية ترفع شكایتهم لأبيهم ، فكان لا يشكُّون<sup>(٦)</sup> ولا يقبلون منهم  
[شکایة] . بل ربما غضب وقال : إن هذا فهو العجب . إقليم مثل هذا لا يتحمل  
أولادى ، وكلما عملا صغيراً يشكُّون إلى ! فلما رأى الناس ذلك أبطلت الشكوى ،  
ورفت أمرها إلى الله عز وجل .

وكان قد ولَّ المناصب الجليلة لأقارب أزواجه ، فكانت جميع وزرائه أقارب  
زوجاته ، وكان أكبر أولاده إسحاق المسمى بالخليفة .

(١) كذلك ، وهو خطأ شائع ، والصواب شفيقاً .

(٢) كذلك بالأصل ، ولعل المقصود : ذا آناء .

(٣) في الأصل : أن .

(٤) في الأصل : ولد ذكر .

(٥) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 57

(٦) كذلك .

وكان إسحاق المذكور شجاعاً مهاباً، ذا رأيٍ وحزم، إلا أنه كان فيه نوعٌ من الظلم وجَّرَهُ . وسبب تسميته بالخليفة: أنَّ آباءَ جعلَه خليفةً بعده، ولقبَهُ بهذا الاسم، وجعلَ له دولةً كدولته، وزيراً كوزرائه . فكُلُّ وزيرٍ كبيرٍ له ولد، كانَ السلطانُ يأمره أنْ يأتي بابنه للخليفة، ليكونَ عنده بمنزلةِ أبيه عندَ السلطان، ومكثَ على ذلك مدةً، حتى سافرَ السلطانُ تيراب (١) إلى كوردفال (٢)، وأبقاءَ خليفةً في دارفور، كما يأتي بيانُه إن شاءَ الله تعالى .

وكانَ السلطانُ تيراب يحبُّ الملاعةَ والانبساطَ، حتى كانت الشبان تلعبُ مع البناتِ أماته، أى يرقصنَ البناتُ والشبان، وهو ينظرُ إليهم . فمما اتفقَ أنْ جاءت أماته طائفةً من البرقد (٣)، وهم قبيلةٌ من السودانِ لهم رقصٌ معلومٌ، يسمى: تندنجيَّه (٤) . ومن عاداتهم إذا تعبوا من الرقصِ، تجلسُ كلُّ فتاةٍ وشابٍ معاً على حِلةٍ . فلعبوا حتى تعبوا، وتفرقوا وجلسوا على عاداتِهم، فقالَ الشابُ للفتاة: أترضى (٤) أنْ تكونَ لكَ زوجاً؟ قالت: نعم، ما الذي تعطيني من المهر؟ فقالَ لها: أنا رجلٌ فقيرٌ، ولا أجد شيئاً أعزَّ من المقابلةِ لنا هذا! وأشارَ إلى السلطانَ، وكانَ السلطانُ جالساً على كرسيٍّ، مقابلاً لها . فقالَ الفتاة: قد رضيتُ . ونظرَ السلطانُ

(١) في الأصل كوردفال بالواو واللام، وقد حذفنا الواو لأنها ستترد كثيراً بدونها بعد ذلك . أما الصيغة المتداولة في الوقت الحاضر فهي كردفان بالنون .

(٢) البرقد: قبيلة تسكن شمال وشرق قبيلة الداجو، بين جبل حرير ومنطقة الرزيقات . وتسكن شعبة منهم على مسيرة يوم شمال شرقى مدينة الفاشر، وشعبة أخرى في وادى: ويقول بارت: إنهم من أصل زنجي . انظر .

Mac Michael, H.A. : A. History of the Arabs in the Sudan, Vol, I, pp. 77-79

(٣) في الأصل: تندكه بكاف فوقها ثلات نقط .

(٤) كذا بدل: أترضين .

لإشارتهم له ، فدعا بهما ، فلما مثلا<sup>(١)</sup> بين يديه سألهما عن ذلك ، فقال الشاب : إني سألت محبوبتي هذه في أن تزوجني فرضيتك ، وطلبت مني المهر ، فقلت : لا أملك شيئاً أعز من هذا المقابل لي . وأشارت إليك . فانبسط لقوله وقال : أرضيت بي مهراً لها ؟ قال : نعم . فقال السلطان : أترضيني<sup>(٢)</sup> بالفداء وأنا أفدي نفسى ؟ قالت : نعم ، أرضى . فدعا بأبيها وخطبها منه ، وعقد له عليها ، وأمهرها جاريتين ، وأعطى الرجل<sup>(٣)</sup> عبداً ، وأمر لها برق يعيشان منه<sup>(٤)</sup> . وهذا نهاية مكارم الأخلاق ، إذ لا شيء أعظم من جمع بين متحابين في الحال .

ومن ذلك ما حُكى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه كان في أيام خلافته يطوف في المدينة المنورة بالليل ، ليقف على أحوال الناس ، ويعلم مظلومهم من ظالمهم<sup>(٥)</sup> . وبينما هو في طوفه ، إذ سمع جارية تغنى وتقول ، شعراً من الكامل :

وهويته من قبل قطع تميّت  
متايساً مثل القصيب الناعم  
فسكان نور البدر يشبة وجهه  
ينغيب ويبعد من ذواقة<sup>(٦)</sup> هاشم  
فطرق — رضي الله عنه — الباب ، وقال لها : من هويت ؟ فقالت : إليك عنّي .  
قال : لا بد وأن تعلمي . فقالت له : بحق صاحب القبر إلا انصرفت عنى . فقال : والله لست بزائل من مكانى هذا حتى تُعلمي .

(١) في الأصل : مثلا ، بضم الميم .

(٢) كذا .

(٣) في الأصل : فيه .

(٤) في الأصل : ظالم .

(٥) في الأصل : ذواية .

(٦) كذا ، والشرط على هذه الصورة من الطويل لامن الكامل .

فَتَسْفَسْتُ الصَّدَاءَ ، وَقَالَتْ :

وَأَنَا الَّتِي قَرَحَ الْغَرَامُ بِقَلْبِهَا فَقِيلَتْ<sup>(١)</sup> يَحْبُّ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ .  
فَقَالَ لَهَا : أَحْرَةً أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : لَا ، بَلْ مُلُوكَةً . فَقَالَ : مَنْ ؟  
قَالَتْ : لَعْلَانَ . [ وَسَمِّيَتْهُ لَهُ . فَتَوَجَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا أَصْبَحَ سَأْلُ عَنْ مُحَمَّدِ  
ابْنِ الْقَاسِمِ ، فَوُجِدَهُ غَازِيًّا بِالْعَرَاقِ . فَأُرْسِلَ إِلَى مَوْلَاهَا وَاشْتَرَاهَا مِنْهُ ، وَأُرْسِلَهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ  
الْقَاسِمِ بِالْعَرَاقِ ، وَكَتَبَ لَهُ الْقَصَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاعْلَمْ بِأَنَّهُ كُمْ ماتَ بِهِنَّ سَقِيمَ ، (٧٣)  
وَعَطَبَ بِهِنَّ سَلِيمَ !

وَمِنْ ذَلِكَ مَا حُكِيَ أَنَّ<sup>(٢)</sup> سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَالِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ غَيُورًا عَلَى النِّسَاءِ  
جَدًّا ، حَتَّى أَنَّهُ رَبِّمَا سَنَكَ دَمَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ نَظَرَ لِبَعْضِ مَحَاظِيهِ نَظَرَ عِشْقٍ .  
فَأَنْفَقَ لَهُ أَنْ أَخْضُرَ مُغَنِيًّا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَكَانَ فِي النَّهَارِ ، فَأَجْلِسَ الْمُغَنِيَّ تَحْتَ السَّرِيرِ  
وَأَمْرَهُ أَنْ يَغْئِي ، وَاسْتَلَقَ عَلَى ظَهُورِهِ عَلَى السَّرِيرِ ، وَكَانَتْ مَعَهُ جَارِيَةٌ تُرُوحُ عَلَيْهِ مِنْ شَدَّةِ  
الْحَرِّ ، فَأَخْذَهُ النَّوْمُ ، فَرَفَعَ الْمُغَنِيَّ رَأْسَهُ عَلَى حِينَ غَفَلَةٍ ، فَرَأَى الْخَلِيفَةَ قَدْ نَامَ ، وَالْجَارِيَّةُ  
تُرُوحُ عَلَيْهِ . فَتَأَمَّلَهَا فَوْجَدَهَا كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ ، فَأَفْتَنَتْهُ بِهَا ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّكْلِيمِ  
خَوْفًا مِنَ الْخَلِيفَةِ ؛ فَانْهَمَلَتْ دَمْوَعَهُ ، وَهَاجَ وُلُوعُهُ ، فَأَخْذَ قَرْطَاسًا وَكَتَبَ فِيهِ ، شِعْرًا مِنَ  
الْكَاملِ<sup>(٣)</sup> :

إِنِّي رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ ضَجِيعَتِي  
مُسْتَرِشَفًا مِنْ رِيقِ فَيْكِ الْبَارِدِ  
وَكَانَّا وَكَانَّا بِنَنَّا جَمِيعًا فِي فِرَاشِ وَاحِدٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : فَتَنَتْ ، بِسَكُونِ النَّوْنِ وَضَمِّ النَّاءِ الثَّانِيَةِ .

(٢) كَذَا ، وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الْاستِعْمَالُ فِي مَوَاضِعِ أُخْرَى .

(٣) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : الرِّجْزُ .

لِمْ أَلْقَاهُ عَلَيْهَا ، فَأَخْذَتْهُ وَقَرَأَتْهُ ، وَكَتَبَتْ لَهُ فِيهِ ، مِنَ الْكَامِلِ (١) :

سَنَنَالهُ مِنِّي بِرَغْمِ الْحَاسِدِ  
خَيْرًا رَأَيْتَ ، وَكُلُّ مَا أَمْلَقْتَهُ  
وَتَبَيَّنَتْ بَيْنَ خَلَالِي وَدَمَاجِي  
وَنَكَوْتُ أَولَى صَاحِبِينِ تِلَاقِيَا

رَغْمَ الزَّمَانِ بِلَا مُخَافَةٍ حَاسِدِ  
ورَمَتْ الْقَرْطَاسَ إِلَيْهِ ، فَالْتَّقَفَهُ (٢) الْخَلِيفَةُ قَبْلَ أَنْ يَصُلَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا قَرَأَهُ احْمَرَّتْ  
عَيْنَاهُ ، وَكَادَ يَتَمَيَّزُ غَيْظًا ، وَقَالَ : مَا هَذَا كُلُّا عَلَى مَا صَنَعْتَهُ ، أَحُبُّ (٧٤) قَدِيمٌ بَيْنَكَا ؟  
أَمْ عَشَقْتُ خَامِرَكُوَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ فَقَالَ : بَلْ وَاللَّهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا بِهِ عَهْدٌ  
قَبْلَ ذَلِكَ . وَانْهَمَّتْ دَمَوْعَهَا ، فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا ذَلِكَ رَقَّهَا ، وَقَالَ لِلْمُغْنِي : خَذْهَا  
وَلَا تَعْدُ تَقَارِبُنَا . اسْتَعِنْ .

فَعَاشُ السُّلْطَانُ تِيرَابُ مَدِيدَةً كَمَا ذَكَرْنَا ، وَأَكْثَرُهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالسَّرَّارِي ،  
حَتَّىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَتِينَ ذَكَرَّاً رَاكِبِينَ الْخَيْلَ ، غَيْرَ الْإِنَاثِ وَالصَّغَارِ .  
وَفِي أَيَّامِهِ تِلْكَ خَدَمَهُ [الْأَبُ] الشِّيْخُ مُحَمَّدُ كُورَكُوا ، وَكَانَ غَلَامًا مِرَاهِقًا ، فَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ  
فِي الْكُورَكُوا (٣) ، أَىٰ : أَهْلُ الْحَرَبِ . أَىٰ : يَكُونُ مَعَ الجَمَاعَةِ الَّتِي يَحْمَلُونَ الْحَرَابَ خَلْفَ  
السُّلْطَانِ ، حِينَ يَرْكِبُ وَحِينَ يَجْلِسُ لِلْحُكْمِ . وَلَا خَصُوصِيَّةٌ لِلْسُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ ، بَلْ كُلُّ  
مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْفُورِ ، وَقَائِدٍ مِنْ قَوَادِهِمْ ، لَهُ جَمَاعَةٌ يَحْمَلُونَ الْحَرَابَ خَلْفَهُ ، حِينَ يَرْكِبُ

(١) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : الرِّجْزُ .

(٢) التَّقَفَهُ : تَنَاوَلَهُ بِسُرْعَةٍ .

(٣) يُطْلَقُ اسْمُ كُورَكُوا فِي دَارْفُورِ عَلَى حَامِلِ الْحَرَابِ وَهُمْ حَرَسُ السُّلْطَانِ أَوْ غَيْرُهُ  
مِنْ الْوَلَاةِ وَالشَّرَاطِيِّ وَالدَّمَالِجِ ، وَيُطْلَقُ كَذَلِكَ عَلَى الْفَرْقَةِ الْمُوسِيقِيَّةِ الْمُلْحَقَةِ بِقَصْرِ  
السُّلْطَانِ وَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْحُكَامِ كَذَلِكَ . فَمِنْ الْكُورَكُوا : الْمُغْنُونُ وَنَافِخُو  
الصَّفَافِيرِ وَضَارِبُو الطَّبُولِ وَمَنْ يَلِيهِمْ Voyage au Darfour, pp. 62, 161, 178  
وَفِي (٥٩) XXXIII, I, p. 59. (Arkell: S.N.R.) أَنَّ الْكُورَكُوا كَانُوا مِنْ طَبَقَةِ الْعَبْيِيدِ .

أو يجلسُ للحُكْمِ ، يُسَمُّونَ : كُورُوكُوا . ويرونَ أَنَّ ذلك من قَمَّا نظامِ الْمُلْكِ ، حِفْظًا للنَّامُوسِ ، وَهِيَةً لِلْمُخْدُومِ فِي قُلُوبِ رَعَايَاهُ .

فَدِمْ [الأَبْ] الشَّيْخُ مُحَمَّدُ كُرَا فِي تِلْكَ الْخِدْمَةِ مَدَّةً ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ عَلَامَاتُ النِّجَابَةِ ، فَأَحَبَّهُ السَّلَطَانُ تِيرَابُ ، وَنَقْلَهُ إِلَى « سُوْمِينْدُولَهُ » ، وَالسُّومُ ، هُوَ : الدُّرَا<sup>(١)</sup> ، وَ« يِنْ » هُوَ عَلَامَةُ الْإِضَافَةِ . وَ« الدُّولَهُ » هُوَ الْعِيَالُ . وَ« الدُّرَا » بِلِغْتِهِمُ الْعَرَبِيَّةَ : اسْمُ الْمَحَلِّ أَوِ الدَّارِ . وَأَهْلُ « سُوْمِينْدُولَهُ » هُمُ الْأَمْنَاءُ عَلَى مَصَالِحِ الْمُخْدُومِ ، يَرْسُلُهُمْ فِي أَسْرَارِهِ . [وَرَئِسُهُمْ (٧٥) أَعْظَمُ مَقَاماً مِنْ رَئِيسِ كُورُوكُوا .

فَأَغْنَى فِي خَدْمَتِهِ ، حَتَّى أَنَّ السَّلَطَانَ كَانَ لَا يَنْادِي فِي أَكْثَرِ حَوَاجِهِ غَيْرَهُ .

خَسَدَهُ بَعْضُ أَهْلِ الدَّارِ ، فَسَعَى بِهِ إِلَى السَّلَطَانِ قَائِلاً<sup>(٢)</sup> : إِنَّ مُحَمَّدَ كُرَا خَائِنٌ غَدَّارٌ ، وَأَنَا أَرَاهُ يَمْحُكُمْ هُوَ وَفَلَانَةُ الْحِظْيَّةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَتَأْتِيهِ بِالطَّعَامِ الْجَمِيلِ ! فَعَصَبَ السَّلَطَانُ لِذَلِكَ ، وَهُمْ بِالْبَطْشِ بِهِ . فَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى كُرَا ، فَأَخْذَ مُدِيَّةً وَاخْتَلَى بِنَفْسِهِ فِي حِجْرَةِ ، وَاسْتَأْصَلَ مَذَاكِيرَ نَفْسِهِ بِيَدِهِ ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى السَّلَطَانِ ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَأَلْقَاهَا بَيْنَ يَدِيهِ وَقَالَ : إِنَّمَا قَيلَ فِي مَا قِيلَ لِمَصَاحِبِي هَذِهِ ، وَهَا أَنَا قَدْ اسْتَأْصَلْتُهَا لَثَلَاثًا يَبْقَى فِي قَلْبِي مَوْلَايِي مِنْ رِيبٍ . ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَرَحِمَ السَّلَطَانُ وَأَمْرَ بِمَداوَاتِهِ ، فَعَوَجَ حَتَّى بَرِيٌّ .

ثُمَّ إِنَّ السَّلَطَانَ أَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ صُحبَةَ الْأَمْنِينِ<sup>(٣)</sup> عَلَى وَدْ جَامِعِ أَحَدِ الْوِزَارَاتِ

(١) فِي الْأَصْلِ : الدَّارِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : قَائِلٌ .

(٣) كَانَ مَجْلِسُ السَّلَطَانِ أَوْ فَانِسِهِ يَضْمِنُ حَوَالَى اثْنَيْ عَشَرَ وزِيرًا مِنْ بَيْنِهِمُ الْأَمْنَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَيِ الْوِزَارَاتِ الْعَظَامِ وَرَئِسِهِمُ الْأَبُ الشَّيْخُ وَهُوَ الْوِزَيرُ الْأَعْظَمُ (Balfour-Paul, V.G. op. cit p. 18)

العظاء<sup>(١)</sup>، ووصى عليه الأمين المذكور ، بأن قال له : خذ هذا الغلام إلى دراك ، واعتن به وأكرمه ، وإياك أن تهان به ، فإني أرجو أن يخلفك في منصبك .

فأخذه الأمين على مخصوص منه ، ووضعه في سوميندقله<sup>(٢)</sup> ، كما كان عند السلطان . وقد ذكرنا قريباً أن أهل سوميندقله هم الأمانة على المصالح المهمة ، يرسلهم الخدوم في أسراره .

جلس كرماً في ذلك محل مدة ، وكان لا يغيب عن باب مخدومه . وكلما نادى الأمين على أحد من أهل (٧٦) سوميندقله يحييه محمد كرما ، بل ربما لم يوجد غيره ، فكان يرسله في قضاء مصالحة ، وكان من عادته ألا يذهب لقضاء مصلحة إلا نجح

---

= عمل خاص في الحكومة المركزية . فأمين لشئون العسكر السلطاني وأمين لأموال السلطان وخزائنه ، وأمين لشئون الخيل والدواب ، وأمين للأسلحة . ويقوم مجلس الأمانة - فضلاً عن مساعدة السلطان في تدبير شئون الدولة - باختيار السلطان الجديد عقب وفاة السلطان بعد استشارة وجوه القوم حسبما يقضى به الرسم في وراثة عرش السلطنة . وللأمانة مجلس للحكم وحرس وأمناء على مصالحة الخاصة مثل السلطان ما عدا شارات الملك وكل منهم اقطاع خاص وجيش خاص كذلك .  
Voyage au Darfour, pp. 64, 65, 71, 84, 85, 173, 174.

(١) المقصود بالوزراء العظام هنا وزراء السلطان في دارفور ويلاحظ أن الرسم جرى في سلطنة دارفور على أن يكون لحكام الأقاليم كالشراطى مثلاً نظام حكومى على غرار نظام السلطان ، يحمل موظفوه فى الغالب نفس الألقاب التى يحملها موظفو السلطان فى العاصمة ١٠٥- ١٠٤ cf. MacMichael, op. cit. pp.

(٢) أى : وضعه في سوميندقله الخاص به أى بالأمين . ولعل أهم عمل السوميندقلة تربية أبناء السلطان والأمراء وأفراد البيت المالك تربية تؤهلهم - فيما بعد - للإقطاع بأعيان الحكم . والسومنيدقلة كاتم أسرار السلطان وبعوته الخاص . ويلاحظ أنه كان لكل من كبار رجال الدولة سوميندقلة خاص ، يؤدى عمل سوميندقلة السلطان . وعلى جماعة سوميندقلة رئيس يعرف بملك سوميندقلة وهو « عظيم القدر ذو أبهة عظيمة واقتاع »

Voyage au Darfour, pp. 62, 63, 64, 174.

وأغنى فيها ، فأحبّه الأمينُ قهراً عنه ، لما رأى من كفایته ، فجعله ملكاً<sup>(١)</sup> على أهل سو ميندقله ، وميزة عنهم ، فصارت جميع الخدمـة تحت يده ، يأمرون بأمره .  
وحين ولى هذا المنصب اجتهد في الخدمة زيادةً مما كان عليه ، لازم باب خدومه ، وكان في الأمين نوع إهال للأمور .

منه : أنه كان يأتيه من الطعام وقت الغداء والعشاء ، ما ينوف عن ألف إماء ، فكان لا ينفك إلى ذلك ، بل كان يأتيه هو ومن معه ما يكفيهم ، والباقي توزعه الخدمة بغير ترتيب ، وكثير من الآنية ما يرجع إلى الحرير ملاـنا<sup>(٢)</sup> ، فالتفت محمد كرما إلى ذلك ، ورتبه أحسن ترتيب ، وهو أنه كان يبعث الخدمة في أتباع سيده ينظرون من عينده ضيف منهم ، فيأتونه بالأخبار ويقولون : فلان عنده ضيف ، وفلان . وهـم جـرا .

فكان إذا حضر الطعام ، اختار لخدومه من أحسنـه ما يكفيه هو ومن معه ، ثم يوزع على الخدمة كفـايتـهم ، ثم يوزع الباقـى على محل الضـيوف ، كل منها على حسب حالـه في المرتبـة والـغـنى والـجـاهـ والـعـلـمـ ، ويوصـىـ الحـامـلـينـ أنـ يـقـولـواـ : إنـ الأمـينـ أرسـلـ لـكـمـ هـذـاـ ضـيـافـةـ . والأـمـينـ لاـ يـعـلـمـ شـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ . فـصـارـتـ النـاسـ تـشـكـرـ الـأـمـينـ وـتـتـمـدـحـ بـهـ . (٧٧) وـحـينـ يـأـتـونـ إـلـيـهـ يـقـولـونـ : جـزـالـكـ اللـهـ خـيـراـ . أـرـسـلـتـ لـنـاـ الضـيـافـةـ الـعـظـيمـةـ ، فـلـاـ يـوـجـدـ نـظـيرـكـ فـيـ أـمـنـاءـ السـلـاطـانـ . وـيـشـنـونـ عـلـيـهـ عـيـنةـ وـحـضـورـاـ .

فـكـانـ الـأـمـينـ يـتـعـجـبـ مـنـ ذـلـكـ وـيـقـولـ : هـؤـلـاءـ يـشـنـونـ عـلـىـ ، وـيـقـولـونـ إـنـ أـرـسـلـتـ لـهـمـ الطـعـامـ ، مـعـ أـنـيـ لـمـ أـفـلـ شـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ ، لـأـنـهـ لـاـ يـعـلـمـ سـبـبـهـ . وـبـقـىـ مـتـحـيـراـ ،

(١) المقصود بالملك هنا رئيس جماعة سوميندقله .

(٢) كما

كيف يعلم سبب ذلك ، حتى اتفق له أن كان في الحرير عند المساء ، وجاء خارجاً إلى الديوان ، فرأى محمد كرما يوزع الأطعمة . فلما أحسن بذلك تربس وأكمن<sup>(٢)</sup> في محل ، فسمع [الأب] الشیخ محمد [كرما] يقول للخدمة : كم في بيت الملك فلان من الضيوف ؟ فقالوا له : كذا وكذا . فقال : احملوا لهم كذا وكذا إناء ، وقولوا لهم : قد أرسل هذا العشاء الأمين . حتى وزع الطعام كلها . فقال : من هنا جاء العمل . فضَّنَ به وأكرمه ، وأعلى رتبته ، وجعله [ملكاً]<sup>(٣)</sup> على السُّكُوريات . وفي عُرْفِهم : هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة ، وهو منصب جليل عندهم ، وإن كان في عُرْفِ غيرهم لم يخرج عن كونه رئيس السياسات .

وأقام محمد كرما في صحبة الأمين على هذه الحالة ، حتى سافر الأمين على إلى كردفال ، صحبة السلطان تيراب ، وسافر معه [الأب] الشیخ محمد كرما .

#### سبب سفر السلطان محمد تيراب إلى كردفال<sup>(٤)</sup>

قد حكى لي الثقة العارف بالأنساب أنَّ السلطان سلونج<sup>(٥)</sup> (٧٨) المدعو سليمان ، الجد الأول لسلطين دارفور ، كان له أخ يقال له : المستبع ، فاقتسم هو وأخوه الإقليميين

(١٢) كذا ، بالسين في الكلمة الأولى ، والهمزة في الثانية ولعلهما لهجتان ، بدل : تربص وكمن .

(٣) هذه الزيادة عن الترجمة الفرنسية ٦٦ Voyage au Darfour, p.

(٤) انظر حاشية ١ ص ٧٦ .

(٥) في الأصل : بفتح السين ،

والسلطان سلونج أول سلاطين دارفور الذين حكموا البلاد من حوالي منتصف القرن السابع عشر الميلادي إلى سنة ١٩١٦ م ويحيط بتسلُّب هذا السلطان الغموض . فشم رواية تقول أنه عربي من بنى هلال وأنه اتصل بال الفور عن طريق المصاورة . ورواية أخرى تقول أنه ابن أحمد المعكور من بنى هلال أيضاً أو من سلالته . ورواية ثالثة تقول أنه سبق حكم سليمان أربعة عشر سلطاناً يحملون =

فأخذ السلطان سليمان إقليم دارفور ، وأخذ المُسَبَّع إقليم كردفال . وتعاهداً ألا يخون أحدٌ منهما صاحبه ، فبقيا كذلك ، حتى في زمنُ السلطان محمد تيراب .

كان الوالي على كردفال من أولاد المُسَبَّع ، السلطان هاشم المُسَبَّعِاوي ، وكان فيه شهامةً وشجاعةً ، وإقدام على الأمور الشاقةً . فأكثر الغزواتِ على بلاد التروج<sup>(١)</sup> والعرب البدية ، حتى صار ذا مالٍ عظيم ، وصار عنده من العبيد ما ينوفُ عن عشرة

= أسماء عربية . ومما زاد هذه الروايات اضطراباً ادعاء كل من الكنجارة والتنجور الانتساب إلى بنى هلال . والراجح أن الكنجارة - وهم خليط من العرب والغور - صاحروا التنجور ، ونشأ عن هذه المصاهرة ظهور أسرة كيرا التي انتزعـت حكم دارفور من التنجور . وكان السلطان دالي أول سلاطين هذه الأسرة ثم خلفه ابنه كورو ثم سليمان بن كورو . وهو سليمان سلونج . ومما يؤيد اتصال سليمان بالنسبة العربي أن لقب سلونج في لغة الفور معناه « العربي » أو « من يتكلـم اللغة العربية » أو « من يدين بالاسلام دين العرب » . وكيفما كان الأمر فالمعروف أن سليمان سلونج خاض غمار ٣٣ معركة استطاع بعدها أن يعيـد للبلاد وحدتها وأن يخضع لسلطانه جمـاعات البرقد والزغاوة والبرتي والبيقو وبعض جمـاعات المسـالـيط . كما قضـى على حركة قـام بها التنجور لاسترداد ملـكـهم . به نفرـغ لبناء سـلطـنته على أسس سـليمـه باستثنـاف حـركة نـشر الـاسـلام الـتـي يـحـتمـلـ أنـ يـكونـ أـصـابـهاـ الرـكـودـ خـلالـ الحـربـ الدـاخـلـيةـ . وـتـوـفـىـ سـنةـ ١٦٧٠ـ وـدـفـنـ فـيـ تـرـةـ ، فـخـلـفـهـ اـبـنـهـ مـوسـىـ .

أـظـرـ :

MacMichael, H.A. op. cit. p. 92, Lampen, S.N.R. XXXI, II, pp. 183-185.

Arkell, S.N.R. XXXIII, II, pp. 266-268.

نعمـ شـقـيرـ : (ـتـارـيـخـ السـوـدـانـ ، جـ ٢ـ ، صـ ١١٤ـ - ١١٥ـ ) .

C.F. Nachtigal, op. cit. pp. 356-360

Slatin, Fire and Sward in the Sudan, p. 38

(١) كانت جبال نوبا بجنوب ووسط كردفان - ولاسيما منطقة جبل تقلـي زـمنـ المؤـلـفـ - تـعـرـفـ بـبـلـادـ التـرـوـجـ ، حيثـ دـأـبـ السـلـطـانـ تـيرـابـ عـلـىـ جـلـبـ اـعـدـادـ منـ الرـقـيقـ أـسـكـنـهـ بـجـوارـ مـديـنـةـ كـبـكـابـيـةـ . وـعـرـفـ أـوـلـئـكـ الرـقـيقـ المـجلـوبـونـ

ابـانـثـذـ بـاسـمـ العـبـيـدـيـةـ MacMichael, H.A. op. cit. p. 90

آلاف عبد حامل للسلاح . واجتمعت عليه أوباش<sup>(١)</sup> الناس من الدنائلة<sup>(٢)</sup> والشايحية<sup>(٣)</sup> والكبايش<sup>(٤)</sup> وعربي الرزقيات<sup>(٥)</sup> ، حتى صار في جندي كثيف .

(١) في الأصل : ارباش

(٢) الدنائلة : احدى المجموعات النوبية الخمس ، وتسكن المنطقة الممتدة على طول النيل ما بين بلدتي الدبة وأبو فاطمة . ويتكلم الدنائلة – إلى جانب اللغة العربية – لهجة نوبية تشبه لهجة الكنوذ في الشمال . ويشبه الدنائلة في مظهرهم الطبيعي جيرانهم العرب البديرية ، بسبب كثرة الدماء العربية التي تجري في عروقهم . محمد عوض محمد : (السودان الشمالي ص ٣٠٢) .

(٣) كذا في الأصل بالجيم والشايقية : أبناء عمومه العرب الجعليين . وتمتد أوطانهم على طول ضفتي النيل من نهاية الشلال الرابع إلى مصب وادي الملك . ويصف ماكمياكل الشايقية بأنهم يمتازون بغلبة النزعية العسكرية عليهم والميل إلى المغامرة . وكان الشايقية فيما مضى تحت حكم أربعة مكوك منهم خاضعين للعبد الالاب في مدينة قرى . ثم انتهوا فرصة النزاع الداخلي بين الفونج والعبدالالاب ونزلوا استقلالهم . أواخر القرن السابع عشر الميلادي . وفي خلال القرن الثامن عشر أغار الشايقية على بلاد النوبة حتى أرغموا كثيرا من سكانها على هجر أوطانهم ، ووصلوا في أغارتكم غربا إلى كردفان

MacMichael, H.A. op. cit. pp. 213-220.

(٤) الكبايش : من أعظم القبائل الأبالة وأكثرها شهرة في السودان . ويمثل الكبايش – إلى جانب الأبل – أعدادا ضخمة من الضأن وهي أصل ثروتهم ولذا سموا الكبايش . ويمثل وادي الملك المحور الأساسي لأوطانهم الواقعة كلها شمالي خط عرض ١٤ شمالا . وليس للكبايش حدود واضحة في الشمال . أما في الغرب فأنهم يقتربون في تجواهم من حدود دارفور ، ويقتربون شرقا في فصل المفاقت من أقليم دنقلا على النيل . وينتمي الكبايش إلى بطون عربية من جهةينة مختلطة بعناصر قديمة من بينها البيجة والنوبيون (المنج) وهؤلاء لا تتجاوز نسبتهم ٣٠٪ كما يبدو من أسماء بعض البطون ذات الصبغة الحامية . MacMichael, H.A. op.cit. pp. 307-315

محمد عوض محمد : (نفس المرجع ، ص ٢٤٠ - ٢٤٥)

(٥) الرزقيات من أكثر قبائل البقارة في دارفور ثروة وأسدها قوة . وموطنهم بأقصى جنوب شرق دارفور . وهم رعاة ماشية . وينقسمون إلى ثلاث شعوب : الماهيرية والمحاميد والنوايبة وهناك ثلاثة قبائل بهذه الأسماء في شمال دارفور ، وكلهم رعاة أبل (أبالة) وبعض الرزقيات يعيش على حدود وادى

Mac Michael. H.A., op. cit. pp. 290-92

فطمَتْ نفْسُهُ فِي تَمْلِكِ دارفور ، وَاسْتَشَارَ أَرْبَابَ دُولَتِهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَن يَثِّ السَّرَايَا أَوْ لَاً عَلَى أَطْرَافِ الْبَلَادِ ، لِيُضْعِفُوا أَهْلَ مَلَكَةِ دارفور ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا . فَسَمِعَ قَوْلَمَ وَبَثَ السَّرَايَا عَلَى أَطْرَافِ مَلَكَةِ دارفور ، فَقَتَلَتْ وَسَبَتْ وَاغْتَمَتْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً . فَأَرْسَلَ السَّلَطَانُ تِيرَابَ إِلَى السَّلَطَانِ هَاشِمَ يَقُولُ لَهُ بَعْدَ السَّلَامِ : يَا ابْنَ عَمِّي ، أَرْسَلْتَ سَرَايَاكَ عَلَى أَطْرَافِ (١) بَلَادِي ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَيْنَا مِنْ (٧٩) الْمَوْدَةِ ، وَلَمْ يَقُعْ مِنَّا مَا يَخَالِفُ الْمَوْدَةَ ، مَعَ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ أَخْيَذْتُمُ أَمْوَالَهُمْ مَسْلُومُونَ ، وَالَّذِينَ قُتِلُوا مُوْحَدُونَ ، وَهَذَا الْفَعْلُ لَا (٢) يَبِحُّهُ أَحَدٌ ، وَلَا يَفْعُلُهُ عَاقِلٌ . فَإِذَا وَصَلَكَ كِتَابِي هَذَا فَانْتَهِ ، وَإِلَّا سَيْلَقَ الْبَاغِي مَصْرَعَهُ وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا وَصَلَهُ الْكِتَابُ مَا زَادَ إِلَّا عُنْتُوًا وَاسْتَكْبَارًا ، وَبَثَ السَّرَايَا ثَانِيًّا . فَلَمَّا وَصَلَهُ الْكِتَابُ مَا زَادَ إِلَّا عُنْتُوًا وَاسْتَكْبَارًا ، وَبَثَ السَّرَايَا ثَانِيًّا . فَلَمَّا وَصَلَهُ الْكِتَابُ مَا زَادَ إِلَّا عُنْتُوًا وَاسْتَكْبَارًا ، وَبَثَ السَّرَايَا ثَانِيًّا . فَلَمَّا وَصَلَهُ الْكِتَابُ مَا زَادَ إِلَّا عُنْتُوًا وَاسْتَكْبَارًا ، وَبَثَ السَّرَايَا ثَانِيًّا .

تِيرَابَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْ وَيَسْتَأْصِلْ شَأْفَتَهُ ، زَادَ شَرُهُ وَأَخْرَبَ الْبَلَادَ . فَتَبَجَّهَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ .

وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الظَّاهِرُ .

وَالسَّبَبُ الْبَاطِنُ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرَ رَاضِيِّينَ (٣) عَنْهُ ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِتَوْلِيهِ أَحَدَ مِنْ أَوْلَادِهِ ، خَصْوَصًا مَعَ وُجُودِ أُولَيَاءِ عَهْدِ السَّلَطَانِ أَحْمَدَ بُكْرٍ ، الَّذِينَ هُمْ أَعْمَامُهُمْ ، وَلَا سِيَّما إِذَا تَذَكَّرُوا مَا وَقَعَ مِنْهُ وَمِنْ أَوْلَادِهِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَعْهَدَ إِلَى أَكْبَرِ أَوْلَادِهِ الْمَسْمَى بِإِسْحَاقِ الْخَلِيلِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ .

فَاغْتَنَمَ الْفَرْصَةَ حِينَ وَقَعَ مِنْ هَاشِمِ مَلَكِ كُرْدُفَالِ هَذَا الْأَمْرُ ، وَاغْتَنَمَ فِي الظَّاهِرِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَقُولُ بِهِ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ بَعَثَ الْأَمْيَنَ عَلَيْهِ أَوْ أَحَدَ وَزَرَائِهِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : أَطْرَافُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : لَمْ

(٣) كَذَا وَهِيَ صِيَغَةُ عَامِيَّةٍ وَقَدْ دَأَبَ الْمُؤْلِفُ عَلَى اسْتِعْمَالِ مُثْلِ هَذِهِ الصِّيَغَةِ مِنْ إِرَادَةٍ .

لـكفاء مـؤونـة السـفـر<sup>(١)</sup> والـمشـفـة ، ولـكـن أـرادـ أن يـسـافـرـ وـيـأـخـذـ معـه جـمـيعـ أـولـادـ السـلـطـان  
[ـأـحمدـ بـكـرـ]<sup>(٢)</sup> كـبـارـاـ وـصـغـارـاـ ، وـيـقـتـحـمـ بـهـمـ الـحـربـ حـتـىـ يـهـلـكـهـمـ ، وـيـهـلـكـ الـوزـراءـ  
الـذـينـ لـاـ يـجـبـونـ الـوـلـيـةـ لـاـبـيـهـ ، لـيـتـمـكـنـ إـسـحـاقـ مـنـ الـبـلـادـ وـالـأـمـوـالـ وـالـرـجـالـ ، (٨٠)  
وـيـنـفـرـدـ بـالـذـكـرـ .

ولـماـ كـانـتـ هـذـهـ نـيـتـهـ ، جـمـعـ جـمـيعـ أـولـادـ السـلـطـانـ وـالـوزـراءـ الـكـبـارـ ، وـأـبـقـيـ مـعـ الـخـلـيـفـةـ  
أـولـادـ الـوزـراءـ ، كـلـّـمـنـهـمـ فـيـ مـنـصـبـ وـالـدـهـ ، وـارـتـحـلـ بـهـمـ عـلـىـ هـذـهـ النـيـةـ ، وـإـنـ كـانـ أـخـفـاـهـاـ  
فـقـدـ ظـهـرـتـ ، عـلـىـ حـدـ قـوـلـ القـائـلـ ، مـنـ الطـوـيلـ :

وـمـهـاـ تـكـنـ عـنـدـ اـمـرـيـهـ مـنـ خـلـيـقـةـ وـإـنـ خـالـهـاـ تـخـفـيـ عـلـىـ النـاسـ تـعـلـمـ  
مـعـ أـنـهـ عـوـلـمـ بـخـلـافـ قـصـدـهـ ، وـأـعـقـيـهـ اللـهـ تـعـالـىـ بـقـتـلـ وـلـيـهـ ، وـلـمـ يـقـعـ تـدـبـرـهـ بـشـئـهـ ،  
وـرـحـمـ اللـهـ القـائـلـ ، مـنـ مـجـزـوـءـ الرـمـلـ<sup>(٣)</sup> :

إـنـ أـلـطـافـ إـلـهـىـ لـمـ تـدـعـ فـيـ السـكـونـ ضـنـكـاـ  
كـلـّـمـ رـمـتـ اـحـتـيـأـاـ لـيـ ، قـالـ : خـلـّـعـنـكـاـ  
سـلـمـ الـأـمـرـ إـلـيـنـاـ ، نـحـنـ أـوـلـيـ بـكـ مـنـكـاـ  
وـفـ كـوـنـ الـأـمـوـرـ دـائـمـاـ تـأـتـيـ عـلـىـ خـلـافـ الـمـرـادـ قـالـ المـتـنـبـيـ ، مـنـ الـبـسيـطـ :  
مـاـ كـلـّـمـ مـاـ يـتـمـنـىـ الـمـرـهـ يـدـرـكـهـ تـأـتـيـ الـرـيـاحـ بـمـاـ لـاـ تـشـتـهـيـ السـفـنـ<sup>(٤)</sup>  
فـلـمـ سـمـعـ [ـهـاشـمـ] مـلـكـ كـرـدـفـالـ بـقـدـومـهـ ، فـرـّـهـ وـجـمـاعـتـهـ ، وـاستـجـارـ بـمـلـكـ سـنـارـ<sup>(٥)</sup> ،

(١) فـيـ الأـصـلـ : للـسـفـرـ .

(٢) الـزيـادةـ عـنـ التـرـجـمـةـ الـفـرـنـسـيـةـ Voyage, p. 62

(٣) فـيـ الأـصـلـ : المـدـيدـ

(٤) وـفـيـ روـاـيـةـ : تـجـرـىـ الـرـيـاحـ بـمـاـ لـاـ يـشـتـهـيـ السـفـنـ وـالـسـفـنـ بـكـسـرـ الـفـاءـ الـمـلاـحـ .

(٥) لـعـلـ مـلـكـ سـنـارـ وـقـتـذـاكـ هوـ الـمـلـكـ عـدـلـانـ الثـانـيـ  
وـفـيـ نـعـومـ شـقـيرـ : (ـتـارـيـخـ السـوـدـانـ الـقـدـيمـ وـالـحـدـيـثـ وـجـغـرـافـيـتـهـ جـ٢ـ ، صـ١٢١ـ)ـ

وأقام عنده ، فدخلَها بغيرِ حَرْب ، وصار يُبْتَ السرايا والجندَ في أطرافِ الْبَلَاد حتى دَوَّنَها ،  
وجَيَ الأَمْوَال ، واستقامت الأحوال .

فَكَثَرَ على ذلك حتى حالَ الْحَوْل ، وملَأَتِ النَّاسُ مِنَ الْمَقَامِ وسَائِلُهُ الْعُوْدَ إِلَى  
بَلَادِهِم ، فَفَضَبَ لِعَدِيرِ ظَفَرِهِ بِمَا أَمْلَى . لَكِنَّهُ أَخْفَى ذَلِكَ وَقَالَ (٨١) لَهُمْ : كَيْفَ تَرْجِعُونَ ،  
وَقَدْ بَلَغَنِي أَنْ هَاشِمَ اسْتَبْجَارَ بِمَكَّةِ سَنَار ، وَالْمَلَكُ قَدْ جَهَّزَ لَهُ جِيشًا وَيَرِيدُ الْقُدُومَ عَلَيْنَا ؟ فَإِنْ  
رَجَعْنَا وَجَاءَ بَعْدَنَا ، ظَنَّنَا فَرَّنَا مِنْهُ ، وَنَالَ مِنَ الْبَلَدِ مَرَادَه ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَفْزُونَا ،  
وَيَحْوِيْنَا إِلَى الرَّجُوعِ لِهِ ثَانِيًّا . وَأَنَا الْآن مُضْمِرٌ أَنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي ، وَلَكِنْ  
حَتَّى أَتَحْقَقَ النَّبْرِ .

وَمَكَثُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَدَدَ ، فَلَمْ يَظْهُرْ لِمَا قَالَهُ أَثْر ، فَتَنَكَّرُوا لِقُلُوبِهِمْ ، وَسَاءَتْ  
أَحْوَالُهُمْ ، وَاشْتَاقُوا إِلَى أَهْلِهِمْ وَعِيَالِهِمْ . وَتَذَاكَرُوا مَعَ بَعْضِهِمْ فِي ذَلِكَ فِي خَلْوَةٍ . فَقَالَ  
الْوَزِيرُ الْأَمِينُ عَلَى وَدْ بَرْ قُوَّ ، وَكَانَ صِهَرَ السُّلْطَانِ ، أَى أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ مَتْزُوْجًا بِابْنَتِهِ :  
مَاذَا جَعَلْتُ لِي إِنْ قَتَلْتُهُ وَأَرْحَتْكُمْ مِنْهُ . وَتُؤْلُونَ بَعْدَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ شَتَّمٍ ؟ فَضَمِّنُوا لَهُ مَا لَأَ  
عَظِيمًا ، وَاعاهدوْا مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ . وَجَعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الْعَلَمَةَ صَوْتَ الطَّبْلِ . فَمَهْمَا سَمِعُوا  
الْطَّبْلَ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةٍ مُسْتَحْضَرِينَ<sup>(١)</sup> .

---

= أَنَّ السُّلْطَانَ تَيَّرَابَ وَصَلَ فِي تَقْدِيمِهِ شَرْقاً حَتَّى بَلْدَةَ أَمْ درْمَانَ حِيثُ نَشَبَ  
• قَتَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَيْشِ الْعَبْدِ الْلَّابِ انْهَمُوا بَعْدَهُ إِلَى سَنَار . وَاسْتَولَى السُّلْطَانُ  
تَيَّرَابَ عَلَى نَحَاصِمِهِ . وَحاوَلَ عَبُورَ النَّيلِ فَلَمْ يَنْجُعْ وَعَادَ إِلَى دَارْفُورَ وَفِي طَرِيقِهِ  
إِلَيْهَا تَوْفَى فِي بَارَةَ . أَنْظَرَ تَفَاصِيلَ هَذَا الْحَادِثَ فِي نَعْوَمَ شَقِيرَ : ( نَفْس  
الْمَرْجَعِ وَالصَّفَحَةِ ) .

- (١) مُسْتَحْضَرِينَ ، أَى : مُسْتَعْدِينَ ، وَهِيَ لَفْظَةُ عَامِيَّةٍ .

فصبر الأمين على حتى جن الليل ، ولبس درعَيْن سابغَيْن متينَيْن ، ولبس ثيابه عليهما ، وتقلَّد سيفه<sup>(١)</sup> . ودخل دار السلطان وقصد حجرة ابنته ، لما يعلم من حب السلطان لها ، لأن السلطان كان له بها مزيد اعتماد ، فكثيراً ما كان يجده عندها .  
 فلما دخل عليها عرفت الشر في وجهه ، وخانه جده أن السلطان لم يكن عندها في تلك الليلة . فسألها عن السلطان . فقالت : لا أعلم أين هو . ولكن إن (٨٢) أردت ، بحثت لك عنه ، وأعلمه<sup>(٢)</sup> بقدومك . فقال لها : نعم مات صنعين ، لأن شديد الاحتياج إليه في هذه الليلة . وكانت في وقت محادتها له ، رأى طوق الدرع من تحت طوي الثوب فثأركَدت الشر ، وذهبت إلى محل السلطان ، وأعلمه أن أباها جاء طالباً له ، وأنها رأت منه أموراً أنسكرتها . منها : أنه لا يلبس درعاً تحت ثيابه ، ومتنقل سيفه . مع أن العادة [أنهم] لا يدخلون على السلطان بسيفي أبداً . ومنها : أن في وجهه علامة الغضب . فأحسَّ السلطان بالشر لأنه هو الذي كان يُلْجِع عليه بالوعود . ويبالغ في القول له .  
 فأمرها ألا تعود إليه . وخرج السلطان ، ونادي كبراء العسس ، وأمرهم بالقبض على من جاء خارجاً من الدار ، وإن أفلت منهم لا يلُمُون إلا نفسمهم . وأخذ هو جماعة منهم حرساً له ، متاهيين بأسلحتهم ، وغاص في لجة داره ، ودخل في حجرة<sup>(٣)</sup> بعض نسائه ؛ واحتاط الحرس بها .

فجلس الأمين على في انتظار ابنته تعود ، فلم تعد إليه بخبر السلطان ، أو أن السلطان يأتي إليه ليبلغ أربه منه ، فلم يأته أحد ، بل كان كالباحث عن حتفه بظله ، والجادع

(١) كذا .

(٢) في الأصل : واعلمه .

(٣) في الأصل : حجر .

مارنَ أَنْفِهِ<sup>(١)</sup> بِكُفَّهِ ؛ عَلَى حَدِّ قُولِهِ ؛ مِنْ مُجْزُوهِ الْهَرْجِ :

إِلَى حَتَّىٰ سَعَىٰ قَدَمَىٰ أَرَىٰ قَدَمَىٰ أَرَاقَ دَمِيٰ  
وَلَا أَعْيَاهُ الانتِظَارُ قَامَ يَرِيدُ الْذَّهَابَ إِلَى دَارِهِ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَطْلُبَ (٨٣) النَّهَارُ  
عَلَيْهِ وَيَفْتَضِحُ ، فَشَىٰ قَلِيلًا حَتَّىٰ إِذَا قَارَبَ الْعَسَسَ نَهَضُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : ارْجِعْ  
حَيْثُ كُنْتَ . فَأَبَىٰ وَعَرَّفَهُمْ بِنَفْسِهِ ، لِأَجْلِي أَنْ يَخْلُوا سَبِيلَهُ فَإِنْ مَمْكُنْ ، بَلْ قَالُوا لَهُ :  
نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالْقَبْضِ عَلَيْكُوكَ ، إِنْ لَمْ تَرْجِعْ إِلَى الْحَلَّ الَّذِي جَهَّتْ مِنْهُ . فَسَبَّهُمْ  
وَأَرَادُ أَنْ يَخْرُجَ هُرَّاً عَنْهُمْ ؛ فَهَبُّمُوا عَلَيْهِ لِيُوَثِّقُوهُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ ؛ فَقَاتَلُوهُمْ وَجَرَحَ أَنَاسًا  
مِنْهُمْ ، فَتَكَالَبُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ بَعْثِيهِ ، إِلَّا فَنَاءَ أَجْلُهُ . وَهَذَا كَمَا قَالَ<sup>(٢)</sup>  
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَكُلَّ بَاغٍ مَّصْرُعٌ ». أَوْ كَمَا قَالَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - السَّيِّدُ  
عَلَى الْغَرَابِ ، حَيْثُ يَقُولُ ، مِنْ الْحَقِيفِ :

زارَعُ الْبَغْيِ حَاصِدُ الْنَّدَامَةِ  
فَاطَّلَبَ السَّلْمَ إِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ  
لَا تَشِقْ بِالْمُنْتَىٰ فَمَا كَلَّ بَاغِ  
نَالَ مَا يَرْتَجِحِي وَوُقُّ مَرَامَةَ  
رِبَّمَا كَانَتِ الْأَمَانِي مَطَايَا  
لِلنَّمَايَا وَمَؤْرَدًا لِلنَّدَامَةَ  
رِبَّمَا خَيَّلَتْ لَاجِيَ مَنَالَا  
مَثْلَمَا خَيَّلَتْ لَرَاءَ مَنَامَةَ  
رُبَّ سَاعَ لِيَجْتَنِي طَيِّبَ عِيشِيٰ وَهُوَ يَجْنِي - وَلَيْسَ يَدْرِي - حِمامَةَ  
وَأَخِيرُ السُّلْطَانِ حِينَئِذٍ بَوْتِ الْأَمِينِ فَقَالَ : اجْعَلُوهُ فِي رَدَاءِ ، وَضَعُوهُ فِي مَحْلٍ حَتَّىٰ  
يُصْبِحَ . وَحِينَ بَرَغَ الْفَجْرُ ، أَمَرَ السُّلْطَانَ بِإِحْضَارِ عَبِيِّدِهِ كُلَّهُمْ ، لَا بَسِينَ السَّلَاحِ ،  
فَخَضُرُوا وَرَتَّبُوهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ ، وَأَمَرَ الْبَوَّابِينَ أَنْ يَفْتَحُوا الأَبْوَابَ ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَقِنْ أَحَدٌ

(١) مَارِنَ الْأَنْفَ : طَرْفَهُ أَوْ مَالَانِ مِنْهُ ، وَجَدَعُهُ : قَطْعَةٌ ، وَمِنْهُ الْجَادِعُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَلَهَذَا قَالَ .

أغلقوها عليهم ، وأمرهم (٨٤) ألا يدعوا<sup>(١)</sup> حواشى القواد<sup>(٢)</sup> يدخلون معهم بل لا يدخل إلا الأمراه فقط . ووصى العبيد : إذا أغلقت الأبواب تأتي جماعة منهم ، ويقفون أمامه ، محيطين بالعالم الذين يكونون<sup>(٣)</sup> في المجلس ، ثم أمر أن تُضرب الطبول ضرباً حزناً وإزعاجاً ؛ لأن لهم في حال السرور ضرباً معروفاً ، وفي حال الحزن كذلك . فُضربت الطبول كما أمر .

وجاءت الوزراء والملوك على طبقتهم ، ظنّاً منهم أنّ على ود برقٍ فعل ما اتفق معهم عليه ، فجاءوا متهيئين ، فحين وصلوا إلى بابِ دار السلطان ، رأوا الأمر على غير ما يعهدون ، فلم يجدوا بدّاً من الدخول ، ودخلت أتباعهم معهم ، فمنعوا وبقوا منفردين عن أتباعهم . وجاء العبيد الذين أوصاهم بالإحاطة بهم ، فأحاطوا بهم شاكين السلاح ، مظهرين الغضب ، وخرج السلطان عليهم ، غارقاً في ثياب سود ، متقطّلساً بكشمير أحمر ، وهذا نهاية الغضب .

جلس السلطان في محله المعد له ، وأمر بإحضار القتيل ، فأحضر ملفوفاً بالرداء ، فأمر بوضعه في وسط الحلقة ، وقال : أريد منكم أن تعرفوا هذا من هو ؟ فبادروا إليه وكشفوا وجهه فعرفوه ، ولم يتجرّس أحد منهم على التكلم ، لما قام عنده من الغضب . فقال لهم السلطان : هل عرفتم هذا ؟ فسكتوا كلهم . فقام رجل منهم ذو دهاء ، و [هو] صهرُ السلطان أيضاً ؛ فقال : قد عرفناه ، (٨٥) وهو الأمين على ود برقٍ ، وقد دخل عليك باطلاناً أجمعين ، فإن أردتَ قتلنا فيها نحن بين

(١) في الأصل : يدعون .

(٢) حواشى القواد : الجنود المكلدون بحراستهم .

(٣) في الأصل : يكونوا .

يديك ، وإن عفوَتَ فالأُمُرُ إِلَيْكَ . فقال السلطان : وما حملك على ذلك ؟ قال : إنك أتيتَ بنا إلى هنا ، و [أنت] تعلم أن لنا في بلادنا أهلاً وعيالاً وأولاداً ، قطعتنا عن رؤيتهم ، والمتقى بمعاشرتهم ، وليس لنا هنا شغل ، نعذرُك في الإقامة بسيبه ، ولسنا نراكَ ناوياً أوبةً ، ولا يطيبُ لنا عيشٌ إِلَّا بِعِكَانَا ، فأجلِّ ما تصنعُ معنا ، أن ترددَنا إلى أوطاننا ، فإنَّ قلوبنا أَنْكَرْتُ الْعَرْبَةَ ، وحنَّتْ إِلَى الأوطان .

[شعر] من الطويل :

حَنَّيْنِي وَأَشَوَّاقِي لِأَوَّلِ تُرْبَةِ  
«أَوَّلِ أَرْضٍ مَسَّ جَلْدِي تِرَابُهَا»  
لَا سِيَّما وقد ورد عن سيد ولد عدنان : «حبُّ الوطنِ من الإيمان» .

فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، عَرَفَ صِدْقَهُ ، وَخَافَ إِنْ يَطْعَشَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْقِيَامَةُ؛ لِأَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ فِي ذَلِكَ . فَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ بِأَنْ قَالَ : لَا تَسْتَعْجِلُوا<sup>(١)</sup> مَوْتِي ، فَإِنِّي مَيِّتٌ لَا حَالَةَ ، لَا نِيَاضٌ مَرْضٌ لَا يَكْتُنُ إِطْلَاعُكُمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَنْعُنُ عَنِ السَّفَرِ؛ فَإِنْ عَافَنِي اللَّهُ فِي هَذِهِ الْمَدْرَةِ رَجَعْتُ بِكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَفْعُلُوا مِثْلَ هَذِهِ الْسَّلَامَ .

ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، أَظْهَرَ أَنَّهُ مَرْيَضٌ ، وَصَارَ لَا يَخْرُجُ إِلَى الْدِيَوَانِ وَلَا يَنْتَهُ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ ، مَعَ أَنَّهُ مُعَافٌ بِالْجَسْمِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَنْ (٨٦) تَمَارِضُ اتَّقَلَبَ الْهَزْلُ حِدَّاً ، وَمَرْضُ حَقْيَقَةً ، وَرِبِّمَا مَاتَ . وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاتِ وَأَتَمُ التَّسْلِيمَ : «لَا تَمَارِضُوا فَتَمَرِضُوا فَتَمُوتُوا» . فَانْتَقَابَ عَلَيْهِ الدَّسْتُ ، وَحَلَّ<sup>٢</sup> بِهِ الْمَرْضُ وَالْمُقْتُ ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ لَا حَالَةَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : لَا تَسْتَعْجِلُونَ .

وكتب حينئذ لل الخليفة كتاباً يقول فيه بعد السلام :

اعلم يا ولدي أنه قد اعتراني مبادى ما لا بد منه ، ولا محيس عنه ، فإذا وصلت كتابي هذا خلّف ولدك خليل على دارفور ، وعجل بالقدوم ، عسى أن تدرّكني وهي رمق ، لعلّ أذهب لك شيئاً ينفعك والسلام .

وختم الكتاب وأرسله صحبة هجّان .

وطاش الخبر أنَّ السلطان ثقلَ عليه المرض ، وأرجف بموته ، وصارت الناس لا يتحدّثون إلاَ بذلك .

وكان محمد كُرماً كثيراً ما يدخل دار السلطان ، ويحتمم على نسائه . وكان ممّن يحتمم عليها إيا كُري<sup>(١)</sup> كنانة ، أعظم نساء السلطان ، صاحبة الرتبة الجليلة . لأنَ كلَّ سلطان يتولى لابدَ وأن يحبَ أحدَ نسائه ، ومن أحبهَا وقلَّدها أمور الحكم في بيته ، هي التي تسمى إيا كُري حقيقةً . وهذا اللفظ معناه السيدة الملكية ، وإن قيل لغيرها من نساء السلطان إيا كُري ، فذلك من قبيل التعظيم لا غير . وهذه كنانة كانت صاحبة رأى وتدبير ، [و] كان السلطان تيراب لا يألف غيرها إلاَ ملاماً<sup>(٢)</sup> ، ولهذا قللَّها هذا المنصب ؛ لأنَّ هذا المنصب له (٨٧) إقطاعٌ ومعاليم ، وأموال تُجيئ لها منه ، وتتصدر منها أوامر ، ولها قوّاد يضطّلون أموالها وأحوالها .

فلمَّا رأتُ أنَّ السلطان ميّت لا محالة ، خافتُ على نفسها ، وكان لها ولد يسمى

(١) إيا كُري : لقب كان يطلق في دارفور على السيدة الأولى في القصر السلطاني ، سواء كانت هذه السيدة أم السلطان أو أخته الكبرى أو زوجة السلطان المتوفى . وهو يقابل لقب ملكة .

(٢) في الأصل : ماسا .

حبيب ، خافت عليه أيضاً . فاجتمعت على محمد كرماً ، وقالت له : يا محمد ، هل لك في حيلة تخلصي ولدك من هذا الأمر ؟ قال لها : نعم ، الحيلة أنك تصليين حبلك باليتيم ، لأنه هو صاحب الدولة بعد السلطان تيراب ؛ لأن كل الناس راضون عنه . فقالت : هل لك أن تجعل بيض وبيضه عهداً وتتوافق منه ، بأنه إذا توقيعه على كري ، ويجعل ولدك حبيب خليفة ؟ فقال لها [محمد] كرماً : أفعل ذلك ولدك ما يسرك إن شاء الله .

وكانَتْ كِنَانَةً تُخَافُ عَلَى وَلَدِهَا حَبِيبٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِسْحَاقَ ؛ لَا إِهَابٌ بَرَّهَا ،  
وَعْرَفَتْ أَنَّ الْيَتَمَ لَا وَلَدَ لَهُ . فَقَالَتْ : يَرِبِّي وَلَدِي .

فذهب إليه محمد كُرّا وأقرأه سلامها ، وأخبره أنها ت يريد أن تعينه على التولية ،  
بشرط أن يتزوجها ويجعل ولدها خليفة . فعاهده على ذلك . فقال محمد كُرّا :  
وماذا لي أنا أيضاً إن كنت سرّك ، وأعنتك بجهدي على التولية ، ودبرت بحياتي  
على قدر طاقتى ، من الطويل :

فقال اليتم : إن فعلت ذلك ، وأغنيتَ فيه ، قلَّتْك منصب (٨٨) الأَب [الشيخ] .  
وعاهده على ذلك . فرجم إليها محمد كُرمًا وأعلمها أنه استوثق منه بما أرادت ، فاطمأنَّتْ  
لذلك وصارت ترسلُ معه أخبار السلطان وقتاً فوقتاً .

ولما تُقلِّل مرضُ السلطان تيراب ، ويُئس من مجىء ولده إسحاق الخليفة ، أحضر  
الأمينَ عَلَى وَد جامع ، سَيِّدَ مُحَمَّد كُرَّا ، والأمين حسبَ اللَّه جِرَان ، والأمين إبراهيم  
وَد رَمَاد ، والأب الشيخ عبد اللَّه جُثَا<sup>(١)</sup> ، وأميننا آخر نسيتُ اسمه ، وقال : اعلموا أنِّي

(١) كذا بالثاء، وفي الترجمة الفرنسية: جتا بالباء Voyage, p. 79 (Djoutà)

صنعتُ معكم معرفةً ، وأرجو أن تكافئوني عليه بتنفيذ وصيتي ، التي أريد أن أوصيكم بها . فقالوا : سمعاً وطاعة . فقال للآمين على : إني أوصيك إذا أنا متُ بأن تجتمع العساكر كلهم تحت يدك ، وتوصلهم إلى إسحاق ولدى بدارفور . فقال : سمعاً وطاعة . وقال للآمين حسب الله : قد جعلتُك أميناً على خزائن أموالي ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدي . فقال : سمعاً وطاعة . وقال للآمين إبراهيم ودرماد : قد جعلتُك أميناً على دوابي وخيلي ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدي بدارفور . وقال للأب [الشيخ] : قد قلدتُك الحريم والعيايل والخدم ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدي . وقال للآخر : قد جعلتُك أميناً على أسلحتي وملبوساتي وأولادي ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدي . فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعوا له بالعافية . (٨٩) وبكونه ما هو فيه من المرض ، لأنهم أصحابه ما عدا الأب [الشيخ] لأنه خصيّ .

ثم ذهبوا إلى محلهم ، وقضى السلطان نحبه وهم غائبون ، وحين تُوفى أرسلت كنائنة إلى اليتيم بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه وحِجابه ، تعلمها بموته على يد محمد كرما . وجاء أولئك الوزراء الذين أوصاهم فوجدوه قُضي عليه ، فندموا على خروجهم من عنده ، ودبّروا حيلة ، وأجمعوا أمرهم أن يجعلوا السلطان في تخت بعد فتحه ، وإلقاء ما في أمتعاته<sup>(١)</sup> وتصبيره ، [ثم] يُغطى ويُحْفَى بالعساكر ، ولا يتَّركون أحداً يصل إليه . وكل من سُأله عليه قيل له : مريض ، حتى يصلوا إلى دارفور ، ويسْلُمُوا كل ذلك إلى ولده إسحاق الخليفة ، والأب [الشيخ] محمد كرما أخذ الأشياء المذكورة ، وتوجه إلى اليتيم ، وقال له : عَوَّضْتُ الله في أخيك خيراً . وأعطيه الخاتم والسبحة والمنديل ، فتحقّق موت أخيه .

---

(١) في الاصل : امائه .

وأخذ الأشياء ، وذهب إلى أخيه الأكبر المسنّ بِرِيز ، فحين أعلمه نهض فائماً ، وأخذ رِيماً وظاهراً ، وتوجهوا إلى دار السلطان ، فلم يقدر أحد على منعهم . وما زالوا داخلين حتى وصلوا إلى الخلّ الذي فيه الجماعة ، والسلطان تيراب مُسَجِّي أمّاهم ، وهم يبكون عليه . فدخلوا عليهم ولم يخاطبواهم ، بل جلسوا حول أخيهم وبكوا حتى فاءوا ، ثم التفتوا إلى الجماعة ، وقال لهم بِرِيز : أما كفأكم أن مدة حياة أخينا كان خيره لكم ، والآن تريدون (٩٠) أن تأخذوا شِلْوه أيضاً ، لأجل أن يكون لكم حيّاً وميّتاً ! ها نحن قد اطلعوا على موته ، فافعلوا ما بدا لكم ، فقد تركناه لكم .

ثم خرجوا وتركوهم ، فاختلَف رأيُ الجماعة بعدهم ، وقالوا : قد فسد تدبيرنا ، واطلعوا على موت السلطان ، فلا يمكننا أن ننفذ وصيته الآن .

فقال الأمين على وذِجَامِع : لا بدّ لي من تنفيذ وصيّته أو أمّوت دونها ، ثم نادى : يا محمد كُرّا ، اذهب إلى محمد [دُشْكى] <sup>(١)</sup> ولدي ، وقل له يجمع عساكرى ويلبسوا دروعهم وأسلحتهم ، ويأتون إلى باب السلطان . فقال : سمعاً وطاعة . وذهب إلى محمد [دُشْكى] ابن الأمين [على] ، وقال له : إن حضرة الأمين يأمرك أن تجهز العساكر ، وتركب معهم ، وتذهب إلى أولاد السلطان ، وت تكون معيّناً لهم حتى يأتيك أمرى . فقال الأمين محمد [دُشْكى] : سمعاً وطاعة . ونادى في العساكر ، فتأهّلوا وركبوا ، وتوجهوا إلى أولاد السلطان ، ورجع هو بعد ذلك للأمين [على] . وقال له : قد ذهبت فوجدت سيدى قد أخذ العساكر ، وتوجه إلى أولاد السلطان . فاغتاظ الأمين على [من] ذلك ، وعلم أنه لا يقدر على تنفيذ وصيّة السلطان تيراب <sup>(٢)</sup> .

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية . Voyage, p. 82.

(٢) في الأصل : تيرب .

وَخَافَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْمَهُودَ ، فَأَخْرَجَ عُلَيْهِ صَغِيرَةً كَانَتْ مَعَهُ وَفَتَحَهَا ، وَاسْتَفَّ مِنْهَا شَيْئًا  
مَا كَانَ فِيهَا فَوْقَ مِيتًا .

وَلَمَّا ماتَ أَخْذَلَ [الأُمَّانَاءِ] <sup>(١)</sup> الْبَاقِونَ وَتَفَرَّقَ رَأْيُهُمْ . وَهَذِهِ أَقْوَى مَكْيَدَةٍ عَلَيْهِمَا  
مُحَمَّدٌ كُرَّاً (٩١) فِي الْأَمِينِ [عَلَى] وَوْلَدِهِ ، وَبِسَبِيلِهَا وَقَعَتِ الْعِدَاوَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِينِ  
مُحَمَّدَ بْنَ الْأَمِينِ عَلَى الْمَذْكُورِ .

ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَةَ تَفَرَّقُوا وَذَهَبَ كُلُّهُمْ إِلَى جَيْشِهِ ، وَهَاجَتِ النَّاسُ وَمَاجَتْ ،  
وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَابْدَ لِلِّدُولَةِ مِنْ سُلْطَانٍ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ، وَيَجْمِعُ كُلَّهُمْ . وَكَانَ أَوْلَادُ السُّلْطَانِ  
أَحْمَدُ بُكْرٌ ، الَّذِينَ هُمْ إِخْرَانُ الْمُتَوَفِّ جَالِسِينَ هُمْ وَأَتَابُ�عُهُمْ عَلَى حِدَّةٍ ، وَأَوْلَادُ إِخْرَانِهِمْ  
وَأَتَابُعُهُمْ عَلَى حِدَّةٍ ، وَالرَّاعِيَا عَلَى حِدَّةٍ . فَنَهَضَتْ جَمَاعَةُ مِنَ الْمُدَبِّرِيْنَ <sup>(٢)</sup> ، وَدَعَوْا بِالْقَاضِيِّ  
وَالْعَلَمَاءِ ، وَأَرْسَلُوهُمْ إِلَى أَوْلَادَ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بُكْرٌ ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْكَبِيرَاءُ وَأُولَيَاءُ الْعَهْدِ مِنْ  
أَبِيهِمْ <sup>(٣)</sup> ، وَقَالُوا لَهُمْ : قُولُوا لَهُمْ بَعْدَ السَّلَامِ :

اعْلَمُوا أَنَّهُ لَابْدَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ سُلْطَانٍ يَجْمِعُ كُلَّهُمْ ، وَيَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ،  
وَالْمُلْكُ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَرْبَابُهُ ؛ فَعَيَّنُوا لَنَا سُلْطَانًا نَرَضَى نَحْنُ وَأَنْتُمْ [بِهِ] : فَتَوَجَّهَتْ  
الْعَلَمَاءُ وَالْقَاضِيُّ وَأَخْبَرُوهُمْ بِذَلِكَ ، قَالُوا : قَدْ عَيَّنَاهُمْ أَخْنَانَ رِيزًَا ، لِأَنَّهُ هُوَ أَكْبَرُنَا  
وَسَيِّدُنَا ، وَنَحْنُ تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ .

فتَوَجَّهَتْ الْعَلَمَاءُ لِأَوْلَادَ السُّلْطَانِ الصَّغَارِ <sup>(٤)</sup> ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّ بَاسِيَّ رِيزَ يَكُونُ

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية : Voyage au Darfour, p. 83  
والمقصود بالأمناء هنا : الوزراء .

(٢) المقصود بالمدبرين هنا : الوزراء وكبار رجال الدولة . Voyage au Darfour, p. 84.

(٣) راجع نظام ولاية العهد في ص ٧٣ .

(٤) لعل المؤلف يقصد ببناء السلاطين الصغار أبناء السلاطين الثلاثة عمر وأبي القاسم وتيراب ممن لا حق لهم في ولاية العهد التي كانت من حق أعمامهم وقتذاك حسبما يقضى نظام ولاية العهد .

عليهم سلطاناً ؟ فأبوا وقالوا : إن باسي ريز عمنا ووالدنا ، لكن لا نريد أن يتولى علينا ، لأنه صعب المراس ، فيه حدة ، تخشى خائفته ، خصوصاً ونحن أولاد صغار ، نريد سلطاناً حليماً يربّينا ، وإن صدر من أحدنا (٩٢) بادرة يعاملنا فيها بالحلم . وقالت الرعية : إن باسي ريز ملكتنا وابن ملكتنا ، ولكن به حدة ، والأولى أن يختار هو غيره ، لأنه هو سلطان ، تولى أم لم يتولّ .

فرجعتُ العلما وأخبروهم بذلك . فقال باسي ريز : قبلنا عذرهم ، وولينا عليهم باسي طاهراً . فأخبروا به أيضاً أولادَ السلاطين<sup>(١)</sup> ؛ فقالوا : لا نرضى بعمّنا طاهر ، لأن له أولاداً كثيرة ، لا ينتبه لتربيتنا بسبعينهم .

وقالت الرعية : إنما كر هنا السلطان تيراب لـكثرة أولاده ؛ فإن يتوّل علينا طاهراً ، فتحن نرضي بال الخليفة<sup>(٢)</sup> أن يكون سلطاناً ؛ لأنه أقل أولاداً منه . فرجعوا وأخبروهم ، فقال ريز : قد ولينا عليكم اليتيم . فأخبروهم فرضوا به كلامهم ، رعية وأولادَ ملوك . وانعقد أمرُهم عليه وأخذوه ، وتوجهوا به إلى دار السلطان ، وألبسوه الخاتم ، وأقعدوه على كرسى الملكة ، ولم يختلف عليه اثنان .

(١) في الأصل السلطان ، والتصحيح عن الترجمة الفرنسية .

Voyage au Darfour, p. 85

(٢) يريد الخليفة ريز بن السلطان أحمد بكر ، إذ هو أكبر أخوه بعد السلطان تيراب . فهو على هذا الخليفة الشرعي حسبما يقضي به نظام ولاية العهد .

## البَابُ الْثَالِثُ

### من المقدمة

في ذكر نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد  
وأول أمره وولايته ووفاته

قد ذكرنا فيما مضى أن السلطان أحمد بـكُر خلف سبعه من الولد ، منهم  
السلطان عبد الرحمن المذكور ، وهو أصغرهم ، لأن أبوه توفي وهو حَمْلٌ في بطن أمّه ،  
ولذلك سُمي باليتيم .

نشأ على أحسن حال . حفظ القرآن ، وقرأ في الفقه ، وعرف الحلال والحرام ،  
(٩٣) ولم ينتبه إلى ما انتهت له أولاد الملوك في دارفور . لأن أولاد الملوك هناك متى كبر  
الواحد منهم يخوض في البلاد ، يتضيّف وينهب أموال الناس ، وكلما رأى شيئاً أعجبه  
أخذه بدون ثمن ، ويقول إن جميع ما في دارفور من العالم عبيده لأبيه ، إلا عبد الرحمن ،  
فإنه من صغير سنّه كان صالحًا تقىًّا عفيفًا النفس . وكان في غاية من ضيق العيش ،  
وكان إذا سافر وأمسى عليه المساء في بلد ، قال لمن ينزل عنده : أنا ضيف الله . فإن قبله  
مكث ، وإن ذهب إلى محل آخر . ولم يسمع عنه أنه ظلم أحداً قط . وكان لا ينسى  
الصناعة لمن فعّلها معه ، بل يتذكّرها ويحازيه عليها .

ومن ذلك أنه كان مسافراً ، فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها : البرتي<sup>(١)</sup> ،  
عرفه الرجل وذبح له كبشًا سميناً ولاطفه ، ولما جاء العشاء وحضر الطعام ، رأى السلطان  
عبد الرحمن أنَّ الرجل قد تكلَّف له ، فقال له . يا هذا ، أما كان يُغْنِي عن هذا  
ما هو أقلُّ منه ؟ لودجحَت لنا دجاجة لقامت مقامه ، وكنت أديت ما وجب عليك .  
قال : لا ، يا مولاي ، والله لو ملكت جَزُورًا لنحرتها لك ، ألسْتَ عبدَ الرحمن  
اليتيم ابنَ سلطاناً ؟ قال له اليتيم : ومن أين تعرَّفني ؟ قال : عرفتك بحسن خلقك  
وتقواك ، وإنَّه سيصير لك شأن . قال اليتيم : لئن ملكت لأطعِمَّك (٩٤) أسمَّ  
مَا ذبحت لنا . وكان الأمر كذلك .

فإنه لما وُلِّيَ دعا بالرجل — وكان يسمى محمد دردوك — وولاه منصبًا جليلًا ،  
وأخرجَه لجباية أموالِ قبيلة العربِ المجانين<sup>(٢)</sup> ، وهي قبيلة عظيمة ، أهلها أصحاب إبل ،  
فحصل منها من الأموال والثُّوق والجمال ما لا يوصف .

ومنها أنه مرَّ ببلاد الرياح<sup>(٣)</sup> ، ونزل على رجل فقير يقال له : جِدَّو<sup>(٤)</sup> فأكرمه  
على قدر طاقته ، وكان هذا الرجل من بيتٍ كبير ، وأبوه كان ملكاً عظيماً ، يقال له توَّلَ

(١) البرتي : قبيلة كبيرة من أصل مختلط تسكن جنوبى تلال ميدوب فى شرق دارفور عند خط عرض ٢٤° : ١٤ وخط طول ٤٣° : ٢٥ هجروا موطنهم الأصلى فى تلال تجابو بسبب ضغط سلاطين الفور .

Mac Michael, H.A., op. cit. p. 64.

(٢) المجانين : شعبية من قبيلة دار حامد التى تنتمى إلى فزانة ، وموطن دار حامد فى وسط كردفان . Mac Michael, H.A., op. cit. p. 256

(٣) بلاد الرياح أو دار الرياح هى الولاية الشمالية فىإقليم دارفور  
Nachtigal, G., op. cit. p. 362

(٤) كذا بالأصل وفي الترجمة الفرنسية : Djiddau

في منصبه : التكينياوي<sup>(١)</sup> . فلما ولى اليتيم ولاه منصب أبيه ، و[قد] رأيته واجتمعت به .

ومنها أن الفقيه مالك الفوتاوي الذي أسلفنا ذكره ، كان رأى له مناماً ، وصورته : أنه رأى قرراً في السماء ، والناس ينظرون إليه ويقولون : هذا اليتيم . فأوْلَاهُ أَنْه<sup>(٢)</sup> يلي الملاك . وذهب وبشره بذلك ، فقال : إن صدقت رؤياك لأرفع قدرك . فكان كما قال .

وكان يصوم الخميس والاثنين على الدوام ، ويصوم رجب وشعبان ورمضان . وكان يحب أهل العلم ويكرههم .

و قبل ولادته بأيام ، شاع عند المنججين وأصحاب خط الرمل ، أن اليتيم هو الذي يتولى السلطنة بعد السلطان تيراب . وسمع السلطان بذلك ، فقد عليه وأراد قتله مراراً ، والله يمنعه منه . وكان يدعوه للطعام ويعمل له الشم فيه ، فكان اليتيم يقول : (٩٥) إنّ صائم . ولا يأكل منه شيئاً .

ولقد أخبرني من شاهده<sup>(٣)</sup> وقت توليه ، حين دخلوه لدار السلطنة ، أنه كان عليه قميص قد يلي حتى أن كتفيه ظاهران منه . وبيده سبحة من خشب تساوى في برق مصر عشرين فضة<sup>(٤)</sup> ، ومكت عزباً حتى بدا الشيب في لحيته ، وما ذاك إلا لفقره ، وعدم المال الذي يتسرى أو يتزوج به ، ولم يز النساء إلا حين سافر إلى كردفال ، محبطة

(١) التكينياوي لقب يطلق على الوالي في ولاية شمال دارفور ، التي كانت تسمى :

دار تكينياوي ٠ Nachtigal, G. op. cit. p. 418

(٢) في الأصل : أن ٠

(٣) في الأصل : شاهد ٠

(٤) تساوي العشرون فضة نصف قرش ٠

أخيه السلطان محمد تيراب ، فرّ على بلاد يقال لها : البيقو<sup>(١)</sup> ، فأعطيه ملِكُها جارية وَخْشاً تسمى أنبوسة ، فغشّيَها فولدت منه السلطان محمد فضل .

ولما انعقد الأمر عليه ، أجلسوه على سرير الملك — كاً تقدّم — وبايده ، وكان أول من بايده أخوه الأكبر ريز ، ثم ريفا ثم طاهر ثم أولاد السلاطين ، فبايده ، ثم القاضى والعلماء ، ثم النساء . وضررت طبول الحزن إعلاناً بموت السلطان تيراب ، ثم بطللت قليلاً ، وضررت طبول النساء إعلاناً<sup>(٢)</sup> بتولية السلطان عبد الرحمن .

وكان من عادة ملوك الفور أن السلطان إذا تولى يكتسب سبعة أيام في بيته ، لا يُسأل عن حُكم ولا أمر ولا نهى ، بل يجلس للتهنئة والسرور ، تدخل عليه العلماء والوزراء وأرباب الدولة . فلما تولى السلطان عبد الرحمن أبطل تلك العادة ، وخرج صبيحة توليته ، خجامت الوزراء (٩٦) فرأوه جالساً في ديوانه ، وتناول بعض أحكام فلاموه وقالوا : ليست العادة كذا فقال : بئس العادة . ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله .

ثم جمع جميع أرباب الدولة وقال لهم : إن كان لكم أرب في أن أكون سلطاناً عليكم ، تُبطلوا الظلم ولا تتحدث به أنفسكم ، وتنبوا إلى الله تعالى منه ، فإن الظلم يُخرب الدول ، ويقصّر أعمار الملوك . فقالوا : سمعاً وطاعة .

ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث ، أمر بإخراج خزائن السلطان تيراب

(١) البيقو : يقال إن موطنهم الأصلى فى منطقة الغزال ، وأنهم هاجروا منها إلى دارفور منذ زمن بعيد ، حيث منحهم سلطان دارفور أرضاً ينزلون بها ، بشرط أن يقدموا للحرىم السلطانى فتاة كل عام . ولما كانت أم السلطان محمد فضل (١٨٠٢ - ١٨٣٩ م) تنتهي إلى هذه القبيلة فقد أعفاهم من هذا التقليد ومنهم حرّيتهم وفرض عقوبة الاعدام على من يتجرّى في أبنائهم .

Mac Michael, H.A. op. cit. pp. 80-81

(٢) في الأصل : اتملاكا

فأخرجت ، ففرق ما كان فيها من العين<sup>(١)</sup> ، من ذهب وفضة وثياب ، على العلامة والأشراف والقراء . ووُجد فيها من السكري والجورخ الذي عَثَ شَيْءَ كثير ، فأمر أن يرمي خارج الدار ، وكل من وجد شيئاً ينفعه أخذه . فأخرج فكان كالطود العظيم ، واجتمعت عليه القراء ينبوونه ، وبسطوا أيديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن .

ثم لما كان سادس يوم آخر جواري السلطان تراب وفرقها أيضاً ، ولم يترك إلا الحرائر وأمهات الأولاد التي تزوجها أخوه بالعقد . ثم نصب المناصب ، فجعل محمد دكبي أميناً في منصب أبيه الأمين على ود جامع ، وأمرهم بالأهبة للرحيل إلى دارفور فتجهزوا .

وحين خرج من كرفال مر على جبل التروج ، فأوقع بهم وأخذ جميع مافيه من الشباب والبنات ، ولم يترك (٩٧) فيه إلا المستثن

واجتمع بمشايخ عرب البايدية من الرّزيقات ، والمسيرية<sup>(٢)</sup> ، فالئمس منهم المسير معه لحرب الخليفة<sup>(٣)</sup> ، وكل ما اكتسبوه من المال والسلاح والخليل فهو لهم . فاجتمع عليه منهم ألف ، وتوجه إلى دارفور ، لكنه لم يأتها من جهة الشرق ، بل أتواها من جهة

(١) راجع : ص ٢ حاشية ١

(٢) المسيرية : أحد قبائل البقارة ، وكانوا هم والحرير قبيلة واحدة في وقت من الأوقات ، وقد ورد ذكرها في كتب الرحالة الذين زاروا دارفور وما يليها غرباً . وقالوا أنها تتالف من شعبتين : المسيرية الحمر والمسيرية الزرق . تم انفصل الحرير عن الزرق وأصبحت كل منها قبيلة مستقلة . وموطنهم في الجنوب الغربي من كردفان .

MacMichael, H.A., op. cit. pp. 284-87

(٣) الخليفة هنا هو اسحاق بن السلطان تراب الذي عينه أبوه ولية للعمد . مخالف بذلك وصيحة أبيه السلطان أحمد بكر .

الجنوب . وقبل وصـوله كتب إلى الخليفة كتاباً يقول فيه :

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَعْلَمَ مَا فِيهِ، كَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،  
بَعْدَ السَّلَامِ :

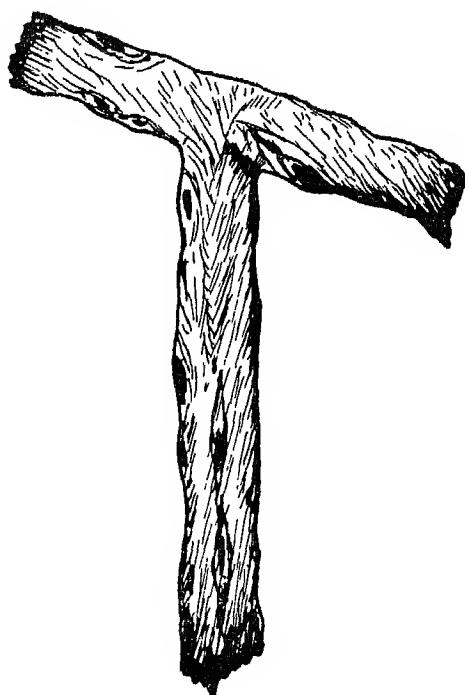
أما بعد : فني عاهدتُ الله تعالى ألاًّ أطأ غير بساطِ أبي ، وأنا ولئه عهده ، ولا حقَّ لك علىَّ ، (٩٨) وإنْ قاتلْتَنِي فأنا مظلوم ، والسلام . ثم جهز له جيشاً كثيفاً بنظر<sup>(١)</sup> الحاج مفتاح<sup>(٢)</sup> ، داداه<sup>(٣)</sup> ، وأكبير عبيده .

(١) في الأصل : لنظر

(٢) ذكر الاسم في الاصل هكذا بدون ضبط ، وفي الترجمة الفرنسية بضم الميم  
وهو النطق العامي لللفظ . Vayage p. 92

(٣) الدادا هم - كما شرحـه ناختجال فى « يومياته فى دارفور » العبيد الذين ينشأون مع أطفال السلطان فى القصر الملكى ويعتبرون كأخوة لهم *Nachtigal*,  
ويظهر من الشرح ومن المتن أن لفظ « دادا » يستعمل مفرداً وجمعـاً .  
G., Sahara und Sudan p. 43<sup>١</sup>

فتلاق هو وجيشُ السلطان عبد الرحمن في محلٍ يقال له : تَبْلِدِيَّة<sup>(١)</sup> ؛ فكان مع كل إنسان من جيش السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك ، والسَّفْرُوك : قطعةٌ من العِصَمِ صورتها هكذا :



فَيْنَ النَّقْجَمَانِ ، أُلْقِيَ جَمَاعَةُ السُّلْطَانِ السَّفَارِيَّكَ عَلَى جَمَاعَةِ اخْلِيَّةٍ ، وَقَالُوا : اللَّهُ أَكْبَرُ . فَفَرَّوْا ، وَتَبَعَهُمْ جَمَاعَةُ السُّلْطَانِ ، يَأْسِرُونَ وَيَأْخُذُونَ الأَسْلَابَ وَالخَيْوَلَ ،

(١) يطلق اسم تبلدية في الوقت الحاضر على بعض الجبال والوديان والأخوار والبار والقرى والبلدان في كل من كردفان ودارفور . ولعل المقصود به هنا حسبما جاء في خريطة التونسي مكان يقع عند جبل تبلدية الواقع جنوب شرق مدينة نبala الحالية عند خط عرض ١٣°١١' وخط طول ٢٦°١٣' .

وبعهم العرب أيضاً ، فاغتنموا منهم غنمةً عظيمةً ، ونجا الحاج مفتاح ، وفُلّ من أصحابه برأس طمرة<sup>(١)</sup> .

وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال له : ما وراءك ؟ قال : يا سيدى ، إنـي ناصح لكـ . صالحـ عملـكـ . وإنـ طلبـ منـكـ مـالـ فأـعـطـهـ إـيـاهـ ، واجـعـلـنـيـ أولـ ماـ يـعـطـيـ ، فـأـنـاـ فـدـاؤـكـ .

فـلـماـ سـمـعـ الـخـلـيـفـةـ مـنـهـ هـذـاـ الـسـكـلامـ زـجـرـهـ وـقـالـ : رـجـعـتـ إـلـىـ أـصـالـكـ يـاـ عـبـدـ الشـوـءـ ، اـكـنـ اللـوـمـ عـلـىـ فـيـ أـقـدـمـكـ عـلـىـ الـعـسـاـكـرـ . ثـمـ إـنـ الـخـلـيـفـةـ حـشـدـ الـحـشـودـ ، وـفـتـحـ الـخـزـانـ ، وـفـرـقـ الـأـمـوـالـ ، وـأـعـطـيـ الإـقـطـاعـ . جـمـعـ جـيـشـاـ عـظـيـماـ لـأـوـلـ لـهـ وـلـآـخـرـ ، وـبـرـزـ يـؤـمـلـ النـصـرـةـ عـلـىـ السـلـطـانـ ، فـوـصـلـ إـلـىـ مـحـلـ يـقـالـ لـهـ : تـالـدـوـاـ<sup>(٢)</sup> ، فـأـدـرـكـ السـلـطـانـ هـنـاكـ ، وـلـمـ عـاـيـنـ كـلـ مـنـهـاـ صـاحـبـهـ ، رـتـبـاـ جـيـوشـهـماـ ، وـصـفـاـ صـفـوـفـهـماـ . (٩٩) وـكـانـ مـعـ جـمـاعـةـ الـخـلـيـفـةـ رـجـلـ مـنـ الـمـلـوـكـ يـقـالـ لـهـ : «ـ بـعـرـ »ـ الـجـبـابـيـ ، وـهـوـ الـذـيـ يـجـبـيـ الـفـلـالـ لـلـسـاطـنـةـ ، وـمـعـهـ [ـمـنـ]ـ أـتـيـاعـهـ مـاـ يـنـوـفـ عـنـ عـشـرـ آـلـافـ مـنـ الـخـيلـ خـلـافـ الرـجـالـهـ . فـلـماـ تـلـاقـ الـجـمـعـانـ أـخـذـ جـمـاعـتـهـ ، وـزـحـفـ عـلـىـ جـيـشـ السـلـطـانـ عـبـدـ الرـحـمـنـ كـانـهـ يـرـيدـ قـتـالـهـ ، وـدـخـلـ فـيـهـمـ ، وـأـلـصـقـ صـفـهـ بـهـمـ ، وـبـقـيـ يـقـاتـلـ الـخـلـيـفـةـ ، فـتـرـكـ فـيـ صـفـوـفـ الـخـلـيـفـةـ ثـلـاثـ عـظـيـماـ ، وـفـرـجـةـ مـاـ قـدـرـواـ عـلـىـ سـدـهـاـ ، فـانـكـسـرـتـ قـلـوبـ عـسـكـرـ الـخـلـيـفـةـ بـاـفـعـلـ الـمـلـكـ بـعـرـ ، وـالـتـحـمـ القـتـالـ ؛ فـلـمـ يـكـنـ إـلـاـ كـمـحـقـ بـارـقـ ، حـتـىـ تـقـهـرـ جـيـشـ الـخـلـيـفـةـ .

(١) الطمر بتشديد الراء : الفرس الجواد أو المستفز للوثب والعدو أو الطويل القوائم الخفيف . والاشتى طمرة (اللسان) .

(٢) تالدوا اسم يطلق الان على جبل يقع شمال شرقى مدينة نيالا الحالية عند خط عرض ٢١:١٢ وخط طول ٣٢:٥٠ .

وَهِينَ رَأَى الْخَلِيفَةَ ذَلِكَ ، خَرَجَ يَقَاطُلُهُمْ بِنَفْسِهِ ؛ فَكَانَ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ يُعْرِضُ  
عَنْهُ إِكْرَامًا لَهُ وَلَأَبِيهِ . وَمَا زَالَ يَفْعُلُ كَذَلِكَ ، حَتَّى رَأَى جَيْشَهُ اهْزَمْ ، وَبَقِيَ هُوَ فَنَرٌ  
قَلِيلٌ ؟ فَلَمَّا تَحَقَّ بِجَيْشِهِ فَرَأَى [أَنَّهُ] قُدِّمَ أَكْثَرُهُ ، وَتَبَعَّهُمْ عَسَّا كُرُّ السَّاطُونَ يَأْسِرُونَ  
وَيُسْبِّونَ ، حَتَّى أَمْسَى الظَّاهِرَ .

وَحَكَى لِي مَنْ كَانَ حَاضِرًا : أَنَّهُ وَقْتَ التَّحَمَّامِ الْقَتْلَالِ بَيْنَهُمَا ، رَأَى النَّجُومَ  
فِي السَّمَاءِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ صَحِحٌ . وَلَقَدْ شَاهَدَتْ مُحَلَّ الْوَقْتَ ؛ فَرَأَيْتَهُ جَدِيدًا فِي وَقْتِ  
الرَّبِيعِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبْبِ ذَلِكَ ، فَقَيْلَ لِي : إِنَّهُ لَا يَنْبُتُ فِيهِ بَذْتٌ لِيَسْأَلُ فِيهِ  
مِنَ الدَّمَاءِ .

ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ تَوَجَّهُ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الْجَهَةِ الشَّمَائِلِيَّةِ ، وَتَرَكَ السُّلْطَانَ بِالْجَهَةِ الْجَنُوُّيَّةِ ،  
وَلِمَا افْرَدَ الْخَلِيفَةَ عَنِ السُّلْطَانِ وَأَبْعَدَ<sup>(۱)</sup> عَنْهُ ، ظَلَّمَ وَتَعَدَّ<sup>(۲)</sup> وَجَارٌ ، وَصَارَ يُخْرُجُ  
النَّاسَ مَعَهُ قَهْرًا عَلَيْهِمْ ، وَكَلَّمَا عَثَرَ بِجَوَادٍ (۱۰۰) أَخْذَهُ ، أَوْ بِمَالِ اسْتَأْصِلَهُ . فَاجْتَمَعَ لَهُ بِذَلِكَ  
مَالٌ عَظِيمٌ ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ ؛ وَعَظُمَ شَرُّهُ ، وَاسْتَغْاثَتِ النَّاسُ مِنْهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَرَادَ أَنْ  
يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَنَعَّمَ أَرْبَابُ دُولَتِهِ ، فَكَتَبَ لَهُ كَتَابًا يَقُولُ فِيهِ :

بَعْدَ مَا يَلِيقُ ، فَإِنَّكَ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ ، وَظَلَمْتَ وَتَعَدَّيْتَ ، وَقَدْ نَصَحَّتِكَ  
أَوْلًا أَنْ تَحْقِنَ دَمَاءَ النَّاسِ فَأَيْتَ ، وَكَانَ مِنَّا مَا كَانَ ، وَالآنَ فَقَدْ اسْتَعْنَتَ عَلَى  
قَتَالِنَا بِظَلْمِ الْعَالَمِ ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ؛ وَأَنَا أَنْصَحُكَ ثَانِيًّا أَنْ تَرْكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الرُّؤْوَنَةِ  
وَالْجَبَرِ وَالْعُتُوِّ ؟ فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْنَا ثَانِيًّا قَبِيلَنَا ، وَجَعَلْنَا لَكَ مَا جَعَلْنَا أَوْلًا ، وَإِنْ

(۱) كَذَا ، بَدْلٌ : بَعْدٌ .

(۲) فِي الْأَصْلِ : وَتَعَدَا .

أيَّتَ فِالْأَئْمَمْ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ الْمَذْمُومْ ؟ وَإِنْ أَصْرَرْتَ عَلَى الْقَتْالِ فَالْأُرْعَيْةُ لَا ذَنْبَ لَهَا ،  
فَعِفْفَ نَفْسَكَ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَهَا هُوَ مَالِي بَيْنَ يَدِيكَ ، خَذْ مِنْهُ مَا شَاءْتَ ، حَتَّى  
يَحْكُمَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ وَعِلِّمَ مَا فِيهِ ، مَزَّقَهُ وَلَمْ يَرِدْ لَهُ جَوَابًا ، وَزَادَ شَرُّهُ ،  
وَكَثُرَ شَاكُوهُ ؛ فَأُرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكُ الْجَهَةِ الشَّمَائِلِيةِ ، وَيُسَمَّى بِالْتَّكَنِيَّاوِيِّ فِي جَيْشِ ،  
فَذَهَبَ إِلَيْهِ التَّكَنِيَّاوِيِّ فَأَدْرَكَهُ فِي مَحْلٍ يُقَالُ لَهُ : بَوَّا<sup>(١)</sup> ، فَخَيَّنَ رَأْيَ الْخَلِيفَةِ الْجَيْشَ  
قَدْ أَقْبَلَ ، رَتَّبَ صَفَوَفَهُ وَوَقَفَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ الْجَيْشُ ، وَالْتَّقَى الْجَمَاعَ ، وَكَانَ جَيْشُ الْخَلِيفَةِ  
قَدْ أَثَرَ فِيهِ الرُّثُبَّ مِنْ وَقْعَةِ تَالَّدَوَا ، فَأَرَادَ الْانْهِزَامَ فَثَبَّتُهُمُ الْخَلِيفَةُ ، وَاقْتَحَمَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ،  
هُوَ وَجَمَاعَةُ مِنْ تَرْبِيهٍ<sup>(٢)</sup> ، (١٠١) فَكَانَ كَمَّا حَلَّ فِي جَهَةِ يَقْرُونَ مِنْهُ ، حَيَا لِأَخْنُوْفَا ،  
حَتَّى دَخَلَ فِي الْقَابَ ، وَوَصَلَ إِلَى التَّكَنِيَّاوِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ الشَّوَّهُ ، أَلْسْتَ عَبْدَ أَبِي ،  
تَغْدِرُ وَتَقْاتَلُنِي ؟ ، وَجَرَّدَ حَسَامَهُ وَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَحِينَ خَرَّ قَتِيلًا تَشَوَّشَ صَفَّهُ ،  
وَانْهَزَمَ جَنَدُهُ ، وَتَبَعَهُمْ عَسْكُرُ الْخَلِيفَةِ ، فَأَخْذَوْهُمْ قَتِيلًا وَأَسْرًا وَنَهَبَا ، وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الْفَلَّ<sup>(٣)</sup> ،  
إِلَّا الْقَاتِلُ . وَغَمَّ الْخَلِيفَةُ خَيَّاهُمْ وَسَلَاحَهُمْ ، وَمَا كَانُ مَعَهُمْ ، فَانْجَبَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَمْلَأَ النَّصْرَةَ  
عَلَى عَمَّهُ ، وَتَقْوَى بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الغَنِيمَةِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنَ ، فَاغْتَنَمَ ، ثُمَّ أُرْسَلَ أَخَاهُ رِيفَا مَعَ جَيْشٍ آخَرَ ،  
فَأَدْرَكَ الْخَلِيفَةَ فِي بَوَّا أَيْضًا . وَحِينَ رَأَاهُ الْخَلِيفَةُ رَتَّبَ صَفَوَفَهُ وَعَبَّا<sup>(٤)</sup> عَسَارَهُ . وَكَانَ قَدْ

(١) بَوَّا : وَادٍ يَقْعُدُ شَمَائِلِ دَارْفُورِ عِنْدَ خَطِ عَرْضِ ١٤٠:٦١ وَخَطِ طُولِ ٣٧:٢٤ .

(٢) التَّرْبَ هَذَا بِمَعْنَى : الْسِنِّ

(٣) الْفَلَّ : الْمَنْهَزِمُونَ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : عَبْيٌ .

أَعْدَّ كُيَّنَا فِي مَحْلٍ مُنْخَفِضٍ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي أَتَقْهَرُ بِالْمَسَاكِرِ ، وَهُمْ يَطْمَعُونَ فِي وَيَأْتُونَ  
خَافِقٍ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَعْلَوْا ذَلِكَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَرَوُهُمْ أَمَامَكُمْ ، ثُمَّ أَكْسُنُوا<sup>(١)</sup> مِنْ خَلْفِهِمْ ،  
وَانْزِلُوا فِيهِمْ ، وَأَنْهَنُوا فِيهِمْ ، وَنَحْنُ نَرْجِعُ عَلَيْهِمْ ، فَنَكُونُ أَمَامَهُمْ ، وَأَتَمْ خَلْفَهُمْ ،  
فَلَا يُفْلِتُنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . فِينَ التَّقَيَّ الْجَمْعَانَ تَقْهَرُ جَمَاعَةُ الْخَلِيفَةِ ، فَظَنَّ جَمَاعَةُ السُّلْطَانِ  
أَنَّهُ انْهَزَمَ ، فَأَوْغَلُوا فِيهِمْ ، حَتَّى صَارُوا أَمَامَ الْكَمَيْنِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، فَخَرَجَ الْكَمَيْنُ عَلَيْهِمْ ،  
وَأَنْهَنُوا فِيهِمْ بِالْقَتْلِ ، وَكَرَّ الْخَلِيفَةَ رَاجِعًا ، فَتَضَعَضَ جَيْشُ السُّلْطَانِ ، وَاخْتَلَّ أَمْرُهُمْ ،  
وَتَشَوَّشَ (١٠٢) صَفْهُمْ ، وَقُتِلَ بَاسِي رِيفَا أَخْوَ السُّلْطَانِ [وَ] أَمِيرُ الْجَيْشِ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُ  
الْجَيْشِ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ . وَحِينَئِذٍ قَوِيتَ شَكِيمَةُ الْخَلِيفَةِ ، وَطَمِيعٌ فِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى  
الْسُّلْطَانِ وَيَقْاتَلَهُ ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْحَوَالَاتِمِ .

وَلَمَّا سَمِعَ السُّلْطَانُ بَعْوَتْ أَخِيهِ رِيفَا ، اغْتَمَ غَمًا شَدِيدًا ، وَلَمْ نَفْسَهُ عَلَى التَّعَودِ  
عَنِ الْحَرْبِ ، وَقَالَ : لَوْمَ أَسْمَعَ كَلَامَ النَّاسِ ، وَتَوَجَّهْتُ بِنَفْسِي ، لَمْ يَحْصُلْ هَذَا الْأَمْرُ ،  
«وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا»<sup>(٣)</sup> . ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَقَصَدَ جَهَةَ الْخَلِيفَةِ بِجَيْشٍ  
يَسُدُّ السَّهْلَ وَالْوَعْرَ ، وَجَاءَتْ عَيْنُونُ الْخَلِيفَةِ ؛ فَرَأَوْا جَيْشَ السُّلْطَانِ وَمَا فِيهِ مِنْ الْمَسَاكِرِ ،  
الَّتِي لَا يَقْدِرُ الْوَاصِفُ عَلَى وَصْفِهَا ، وَالْعَادُ عَلَى حَصْرِهَا ، وَأَسْرَعُوا بِالْخَبْرِ إِلَيْهِ ؛ فَخَافَ عَلَى  
نَفْسِهِ وَجَمَاعَتِهِ ، فَأَصْبَحَ رَاحِلًا قَاصِدًا بِلَادِ الزَّغَاوَةِ ، لَأَنْ مَلَكَهَا خَالَهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ  
عَلَيْهِ ، لِيُمِدَّهُ بِجَلَدٍ مِنْ عَنْدِهِ . فَسَارَ يَقْطَعُ الْأَرْضَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَالْسُّلْطَانُ عَلَى أُثْرِهِ ،  
لَأَنَّ الْجَوَاسِيسَ أَخْبَرُوهُ بِقَصْدِهِ ، فَخَافَ السُّلْطَانُ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ إِلَى زَغَاوَةِ يَمِدَّهُ خَالَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : كَنُوا .  
(٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةُ ٣٨

بجيش ، ويُعسر أمره ، ويطول الحال بينهما . فجذَّ في طلبه ، حتى أدركه بمحلٍ يقال له : جَزْكُو<sup>(١)</sup> . وكان في طليعة جيش السلطان ، الأمين محمد دُكُمي بن الأمين على وجامع ، الذي سُمِّ نفسه في كُرْدفال كاسيق .

فلا تلقى الجماع ظنَّ الخليفة أن الجيش هذا فقط ، فذكر راجعاً (١٠٣) عليهم ، وناوشهم القتال ، وقاتل بنفسه ، ففرَّت الناس أمامه ، حتى وصل إلى الأمين محمد دُكُمي ، فوقف أمامه وصار يضر به بالسيف ، ويقول له : يا عبد يا خائن يا غدار ، ألك عين ترفعها ، تخون نعمتي ونعمتك أبي ، وتتأتى لقتالي ؟ والأمين ساكت لا يتغَوَّه بمحْلَوة ولا مُرَّة ، لكن كان لا يلبس درعين ؟ فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيئاً . فلما أعيَا الخليفة أمره ، تركه وأراد أن يذهب ؛ فصبر عليه الأمين محمد حتى التفت ، وضر به على عاقه الأمين بالسيف - وكان ذا قُوَّة - فكسر عظم تَرْقُوتِه ، وانكسر السيف من مقبضه ، وطار في المجال ، خذلت يدُ الخليفة وأرخى ذراعه ، وعلم بذلك الأمين محمد ، فطمع فيه وأراد أن يقبض عليه ، فأدركته جماعته خلصوه منه . وانهزم حينئذ جيش الخليفة ، وتبعه الأمين محمد بجيشه ، وأرسل السيف المكسور إلى السلطان عبد الرحمن يعلمه بما وقع ، فأرسل السلطان في الحال للأمين محمد سيفين عظيمين مُحملَيْن ، وأمره بالسير خلفه ، وأنه على أثرهم .

وكان حينئذ بالعسكر رجلٌ من أبناء العرب يقال له : زَبَادِي ، قيل إنه من فلاحين<sup>(٢)</sup> مصر ، وكان يصطاد بالبُندُق ويصيَّب . فتجاسَر على السلطان وقال له :

(١) الراجح أن المقصود بذلك جركول الواقعة على مسافة قصيرة من مدينة الفاس عند خط عرض ٤٤:٣ وخط طول ٢٥:٥٥

(٢) كذا في الأصل : بنبوت النون في جمع المذكر السالم المضاف ، وهو ما تبيّنه انعامية ولا تعرفه الفصحى .

يا مولاي ، إن أرحتك من عدوك في هذه الساعة ، فماذا يَكُون لِي عليك ؟ قال السلطان (٤) عبد الرحمن له : إذا أرحتني منه لك على مائة رأس رقيق . فقال : أرسلني إلى الأمين [ محمد ] لأكون في عسكره ، وترى ما يصيراليوم . فأرسله في الحال إلى الأمين ، بكتاب من عند السلطان يقول فيه : إن زبادي قد التزم براحتنا من عدوّنا ، والتزمنا له الجزاء في ذلك ، وطلب أن يكون في عساكرك ، فها هو واصل إليك ، فإن التمس منك شيئاً فساعده وأكرمه ، وإنى على أثركم . وركب زبادي على هجين ، ولحق بعسكر الأمين ، فأعطاه أمر السلطان ، فقرأه ورحب به ، وسار في الجيش .

وبالأمر المقدّر أن الخليفة آلمه ذراعه ، وأراد أن ينزل للراحة ، فمنعه أرباب دولته عن النزول ، فقال لهم : ولم تمنعوني ؟<sup>(١)</sup> . فقالوا : إن الأمين محمد قافٍ أثروا بجيشه ، والقتال بيننا وبينه دائر . فغضب وقال : ألم يرجع عنا ؟ فقالوا : لا . فكر راجعاً على عسكر الأمين فتعرّضوا له أيضاً ، فقال : [ أنا ذاهب]<sup>(٢)</sup> ولا بدّ .

وينما هو ينزعهم على الرجوع ، ويلاطونه في الترك ، إذ جاء زبادي وتأمل الخليفة وعرفه ، وأخذ عليه النيشان ، وأطلق البن دقية فأصابته ، قيل في صدره ، وقيل في رأسه ، فخر فأستدوه ومشى قليلاً ، وصار يجود بنفسه . فحين رأى أرباب دولته أنه يجود بنفسه ، نصبو له سرادقاً وأدخلوه فيه ، ووقف الجيش يذبح عليهم عند السلطان ، كلّما وقع منهم أمر مع أعدائهم من القبائل الآخر والقتال دائـر (٥) بين فريقين ،

(١) كذا ، بدل : تمنعوني .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية ١٠٥ Voyage, p.

حتى وصل الأمين فرأى العسكر وقوفاً ، ونار الحرب تستعر ، فسأل عن الخبر ققيل له :  
إن الخليفة أصيب بالرصاص ، وهو يجود بنفسه ، و[قد] عجز عن الحركة ، فنصبوا له  
هذا السرادق ، ووقف جيشه يذبح عنه . فقال : أما إذا كان الأمر كذلك ، فاتركوا  
القتال وأحيطوا بهم ، حتى ننظر ما يكون .

وأرسل [الأمين] إلى السلطان <sup>يعمه</sup> أن الخليفة أصيب برصاصة من زبادي وهو  
يجود بنفسه ، فإن كان يمكن مولانا أن يحضره قبل إزهاق روحه فليفعل . وبعد ذهاب  
الرسول إلى السلطان بقليل قُضي على الخليفة ، وأعلن بالباء . وتزل الجيش الذي كان  
يقاتل من ظهور الخيل ، وكذا نزل جيش الأمين . مفرد من البسيط :  
*لَا يَأْمِنُ الدَّهَرَ ذُو بَغَىٰ وَلَوْ مَلِكًاٰ جَنْوَدُهُ ضَاقَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ*  
مفرد لـ كاتبه ، من الكامل :

*لَا يَمْنَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيفُ مِنَ الرَّدَىٰ وَلَا يَمْنَعُ الْمَقْدُورَ بُرْجٌ مُشَيدٌ*<sup>(١)</sup>  
وبعدها بقليل حضر السلطان وجيشه فاخترق الصفوف . وحين رأى جيش الخليفة  
أعطوه الطاعة ، فدخل السرادق هو والأمين محمد ، وجماعة من أرباب الدولة ، وكشف  
الغطاء عن وجه الخليفة ، وبكي بكاء شديداً وقال : يا ولدى ، أنت فعلت هذا بنفسك  
ونصحتناك (١٠٦) فلم تقبل ، « وكان أمراً لله قدراً مقدوراً » . ثم التفت إلى أرباب دولة  
الخليفة وقال لهم : لقد زينتم القتال لولدى حتى قتلتموه ؟ أَمَّا فيكم ذو عقل يكشفه

(١) ضبط الشطر الثاني في الأصل بضمتين على الجيم في « برج » وشدة على الياء  
في « مشيد » . وإذا كان الشطر الأول من بحر الكامل فان الشطر الثاني بهذا  
الضبط ليس من الكامل بل من بحر الطويل .

وينصحه ؟ فاختوا كلهم أنهم برأه ما كان فيه ، وأنهم نصحوه فلم يقبل ، وقالوا له : يا سيدنا ، نحن تقلدنا نعمته ، وقاتلنا عنه حتى قضى الله فيه ، وما خناه . وإن أنت قبلتنا قاتل عنك كذلك ، ولو خناه وخدمناك خنونك أيضًا . فعرف حمة قوله وقال : قد عفوت عنكم ، فمن أراد أن يكون مع منكم فهو على رتبته ومقامه ، ومن أبي يلق خيراً . ثم أمر بدفن الخليفة في ذاك المحل ، وأبى يدفنه <sup>(١)</sup> في مقبرة الملوك <sup>(٢)</sup> ، وقال : هذا عاق لا يدفن في مقابرنا . فدفن هناك .

وأقام السلطان بقية نهاره وليلته ، وأصبح فاغلاً إلى الفاشر ، محفوفاً بالنصر ، مستبشراً بذهاب العسر <sup>(٣)</sup> ، كان أبو الطيب رأه على تلك الحال ، حين أنسد وقال ، من الكامل :

سِرْ حِيثُ شِئْتَ تَحْكُمُ الْأَنْوَارُ<sup>(٤)</sup>  
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ<sup>(٥)</sup> الْأَقْدَارُ  
وإِذَا ارْتَحَلَتَ فِرَاقَتْكَ<sup>(٦)</sup> سَلَامَةُ  
حِيثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةُ<sup>(٧)</sup> مِدْرَارُ<sup>(٨)</sup>  
[وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تَحْاولُ فِي الْعِدَى  
حَتَّى كَانَ صَرْوَهُ أَنْصَارُ<sup>(٩)</sup>]

(١) كذا ، وهو تعبير عامي .

(٢) تقضي التقاليد في سلطنة دارفور أن يدفن السلطان المتوفى في مقابر السلاطين بترة إذا مات ميتة طبيعية . أما إذا مات قتيلاً فإنه يدفن في المكان الذي قتل فيه . وقد سمعنا هذا عن الأمير سليمان ابن السلطان علي دينار بمدينة الفاشر بدارفور .

(٣) في الأصل : عسر .

(٤) في رواية أخرى : « سر سل حي ث تحكم الأنوار »

(٥) في الأصل : مراده .

(٦) في الأصل : فشيعتك .

(٧) الديمة : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق .

(٨) المدار : الدائم الدر .

(٩) الزيادة عن الديوان .

وَصَدَرَتْ أَغْنَمَ صَادِرٍ مِّنْ مُورِدٍ  
 مَرْفُوعَةً لِقَدْوَمِكَ الْأَبْصَارُ  
 أَنْتَ الَّذِي لَهُجَ (١) الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ  
 وَتَزَيَّنْتَ بِحَدِيثِ الْأَسْمَارُ  
 وَإِذَا عَفَا فَعْطَاؤُهُ الْأَعْمَارُ  
 (١٠٧) وَلَهُ - وَإِنْ وَهَبَ الْمَلَوْكُ - مَوَاهِبٌ  
 دَرُّ الْمَلُوكِ لِدَرَّهَا أَغْبَارُ (٢)  
 وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَمَارُ  
 اللَّهُ قَلْبُكَ لَا يَخَافُ (٣) مِنَ الرَّدَى  
 وَيَحِيدُ عَنْ طَبَعِ الْخَلِيقَةِ (٤) كُلُّهُ  
 يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى الْأَعِزَّةِ جَارُهُ  
 وَيَذَلُّ مِنْ (٥) سَطَوَاتِهِ الْجَبَارُ  
 كَنْ حَيْثُ شَئْتَ فَما تَحُولُ تَنْوِفَةُ (٦) دَوْنَ الْلَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ (٧) مَزَارُ  
 وَكَانَ الْفَاثِرُ (٨) إِذَا ذَاكَ بِالْمُحْلِّ الْمَسْمَى : قِرْلِي ، وَكَانَ فَاثِرُ السُّلْطَانِ تِيرَابَ الْرِّيلِ (٩) ،  
 وَفَاثِرُ الْخَلِيقَةِ بِجَدِيدِ رَاسِ الْفَيلِ (١٠) ، ثُمَّ اتَّهَلَ [السُّلْطَانُ عَبْدُ الرَّحْمَن] بَعْدَ ذَلِكَ وَجَعَلَ  
 الْفَاثِرَ بِالْمُحْلِّ الْمَسْمَى : تَنْدَلِي ، وَهُوَ فَاثِرُ ابْنِهِ [السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ فَضْلٍ] الْآَنَ . وَلَمْ يُعَهَّدْ لِلْفَوْرِ  
إِقَامَةٌ فِي فَاثِرٍ كَلِّا قَاتِمَهُمْ فِي فَاثِرٍ هُمْ هَذَا ، الْمَسْمَى تَنْدَلِي .

(١) فِي رَوَايَةِ أُخْرَى فِي الْدِيَوَانِ : بَسِيجَ بَكْسِرُ الْجِيمِ أَيْ : فَرَحٌ .

(٢) الْأَغْبَارُ جَمْعُ غَبَرٍ بِضمِّ الْغَيْنِ وَسَكُونِ الْبَاءِ وَهُوَ بَقِيَّةُ الْبَيْنِ فِي الْضَّرَعِ .

(٣) فِي رَوَايَةِ : مَا تَخَافُ .

(٤) فِي رَوَايَةِ : الْخَلَائِقِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : فِي

(٦) التَّنْوِفَةُ : الْفَلَّةُ الْوَاسِعَةُ .

(٧) يَشِطُّ : يَبْعَدُ .

(٨) سَبْقُ شَرْحِ « الْفَاثِرَ » فِي صِ ٦٤ حَاشِيَةٌ ٤ .

(٩) الْرِّيلُ : اسْمُ جَبَلٍ يَقْعُدُ شَمَالَ شَرْقِ مَدِينَةِ نِيَالَا عَنْدَ خَطِّ عَرْضِ ١٢:٢٧ وَخَطِّ طَوْلِ ٢٥:٣٨ .

(١٠) جَدِيدُ رَاسِ الْفَيلِ : اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى حَلَةٍ وَبَئْرٍ يَقْعُدُ شَمَالَ شَرْقِ مَدِينَةِ نِيَالَا وَشَرْقَ بَلْدَةِ مَنْوَاشِي ، عَنْدَ خَطِّ عَرْضِ ١٢:٤٠ وَخَطِّ طَوْلِ ٤٢:٤٢ .

ولما أراح [اليتيم]<sup>(١)</sup> قلبه من قتال الخليفة وسكن جأشه ، نظر في أمر الرعية ، فأبطل المكوس ، ورفع المظالم ، ووَلَى المناصب ، وانتبه لعارِ البلاد ، ورفاهية الحال ، وقطع الإعلان بشرب المحر والزنا ، وأمّن الطرق وكانت محفوفة . وبعد ذلك صارت أمّنا ، حتى أنّ المرأة كانت ت safر من أقصى البلاد إلى أدناها ، محمّلةً من الحلي والمتع ، لا تخشى إلا الله . وكثرت التجارات ، وتتابع الخصب ؛ وأظهر العدل التام ، فكان لا يُنكِّر ظالماً ولا يُعْيِّنه ، ولو كان من ذوى قرابةه .

ولقد أخبرني الشّفّة : أنّ أعرابيَّين تعرّضوا يوماً - وكان (١٠٨) قادماً من الصيد -

قال له أحدهما : أنا مظلوم ، يا رشيد ، الله يخليك ، يا رشيد ، أنا مظلوم . ومن عادتهم أنّ المظلوم إذا جاء أمام السلطان ، يضع إصبعه بيده اليمنى ، أي السبابة والإبهام ، على شدقته ، ويردّدهما مع إخراج صوتٍ عالٍ ، فيه كافٌ واحدة وراءاتٌ كثيرة مضمومة ، فيخرج من فيه صوتٌ يقال له : السُّكُورَاك . وهذا الصوتُ لا يصوت<sup>(٢)</sup> به أحد ، إلا إذا كان أصيب بمصيبة . فكان الأعرابيُّ بصوتٍ كذلك ، ويقولُ بعد كل صوت : الله يخليك ، يا رشيد ، أنا مظلوم . وشغّل عنهم السلطان ، إما لأمرٍ قام به ، أو لأنّه لا يسمعه ، لكثره الطبول والغناء وأصوات الجند . فسُكُورَاك الأعرابيُّ مراراً ، فلما لم يحبه السلطان ، قال له صاحبه : خله عنك ، رشيد لنفسه لالك . فسمعه السلطان ، فوقف وسأل الأعرابيَّ عما قال ، فقال : إنّ أخي هذا سُكُورَاك مراراً ، واشتكى لك ، وهو ينادي : يا رشيد ، أنا مظلوم . فلما لم تجئه قلتُ له : خله ، فإنه رشيد لنفسه ، غير رشيد لك . فضحك السلطان وقال : بل أنا رشيد لك أيضًا ، قل لي : منْ

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage p. 103.

(٢) في الأصل : لا يصوته به .

ظلمك؟ قال : ظلمني باسي خَبِير . وكان باسي خبير من أقاربه . فقال : وما أخذ منك؟ قال : أخذ مني خمس نياق . فوقف مكانه ، ودعا بباصي خبير وسأله ، فاعترف . فأمر أن يدفع له عَشْر<sup>(١)</sup> نياق ، خَسَّا حَقَّه ، وَخَسَّا تَأْدِيبًا (١٠٩) له . فدفعها ، وذهب الأعرابيان ، وهما في غاية الغبطة والسرور .

وفي أيامه تلك نصب محمد كُرَا في منصب الأب الشيخ ، وهو أجل المناسِب هنالك . صاحبُه مطلوقُ السَّيْف ، له دُولَةٌ كَدوَلَةِ السُّلْطَان ، وشاراتٌ كشاراته . ومن عادة هذا المنصب [أنه] لا يتولاه إلا خَصِّي ، لأنَّه يُخْشَى من غير الخصي ، إذا تولاه ، وقويتْ شَكِيمتَه ، أن يصادِرَ السُّلْطَان ، ويطلبَ الْمُلْكَ لِنَفْسِهِ . وبعد توليهِ الأب الشيخ محمد كُرَا ، وجَهَه إلى البَلَاد ، فنزلَ في أبي الجُدُول ، وسلَكَ طرِيقَ العدْلِ فِي الْعَالَمِ ، وضبطَ الْأُمُورِ ، حتى أنه قُتلَ أَنْاسًا كثِيرين ، لِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الظُّلْمِ .

ولَمَّا ظهرَ عَدْلُ السُّلْطَان ، وَحُبِّهُ لِلعلماءِ وَأهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَشْرَافِ ، وَفَدَ عَلَيْهِ الْأَشْرَافُ وَالْعَالَمَاءُ مِنْ جَهَاتٍ عَدِيدَةٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ وَافِدٍ عَلَيْهِ وَالَّذِي ، عَلَيْهِ سَحَابَ الرَّحْمَةِ وَالرَّضوانِ . وكان حينَ قدومِه إلى دارفور ، نزلَ بِكُوبِيَّه على الفقيه حسن وَدَ عَوْضَةِ . وبلغَ أَهْلَ كُوبِيَّهُ أَنَّهُ جَاءَهُمْ رَجُلٌ عَالَمٌ مِنْ تُونِسِ ، فاجتَمَعُوا عَلَيْهِ أَكَابِرُهُمْ ، كالفقيهِ محمد كُرَا تَنِيمِ ، والشَّرِيفِ سُرُورِ بْنِ أَبِي الْجُودِ ، وعبدِ الْكَرِيمِ ابْنِ الفَقِيهِ حَسَنِ وَدَ عَوْضَةِ ، وأَخْرَاهُمْ . وطلَبُوا مِنْهُ قِرَاءَةً مُختَصِّرَ الشَّيْخِ خَلِيلَ ، فقرأُوهُمْ مِنْهُ رُبْعَ الْعِبَادَاتِ . ووصلَ خبرُه إلى الفقيهِ مالِكِ الْفُوتُوَّى ، فَأَعْلَمَ بِهِ السُّلْطَان ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فذهبَ لَهُ فَأَكْرَمَهُ ، (١١٠) وأعْطَاهُ عَدَّةَ جَوَارِي ، وأمْرَهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الفَقِيهِ نُورُ الْأَنْصَارِي ، زوجِ ابْنِتِهِ الْمَيْرَم<sup>(٢)</sup> حَوَاءَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : عَشْرَةُ

(٢) الميرم : لقب يطلق على كل بنت من بنات السلطان في دارفور ومعناه : الأميرة ،

Balfour - Paul (H. G.) History and Antiquities

of Darfur p. 19, SNR, XXXIII, Part I. pp. 129 - 130, Browne : Travels, p. 296.

وكان رجلاً من سلالة الأنصار ، محبًا لأهل العلم ، وفيه فقه<sup>(١)</sup> ، فقرأ على والدى نبذة من صحيح البخارى .

وأعلم السلطان يعلمه ، وأنه ماهر في العلوم العقلية والنقلية . فأحضره لديه ، وقرأ عليه في شهر رمضان جزءاً من الحديث ، وتعلقت به آمالُ الفقيه مالك ، فأمر أولاده أن يحضره عليه ، فحضر عليه من إخوانه الفقيه إبراهيم ، والفقىه مدائى ، والفقىه يعقوب ، ومن أولاده الزاكى ، والستنوسى ، ومحمد جلال الدين ، وابن أخيه الفقىه محمد البزكلاوى ، وحضر عليه الفقىه حسين ود تورس . وأمره السلطان أن يكتب [شرحًا] على الخصائص ، التي ألف متنها مغلطاتى التركى ، فكتب عليها شرحاً عظيماً ، نحو ستة عشر كراساً ، سماه : الدرة الوفية ، على الخصائص الحمدية . وسأله في شرح على مختصر الشيخ خليل المالكى في الفقه ، فكتب عليه شرحاً في مجلدين ، سماه : الدر الأوقاف ، على متن العلامة خليل بن إسحاق . وكتب على الأجر ومية شرحاً كبيراً ، أدخل فيه نحو مائة بيتٍ من أبيات ابن مالك ، فأتقى مجلداً ضخماً ، ثم اختصره في كراريس . وكتب على السلم المروق ، شرحاً لطيفاً في كراريس . وألف (١١١) رسالة في علم الكف<sup>(٢)</sup> .

ووفد على السلطان عبد الرحمن ، الفقيه الزاهد الناصف الشيخ التمروقى القلابى ، ووفد عليه الفقيه النبي الشيخ حسين عماري الأزهري . ووفد عليه من أشراف مكة الشريف مساعد ، يقال : إنه من أولاد الشريف سرور . وكان قاضيه الفقىه النزيم الشيخ عز الدين الجامعى ، وهو قاضى القضاة بدارفور وأعمالها .

وكان السلطان عبد الرحمن جواداً كريماً عادلاً عنيفاً بالنفس . وكان وسطاً

(١) كذا .

(٢) في الأصل : الكتف .

القامة ، شديدَ السواد ، قد وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، أَبْحَثَ الصَّوْتُ ، شديدَ الغضب ، سريعُ الرضا ، ذا تدبيرٍ حسن .

فِنْ حُسْنِ تدبيرِهِ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَتِ الْفَرَانْسَاوِيَّةُ مَصْرَ ، وَهَرَبَ الْفَزُّ عَنْهَا ، تَوَجَّهَ إِلَى دَارِفُورِ مِنْهُمْ كَاشِفٌ يَسْعَى : زَوَانَةً كَاشِفٌ . قِيلَ إِنَّهُ مِنْ مَالِيكِ مَرَادِ بَيْكَ ، أَوْ هُوَ أَحَدُ كَشَافِ الْأَلْفِيِّ ، وَمَعْهُ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ مَالِيكٍ ، وَمَعْهُ أَمْتَعَةٌ زَائِدَةٌ ، وَبِجَمَالٍ وَخَدَمٍ وَطَبَانَخٍ وَفَرَّاشٍ وَسُيَّاسٍ . وَأَخْذَ مَعَهُ مِدْفَعًا وَهَاوْنَ بُنْبَ . فَخَيْرَ حَلَّ بِدارِفُورِ ، أَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَحْسَنَ مَاقَاهُ ، وَأَنْزَلَهُ نُزُلاً حَسَنَاً ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ شَيْئاً كَثِيرًا ، حَتَّى صَارَ لَا يَعْرِفُ رَقِيقَهُ لَكَثْرَتِهِ .

ثُمَّ طَلَبَ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتَ كَيْبُوتِ مَصْرَ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَضَرَبَ الْأَجْرُّ ، وَاسْتَخْدَمَ الْعَبِيدَ فِي قَطْعِ الْأَحْجَارِ ، وَصَنَعَ بَيْتَ (١١٢) جِيلَا ، وَسَوَّرَهُ بِسُورٍ ، وَجَعَلَ الشُّورَ عَرِيضًا ، وَجَعَلَ فِيهِ مُزْغَلَتَيْنِ (١) مُقَابِلَتَيْنِ ابْيَتِ السُّلْطَانِ ، يَضْعُفُ فِي إِحْدَاهُمَا الْمِدْفَعُ ، وَفِي الْأُخْرَى هَاوْنَ الْبُنْبَ .

وَكَانَ مَحْلُّهُ هَذَا الْبَيْتُ أَعْلَى مِنْ مَحْلٍ بَيْتِ السُّلْطَانِ ، بِحِيثُ كَانَ يَرَى السُّلْطَانَ حِينَ يَدْخُلُ وَحِينَ يَخْرُجُ . فَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتَلَ السُّلْطَانَ ، وَيَمْلِكَ الْبَلَدَ ، بَأْنَ يَرَصُدَهُ (١) وَهُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجٌ ، وَيَطْلُقَ عَلَيْهِ مِدْفَعًا يَهْلِكُهُ بِهِ . لَكِنْ خَافَ إِنْ قُتِلَ السُّلْطَانُ لَا يَطِيعُوهُ (٢) أَهْلُ الْمُلْكَةِ ، وَأَرْبَابُ الدُّولَةِ . فَاحْتَسَلَ أَنْ اجْتَمَعَ بِالْفَقِيهِ الْقَيْبُ وَدُ مَصْطَفِيِّ ، وَكَانَ هَذَا الْفَقِيهُ وَزِيرَ السُّلْطَانِ تِبَابُ وَصَهْرَهُ ، أَعْنَى أَنَّ السُّلْطَانَ

(١) المزغلة : فرجة في الحائط .

(٢) في الأصل : يرصده .

(٣) في الأصل : يطعوه .

تيراب كان متزوجاً بأخته ، وأنت منه بولد . فلماً اجتمع عليه زواحة كاشف ، فشى<sup>(١)</sup> سرّه له ، بعد أن عاهده على السكتمان ، وقال له : إنه قد بلغنى أن ابن أختك ابن السلطان ، وأريد أن تجعل يدك معى ، فنقتل هذا ، ونولى ابن أختك ، وتصير المملكة بيننا . فرضي الفقيه الطيب بذلك ، ثم قالوا : إن هذا الأمر لا يتم لنا ، إلا بإدخال بعض الناس ، الذين تكون لهم عساكر . فقال زواحة : ذاك إليك ، وأنت أعرف الناس به .

فصار الفقيه الطيب يخدع الناس ، ويأتي بهم إلى الكاشف ، والكاشف يعطيهم الأموال ، ويحلفهم أن يكونوا معه ، حتى أدخلوا في أمرهم عدّة (١١٣) رجال .

وانتفق أن رجلاً من الأمراء خادعه الفقيه الطيب ، وجاء به إلى الكاشف ، فأعطاه عطية سنّية ، وأطلعه على الأمر ، وحلفه على السكتمان خلف . وأخذ العطاء وتوجه به إلى السلطان ، وأطلعه على جيلية الأمر وحقيقةه . فقال له السلطان : خذ عطاءك واذهب ، ولكن معهم على ما أنت عليه ، وإياك أن تخبر أحداً أنك أتيتني .

ولما كان من الغد ، جاء زواحة كاشف إلى بيت السلطان ، فأكرمه أكثر ما كان يُكرِّمه ، وأعطاه في ذلك الوقت مائة عبد ، ومائة جارية ، ومائة ناقة ، ومائة جرّة سمناً ، ومائة عسلاً ، ومائة حمل دخنا ، وكسه كشميراً أحمر ، وجُودة حمراء ، وقلده سيفاً ، وأعطاه جواداً سرجه من ذهب . وتوجه الكاشف إلى منزله مقتبطاً

---

(١) كذا في الأصل بالياء وبدون همزة ، وهي صيغة عامية ، بدل : أفضى .

بما حصل له من السلطان ، وقال : هذه أموال ساقها الله إلى ، أستعين بها على هذه المصلحة<sup>(١)</sup> .

ولما أمسى المساء ، وكان بعد العشاء ، أمر السلطان بإحضار ملائكة من الملوك بعسكره ، وأمره أن يقف حتى يرى الكاشف دخل دار السلطان ، [ وحيثند ] يعقبه ويضبط جميع ما في بيت الكاشف من الأموال ؛ وحذره من <sup>(٢)</sup> أن يفلت منه شيء . ثم أرسل للكاشف غلاماً يقول له : إن سيدى جلس للسمير ، وقد أراد أن تحضر مجلسه الآن . ورتب عبيداً للقبض عليه عند أمر السلطان به .

فذهب (١٤) العلام وأخوه بمقابل السطاتن ، تحضر معه . ولما دخل على السلطان أكرمه ، وكان معه بعض من الخدم <sup>(٣)</sup> دخلوا معه بابين ، ومنعوا أن يدخلوا من الثالث . وقيل لهم : اصبروا هنا حتى يأتي سيدكم . فسكنوا مكانهم <sup>(٤)</sup> . وجلس السلطان يتحدث مع الكاشف ، حتى فاتت من الليل حصة ، فقال السلطان : إنني جائع ، وأنتم ما يؤكل . فأتي بلحم نسيص ، أى حنيد غير مقطع ، فالتمسوا سكيناً فلم يجدوا ، فأخرج الكاشف سكيناً كان معه ، وأراد أن يقطع اللحم ، خلف عليه بعض الحاضرين ألا يفعل ، وأنه هو الذي يقطع . فأخذ منه السكين وصار يقطع بها ، فأخرج الكاشف الخنجر فأخذه آخر ، وحيثند أمر السلطان بالقبض عليه . فلما قُبض عليه ، قال له السلطان : أى ذنب جرّى لك مي ، حتى أنك تريد قتلي ،

(١) يريد بالمصلحة هنا مشروع المؤامرة التي دبرها للتخلص من السلطان .

(٢) في الأصل : عن .

(٣-٤) العبارة في الأصل : « دخلوا معه بابين ومنع أن يدخل ، من الثالث وقيل له اصبر هنا حتى يأتي سيدك فكتس مكانه » . وكتسوا بمعنى : سكروا .

وَتُغْوِي عَسَاكِرِي وَتَخَادِعُهُمْ ؟ فَقَالَ : أَقْلَنِي . فَقَالَ : لَا أَقْلَنِي اللَّهُ إِنِّي أَقْلَتُكَ .  
وَأَمْرٌ بِذَبْحِهِ فِي الْحَالِ ، فَذُبْحَ كَالشَّاةِ .

وَفِي الْحَالِ حِيَّةً بِأَمْوَالِهِ ، وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ رِيقَيْ (١) وَغَيْرِهِ ، حَتَّى لَمْ يَقِنْ  
فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ . وَأَمْرٌ بِالسُّلْطَانِ بِهِدمِ بَيْتِهِ فَهُدِمَ ، وَجُحِيَّتْ رِسْمُهُ ، وَكَانَهُ لَمْ يَكُنْ . وَقُبْضَ  
عَلَى أَتَابِعِهِ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ ، وَبَاتُوا مَحْبُوسِينَ .

وَلَا أَصْبَحَ الصِّبَاحَ ، دَعَا بِهِمِ السُّلْطَانُ خَضْرَوْ ، فَعَفَّا (٢) عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ ،  
وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ خَازِنَدَارَ الْكَاشِفِ ، وَكَانَ يُسَمَّى (١١٥) يُوسُفَ ، ثُمَّ تَبَعَ جَمِيعَ  
مِنْ تَعَاهِدَ مَعَ الْكَاشِفِ ، وَقُبْضَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا . بَعْدَ وَاحِدًا ، حَتَّى لَمْ يَقِنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .  
وَكَانَ آخَرَهُمُ الْفَقِيهُ الطَّيِّبُ ، فَإِنَّهُ قَبَضَ عَلَيْهِ ، وَفَتَاهُ أَشَرَّ قِتْلَةَ ، وَسُجِنَ ابْنُ أَخْتِهِ  
سَجْنَ الدَّوَامِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ .

وَكِيفِيَّةُ القِبْضِ عَلَى الْمُقْيَهِ الْمَذَكُورِ : أَنَّهُ أَرْخَى لِهِ الْعِنَانَ ، وَبَذَلَ لِهِ الْأَمْوَالَ ،  
وَأَظَهَرَ لِهِ الْوَدَّ الْتَّامَ ، بَحِيثُ أَنَّ الْفَقِيهَ الطَّيِّبَ لَمْ يَخْطُرْ بِيَدِهِ أَنَّ السُّلْطَانَ مَعْهُ عِلْمٌ بِأَنَّهُ كَانَ  
مَعَ زَوَّانَهُ كَاشِفٌ . وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ مَدَةً ، حَتَّى كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، [أَنْ] حَضَرَ  
الْفَقِيهُ الطَّيِّبُ دَارَ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ جَالِسًا فِي دِيَوَانِهِ ، وَحَضَرَتْ لَهُ إِبْلٌ مَوْقُورَةٌ  
عَسْلًا ، فَأَعْطَاهَا الْفَقِيهُ الطَّيِّبُ وَأَمْرَ لَهُ بِكُسُوَّةٍ ، فَأَحْضَرَ لَهُ كَشْمِيرَ أَحْمَرَ ، وَكُسُوَّةٌ  
جَلِيلَةٌ ، فَلَبَسَهَا وَدَعَا لِلْسُّلْطَانِ بِدَوَامِ الْعَزَّ وَجَلِسَ . وَمِنْ عَادَةِ مَلُوكِ الْفُورِ إِذَا كَسَوُا

(١) فِي الْأَصْلِ : رِيقَهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : فَعْفَى .

(٣) فِي الْأَصْلِ : يُوسُفَا وَثُمَّ .

إِنْسَانًا كُسوةً حِرَاءٍ فَإِنْهُمْ [يَكُونُونَ] فِي غُضْبٍ عَلَيْهِ ، وَلَا بَدَّ مَا يُقْتَلُونَ<sup>(١)</sup> .

وَتَذَكَّرُ السُّلْطَانُ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَنِفَاقَهُ مَعَ السَّكَافِ فِي آخِرِ الْجَلْسِ . فَالْتَّفَتَ إِلَى الْحَاضِرِينَ ، وَقَالُوا لَهُمْ : أُشَهِّدُكُمْ بِاللهِ ، هَلْ هَذَا الْفَقِيهُ فِي أَيَّامِ أُخْرَى أَرْفَهُ حَالًا ، وَأَكْثَرُهُ أَلَا ، أَمْ [فِي] هَذَا الْوَقْتِ ؟ . قَالُوا لَهُمْ : لَا وَاللهُ ، بَلْ فِي هَذَا الْوَقْتِ [هُوَ] أَرْفَهُ وَأَغْنَى ، وَأَنْفَدُ كَلْمَةً . قَالَ السُّلْطَانُ : سَأُؤْهِي حِينَئِذٍ لِمَ خَانَقَ وَتَوَاطَأَ مَعَ السَّكَافِ عَلَى قَتْلِي ، وَخَرَابِ دَارِي ؟ . فَسَأَلُوهُ ، فَأَقْسَمَ عَلَى السُّلْطَانِ (١١٦) بِاللهِ الْعَظِيمِ أَنْ يُقْتَلَهُ ، وَلَا يَكَافِهُ جَوَابُهُ هَذَا السُّؤَالُ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ عِنْدَهُ أَهُونُ مِنْ ذَلِكَ . فَأَبْرَأَ السُّلْطَانُ قَسْمَهُ حِينَئِذٍ ، وَأَمْرَ فَذْبُحَ كَالْشَّاهَ ، وَأَخْذَ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضَّيْاعِ ، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُ شَيْءٌ .

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ أَرْسَلَ الْعَسَارَكَرَ لِأَخْذِ مَالِهِ مِنْ ضَيْاعِهِ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدْهَةٍ ، وَعَيْنَ لَهُمْ أَنْ يُكْبِسُوهُا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعْيَنِهِ ، خَوْفًا أَنْ يَطِيشَ الْخَبَرُ ، وَيُفْلِتُهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ سَعادَتِهِ .

وَمِنْ سَعادَتِهِ أَيْضًا أَنَّ جَمِيعَ مَنْ رَأَمَهُ بِسُوءِ يَخْذَلَ ، وَيُمْكِنُهُ اللَّهُ مِنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا حَصَلَ مِنْ إِلَيْكُرِي كَتَانَةَ أُمَّ حَبِيبِ الْمُتَقْدِمِ ذَكْرُهَا<sup>(٢)</sup> . وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ تَغَافَلَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَقْبِبْ بِمَا وَعْدَهَا بِهِ ، إِمَّا لِأَمْرِ قَامَ بِهِ ، أَوْ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهَا أَوْ مِنْ وَلَدِهَا . فَلَمَّا رَأَتْ تَغَافَلَهُ عَنْهَا<sup>(٣)</sup> وَكَانَتْ فِي دَارِ السُّلْطَانِ ، وَابْنُهَا حَبِيبٌ مُتَأَهِّلٌ فِي دَارِهِ لَهُ ، عَقَدَتْ لَهُ بِالْمَكَاتِبَةِ مَعَ بَعْضِ الْمَلُوكِ عَقْدًا ، وَاتَّفَقَتْ مَعَهُ أَنْ يَسْاعِدَ حَبِيبًا لِيَتَوَلَّ

(١) كَذَا ، بَدْلٌ : وَلَا بَدَلَ أَنْ يُقْتَلُوهُ .

(٢) راجع ص ٩٣ ، حاشية ١ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : لَهَا .

سلطاناً ، خصوصاً] و [قد انقطع أمرُها ، حين رأى أنَّ السلطان ولدَ له ، خافتُ على ولدها . لكنَّ السلطان ، وإنْ كان تعاون عنها ، إلا أنه كان مُبقيها في منصبها آمرةً ناهيةً ، [و] مقاليدُ أمور الدار كُلُّها بيدها . فلما نوتُ الغدر بالسلطان ، استأذنته في أنَّ حَيْبَاً<sup>(١)</sup> يريد أن يصنع وليةً : (١١٧) وأريد أن أُمِدَّه بطبعَام من هنا ، فأذن لها السلطان في ذلك . فصنعت الطعام ، وصارت تأتي بالجندَات ، وتضعُ الدروعَ في الجفنة ، ثم تجعلُ الطعام فوقها ، بحيث أنَّ من يرى الجفنة لا يظُنَّ أنَّ فيها غيرَ الطعام . وكانتْ تضعُ في واحدةٍ دروعاً ، وفي أخرى سبوفاً . فأخرجتْ ما يزيد عن (٢) مائةً جفنةً بهذه الصورة .

ثم مكثتْ مدةً أيام ، واستأذنتْ له في وليةٍ أخرى ، فأذن لها ، ولم يخطرْ بباله شيءٌ مما في نفسها ، لأنَّه كان سليمَ الصدر ، غيرَ ظنَّانٍ بالسوء . ففعلتْ كما فعلتْ في المرة<sup>(٣)</sup> الأولى .

وبعد أيام أيضاً استأذنته كذلك ، وقبلَ إبراز الولية الثالثة ، كانتْ عندها بنتٌ من بناتِ الأكابر ، جميلةُ الصورة ، تربَّيها ، فرآها السلطان على حين غفلة فأحبَّها ، ونوى في نفسه أنْ يخاطبُ إياً كُلِّيًّا في شأنها ، ويعقدَ عليها . وكانَ أمَّ حبيب فهمتْ من السلطان ذلك ، فصارتْ تؤذِيهما لأنَّها أعدَّتها لولدها حبيب . فلم تُطِقُّ البنتُ الأذية<sup>(٤)</sup> ، خصوصاً وقد انكشفتْ على غدرِها بالسلطان ، وما تريده أنْ تصنعه معه . فاختلستْ نفسها ،

(١) في الأصل : حبيب

(٢) كذا ، بدل : على .

(٣) في الأصل : بالمرة .

(٤) في الأصل : الاذية .

وَقَابَلَتِ السَّاطَانُ عَلَى خَلَاءٍ ، وَأَخْبَرَهُ أَمَّ حَبِيبٌ أَخْرَبَتْ خَزِينَةَ السَّلاحِ وَالْأَمْتَعَةِ ، وَأَنَّ الْوَلَاءَ كُلَّهَا مَلْوَءٌ بِالدَّرْوِعِ وَالسَّيْفِ ، وَأَنَّهَا تَعَاقَدَتْ مَعَ الْمَلَكِ فَلَانِ وَفَلَانِ (١١٨) بِأَنَّهُمْ يَسَاعِدُوهَا<sup>(١)</sup> عَلَى قَتْلِكَ ، وَتَوْلِيهِ « حَبِيبٌ » الْمَلَكِ وَإِنْ كَنْتَ فِي شَكٍّ مَا أَقُولُهُ ، إِقْلِبْ<sup>(٢)</sup> جَفَنَةً مِنَ الْجَفَنَاتِ الَّتِي تَخْرُجُ فِي الْوَلِيمَةِ فِي غَدٍ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ صَحَّةَ قَوْلِي . فَقَالَ لَهَا السَّاطَانُ : إِرْجِعِي إِلَى مَقْرِئِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ أَعْلَمْتَنِي<sup>(٣)</sup> بِشَيْءٍ . فَرَجَعَتْ ، وَضَاقَ صَدْرُ السَّاطَانِ لِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَ بَعْضَ الْخَدَمَةَ أَنَّ : أَخْبَرْتِي فِي غَدٍ ، قَبْلَ خَرْجِ الْوَلِيمَةِ إِلَى حَبِيبٍ . وَاسْتَكْتَمَهُ فَكَتَمَهُ .

وَبَقَى الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، وَصَنَعَتْ [أَمَّ حَبِيبٌ] الْوَلِيمَةَ ، وَنَادَتِ الْعَبِيدَ وَالْجُوَارِيَ يَرْفَعُنَّ الْجَفَنَاتِ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَادِمُ بِأَنَّ الْوَلِيمَةَ قَدْ تَجَهَّزَتْ . فَدَخَلَ فِرَائِي أَمَّ حَبِيبٌ تَرْتَبُهَا لِلْحَمْلِ . فَقَالَ : عَلَى رِسْلِكُمْ<sup>(٤)</sup> ! ثُمَّ قَالَ : ارْفَعُوا الْأَغْطِيَةَ ، وَأَرْوُنُوهُ لِلْوَلِيمَةِ وَلَدِي حَبِيبٌ . فَرَفَعُوا الْأَغْطِيَةَ فَرَأَى طَعَامًا حَسَنًا ، فَجَاءَ إِلَى جَفَنَةٍ فِيهَا طَعَامٌ يُحِبُّهُ ، وَقَالَ : اتَرْكُوا هَذِهِ لِي ، وَاجْعَلُو مَا فِيهَا فِي أَوَانٍ صَغَارٍ ، لَا كُلُّ مِنْهَا أَنَا وَبَعْضُ أَصْيَافِي لِي . فَقَالُوا : سَمِعْاً وَطَاعَةً .

وَجَاءَتِ أَمَّ حَبِيبٌ حِينَ بَاغَهَا ذَلِكُ ، وَقَالَتْ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! عِنْدَنَا مِنْ نَوْعِ هَذَا الطَّعَامِ كَثِيرٌ<sup>(٥)</sup> ، فَلَيَتْرُكْ مَوْلَايَ الْجَفَنَةَ ، وَنَحْنُ نَأْتِيهِ بِكَثِيرٍ مِنْهُ . فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ ، وَإِنَّمَا نَفْسِي طَلَبَتْ مِنْ هَذِهِ ، وَلَعَلَّ مَا تَأْتُونَ بِهِ— وَإِنْ كَانَ مِنْ هَذَا بَعِينِهِ— لَا تَنْوُقُ إِلَيْهِ

(١) كَذَا ، بَدْلٌ : يَسَاعِدُونَهَا .

(٢) كَذَا ، بَدْلٌ : فَاقْلِبْ .

(٣) كَذَا ، بَدْلٌ : أَعْلَمْتَنِي . وَالصِّيغَةُ المُذَكُورَةُ بِالْمُتَنَّ عَامِيَّةٍ .

(٤) عَلَى رِسْلِكُمْ ، أَى : تَمَهُلُوا .

(٥) فِي الْأَصْلِ : كَثِيرٌ .

نفسى . فَيُنْثِي لَمْ تَجِدْ بُدُّا مِنْ طَاعَتِهِ ، وَقَالَتْ : دَعْ الْخَدْمَ يَرْفَعَ هَذَا (١١٩) اَلْجَنَّاتِ ، وَاحْبِسْ اُنْتَ هَذَا . قَالَ : لَا ، بَلْ حَتَّى تَفَرَّغَ هَذَا اَلْجَنَّةِ ، وَمَمَّا كَانَتْ ، وَيَحْمَلُ كُلَّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً .

وَلَا جِيَءُ بِالْأَوَانِي ، وَاغْتَرَفَ مِنْ اَلْجَنَّةِ ، ظَهَرَ الدَّرَوْعُ مِنْ تَحْتِ الطَّعَامِ ، فَنَادَى : يَا أَمَّ حَبِيبَ ، مَا هَذَا ؟ فَخَجَلَتْ وَلَمْ تُخِرِّجْ جَوَابًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ اُمْرَ بِالْقِبْضِ عَلَيْهَا ، وَقَلَّبَ جَمِيعَ اَلْجَنَّاتِ ، فَوَجَدَ فِيهَا كُلَّهَا دَرَوْعًا وَسِيَوْفًا وَرِيَالَاتٍ فَرَانْسَا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ . قَالَ لَهَا : أَيُّ ذَنْبٍ وَقَعَ مِنِّي حَتَّى دَبَّرْتَ (١) عَلَى هَلَاكِي ؟ فَلَمْ تَرَدْ جَوَابًا ، فَأَمْرَ بِقَتْلِهَا فِي تَلْكَ السَّاعَةِ فَقُتِلَتْ .

وَفِي الْحَالِ أَرْسَلَ مَلِكًا مِنْ مَلَوَّكَهُ إِلَى بَيْتِ حَبِيبَ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا حَبِيبًا إِلَيْهِ ، فَضَرَرَ عَلَى حَالِهِ الْطَّمَآنِيَّةِ ، فَلَمَّا مَتَّشَّلَ بَيْنَ يَدَيِّ السُّلْطَانِ ، أَمْرَ بِالْقِبْضِ عَلَيْهِ ، فَوُضِعَ [فِي] الْمَحِيدِسِ ، ثُمَّ أُرْسَلَهُ تَحْتَ جِنْحِنَ اللَّيلِ [إِلَى] جَبَلِ مَرَّةٍ ، وَاسْتُصْنِي مَا عَنْدَهُ مِنْ مَالٍ ، وَرَدَّ الدَّرَوْعَ وَالسِّلَاحَ إِلَى مَقْرَبَهَا ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ تَوَاطَأَ مَعَ حَبِيبَ ، وَلَمْ يُبْرِقْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

وَتَهَدَّتْ أَمْوَارُهُ ، وَاسْتُؤزِرَ الْفَقِيَّةُ مَالِكُ الْفُوتَوَى لِظَلَّنْ عَلْمِيَّتَهُ وَصَلَاحَهُ ، وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَعْرُفُ سِرَّ الْحُرُوفِ (٢) ، وَعِلْمَ الْأُوفَاقِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِيْهِ عَامِيَّةٌ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُظْهِرُ الْوَرَعَ وَالصَّالِحَ ، وَيُبَطِّنُ ضَدَّهُ . وَكَنْتُ أَظُنُّ ذَلِكَ مِنْهُ ، حَتَّى حَقَّ اللَّهُ ظَلْلَى فِيهِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرْقُ الْوِزَارَةَ ، أَدْخَلَ جَمِيعَ قَبِيلَةِ الْفُلَانِ الَّتِي بَدَارَفُورَ تَحْتَ أَمْرِهِ ،

(١) كَذَا ، وَهِيَ صِيَغَةُ عَامِيَّةٍ .

(٢) فِي الأَصْلِ : الْحُرُوفُ .

وصار يذبّ عنهم ، وحرّرّهم عند (١٢٠) الدّولة ، حتى صار [ لا ]<sup>(١)</sup> يجئي منهم مال ، وَكُلُّ ما<sup>(٢)</sup> نهبوه من غيرهم من القبائل بِرَدّ<sup>(٣)</sup> لهم ، حتى صاروا من أقوى القبائل وأغناها . فاتّفق أَنْ قبيلةَ الْفَلَانْ أغاروا على قبيلة المساليط<sup>(٤)</sup> ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً جَمِّةً ، من بقري وخيلى ورقيق . وجاء رئيسيهم — وكان يُسمى بِجَدّ العيال — وأتى بخيلى وبقري ورقيق من المنهوب ، هديةً إلى الفقيه مالك ، ليذبّ عن القبيلة . وكان في شهر رمضان ، وكان وقت العصر ، والفقـيـه مـالـكـ إـذـ ذـاكـ يـقـرأـ فـيـ تـذـكـرـةـ الـقـرـمـطـيـ ، فـصـفـةـ أـهـلـ النـارـ . فـأـتـىـ عـلـىـ قـوـلـهـ : وـلـاـ زـالـتـ النـارـ تـقـولـ : يـاـ رـبـ زـدـنـيـ ، حـتـىـ يـضـعـ الرـحـمـنـ فـيـهـاـ رـجـلـهـ . وـالـرـجـلـ هـىـ الجـمـاعـةـ مـنـ النـاسـ ، وـعـلـىـهـ قـوـلـ الشـاعـرـ : فـرـَّـ بـاـ رـجـلـ مـنـ الـحـىـ وـانـزـوـىـ

فـقـالـ : وـلـاـ زـالـتـ النـارـ تـقـولـ : يـاـ رـبـ زـدـنـيـ . وـكـانـ مـنـ عـادـتـهـ أـنـ يـقـولـ بـعـدـ كـلـ كـلـةـ أـوـ كـلـتـيـنـ : أـىـ نـعـمـ ، قـالـ السـكـتـابـ . فـقـالـ : وـلـاـ زـالـتـ النـارـ تـقـولـ : يـاـ رـبـ زـدـنـيـ ، أـىـ نـعـمـ ، قـالـ السـكـتـابـ . وـلـاـ زـالـتـ النـارـ تـقـولـ : يـاـ رـبـ زـدـنـيـ ، أـىـ نـعـمـ ، قـالـ السـكـتـابـ . حـتـىـ يـضـعـ الرـحـمـنـ فـيـهـاـ رـجـلـهـ ، أـىـ نـعـمـ ، قـالـ السـكـتـابـ . وـالـرـجـلـ هـىـ الجـمـاعـةـ مـنـ النـاسـ ، أـىـ نـعـمـ ، قـالـ السـكـتـابـ . وـعـلـىـهـ قـوـلـ الشـاعـرـ ، أـىـ نـعـمـ ، قـالـ السـكـتـابـ . فـرـَّـ بـاـ رـجـلـ ،

(١) زيادة يقتضيها المعنى ، عن الترجمة الفرنسية Voyage p. 119

(٢) في الأصل : وكلما .

(٣) أى ثبت

(٤) المساليط خليط من الزنج و العرب ، يتكلمون لغة تختلف عن لغات سكان دارفور . وتبلغ مساحة دار مساليط ما بين ٧٠٠٠ إلى ٧٥٠٠ ميل مربع ، تحدّها وادى في الغرب ودار صليلع في الجنوب ودار قمر ودار تاما في الشمال ، والفور في الشرق . وهي بلاد فقيرة وتمثل الأغنام والماشية النروءة

الرئيسية للمساليط . Mac Michal, H.A. : op. cit. pp. 58-88

أى نعم ، قال الكتاب . وَكَرَّهَا مِرَارًا ، فقال له السنوسي ولده : يا أباً ، فِرْنَانَارَجُلٌ . فقال : أى نعم ، فِرْنَانَارَجُلٌ . وَكَرَّهَا مِرَارًا ، (١٢١) وكنتُ جالسا ، ولم يسعني الشكوت ، فأخذت نسخة من رجل بجانبي ، فرأيت فيها : فِرْنَانَارَجُلٌ من الحي ، فقلت : يا أباً ، فِرْنَانَارَجُلٌ . فقال لي : اسكت ، أنت الآن صغير عن هذا وأمثاله . مع أن هذا هو الذي يصلح لأن يكون شاهدًا ، فسكت .

ومن عاصيته ، ما حكى لي والدى — عليه سحائب الرحمة والضوان — أن السلطان التمس من الفقيه المذكور أن يخطب يوم العيد ؛ فقصد والدى أن يؤلف له خطبة ، فألفها وكتب في آخرها : تمت على يد مؤلفها ، الفقير إلى المتن ، عمر التونسي (١) ابن سليمان ، في يوم [كذا] وسنة كذا ، وأعطاهما إيماء . فلما كان يوم العيد ، صلى بالسلطان ، ثم رق المنبر خطب ، وبعد الخطبة قال : تمت ، إلى آخر ما كتب . ولم يتفطن أن هذه الكلمات خارجة عن الخطبة .

وكان من أغنى أرباب الدولة ، وكان له من الإقطاع ما ينوف عن خمسينية بلد .  
وذلك غير إقطاع إخوانه .

ثم [إن] [السلطان أَجَل] مقام [الأب] [الشيخ محمد كُرّا] ، وأعلى كلماته ، حتى صار لا تعلي (٢) على كلماته كلمة . وبلغة أن هاشم المسباوي ، ملك كردفال ، رجع إليها وأخذها من يد عامل السلطان . فجهز جيشاً كثيفاً لنظر الأب الشيخ محمد كُرّا ، فتوجه

(١) في الأصل : التونسي .

(٢) كذا في الأصل .

إلى كرداول وأغنى غناءً حسناً ، وأخذ كرداول من يد السلطان هاشم ، وقتل عساكره ، وشرّده في القفار . واستوطن (١٢٢) كرداول مدة سبع سنين .

وفيها أرسل للسلطان أمواجحة ، من رقيق وذهب وغيره ، وسعى به بعض من أعدائه<sup>(١)</sup> إلى السلطان ، فأرسل السلطان الأمين محمد بن الأمين على ود جامع بجيشه إليه ، وأرسل معه قياداً ، وقال له : خذ هذا القيد وقيده به ، وأرسله مع جيشه . وكان ذلك امتحاناً من السلطان . فلما وصل الأمين محمد إلى كرداول ، ظنَّ في نفسه أن الأب الشيخ محمد [كردا] يعارضه أو ينazuنه ، فلم يفعل شيئاً من ذلك . بل حين وصل إليه قال له : لماذا أمرك السلطان ؟ قال : بتقديرك<sup>(٢)</sup> وإرسالك إليه . فقال : سمعاً وطاعة . هاتِ القيد . فأعطاه إياه ، فأخذه وقيده نفسه بيده ، ودعا الحداد وأمره أن يسمِّه ويبرد عليه ، امثلاً لأمر السلطان ففعل . وأصبح مسافراً والقيد في رجليه ، حتى وصل إلى دارفور . وحين أخبر السلطان بقدومه ، أرسل له من ينزع القيد من رجليه ، وقال : أتاقتلتُ لكم إن محمد كردا لا يعصاني<sup>(٣)</sup> ؟ ثم أمره أن يأتي إلى الفاسير في موكيه ، فأتى على أحسن حالة ، وخرج إليه السلطان ، وأحسن ملقاء ، وسوّره بسوار من ذهب ، أمام الوزراء والحاضرين ، وبالغ في إكرامه ، ورده إلى منزلته ، بل صار أعظم مما كان . وكان هذا الفعل من السلطان ، هو عين البعثة التامة لابنه محمد فضل .

فإنه لما (١٢٣) توفي السلطان ، قام بأمره الأب الشيخ محمد كردا ، ولولاه لما نظر إليه أحد ولا عني به .

وكيفية ذلك أن السلطان لما تُقل به مرضه ، دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوي ،

(١) في الأصل : اعداد .

(٢) في الأصل بتقديرك .

(٣) كذا ، وهي صيغة عامية .

فوجد الأَبُ الشِّيخُ مُحَمَّدًا عَنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَقِيهُ مَالِكٌ : يَا سَيِّدِي ، إِنَّ الْوِصْيَةَ فِيهَا خَيْرٌ عَظِيمٌ ، وَإِنَّكَ فَعَلْتَ مَعَ النَّاسِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا لَا يَوْضُفُ ، وَكُلُّ وزَرَائِكَ وَأَهْلِكَ مُلْكَكِتِكَ راضُونَ عَنْكَ . فَإِنَّ وَصِيَّتَ بِشَيْءٍ أَظْنَاهُ بِلَ أَتَحَقَّقَهُ أَنَّهُ يَنْفَذُ وَلَا يَبُدُّ . فَأَوْصَى لَعَلَّ وَلَدَكَ يَنْتَفِعُ بِوَصِيَّتِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ<sup>(١)</sup> . فَأَعْادَ عَلَيْهِ الْفَقِيهُ مَالِكَ هَذَا الْقَوْلَ ثَانِيَا ، فَقَالَ هُوَ ذَلِكَ أَيْضًا . فَأَعْدَادَ عَلَيْهِ ثَالِثًا ، فَقَالَ ذَلِكَ أَيْضًا . فَتَرَكَهُ بَعْدَ الثَّالِثَةِ ، ثُمَّ قُضِيَ نَحْبَهُ ، عَلَيْهِ سَحَابَ الرَّحْمَةِ .

خَيْنَ تَوَفَّ بَكَى عَلَيْهِ الْأَبُ [الشِّيخُ] وَالْفَقِيهُ مَالِكٌ . وَبَعْدَ الْبَكَاءِ قَالَ الْفَقِيهُ مَالِكُ لِلْأَبِ [الشِّيخُ] : مَاذَا أَنْتَ صَاحِبُ الْآنِ؟ قَالَ الْأَبُ [الشِّيخُ] : سَأُرِيكَ مَا أَصْنَعَ . فَقَامَ مِنْ وَقْتِهِ ، وَدَخَلَ الدَّارَ ، وَدَعَا مُحَمَّدًا فَضْلًا ، وَكَانَ أَكْبَرُ وَلَدِيهِ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَتَرَكْ مِنَ الذَّكُورِ إِلَّا مُحَمَّدًا فَضْلًا ، وَ[مُحَمَّدٌ] بُخَارِي<sup>(٢)</sup> ، وَمِنَ الْإِنْاثِ حَوَّاءً<sup>(٣)</sup> ، وَسَتَّ النِّسَاءَ ، وَأُمَّ سَلَمَى ، فَأَقْمَدَ مُحَمَّدًا فَضْلًا وَلَبَسَهُ الْخَاتَمَ ، وَعَمَّمَهُ وَقْلَدَهُ بِالسَّيفِ ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى كُرْسِيِّ السُّلْطَانِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي حِجْرَةِ ، وَأَرْخَى عَلَيْهِ سِرَّا ، وَأُرْسَلَ فِي الْحَالِ إِلَى جَمَاعَتِهِ ، فَخَضَرُوا مُتَقْدِلِينَ سَيِّوْفَهُمْ ، شَاكِنِيَ السَّلَاحَ . فَأَوْقَفُوهُمْ (١٢٤) عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَرَتَبُّهُمْ جَمَاعَةً يَحْرُسُونَهُ . وَنَفَعَهُ فِي ذَلِكَ بَابُ سِرَّ كَانَ بَيْنَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ السُّلْطَانِ ، بِحِيثُ أَنَّ الْعَسَاكِرَ دَخَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يَشْعُرُ بِهَا أَحَدٌ . ثُمَّ أُرْسَلَ إِلَى أَكْثَرِ الْوُزَرَاءِ جَمَاعَةً ، وَأَقْوَاهُمْ شَوَّكَةً ، الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ وَدُرْ رَمَادَ ، إِنْسَانًا يَقُولُ لَهُ : إِنَّ السُّلْطَانَ يَأْمُرُكَ بِالذَّهَابِ إِلَيْهِ . بَجَاءَ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَابِ وَجَدَ الْعَسَاكِرَ وَقَوْفًا ، فَرَاعَهُمْ ، وَلَمْ يَجِدْ بَدًا مِنَ الدُّخُولِ . وَلِمَا وَصَلَ إِلَى مَحْلٍ

(١) سورة : الطلاق ، آية : ٣ .

(٢) كَانَ لِلْسُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَلِدَانَ آخْرَانَ ، أَحَدُهُمَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ أَبُو مَدِينَ

وَالْآخَرُ لَمْ يَعْرُفْ اسْمَهُ .

Voyage au Darfour, p. 373.

(٣) فِي الْأَصْلِ : حَوَى ، بَفْتَحِ الْحَاءِ وَالْوَاءِ .

السلطان ، وجد الأب الشيخ محمد كرما والفقير مالك ، جالسين ، والسلطان بينهما مسجى . فلما رأه كذلك بكى ، ثم بعد استرجاعه قال له الأب الشيخ : إن السلطان قد توفي ، فماذا ترى ؟ فقال : لا أرى سوى <sup>(١)</sup> رأيك . فقال له الأب [الشيخ] : أتعاهدُني على ذلك ؟ قال : نعم . خلفه وأخذ موائمه ، أنه لا يتعدى رأيه . ثم رفع السترو قال : هذا السلطان . يعني : محمد فضل . فقال الملك إبراهيم : وهو كذلك . فقال : قم فبأيده . فبأيده حيئذ وجلس .

ثم أرسل إلى الوزراء والملوك ، واحداً بعد واحد ، وكلما جاءه أحد ، فعل معه كما فعل بالملك إبراهيم ، حتى استوأق من أكابر الدولة كلهم ، ولم يترك منهم إلا من لا قوة له .

ثم أعلن بموته <sup>(٢)</sup> السلطان ، وضررت طبول الحزن ، وسمعوا أولاد السلاطين ، فركبوا وجاءوا شاكين السلاح ، هاجين على دار (١٢٥) السلطان . فرأوا الأمر مهولاً ، والجندي محيطاً بها ، حارساً لها منهم ومن غيرهم .

فلما لم يجدوا إلى الدخول سبيلاً ضربوا في البلاد ، وصاروا ينبعون أموال الناس ، وتجتمع عليهم الغواغاء ، حتى صاروا في جند كثيف ، ونقلت وظائفهم ، وعظم شرهم . فجهز لهم الأب الشيخ حيشاً لنظر الملك دلدن ، الذي أسفلنا ذكره ، وهو ابن عمّة السلطان محمد فضل ، فخرج إليهم ، وأوقع بهم ، وانهزمت الغواغاء الملتقة عليهم . وقتل منهم كثير ، وظفر بأولاد السلاطين ، وجئ بهم إلى الأب [الشيخ] مصطفدين . فأرسلهم الأب [الشيخ] إلى السجن في جبل مرّة ، وسكنت الفتنة ، وتهدّت الأمور .

(١) في الأصل : سوء .

(٢) في القاموس : أعلنه وأعلن به .

ثُمَّ أَمَرَ السُّلْطَانَ بِالقراءَةِ وطلبِ الْعِلْمِ ، لصَغَرِ سِنِّهِ ، وَعَدَمِ خِبَرَتِهِ بِالْأُمُورِ .  
فَشُقِّلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَجِدْ بَدًّا مِنِ الْإِمْتَالِ ، فَكَابَدِ مَشَقَّةَ التَّعْلِيمِ نَحْوَ سَنَتَيْنِ .  
وَقُتِلَ [الأَب] الشَّيْخُ مُحَمَّدُ كُرَّا فِي تَلْكَ الْمَدِّةِ ، بَعْضَ الْمُلُوكَ لَفْتَنَتُهُ وَقَعَتْ مِنْهُمْ ، وَرُمِى  
بَعْضُهُمْ فِي السُّجُونِ ، وَكُلُّهُمْ مِنْ أُسْرَةِ السُّلْطَانِ وَعَصَابَتِهِ ، وَوَلَى مَنَاصِبَهُمْ بِجَمَاعَتِهِ ،  
فَشُقِّلَ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ ، وَخَافُوا شَرَّهُ ، فَأَغْرَرُوا السُّلْطَانَ عَلَى قَتْلِهِ أَوْ سَجْنِهِ ، فَوَقَعَ  
بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ ، وَقُتِلَ كَمَا قَدَّمَنَا ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## المقصود

وفيـه ثلاثة أبواب

## الباب الأول

(١٢٦) في صفة دارفور وأهلها وعواند ملوكهم ،  
وأسماء مناصبهم ومراتبهم ، وفيه خمسة فصول :

## الفصل الأول في صفة دارفور

أمّا دارفور فهو الإقليم الثالث من ممالك السودان<sup>(١)</sup> ، وذلك لأنَّ القائد  
من المشرق إلى بلاد السودان ، أول مملكة وإقليم يمرض [ له ] ، مملكة

(١) يطلق اسم السودان على جميع الأقاليم شبه الصحراوية من افريقيـة التي انتشرـتـ فيها الاسلام . وتمتد جنوبـيـ الصحراء الكـبرـىـ ومـصرـ ، أـىـ منـ المـحيـطـ الأـطلـانـطـيـ فـيـ الغـرـبـ إـلـىـ الحـدـودـ الـغـرـبـيـةـ لـلـحـبـشـيـةـ فـيـ الشـرـقـ . وـتـسـاـيـرـ حـدـودـهاـ الـجـنـوـبـيـةـ بـصـفـةـ خـاصـةـ خطـ عـرـضـ ١٠ـ سـمـالـاـ . وـتـنـقـسـ هـذـهـ الأـقـالـيمـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ :  
(١) السودان الغربي ويـشـمـلـ حـوـضـ نـهـرـ السـنـغالـ وـنـهـرـ غـمـبـياـ وـمـجـرـىـ الـأـعـلـىـ لـنـهـرـ فـولـنـاـ وـالـحـوـضـ الـأـوـسـطـ لـنـهـرـ الـنـيـجـرـ . (٢) السودان الأوسط ، ويـشـمـلـ حـوـضـ شـادـ . (٣) السودان الشرقي ويـشـمـلـ حـوـضـ الـأـعـلـىـ وـالـأـوـسـطـ لـنـهـرـ النـيـلـ .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، لفظ : «السودان» .

سّنار<sup>(١)</sup> ، ثم كردفال<sup>(٢)</sup> ، ثم دارفور ، فظُهر أنّها إقليم الثالث<sup>(٣)</sup> ، وبحسب ذلك [يكون] إقليم ودادي<sup>(٤)</sup> هو الرابع ، والباقرمة<sup>(٥)</sup> الخامس ، وبَرْنُو<sup>(٦)</sup> السادس ،

(١) مملكة سنار هي مملكة الفونج وهي المعروفة في السودان باسم السلطنة الزرقاء . قامت هذه المملكة على انقضاض مملكة علوة المسيحية أوائل القرن ١٦ على يد زعيم الفونج عمارة دونقس وحليفه عبد الله جماع شيخ عرب القواسمة من جهةينة . وامتدت مساحة هذه المملكة من سواكن شرقا إلى النيل غربا ، ومن أقصى جبال فازوغرلي جنوبا إلى الشلال الثالث شمالا . انظر : مصطفى مسعد : (الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ٢٠٦ ) .

(٢) مملكة كردفال أو كردفان هي التي أسسها المسبعين أبناء عمومه سلاطين دارفور . فتذكّر روايات أهل البلاد أن سليمان سولونج اقتسم وأخوه مسبع « تونسام » الحکم فكان سليمان إقليم دارفور ولاخيه « تونسام » إقليم كردفان . وظلّ هذا في أبنائهم حتى إذا كان عهد السلطان محمد فضل سلطان دارفور ثم ضمّ كردفان إلى سلطنة دارفور بعد طرد آخر ملوك كردفان ويدعى هاشم المسبعاوي . وتولى حکم كردفان حاكم يعرف بالمقدومن وظلت هكذا حتى الفتح المصري للسودان سنة ١٨٢٠ ، فأضحت تحت الادارة المصرية .

انظر : شقير : ( تاريخ السودان ، ج ٢ ، ص ١١٧ ) .

(٣) سبقت الاشارة إلى هذه السلطنة . راجع ص ٦٩ .

(٤) الباقرمة - بجرمي - بقرمي - بيكري : تقع هذه المملكة جنوب بحيرة شاد . وتأسست في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي ) على يد جماعة من المغامرين الذين قدموا من ناحية الشرق . واستطاع هؤلاء أن يتغلبوا على البللة ، تمّ اندموجوا فيهم ، واستطاعوا بمساعدتهم أن يسيطروا سلطانهم على الفلبة والعرب المستوطنين في هذه البلاد . وزعم أولئك الغزاة أنّهم عرب وأنّهم أتوا من بلاد اليمن ، واعتنق أحدهم الإسلام ، وكان معاصرًا للسلطان عبد الكريم سلطان ودادي . ثم اعتنق أهل البلاد الإسلام على يديه . كانت عاصمة باقريمة زمن الرحالة بارت « Barth » مدينة مسينا .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، لفظ : « بجرمي » .

(٥) برنو : من دول السودان الأوسط . تحد شمالا بالصحراء ، وغربا ببلاد الحوصا ، وجنوبا بـ « أدموه » ، وتحد من ناحية الجنوب الشرقي بـ « بجرمي » ، وشرقا ببحيرة شاد . وورد ذكر البرنو في كتب كثير من المؤلفين العرب مثل =

## وأدقز<sup>(١)</sup> السابع، ونفه<sup>(٢)</sup> الثامن ، ودار تمبكتو<sup>(٣)</sup> التاسع ، ودار ملا<sup>(٤)</sup> أو مل

= ابن سعيد ، وابن خلدون ، والمقربيزى ، وابن فضل الله العمرى . ويسكن بربنو  
أجناس مختلفة وهم الكتوري والسودان والعرب والبربر . وحكمت بربنو أسرة  
تدعى الانتساب الى سيف ابن ذى يزن وظلت على حكمها حتى حوالى منتصف  
القرن ١٩ م . ونقلت مقر الحكم الى الضفاف القريبة لبحيرة شاد بعد أن حكمت  
كامل عدة قرون . وعرفت المملكة باسم مملكة بربنو او مملكة كائم . وامتد نفوذ  
هذه المملكة في عز أيام توسعها شرقا الى حدود النوبة ومصر .  
انظر : دائرة المعارف الإسلامية لفظ : « بربنو » .

(١) أدقز - أدرج : تحريف للفظ أغاديس وهى التي تقع بالقرب من طريق القوافل  
الممتد بين أقاليم السودان الأوسط وبلاد المغرب *Voyage au Ouaday p. ١٤.*

(٢) نفه : أقليم يقع الى الغرب من أغاديس ، وترتبطه بتونس وطرابلس علاقات  
تجارية هامة . وينقسم أقليم نفه الى ثلاثة أقسام او مدن كبيرة هي : حوصا ،  
وكشنا ، وعفونو *Voyage au Ouaday, p. ١٥.*

(٣) تأسست مدينة تمبكتو على نهر النيل حوالي سنة ١١٠٠ م . وكانت تمبكتو -  
إلى جانب شهرتها التجارية - مدينة إسلامية منذ نشأتها « ما دنسنها عبادة  
الأوثان ، وما سجد على أديمها قط لغير الرحمن » . وغدت تمبكتو مركزا للتعاليم  
الإسلامية ، وتواجد عليها الطلاب والعلماء . ولقد أنسى ابن بطوطة في القرن  
١٤ م على الزنوج المقيمين بها لحماستهم للدين الإسلامي واقبالهم على حفظ  
القرآن . وجاءت أول أسرة حكمت تمبكتو من مالي ، وظلت على حكمها من  
١٣٣٦ - ١٤٣٣ م ثم حكمها بيت آخر ٤٠ عاما حتى سنة ١٤٩٢ م . وبلغت  
تمبكتو شأنها عظيما في عهد أسكينا الهادي محمد ، ثم انتقلت إلى حكم مراكش  
من ١٥٩٠ إلى ١٧٥٠ م ثم استولى عليها الفيلة سنة ١٨٢٧ م ثم وقعت في أيدي  
التكارير .

أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ; وانظر دائرة المعارف الإسلامية ،  
لفظ تمبكتو .

(٤) ملا - مل - مالى : تعرف ملا أو مل في المراجع العربية القديمة باسم مملكة  
مالى ، وتمتد من بلاد السنغال غربا إلى ممالك الہوسا المعروفة في الوقت  
الحاضر باسم شمال نيجيريا شرقا ، وتحده شمالا بالماوز والسلسل الجبلية  
الفاصلة بينها وبين بلاد البربر ، وتحده جنوبا بجهات ساحل العاج والذهب .  
بلغت هذه المملكة أقصى اتساعها في عهد ملوكها منساموسي (١٣١٣ - ١٣٣٨ م)  
الذى ضم إليها مملكة غانا حتى أصبحت تشمل - حسبما أورد القلقشندي -  
إقليم مالي وصوصو وغانا وكوكو وتكرور . وتعتبر مملكة مالي ومضائقها أكبر  
مالك غرب إفريقية وعاصمتها مدينة مالى نفسها .

القلقشندي : « صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ »  
Incy. Isl. Art. Mali; Roland Oliver, ed. : The Dawn of African History, p. 40

العاشر ، وهي قاعدة مَلِك الفَلَان ، وهم الفَلَاتَا كَا ، ذَكْرنا . وأما الذي يأتي من المغِرب فإنه يُعَدَّ مَلَّا الأول ، وَتُنْبُكُتو الثاني ، وَنَفَهُ الثالث وهكذا .

واعلم أن القَدَماء يطلقون على بعضِ أهل السودان اسم التَّسْكُرُور<sup>(١)</sup> ، ويعنون به أهل مملكة بَرْنُو . لكن الآن قد عَمَّ هذا الاسمُ على ممالك متعددة ، أوَّلَهَا : دار وَدَائِي أو وَدَائِي المعروفة أيضاً بدار صَلَيْح ، وآخرها : بَرْنُو . فيدخل في ذلك باقِرْمَه وَكَتْكُو<sup>(٢)</sup> ومندرة<sup>(٣)</sup> . فيقال لِأهْلِ كلِّ منهم تَسْكُرُور ، حتى أنه صار عُرْفاً بينهم . ولقد لقيتُ منذ أيام رجلاً من أهل السودان ، فسألته من أين أنت ؟ فقال : من التَّسْكُرُور بل أظنه قال : تَسْكُرُورِي . فقالت : من أَيِّ<sup>(٤)</sup> (١٢٧) مِن التَّكَارِير ؟ فقال : من باقِرْمَه . لكن لم يخبرني إلا بعد مَشَقَّة ، ظنَّا منه أنني لا أعرف تلك الجهة . فلما أخبرني وسائله عن بعض مواضع منها ، تعجبت تعجباً عظيماً ، وألآنَ القول .

(١) التكرور : شعب من الزنج يسكن معظم وهاد فوته السنغالية ، وتعيش شعبه منهم فيما بين النيل وبحيرة شاد ولاسيما في سكوتوا . ومن المحتمل أن يكون تكرور هو الاسم الذي كانت تعرف به في وقت من الأوقات مدينة بالقرب من نهر السنغال ، والمملكة التي كانت عاصمتها هذه المدينة ، وموضعها الآن فوته السنغالية ثم أطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة . وجرى العرب من بعد على اطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التي دخلها الإسلام ، وهي المتدة من المحيط الأطلنطي إلى حدود وادي النيل . وأضحت كلمة تكروري في نظر العرب - مرادفة لكلمة سوداني .

انظر : دائرة المعارف الإسلامية . لفظ « تكرور » .

(٢) كتكو - مندره : كتكو : أقليم يقع إلى جنوبى أقليم بجرمى ، ويخترقه نهر شارى . ويعتبر أقليم كتكو من أغنى بلاد السودان الأوسط ، ولذا جل حاكمه لقب سلطان ويتبعه خمسة حكام للأقاليم يحمل كل منهم لقب ملك . أما مندرة فتقع بالقرب من كتكو وبجرمى ويحمل حاكمها لقب سلطان كذلك . Voyage au Ouaday, pp. 13-14.

وَحْدَةُ الْفُورِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ أَقْصِي الظُّلُوْبِشَهَ<sup>(١)</sup> ، وَمِنْ الْغَربِ آخِرُ دَارِ الْمَسَالِيطَ ،  
يُعْنِي : مَلَكَةُ الْمَسَالِيطَ ، وَآخِرُ دَارِ قِيمَرَ<sup>(٢)</sup> ، وَأَوَّلُ دَارِ تَامَهَ<sup>(٣)</sup> ، وَهُوَ الْخَلَاءُ الْكَائِنُ  
بَيْنَ دَارِ صَلَيْحٍ وَبَيْنَهَا ، وَمِنْ الْجُنُوبِ الْخَلَاءُ الْكَائِنُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دَارِ فَرَتِيتَ<sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ  
الشَّمَالِ الْمَزْرُوبَ ، وَهُوَ أَوَّلُ بَئْرٍ يُعْرِضُ لِمَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا مِنْ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ .

وَتَتَبَعُهَا<sup>(٥)</sup> عَدَةُ مَالَكَ صَغِيرَةٌ : فَنِ الشَّمَالِ مَلَكَةُ الزَّغَوَةَ ، وَهِيَ مَلَكَةٌ وَاسِعَةٌ ،  
وَبَهَا خَاقٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ، وَلَمْ سُلْطَانٌ وَحْدَهُ ، وَلَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُلْطَانِ الْفُورِ أَشَبُهُ

(١) الطَّوِيشَةُ اسْمٌ كَانَ يُطْلَقُ عَلَى مَنْطَقَةٍ تَكْسُوُهَا رَمَالٌ غَزِيرَةٌ نَاعِمَّةٌ خَالِيَّةٌ مِنَ  
السَّكَانِ شَرْقَى دَارِفُورٍ . وَيُطْلَقُ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ عَلَى بَلدَةٍ تَقْعُدُ شَرْقَى مَدِينَةِ  
نِيَالَا الْحَالِيَّةِ ، عَنْدَ خَطِّ عَرْضٍ ٢٥ : ٣٠ وَخَطِّ طُولٍ ٢٦ : ٤٢ .

(٢) دَارِ قِيمَرَ : تَقْعُدُ شَمَالَ بَلَادِ الْمَسَالِيطَ وَشَرْقَ دَارِ تَامَهَ ، وَهِيَ بَلَادٌ فَقِيرَةٌ فِي  
مَوَارِدِهَا الطَّبِيعِيَّةِ . وَتَعِيشُ جَمَاعَاتُ الْقِيمَرِ عَلَى زَرْعَةِ الدَّخْنِ وَرَعْيِ الْأَغْنَامِ  
وَالْمَاشِيَّةِ . وَيُدْعَى الْقِيمَرُ الْأَنْتِسَابُ إِلَى أَصْلِ عَرَبِيٍّ وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ  
مُعَظَّمَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُؤْيِدُ هَذِهِ الْدِعَوَى

[MacMichael, H.A. op. cit. p. 84]

(٣) تَقْعُدُ دَارِ تَامَهَ غَربَ دَارِ قِيمَرَ عَلَى حَدُودِ وَادَيِّيْ ، وَكَانَتْ دَائِمًا هَمْزَةً وَصَلَ بَيْنَ  
دارِفُورِ وَوَادَيِّيْ ، وَكَثِيرًا مَا أَخْضَعَتِ الدُّولَتَانِ دَارِ تَامَهَ لِسُلْطَانَاهُمَا فِي أَزْمَنَةٍ  
مُخْتَلِفَةٍ وَلِجَمَاعَةِ تَامَهَ لِغَتِّهِمُ الْخَاصَّةِ MacMichael H.A., : op. cit. p. 85

(٤) الْفَرَتِيتَ : أَطْلَقَ الْعَرَبُ زَمْنَ الْمُؤْلِفِ عَلَى الْقَبَائِلِ الْزَّنجِيَّةِ وَالْوَوْنِيَّةِ الَّتِي تَسْكُنُ  
فِي أَقْصِي جَنُوبِ دَارِفُورِ وَشَمَالِ غَربِ بَحْرِ الْفَرَسَالِ وَفِي الْغَزَالِ وَادَيِّيْ اَفْلِيمِ وَادَيِّيْ كَذَلِكَ  
اسْمُ فَرَتِيتَ . وَفِي : op. cit. p. 90. MacMichael, H.A. : اَنَّ الْفَرَتِيتَ كَانُوا  
سَكَانَ جَبَلِ مَرَةِ الْأَصْلِيَّينِ وَأَرَاحُهُمُ الدَّاجِو ثُمَّ التَّنْجُورُ وَالْعَرَبُ عَنْ مَوَاطِنِهِمْ  
الْأَصْلِيَّةِ فِي جَبَلِ مَرَةِ الْجَنُوبِ . وَالْفَرَتِيتَ قَبَائِلُ شَتَّى مِنْهَا : رُونِجَهُ ،  
وَبِنَدَلَا ، وَشَتَّ ، وَبِنِيجَا ، وَفَرَاوِجِيهِ .

Lampen, G.D. : op. cit. p. 183.

(٥) أَى دَارِفُورٍ .

بقائد من قواده . ومن جهة الشمال أيضاً مملكة الميدوب<sup>(١)</sup> والبرتلي ، وها مملكتان كثيرتان ، إلا أن أهل الثانية أكثر من أهل الأولى ، و [هم] مع كثريهم أكثر انتشاراً لسلطان الفور من الميدوب .

وفي خلال دارفور مملكة البرقد ، وملكة برق<sup>(٢)</sup> و التجور<sup>(٣)</sup> وميمه<sup>(٤)</sup> ،

(١) الميدوب : اسم جبل يقع في الركن الشمالي الشرقي من دارفور على بعد ٤٠٠ ميل من مدينة الخرطوم الحالية و ٣٥٠ ميلاً جنوب غربى بلدة البدة وعرف سكانه باسمه . ويرجع جماعة الميدوب إلى أصل نوبى ، ويتكلمون لغة تشبه لغة النوبيين على النيل ، مما يرجع هجرتهم من بلاد النوبة إلى منطقة جبل ميدوب وما زالوا يحترمون نظام الأئمة في الوراثة . فإذا مات الملك خلفه في منصبه ابن اخته . Mac Michael, H.A. : op. cit. p. 97.

(٢) البرقو : من سكان وادى وبرنو . انتقلت جماعات منهم إلى دارفور حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات القليلة الوافدة من وادى باسم المراريت . ومعظمهم يسكن شرق ووسط دارفور MacMichael, H.A. : op. cit. p. 83.

(٣) التجور : يذكر أهل البلاد أن الداجو أول من أسس دولة في منطقة دارفور الحالية وتلاهم التجور ثم الفور . ومن هذا الاسم الثالث جاء اسم دارفور . واختلفت الآراء في أصل التجور . ففي (MacMichael, H.A. : op. cit. pp. 66-71) أنهم من النوبيين وبني هلال وأنهم هاجروا من بلاد النوبة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد ، واشتهروا هناك باسم التجور وأسسوا دولة في شمال دارفور وعاصروها دولة الداجو في جنوب جبل مرة . ثم بسط التجور سلطانهم على وادى غربى دارفور فأدى ذلك إلى اضعاف سلطانهم في دارفور خاصة ، ولذا انتزعته منهم أسرة من الفور تسمى أسرة كيرا وأسست سلطنة دارفور . ومن التجور جماعات موزعة بين دارفور ووادى و كان وبرنو . Arkell, A.J. : The Hist. of Darfur. S.N.R. XXXII, Part II, pp. 207-218. Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa, III, p. 430. Lampen, G.D. : Hist. of Darfur. S.N.R. XXXI, Part I, p. 183.

(٤) ميمه : أشار ابن بطوطة في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي إلى بلدة ميمـا التي لا تبعد كثيراً غربى مدينة تمبكتو . ولا يلاحظ هنا الرحالة أن معظم سكان مدينة تمبكتو من الميمـا أو قبائل الملشـين ( الطوارق ) ولا بد أن شـعبـة منهم =

إلا أن مملكة البرقِدو التنجُور في الوسط ، وملكة البرقة و الميمَه من جهة الشرق ، وملكة الداجو<sup>(١)</sup> ، والبيقة من الجهة الجنوبيَّة ، وكذا مملكة فراؤجية<sup>(٢)</sup> . ولكل من هذه المالك حاكم يسمى : سلطانا ، لكن يوليه عليهم سلطان الفور ، وكلهم على نقي واحد في الهيئة والملبوس ، إلا ملك التنجور فإنه يلبس عامةً سوداء . وسألته عن سبب سواد عمامته ، فأخبرني أن أصل مملكة دارفور لأجداده ، وتغاب عليها سلطان الفور . فلبس العامة السوداء إشعار بمحنة على فقد مملكته .

= انتقلت ناحية الشرق إلى دارفور . ويقول الرحالة ناختيجال (ان اليماقيلة كبيرة في وادي ، ولكن معظمها انتشر جنوبا حيث احتلوا بسكنها ، ففقدوا صفاتهم الجنسية ، واحتفظ البقية الباقية منهم بلغتهم الخاصة التي تقرب من لغة الزغاوة والقرعان وعليهم ملك منهم « MacMichael, H.A. : op.cit. p. 82. )

(١) الداجو : من أقسام عناصر السكان بدارفور . مواطنهم شرق وجنوب شرق جبل مرة . وتعيش جماعات من الداجو في دار صليح (وادي) وجماعات أخرى في دار مسييرية في جنوب غرب كردفان . والمتواتر أن الداجو أول من أسس دولة في منطقة دارفور ثم أزاحهم التنجور عن وسط دارفور فاستقروا في مواطنهم Mac Michael, H.A. ; op. cit., pp. 71 - 76

Seligman, C.G. : Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, pp. 455-457. MacMichael, H.A. : op.cit., pp. 71-76.

ويذكر كل من بامر Palmer و آركل Arkell أن الداجو هم التاجيين أو التاجو الذين ورد ذكرهم في مؤلفات الادريسي وابن سعيد وابن خلدون وأن مواطنهم كانت بين الكانم وببلاد النوبة

Palmer, R. : Bornu Sahara and Sudan, p. 212

Arkell, A.J. : Hist. of Darfur. S.N.R., XXXII, Part I, pp. 62-70.

Balfour-Paul : Hist. and Antiq. of Darfur, pp. 9-10.

(٢) الفراجية : أحدي قبائل الفرتيل التي تسكن جنوب دارفور بين خطى عرض ١٠ : ٩ ، ١٣ ، ٩ وخطى طول ٢٥ ، ٢٥ : ٣٧ ، ٢٥ . وكان الفراجية زمن المؤلف تحت حكم أباديميا MacMichael, H.A. : op. cit. p. 90. قارن مقدمة Voyage au Darfour, p. 44.

وقد أحاط بجانبها الشرق والجنوب كثيرون من عرب الباادية كالمسيرية الحمر والرزيقات والفلان . وكل قبيلة من هذه القبائل لا تختص كثرة ، وهم أهل بقر وخيل وأئاث . وأكثرهم أهل ثروة لا يألفون الحاضرة ، بل يتبعون السلاطين أئتها كان . ويتحقق بهم القبيلة المسماة بنى حلبية<sup>(١)</sup> ، لأنهم أهل بقر أيضا ، لكنهم يتبعون في دارفور ويزرعون .

وأما أهل الإبل فنهم<sup>(٢)</sup> الفزارة<sup>(٣)</sup> ، وهم : المحاميد<sup>(٤)</sup> ، والمجانين<sup>(٥)</sup> ،

(١) بنو حلبية : يعرفون في السودان ببني هلبية . كانوا فيما مضى قبيلة كبيرة ، وطنهم الأصلي في منطقة عد الغنم إلى الجنوب الغربي من جبل مرة . وتعيش جماعة منهم شرق جبل مرة وجنوب جبل حرizen ، وأخرى فيما وراء حدود دارفور واداي . وقد تعرض بنو حلبية في دارفور لضغط سلاطين الفور الذين كانوا يطالبونهم بدفع اتاوات ضخمة . ومن ذلك أن السلطان أحمد فضل استولى على معظم مواشيهم .

MacMichael, H.A. : op.cit. p. 293.

(٢) في الأصل : منهم

(٣) بنو فزارة : كان اسم فزارة زمن المؤلف يطلق على أكبر مجموعة من رعاة الإبل في دارفور وكردفان . وتعد فزارة من قبائل جهينة في السودان ، وذلك على الرغم مما هو معروف من أن أصلها من العدنانيين . والتفسير الراجح أن أوطان قبيلة فزارة كانت متاخمة لأوطان جهينة في الجزيرة العربية ، وأن هجرة القبائلين إلى مصر حدثت في وقت واحد . فكانت جماعات من الفريقيين تنتقل معا ، وكانت بينهم مصاهرات أدمجت أحدي القبائلتين في الأخرى . انظر ، محمد عوض محمد : (السودان الشمالي ، ص ٢٢٠) .

Cf. MacMichael, H.A. : op.cit. pp. 255-270.

(٤) المحاميد : انظر ص ٩٧ حاشية ١ .

(٥) المجانين : راجع ص ٩٤ حاشية ١ .

وبنوا عَمَرَانَ<sup>(١)</sup> وبنو جَرَارَ<sup>(٢)</sup> والمسيرية الزُّرْقَ<sup>(٣)</sup> وغيرهم . وعلَى كُلِّ مِنْ هَذِهِ الْقَبَائِيلِ ضَرِيَّةٌ ، يَأْخُذُهَا السُّلْطَانُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، لَكِنْ فِي ذَلِكَ تَفَاوُتٌ : أَمَّا المسيريةُ الْأَنْثَرُ وَالرِّيزَقَاتُ لِتوَهْمِهِمْ وَتَوْغِيلِهِمْ فِي الْخَلَاءِ ، فَلَا يُعْطَوْنَ لِلْسُّلْطَانِ إِلَّا أَفْتَحَ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كَرَائِهَا إِلَّا بِرِضَاهُمْ ، وَإِنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى ذَلِكَ طُرِيدَ ، وَرِبِّا قُتُلَ ، وَلَا يَقْدِرُ السُّلْطَانُ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ .

وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرِّيزَقَاتَ عَصَوْا أَمْرَ السُّلْطَانِ تِيرَابَ ، وَجَهَّزَ لَهُمْ جِيشًا فَكَسَرُوهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ فَقَرُوا أَمَامَهُ ، وَدَخَلُوا (١٢٩) فِي الْبَرَجُوبَ<sup>(٤)</sup> بِمَوَشِّيهِمْ ، فَتَبَعَّهُمْ قَتَلُوا مِنْهُ خَلْقًا كَثِيرًا وَلَمْ يَمْلِكْ شَيْئًا .

وَالْبَرَجُوبُ : مَوْضِعٌ يَسَافِرُ فِيهِ الْمَسَافِرُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ [ حتَّى ] يَقْطَعُهُ ، وَهُوَ طَينٌ لَّيْنٌ مَغْطَى بِمَاءٍ يَلْعَبُ نَحْوَ عَانَةِ الرَّجُلِ ، وَمِنْ أَيْنِ طَينِهِ تَسْوُخُ فِيهِ قَوَاعِمُ الدَّوَابِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ ذُو شَجَرٍ شَائِيكٍ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَا يَقْطَعُ عَنِ الْمَطَرِ إِلَّا شَهْرَيْنِ فِي السَّنَةِ فِي فَصْلِ الشَّتَاءِ .

(١) بنو عَمَرَانَ : يَذَكُرُ بَنُو عَمَرَانَ أَنَّ أَسْلَافَهُمْ قَدَمُوا مِنْ دَرَاوَ بِصَعِيدِ مَصْرُ تِجَارَةً وَرِجَالَ صَوْفِيَّةً مِنْذْ سَبْعَةِ أَجِيَالٍ مَضَتْ ، وَانْتَشَرَ بَعْضُهُمْ فِي وَسْطِ كَرْدَفَانَ وَسْطِ قَبِيلَةِ الْبَدِيرِيَّةِ وَغَيْرَهَا ، عَلَى حِينَ اسْتَقَرَ الْبَعْضُ الْآخَرُ فِي شَرْقِ دَارَفُورِ عَنْدَ حَدُودِ كَرْدَفَانَ . MacMichael, H.A. : op. cit. p. 249.

(٢) كَانَ بَنُو جَرَارَ مِنْ أَقْوَى قَبَائِيلِ كَرْدَفَانَ وَدَارَفُورَ . وَيَرِى مَا كَمَا يَكِلُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْتَبِطُونَ بِأَوَاصِرِ قَرْبِيَّةٍ مَعَ قَبِيلَةِ فَزَارَةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ صَعِيدَ مَصْرُ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرِ الْمِيلَادِيِّ . MacMichael, H.A. : op. cit. p. 264.

(٣) المسيرية الزُّرْقَ : راجع ص ١٠٣ حاشية ٢ .

(٤) البرجوب : الرَّاجِحُ أَنَّ الْمَصْوَدَ بِالْبَرَجُوبِ هُنَا مَسْتَنْدَعَاتٌ بِحَرَى الْفَزَالِ وَالْجَبَلِ ، كَمَا تَدَلُّ عَلَيْهِ خَرِيطَةُ دَارَفُورِ الْمَلْحَقَةُ بِالْتَّرْجِيمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ (Voyage au Darfour) اذ جعل لها المترجم منطقة خاصة في بلاد الشملوك والدنكا ، كما صورها له التونسي نفسه .

بم مان طول إقليم دارفور ، من أول بلاد الزَّغَاوَة<sup>(١)</sup> إلى دار رُونَيَّه<sup>(٢)</sup> ، نحو ستين يوماً . بل إن اعتبر المُلحَقات بها ، كدار رُونَيَّه ، وفَنْقَرَو<sup>(٣)</sup> ، ودار بَنْدَلَه<sup>(٤)</sup> ، وبيْنَجَيَه<sup>(٥)</sup> ، وشالا<sup>(٦)</sup> كانت أكثر من سبعين يوماً . هذا كلُّه بحسب تعريفِ البلد ، لكن الذي أظنه أنها لا تصل بذلك ، بل نهاية مساحتها<sup>(٧)</sup> تبلغ نحو من خمسين يوماً أو أقلَّ ، وإن عُدَّت [معها] ممالك الفرتیت الخمسة المذكورة ، وهي في ذلك الزمن المُلحَقات المعاهدة لسلطان دار الفور ، ويُؤَدُّون له الخراج في كل سنة .

فإذا دخلت دار الزَّغَاوَة من جهة المَزْرُوب ، متوجهاً على خط مستقيم إلى كُوبَيَّه ، تمسكَت نحو ستة أيام ومن كُوبَيَّه إلى تَنْدَلْتَى الذي هو الفاشر<sup>(٩)</sup> يومان ، ومن الفاشر إلى جديـد كريـو يومان ، ومنه إلى الرـّيل يومان ، فهذا اثنا عشر يوماً . ومن الرـّيل إلى جديـد راس الفيل أربعة أيام ، ومنه إلى تَالـّدـوا<sup>(١٠)</sup> ثلاثة أيام أو أربعة ، ومنها إلى تَبـلـدـيـة ثمانية أيام . وتَبـلـدـيـة على الحدود الشرقية للفور ، ومنها (١٣٠) يدخل الإنسان في بلد الدـّاجـو والبيـقـوـفـيمـشـيـ فـيهـاـ نحوـ منـ ثـمـانـيـةـ أيامـ أـيـضاـ ، فـهـذـهـ أـرـبـعـةـ وـثـلـاثـونـ يومـاـ .

ثم إذا خرجت منها إلى جهة الشرق ، تجد خلاة مشحوناً بأعراب الـّبـادـيـةـ ،

(١) سبق التعريف بها في ص ٥٤ حاشية ٥ .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) : هذه كلها من القبائل التي عرفت زمن المؤلف باسم فرتیت التي تقع مواطنهم في أقصى الجنوب من دارفور وشمال بحر الغزال

Mac Michael, H. A ; op cit p. 90

(٧) في الأصل : مساحته

(٨) كذا في الأصل .

(٩) في الأصل : الفاشر بفتح الشين .

(١٠) في الأصل : تلـدوا .

كالمسيرية الحمر والحبانية<sup>(١)</sup> والرزيقات ، عالم لا يخص بهم إلا خالقهم . وإن ملت إلى جهة الغرب دخلت في دار أباديميا<sup>(٢)</sup> ، فتقطعتها في نحو عشرة أيام ، ثم تدخل في خلاء تتشى فيه يومين ، وتدخل إلى دار رونجيه ، ومسافتها نحو ثلاثة أيام ، ودار فنقر و مثلها أو أقل منها بسيء . ومنهما خلاء يمشي فيه الإنسان نحو يومين ، ومنه يدخل في دار يينجيه وشالا ، ومسافتها يومان ، فظاهر ذلك بما ذكرناه أن طول دارفور بملحقاتها لا يبلغ نحو خمسين يوماً .

وهذه الملحقات هي البلاد الجنوبيّة التي بعد دار الفراوجية، لأن الفراوجية آخره

(١) الحبانية : يعرفون في السودان بالهبانية ، وهم أحد قبائل البقارة ، وكانوا فيما مضى رعاة أبل . ولهم شعبتان : أحدهما في دارفور ومواطنه بين الرزيقات في الشرق والتعايشة في الغرب والمساليط في الشمال والدنكا في الجنوب . والشعبة الأخرى تعيش في كردفان جنوب بلدة الرهد

MacMichael, H.A. : op.cit. pp. 278-279.

(٢) أباديميا - أباديمانج : جرى الرسم في سلطنة دارفور بتقسيمها من الناحية الإدارية إلى أربع ولايات على كل منها نائب للسلطان (viceroy) ، وأطلق على كل واحد منهم لقب خاص ومن أولئك « أباديميا » أو « أباديمانج » . ويحكم القسم الجنوبي الغربي من دارفور والذى عرف باسم « دار أباديميا » . وتمتد دار أباديميا شمالاً إلى وادي أزوم Azum . وعرف سكان هذا الأقليم باسم ديمانجا . كما عرف حاكمه كذلك باسم ديمانجوى . وتشمل دار أباديميا جغرافيا - حسبما جاء في خرائط ناختيجال - معظم بلاد التعايشة وبني هلبة والمساليط والفالاتا . وسلطته مطلقة في إقليميه، ولكن عليه الرجوع إلى السلطان في المسائل الهامة كالحرب منلا . وله اقطاع كبير ، ويسيطر بقواته ذمن الحرب أو في الحفلات الرسمية على يمين السلطان

Cf. Voyage au Darfour, pp. 131-132, 137-138, 172-173.

Mac Michael, H.A. : op.cit. pp. 95-96. ; Balfour-Paul : op. cit. p. 19.

Nachtigal, G. : Sahara und Sudan, III, pp. 418-419; Lampen, G.D. : op.cit.

S.N.R., Part II, p. 201.

حدود مالك الفوراوية الحقيقة ، وما يسميه<sup>(١)</sup> أهل الفور بالسعيد<sup>(٢)</sup> [هو] المساحة الممتدة من الرييل لآخر دار الفور من جهة الجنوب .

ودار أباديمَا إنما كانت مساحتها نحو عشرة أيام ، لأن أباديمَا يحكم على اثنى عشر ملوكاً ، كل ملك له إيلاتة مستقلة . و [دار] أباديمَا هي<sup>(٣)</sup> دار تمور كة<sup>(٤)</sup> .

وأباديمَا اسم منصب ، كما سند كره ، معناه : الجناح الأيمن للسلطان ، والحاكم المسئي بهذا الاسم يحكم على دار تمور كة ، فسمى لذلك دار تمور كة بدار أباديمَا . و يقابلة التكينياوي<sup>(٥)</sup> ، الذي هو أيضاً اسم منصب ، معناه : الجناح الأيسر للسلطان . ويحكم التكينياوي على اثنى عشر ملوكاً<sup>(٦)</sup> أيضاً ، وهو حاكم الرغواة<sup>(٧)</sup> وما يليها لجهة الشرق ، ولذلك أيضاً سمى دار الرغواة بدار التكينياوي .

وإن قلت : من حيث أن أباديمَا والتكينياوي متعدلان<sup>(٨)</sup> ، لمْ كان طولُ

(١) في الأصل : يسمون \*

(٢) كذا في الأصل ، بدل : الصعيد . ويقصد بالصعيد الأقليم الجنوبي في دارفور

(٣) في الأصل هو \*

(٤) تموركة : كان التونسي أول من أشار إلى أن الفور ينقسمون إلى ثلاث شعوب أو بطون : الأولى الكنجارة ومعظمهم في شرق جبل مره ( وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل ) والثانية الكراكريت وهم سكان جبل سى الأصليون . والثالثة التموركة ويعيشون في جنوب غرب دارفور وهو الأقليم الذي يحكمه أباديمَا MacMichael, H.A. : op. cit. pp. 94.

(٥) التكينياوي : نائب السلطان في الأقليم الشمالي من دارفور . وهو على قدم المساواة مع أباديمَا في النفوذ والسلطان . انظر مراجع حاشية ٢ في الصفحة السابقة

(٦) في الأصل : ملك \*

(٧) في الأصل متعدلين \*

دار أبادِيما عشرة أيام ، وطول دار التَّسْكِينِيَاوِي خمسة أيام ؟ قلتُ : دار التَّسْكِينِيَاوِي أعرضُ من دار أبادِيما ، لأنَّ دار أبادِيما عرضُها نحو خمسة أيام وشَيْءٌ يسير ، وعرض دار التَّسْكِينِيَاوِي نحو سبعة أيام ، فما نقص من طولها جُبِر بزيادة عرضها .

ثم أعلم أن دارفور منظمة تنظيماً على وجه تَحْكِم ، لأننا ذكرنا أن جبل مَرَّة يشقها ، وأن نصفها من جبل مَرَّة إلى جهة الشرق سهل ، وعرض جبل مَرَّة - بقطع النَّاظِر عن ارتفاع الجبال - نحو يومين ، ووراءه من جهة الغرب سهل أيضاً ، لكن من جهة الشمال الزَّغاوة والبرْتَقِي ، وهم قبيلتان عظيمتان . فالبرْتَقِي من جهة الشرق ، والزَّغاوة من جهة الغرب . وفي وسطها من جنوبِ جديده كُرِيُو يسكنها التَّنجُور والبرْقِد ، وهم قبيلتان عظيمتان . وهكذا إلى جديده راس الفيل وأزيد ، بل إلى تَبَلِيدِيَّه ، وإن كان بينهما بلاد وقبائل صغار .

ثم من هناك إلى الخلاء من جهة الجنوب والشَّرق ، وجهة دار أبادِيما يسكنه الدَّاجُو والبِيَقُو ، فالدَّاجُو من جهة المغرب ، والبِيَقُو من جهة المشرق ، وشَرَقِي جديده كُرِيُو يسكنه البرْقِو والمِيَمِه ، وهم قبيلتان عظيمتان .

ثم إن جبل مَرَّة لا يسكنه إلا أعمام الفور ، وأعمام الفور ثلاثة قبائل ، أحدها : كُنْجَارَة<sup>(١)</sup> ، وهي تسكن من قِرْلِي إلى بعد الجبيل الصغير المسَّيَّ مَرَّة بالخصوص ، وهو مَرَّة حقيقة<sup>(٢)</sup> . وبعده بقليل إلى حد دار أبادِيما ، تسكنه الفور المسمون : كَرَا كَرِيت<sup>(٣)</sup> ، وأما الفور الساكنون بدار أبادِيما فيسمون : تَمُورَكَه .

(١) سمعنا من أهل جبل مَرَّة أنه سمي بهذا الاسم لأنه لم يخلق مثله ، فلا ثانٍ له ولا نظير .

(٢) المعروف أن الفور تفرعوا ثلاثة شعب ، وهي الكنجارة والكراكريت والتموركة ، وامتاز الكنجارة منهم بتسرب الدماء العربية إليهم . ويقال بصدق اختلاط

وبعد دار أبادِيما دار رُونِيَّه ودار فَرَاوِجِيه ، لَكِنْ رُونِيَّه من جهة المغرب ،  
وفَرَاوِجِيه من جهة المشرق . ودار فَقَرْ و بعْدَ دار فَرَاوِجِيه . وبعْدَ دار رُونِيَّه  
دار سِلَـ(١) ، لَكِنْ تَمِيلُ إِلَى المغرب أَكْثَر ، ولهذا يَحْكُمُهَا أَهْلُ الْوَادَى .

واعلم أن جبل مَرَّة ليس جبلاً واحداً كُلُّه ، بل هو عِدَّة جبالٍ كبارٍ وصغارٍ .  
وقبْل الدُّخُولِ في دار أبادِيما ينقطع الجبل ، وتبقى أرضٌ سهلة يسكنها الفَلَان ، حتى أَنَّه  
يَقْرُبُونَ من المسَالِطِ من جهَّةِ المغرب . ويليهُم بَنُو حِلْبَةَ وَالْمَسِيرِيَّةَ الرُّزْقِ .  
وَجَمِيعُ مَا ذَكَرْنَا هُوَ غَيْرُ الْبَدُو الْحَافِينَ بِهَا مِنْ شَمَالِهَا وَشَرْقِهَا وَجَنْوِبِهَا ، وَغَيْرُ الْمَوْلَدِينَ  
مِنْ الْقَبَائِلِ ، وَالْفُورِ يَسْمُونَهُمْ : الدَّارَاوِيَّةَ(٢) ، أَى الْمَسْوِيَّنَ لِلَّدَّارِ ، فَإِنَّهُمْ فِي الْوَسْطِ  
لَا يُعْتَبِرُونَ بَقِيلَةً .

وإن أردتَ أَنْ أَبْيَّنَ لَكَ كَيْفِيَّةَ دَارِ الْفُورِ ، وَوْضُعَ مَنَارِيَّهُ هَذِهِ الْقَبَائِلِ ، وَالْأَعْرَابِ

---

=الكنجارة بالعرب، أنه وفد على بلاد دارفور جماعة من عرب بنى هلال بقيادة أحمد  
المعقور ، وأنهم صاحروا الكنجارة وأن أسرة تدعى كيرا نشأت عن هذه  
المصاهرة. ثم استطاعت هذه الأسرة بقيادة زعيمها سليمان سلونج أن تؤسس  
سلطنة دارفور في القرن ١٧ م . ويسكن الكنجارة شرق جبل مرة ويسكن  
الكركريت جبل سى . أما التموركة فيعيشون في الجنوب

Mac Michael, H.A. : op.cit. pp. 91-95.

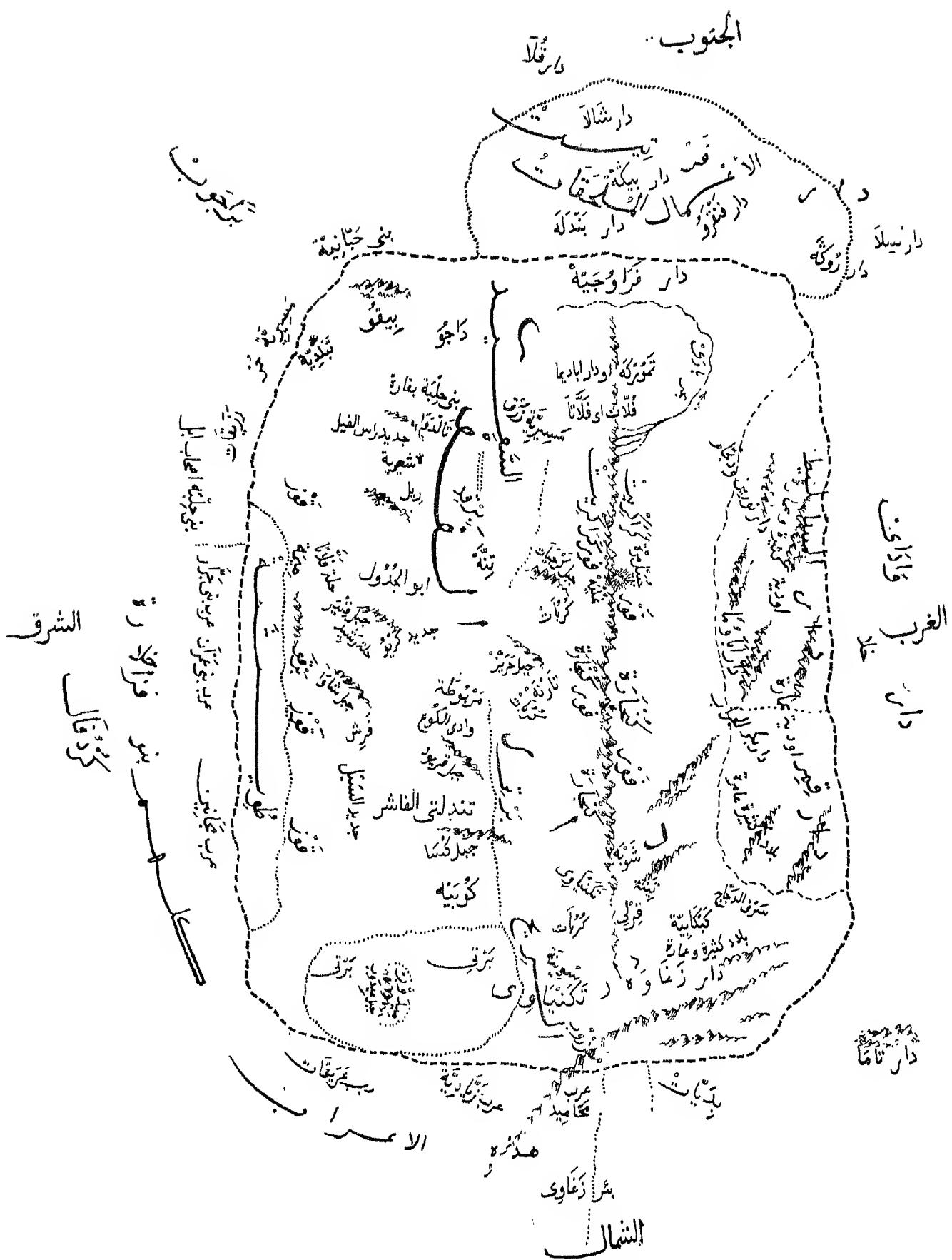
(١) دار سلا هي دار صليح أو واداي . ويعرف الأقليم الجنوبي من واداي خاصة  
بدار صليح فقط . قارن مقدمة Voyage au Ouadai, pp. 25-26.

(٢) المقصود بالداراوية هنا خليط من قبائل مختلفة ليست لهم عصبية .

المحتملين بها ، فها أنا أرسم لك ما هو على هيئة الجدول<sup>(١)</sup> ، تقريرًا للفهم ، وهو هذا .  
فنفترض أن هذه الجهة هي جهة (١٣٣) الجنوب .

---

(١) يعني بالجدول هنا : الخريطة .



جدول يبين كيفية دارالفور ووضع منازل القبائل والأعراب المحتفين بها .



(١٣٥) هذا وإن كنت لم أبین في هذا الجدول البيان الشافى، لعدم معرفتى بالرسم، ولضيق الورق، فهى<sup>(١)</sup> في نفسها كذلك، اسكن الماهر يستنتاج منها صورة حسنة. ثم اعلم أن عمر البلاد من جهة الشمال بلاد البرى والزغاوة، لكنه ما فيها من العالم. وانظر حكمة الله: فإن القبيلتين في خط واحد، لكن البرى أرق قلوباً، وأحسن وجوهاً، وأجل نساء، والزغاوة بالعكس.

كما أن الداج والبيبة وفي خط واحد، وبنات البيفة أجمل من بنات الداج، وأما البرقد والتنجور، فيوجد في كل منها المليح والقبح، لكن البرقد خائون سراق ليلاً ونهاراً، لا يخافون الله ولا رسوله؛ والتنجور معهم بعض دين، وبعض عقل يمنعهم. وأما أهل الجبل، فكلهم على حد في الوحاشة والوحشة<sup>(٢)</sup>، لكن متى جئت في دار أباديماء، تجد الرجال والنساء حسان<sup>(٣)</sup>، فسبحان من هذا صنعة.

وأما المساليط فتساوهم يسيئون العقل، ويذهبون بالله. وأجل النساء في دار الفور على الإطلاق نساء العرب، بل ورجائهن كذلك، وبين الوادى ودارفور لا يوجد ساكن أبطة، ما عدا أهل جبل تامه الذى ستحدث عنه [ونذكر] أن السلطان صابون<sup>(٤)</sup> — وهو سلطان الوادى — غزاه واستولى على أهله.

(١) أي: هيئة الجدول.

(٢) الوحشة: الرداءة، من وخشن الشيء بالضم رذل وصار ردئاً، أما الوحشة فلفظة عامية بمعنى القبح.

(٣) كما في الأصل، بدل: حسانا.

(٤) هو السلطان عبد الكريم ولقبه صابون. وهو حفيد السلطان محمد صليح. حارب عبد الكريم صابون أباه السلطان محمد درت وانتزع منه عرش السلطنة سنة ١٨٠٥ م. ونجح في بسط سلطانه على أقاليم بجرمى الفنى فزادت ثروة البلاد وتوفي سنة ١٨١٥ حين كان يستعد لقتال حاكم برنو Barth, H.: Travels. III, pp. 530-531.

واعلم أن جميع (١٣٦) البلاد التي في دارفور مقسومة على أكابر الدولة ، فكل منهم له فيما على قدر منصبه وحاله ، فأوس عليهم داراً<sup>(١)</sup> : أباديمها<sup>(٢)</sup> ، والتكنياوي<sup>(٣)</sup> ، لأن كلاً منها تحت يده اثنا عشر ملكاً ، لكل ملك منهم عمل مستقل ، ويسمون ذلك الملك : شرتاي<sup>(٤)</sup> .

(١) في الأصل : دار .

(٣٢) المعروف أن سلطنة دارفور تنقسم إلى أربع ولايات يحكم كل منها حاكم اقطاعي (نائب سلطان) يلي منصبه بالوراثة ويتقلد من السلطان . وتلقب كل من أولئك الحكام بلقب خاص ، هو «أباديميا» لجنوب غرب دارفور ، و«التكنياوي» للولاية الشمالية ، و «الأب شيخ» للولاية الشرقية . أما نائب السلطان الرابع فهو «أباومانج» ويحكم مقاطعة جنوب شرق دارفور . وفي (١٩) (Balfour Paul : op.cit. p. 418) أن اللقب نواب السلطان ليست مشتقة من أعضاء جسم السلطان كما يقول التونسي ، بل ترجع إلى اسماء قبيلية ، أي أن «أباديميا» يننسب إلى مورمينجا ، و «التكنياوي» إلى كونبونجا ، و «أباوما» إلى بلدانجا أو سومينجا . أما الأب شيخ فلم يكن كذلك لأنه خصي (Nachtidal) . وتسكر المراجع أن هذا النظام عدل في عهد السلطان محمد فضل وصارت الولايات تسمى مقدميات مفرداتها مقدومية يتولاها مقدوم بطريق التعيين لا الاقطاع ، كما الغي منصب الأب شيخ عقب النزاع الذي نشب بين الأب شيخ محمد كرا والسلطان محمد فضل .

وبقيت المناصب الاقطاعية : أباديميا والكتنياوى وأباؤما الى جانب المقادير وهو ما يعرف بالنظام المزدوج dual organization ، ثم مالت منصب المقدومية أن أصبح ورائيا بمقدور الزمن كذلك

ومن الملاحظ هنا أن الحكام الاقطاعيين الأربعين القدامى كانوا من بين الأعضاء الاتنى عشر الذين يتكون منهم مجلس السلطان ، وهو المجلس الذى كان يتولى اختيار السلطان الجديد بعد السلطان المتوفى . أما عن عمل المقسم واختصاصاته – وهى في الغالب نفس اختصاصات الوالى الاقطاعى القديم من

Beaton, A.C. : S.N.R., XXIX, II, p. 5.

(٤) راجع ما كتب عن هذا اللقب في ص ٦٨ حاشية ٥.

فَبِاِدِيْمَا يَحْكُمُ عَلَى التَّمُورَكَه<sup>(١)</sup> .

وَالْتَّكَنِيَاوِي يَحْكُمُ عَلَى دَارِ الزَّغَوَةِ وَالْبَرْتَقَى وَمَا وَلَاهَا<sup>(٢)</sup> .

وَأَبَوْمَا<sup>(٣)</sup> وَيَسَاوِي الْكَامِنَه<sup>(٤)</sup> يَحْكُمُ عَلَى أَرْبَعَةِ مَلُوكٍ مِنَ الْمَسَالِطِ .

وَفُورَنِيْخُ أَبَا<sup>(٥)</sup> يَحْكُمُ عَلَى أَرْبَعَةِ مَلُوكٍ مِنَ السَّكَرَاءِ كِيرِيتِ .

وَالْأَرُونِدُولُونِيْخُ<sup>(٦)</sup> وَهُوَ وَجْهُ السُّلْطَانِ يَحْكُمُ عَلَى أَرْبَعَةِ مَلُوكٍ مِنْ بَلَادِ الْبِرْقِيدِ ،

(١) في الأصل : التاموركه \*

(٢) كذا في الأصل وقد تكررت في موضع ، بدل : وليهما \*

(٣) انظر الصفحة السابقة حاشية ( ٣ ، ٢ ) \*

(٤،٥) ليس لدينا من المراجع ما يساعد على التعريف بلقب الكامنة وأصل حامله سوى طبيعة عمله ، مع العلم بأنه لا يوجد للكلامنه معنى في آية لغة من لغات دارفور ،

كما أنه لا يرمز لعضو من أعضاء جسم السلطان كما يقول التونسي . أما في لغة كنوري في برنو فان اللفظ مكون من كلمتين : الأولى «كام» بمعنى شخص ،

والثانية «ني» ومعناها ملك . وربما كان المقصود به في دارفور على هذا القياس

الاستنتاجي - ظل السلطان أو نفسه الثانية Cf. MacMichael : op. cit. p.95.

ويعرف الكامنة كذلك باسم «فورنج أبا» Arkell, S. N.R. XXXIII, PartI, p. 142.

أى «أبو الفور» . ولعله يرجع بنسبه إلى بيت ملكي فوراوي قديم . ويبدو أن

صاحب هذا المنصب كان غالباً ما يطبع في ملك دارفور . ومن ذلك ما يشير إليه ناخطيجال بقصد نزاع نشب بين السلطان أحمد يكر والكامنة . وفي ذلك

تفسير لما جرى عليه الفور من قتل الكامنة إذا مات السلطان قشلا ، بل يقال انه Arkell : S.N.R. XXXII, pp. 337 - 38.

وَالْكَامِنَه حَاكِمُ اقْطَاعِي عَلَى مَقَاطِعَةٍ فِي غَرْبِ دَارِفُورِ ،

غَيْرُ أَنْ مَقْرِهَ كَانَ دَائِمًا بِالْعَاصِمَةِ إِلَى جَوَارِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ الْكَامِنَهُ ذَا خَبْرَةٍ بِتَقَالِيدِ الْبَلَادِ الْقَدِيمَةِ وَعَادَاتِ سَكَانِهَا . وَيُقَالُ أَنَّهُ كَانَ زَمِنَ السُّلْطَانِ عَلَى دِينَارِ

الْمَسْئُولُ عَنْ تَرْتِيبِ زَوْاجِ الْمِيَارَمِ (الأَمِيرَاتِ ) Arkell : S.N.R., XXXIII, I, P. 142.

(٦) موظف اقطاعي يحكم أقلיהם البرقد من مقره بالعاصمة حيث يوجد السلطان ، وهو لا يمثل وجه السلطان ، بل عتبة باب السلطان فيها يراه آركل . وهو الموظف الذي ياذن لاصحاح الدعاوى وغيرهم من يريد مقابلة السلطان بالمثلول

بين يديه . ثم انه كان حاكم مدينة الفاسرة العاصمة ورئيس البوليس بها وهو الذي يفصل في القضايا الجنائية . Arkell : op. cit. p. 140

ويلاحظ أنه كان لكل شرطى موظف يحمل لقب أوروندولنج وكان يقوم فى

الغالب بعمل القاضى \* Cf. MacMichael : op.cit. p. 94.

والآب الشیخ یحکمُ علی أربعة ملوك أيضًا .

وورنیج<sup>(١)</sup> أبا یحکمُ علی ملکین .

وهذه البلاد غير بلاد الأماء والأشراف والفقهاء العظام والقضاة ، وليس للإساطان

بلاد خالصة له إلا بیوت آباءه وأجداده ، مثل قرلی والریل وتندلتی وغيرها .

ومحل حکم الآب الشیخ من أبي الجدول إلى الجنوب ، حتى يأخذ أيضًا قطعة

عظيمة من بلاد البرقید .

والأمناء یحکمون على جهة مرّة .

وأما السلاطین الصغار<sup>(٢)</sup> ، فإن كل سلطان منهم یحکم على بلاد جماعته ،

كالبرقو ، والمیمه ، والتنجور ، والداجو ، والبیقو ، والزغاوة . وهؤلاء السلاطین لهم

إقطاع یتھیشون منها ، وإن كانت المملكة لها حاکم غيره . فهنا سلطان زغاوة حاکم

على جماعته ، مع أنه في دار (١٣٧) التکنیاوی ، ولكن له إقطاع من زمن أجداده ،

لا يتعرّض لها التکنیاوی . وبقية البلاد يأخذ التکنیاوی خيراتها ، وهكذا [الأمر

بالنسبة] لغيره من السلاطین الصغار .

وبقية الأقالیم غير الستة المذکورة حکامها ملوك .

وأما عرض دارفور ، فإنه من ائتلاف الكائن بيته وبين دار صلیح ، أي دار

---

(١) راجع حاشية ٣٦٢ ص ١٥٠

(٢) جرى الرسم في دارفور بأن یحتفظ باللقب سلطان رؤساء القبائل التي كانت فيما مضى تتمتع باستقلالها ، ثم خضعت لنفوذ سلطان دارفور وذلك بالرغم من تبعيتهم له وتلقی الأوامر منه .

وَادَائِي<sup>(١)</sup> ، إِلَى آخِرِ الطُّوِيشَةِ ، أَى لَأَوْلَى الْخَلَاءِ ، السَّكَانُ يَبْنَهُ وَبَيْنَ كُرْدُفَانَ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ يَوْمًا . وَهَذَا الْإِقْلِيمُ نَصْفُهُ سَهْلٌ ، [وَ] أَرْضُهُ<sup>(٢)</sup> مُرْمِلَةٌ قَلِيلًا إِلَّا آخِرُهُ مِنَ الشَّرْقِ ، فَإِنَّهُ كَثِيرٌ<sup>(٣)</sup> مِنَ الرَّمَلِ ، وَلَذِكْرٍ يَسْمَى بِالْقَوْزِ .

وَأَمَّا أَرَاضِي جَبَلِ مَرَّةٍ ، فَهِيَ طِينٌ أَسْوَدٌ ، وَهُوَ جَبَلٌ يَشْقُ دَارَ الْفُورِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا ، حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ مُتَّصِّلٌ بِالْمَقْطَمَ الْمِطْلَلِ عَلَى الْقَاهِرَةِ ، لَكِنَّهُ لَيْسَ قَطْعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ هُوَ مُنْتَقَطٌ مِنْ عَدْدٍ أَمَّا كَنْ ، وَلِهُ طُرُقٌ عَدِيدَةٌ .

وَفِي هَذَا الْجَبَلِ أُمُّ وَعَالَمٌ لَا يُحَصِّي كُثْرَةً ، وَفِيهِمُ الْقَبِيلَةُ الْمُعْرُوفَةُ بِالْكُنْجَارَةِ<sup>(٤)</sup> ، الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا سُلْطَانُ دَارَفُورِ . وَفِي هَذَا الْجَبَلِ كَهْوَفٌ عَدِيدَةٌ ، تَحْبَسُ فِيهَا أُولَادُ الْمُلُوكِ ، وَأُخْرَى<sup>(٥)</sup> لَبْسُ الْوَزَرَاءِ .

وَفِيهِ مِنَ الْنَّحِيرَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَمِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَماَكِنِ . وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ جَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ تَرْغَى وَجْهَهَا بِدُونِ رَاعِيٍّ ، وَلَا يَخْشَوْنَ عَلَيْهَا سَارِقًا وَلَا سَبِيعًا وَلَا ذَبِيًّا .

وَلَقَدْ اسْتَأْذَنْتُ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ فَضْلَ سَنَةَ ١٢٢٠<sup>(٦)</sup> فِي التَّوْجِهِ (١٣٨) إِلَى جَبَلِ مَرَّةٍ لِلْفُرْجَةِ ، فَتَوَقَّفَ أَوْلَأَنِّي فِي الْإِذْنِ خَوْفًا عَلَىَّ مِنْ غَائِلَةِ أَهْلِ الْجَبَلِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِي ، وَعَيَّنَ مَعِي خُدَامًا ، وَكَتَبَ لِي فَرَّمَانًا إِلَى جَمِيعِ عَمَّالِ الْجَبَلِ يَقُولُ فِيهِ :

(١) سبق التعريف بها في ص ٧٤ حاشية ٣ .

(٢) فِي الأَصْلِ : أَرْضٌ .

(٣) فِي الأَصْلِ : كَثِيرٌ .

(٤) الْكُنْجَارَةُ سبق التعريف بهم في ص ١٤٤ حاشية ٢ .

(٥) فِي الأَصْلِ : وَآخْرُونَ .

(٦) سَنَةُ ١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م .

من حضرة السلطان الأعظم ، والخاقان المُكرَّم ، سلطان العرب والعجم ، الواقع بعناية الملك العدل الصبور ، السلطان محمد فضل المنصور ، إلى جمِيع ملوك جبل مرسة .

أما بعد : فإنَّ السيد الشريف محمد التونسي ابن الشريف العالمة السيد عمر التونسي ، المتسَّمَّاً إذنًا في أن يرى الجبل وما فيه ، ويختبر ظاهره وخافيته<sup>(١)</sup> ، وقد أذنَّاه<sup>(٢)</sup> بذلك ، فلا يُمْتَنَعُ من محلٍّ يريده النظر إليه ، وأمْرٌ<sup>(٣)</sup> كلَّ ملَكٍ نزل به أن يَكْرِمَه ويعظِّمَ ملْقاَه . وقد أحبَّته بفَلَقَنَاوَيْنِ<sup>(٤)</sup> من خواصٍ فَلَاقَنَتِي ، ليكونوا واسطةً بينَكُمْ وبينَه ، و[لِيُمَكِّنَا] من [تبليغِ] الكلام ، ونيل المرام ، والسلام .

فتوجهت صحبة الفلقاناويَّينِ ، وعبدَيْنِ لِي ، ورجلٍ من أهل البلدة التي أنا فيها . فسافرنا يومينِ ، وفي اليوم الثالث أتينا أطرافَ الجبل ، فنزلنا في بلادٍ يقالُ لها : بُلْطِلِيه<sup>(٥)</sup> ، وهو رئيسٌ يقالُ له : الفقيه تَمْر ، وله ولدٌ يقالُ له : الفقيه محمد ، وآخرُ يقالُ له : سليمان . فنزلنا في بيتِ رئيسِ البلدة ، وحضر هو وأولادُه واستقبلوْنا بصدرٍ

(١) كذا ، بدل : خافيته بفتح الياء ، وذلك مراعاة للسجع .

(٢) كذا في الأصل ، وهي عبارة عامية ، بدل : أذنَّاه في ذلك ، أي سمحنا له به .

(٣) كذا في الأصل ، بهمزة مفتوحة على الألف الأولى وهمزة ساكنة على الثانية . ومن هذه الطريقة في رسم اللفظ نرجح أن المؤلف يريد الصيغة العさまية لا الفصحي التي هي : أمر .

(٤) المفرد فلقناوى والجمع فلاقنة . ويقوم الفلقناوى عادة بعمل الحاجب والترجم والمراسلة كذلك Voyage au Darfour, p. 140.

(٥) يقع هذا المكان في وسط جبل مرسة في منطقة الكراكريت حسبما جاء في خريطة المؤلف المنشورة ضمن الكتاب . ويلاحظ أن المراجع المتداولة في هذه العواشي ليس فيها ما يساعد على التعريف به أكثر من هذا .

رَحْبٌ ، فَأَخْبَرُنَا مِنْ بَعْدِ مَقْصِدِنَا ، وَأَظْهَرُنَا لَهُمْ أَمْرُ السُّلْطَانِ ، فَاهْتَمُوا حِينَذِ بْشَانِي ،  
وَاعْظَمُوا ضِيَافَتِي ، فَبَتَنَا لِي لَيْلَتَنَا تِلْكَ .

وَمِنَ النَّفَدِ (١٣٩) تَوَجَّهُوا بِي إِلَى سُوقِ الْمُسْلِيمِ ، وَهُوَ سُوقٌ يَعْمَلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ ،  
[وَ] يَحْضُرُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْجَبَلِ رِجَالًا وَنِسَاءً ، يَقْضُونَ مَصَالِحَهُمْ . فَرَأَيْتُ أَنَاسًا شَدِيدِينَ<sup>(١)</sup>  
الْسَّوَادَ ، سُحْرَ الْأَعْيُنِ وَالْأَسْنَانِ .

وَحِينَ رَأَوْنِي اجْتَمَعُوا عَلَيَّ ، مُتَعَجِّبِينَ مِنْ احْيَارِ لَوْنِي ، وَأَتَوْا إِلَيَّ أَفَوَاجًا  
أَفَوَاجًا ، لَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْعُدُوا لِرَؤْيَةِ عَرَبٍ قَبْلِ ذَلِكَ ، وَأَرَادُوا قُتْلِي عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتَهْزَاءِ  
— وَكُنْتُ إِذْ ذَلِكَ لَا أَعْرِفُ مِنْ لِغَةِ الْفُورِ شَيْئًا — فَهَارَعْنِي إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ مَنْ مَعِيَ مِنَ  
النَّاسِ اخْتَطَفُوا سَلَاحَهُمْ ، وَجَرَّدُوهُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمَ ، فَسَأَلْتُ  
عَنِ السَّبِبِ ، فَقَالُوا لِي : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْفَتْنَةَ بِكَ . فَقَلَّتْ : لِمَاذَا ؟ فَقَالُوا :  
لِقَلَّةِ عِقْوَلِهِمْ ، لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنْ هَذَا لَمْ يَنْضَجْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ :  
لَوْ نَزَّلْتُ عَلَيْهِ ذِبَابًا لَأَخْرَجْتُ دَمَهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اصْبِرْوَا ، وَأَنَا أَطْعَنُهُ بِحَرْبَقٍ ،  
وَأَنْظُرْ مَقْدَارًا مَا<sup>(٢)</sup> يَنْزِلُ مِنْهُ مِنْ الدَّمِ . وَحِينَ سَمِعْنَا مِنْهُمْ ذَلِكَ ، خَفَّنَا عَلَيْكَ ،  
وَأَحْطَنَا بِكَ .

ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَةَ أُخْرَجَوْنِي مِنَ السُّوقِ ، فَتَبَيَّنَتِي خَلْقُ كَثِيرِهِنَّ ، فَطَرَدُوهُمْ عَنِي بِكُلِّ  
جَهْدٍ ، ثُمَّ ذَهَبُوا بِي إِلَى وَادِي هَنَاكَ ، فَرَأَيْتُ فِيهِ نَخْيَالًا وَأَشْجَارَ مُوزٍّ ، وَبَعْضَ أَشْجَارَ مِنَ  
اللَّيْمُونَ . وَرَأَيْتُ [مَا] قَدْ رُزِّعَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي مِنَ الْبَصْلِ وَالثُّومِ وَالْفَلْفَلِ الْأَحْمَرِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهِيَ لِهُجَّةِ عَامِيَّةٍ ، بَدْلٌ : شَدِيدِي السَّوَادَ . وَقَدْ مَضِيَ نَظِيرٌ  
لِهَذَا فِي صِ ١٠٣ حَاشِيَةٌ ١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : مَامَقْدَارٌ .

— وهو قرون صغيرة رفيعة ، أَكْبُرُ من حب الشّعير بقليل — والـكـمـونـ والـكـسـبـرـ ،  
 (١٤٠) والحلبة والقثاء والقرع شـء كـثـيرـ . وـكـانـ ذـلـكـ فـي أـيـامـ الـخـرـيفـ ، وـقـدـ اـحـمـرـ الـبـلـحـ ،  
 فـقـطـ عـوـالـىـ عـرـجـونـينـ مـنـ الـبـلـحـ أـحـمـرـ وـأـصـفـرـ ، وـأـهـدـوـاـلـىـ بـخـسـةـ (١) عـسلـ لـمـ أـرـ نـظـيرـهـ حـسـنـاـ  
 وـطـعـمـاـ وـلـذـةـ . وـبـتـنـاـ فـيـ أـكـرمـ ضـيـافـةـ وـأـلـذـ عـيشـ .

ولـماـ أـصـبـحـ الصـبـاحـ طـلـبـتـ التـفـرـجـ ، فـأـخـذـنـوـيـ وـدـخـلـاـ الـأـوـدـيـةـ ، فـصـرـنـاـ نـقـطـعـ  
 وـادـيـاـ (٢) بـعـدـ وـادـ . وـبـيـنـ كـلـ وـادـيـنـ أـقـلـ مـيـلـ مـسـافـةـ ، وـفـيـ كـلـ وـادـ زـرـعـ عـجـيبـ ،  
 وـمـاءـ يـتـدـفـقـ عـلـىـ رـمـلـ كـالـفـضـةـ ، وـقـدـ أـحـاطـ الشـجـرـ بـهـ سـيـاجـاـ مـنـ حـافـتـيـهـ ، يـقـنـعـ النـاظـرـ  
 أـلـآـ يـفـارـقـهـ . فـجـلـسـنـاـ عـلـ شـاطـئـ الـوـادـيـ فـظـلـ شـجـرـ هـنـاكـ ، وـذـبـحـ لـنـاـ كـبـشـ سـمـينـ  
 وـحـنـنـدـ ، فـأـكـلـنـاـ مـنـهـ إـرـادـتـنـاـ ، ثـمـ ذـهـبـنـاـ لـبـلـدـ تـحـتـ الـجـبـلـ ، فـبـتـنـاـ فـيـهـ فـيـ أـكـرمـ ضـيـافـةـ .

ولـماـ أـصـبـحـنـاـ صـيـدـنـاـ الـجـبـلـ ، فـكـشـنـاـ صـاعـدـيـنـ نـحـوـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ حـتـىـ عـلـوـنـاهـ ،  
 فـرـأـيـنـاـ فـيـهـ أـمـاـكـثـيرـةـ ، وـبـلـادـ مـتـفـرـقـةـ ، فـأـدـخـلـنـاـ عـلـ شـيـخـ الـجـبـلـ ، وـكـانـ حـيـثـيـذـ يـسـمـيـ :  
 أـبـاـبـكـرـ ، وـهـوـ جـالـسـ فـيـ خـلـوـتـهـ . فـلـمـ دـخـلـنـاـ عـلـيـهـ ، وـجـدـنـاـ رـجـلـاـ مـسـنـاـ قـدـ نـاهـزـ السـتـينـ ،  
 وـأـثـرـ فـيـهـ السـكـبـرـ ، فـسـلـمـنـاـ عـلـيـهـ ، فـرـحـبـ بـنـاـ وـأـجـلـسـنـاـ .

لطيفة :

هـذـاـ الجـبـلـ لـاـ يـرـتفـعـ عـنـهـ السـيـاحـ فـيـ السـنـةـ إـلـآـ أـيـامـاـ قـلـائلـ ، وـلـكـثـرـةـ المـطـرـ  
 يـزـرـعـونـ الـقـمـحـ ، وـيـنـبـتـ عـنـدـهـ قـحـ لـاـ يـوـجـدـ نـظـيرـهـ إـلـآـ فـيـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ ، أـوـ فـيـ بـلـادـ  
 أـورـوبـاـ ، لـأـنـهـ حـسـنـ جـداـ . وـبـقـيـهـ دـارـفـورـ (١٤١) لـاـ يـنـبـتـ عـنـدـهـ قـحـ لـعـدـمـ الـأـرـضـ

(١) الـبـخـسـةـ : كـلـمـةـ عـامـيـةـ سـوـدـانـيـةـ معـناـهـاـ : اـنـاءـ مـنـ الـفـخـارـ يـحـفـظـ فـيـهـ الـمـاءـ اوـ  
 السـمـنـ اوـ الـعـسـلـ .

(٢) فـيـ الـاـصـلـ : وـادـ .

الصالحة ، ولعدم الأمطار إلّا ماقَل ، كأرض كوبِيه وكتْكَابِية ، فإنه يُرُعَ فيها القمح ويُسقى بماء الآبار ، حتى يتم نضجُه .

ولزيارة الشيخ المذكور يوم معلوم من السنة ، تذهب إليه الناس من كل جانب ، ويقول لهم ما يحصل في جميع العام ، من قحطٍ ومطر ، وحرب وسلام ، ورخاء وشدة ، ومرض وصحّة ، والناس يعتقدون حقيقة ذلك ، فاختلَفَ أهل دارفور في ذلك ، فمن قائلٍ : إنه من طريق الكشف ، وإن كلَّ من تولَّ شيخاً يكون ولائِياً ، وما يقوله الناس من طريق الكشف ، وهذا قولُ أهل العلم . ومن قائلٍ : إن الجانَ يخبرُه بجميع ما يحصل ، وهو يقولُ للناس<sup>(١)</sup> . وكلا القولين لا أعرف صحتَهما ، بل قد تُقوَّىْتُ عنه أمور كثيرة ، وحصلَ ضدها .

فأبْرَزْنا فرمانَ السلطان ، وقرأه عليه الفقيه محمد ، فرَحَّب وأَكْرم ، ودعا لنا بطعم ، ثم ضرب طبلاً يقال له : التَّنْبِيل . بناءً أناساً كثيرون ، فانتخب من شبابهم نحو مائة نفر ، وأَرْأَسَ عليهم رجلاً من ذوى قرابةٍ يعرَف بالشجاعة ، يقال له : الفقيه زيد . وأمره أن يكون معه هو والجماعة ، وأن يكونوا على أهبةٍ وحدَرَ من جهَالِ أهلِ الجبل .

ثم ركبنا وتوجهنا إلى مكان هناك ، فيه جبل صغير وهو المسماً : مرَّة ، وسيَّى الجبل كلَّه باسم ذلك الحلّ ، فرأينا فيه مكاناً أشبه بمعبدي ، جمِيعَ أهلِ الجبل (١٤٢) يعتقدون تعظيمَه ، ويرؤون أن حرمةَ كحرمة المساجد . فدخلنا فيه وقد أظلَّته شجرة كبيرة ، بحيث صار لا تراه الشمس . فلمسنا فيه قليلاً ، ورأينا فيه خدَّاماً لتنظيفه ، واستقبال النذور من يأتي بها .

(١) قارن هذا بما جاء في ما كمَا يكل خاصاً بوجود بقايا عادات وثنية قديمة في دارفور .  
Mac Michael, H.A. : op. cit., p.p.100 - 103.

ثم انتقلنا من ذلك المكان ، ومشى العسكرُ أمامنا ، فلتحق بنا عالمٌ كثير نساءٍ  
ورجالًا ، وجعلوني أُعجوبةً<sup>(١)</sup> ، وتكلبوا وازدحموا علىٰ<sup>(٢)</sup> ، وأراد العسكر تفرقهم<sup>(٣)</sup> ،  
فما أمكن ذلك ، حتى قال بعضهم : إنَّ السُّلطانَ أرسل لأهل الجبل رجالاً لم ينضج  
في بطنهِ أمه ضيافةً لهم . فقال بعضهم : هو آدمي . وقال آخرون : هو ليس  
بآدمي<sup>(٤)</sup> ، بل هو حيوانٌ مأكولُ اللحم ، على هيئة الآدمي<sup>(٥)</sup> . لأنَّهم ينكرون أن يكون  
للآدمي لونٌ أبيض أو أحمر . وهؤلاء القوم لا يعرفون من اللغة العربية إلا كلتي الشهادة ،  
ويقولونهما<sup>(٦)</sup> مقطعتين مع العجمة القبيحة .

ولما عجزَ مَنْ معَهُ عن<sup>(٧)</sup> الدفع عنِي ، جاءَنِي الفقيهُ زيد ، وأمرني أن أستروجي  
بلشام لا يظهرُ منهُ إلا الخدقتان . فتلثمتُ واحتاطتُ بِالعسكر ، وحين رأى الشُّوَدَانَ أُنِي  
تلثمتُ اختلطَ عليهم الأمر ، وسألوا : أينَ الأحمر ؟ قالوا : ذهب إلى السُّلطان .  
فانكُفوا قليلاً .

وحينئذٍ توجهنا إلى محلِّ الحبس ، أى السُّكُونِ التي فيها المحبوسون من أولاد  
الملوك والوزراء ، فنعنَّا الحرسُ من الوصول إلَيْها ، وكاد أن يقع بينهم وبين<sup>(٨)</sup> (١٤٣)  
جماعتنا شرًّا . فتلاقَّ الفقيهُ زيدُ الأمر ، وأخذَ مِنْ الفرمان ، وذهب إلى رئيسِ الحرس  
وقرأهُ عليه . وعند ذلك امتنَّ و قال : إنَّ كَانَ و لَابَدَّ فَلِمَاتِ المأمورِ لَهُ بالتفريحِ وحدهِ ،  
وجميعَ مَنْ مَعَهُ يجلسُ على بُعدٍ حتَّى يقضَى شأنَّه ، ويرجعَ إلَيْهم . جاءَنِي وأخبرني بذلك

(١) في الأصل : عجوبة .

(٢) في الأصل : تفرقهم .

(٣) في الأصل : ويقولونها .

(٤) في الأصل : من .

فأبيت ذلك ، وأدركتني خوف عظيم ، فتأيت عن الدخول إلى الكهوف ، وطلبت  
الرجوع فرجعنا .

ومن غرائب عوائدهم أن الرجل لا يتزوج المرأة حتى يصاحبها مدة وتحمل منه  
مرة أو مرتين . وحيثئذ يقال إنها ولد ، فيعقد<sup>(١)</sup> عليها ويعاشرها .

ومن عوائدهم أيضاً أن النساء لا يُنجبن عن الرجال ، حتى أن الرجل يدخل  
داره ، فيجد امرأته مختليةً مع آخر ، فلا يكترث ولا يقتن إلا إذا وجدها عليها .

ومن طبائعهم الجفاء وسوء التخلق ، خصوصاً إذا كانوا سكارى .

ومن طبائعهم أيضاً البخل الزائد ، لا يقررون شيئاً إلا إذا كان من ذوى قرابتهم ،  
أو لهم به علقة ، أو كان إنساناً يخافون منه .

ومن عوائدهم أن الصبيان والبنات الصغار ، لا يستترون إلا بعد البلوغ ، فيلبس  
الصبي قيصاً ، وتشد الأئمي وسطها بسميرل ، ويبقى ما زاد عن السرقة إلى وجهها بارزاً .

ومن عادتهم عدم الترفه والتفنن في المأكل ، بل كل ما وجدوه أكلوه ،  
لا يأنفون طعاماً، مرّاً كان أو نئنا ، بل (١٤٤) ربما أحبووا أكل الطعام المرّ ، والطعم النّن ،  
واستحسنوه عن غيره .

ومن عادتهم أن الشباب لهم في كل بلدة رئيس ، وكذلك النساء لهن رئيسة .  
فرئيس الرجال يسمى : الورثانيح ، ورئيسة<sup>(٢)</sup> النساء تسمى : الميرم<sup>(٣)</sup> . فإذا كان  
في الأفراح والأعياد والمواسم ، يجمع الرئيس أصحابه ، ويجلس بهم في محل ، وتاتي الرئيسة

(١) في الأصل : فيعقد .

(٢) في الأصل : ورئيس .

(٣) قارن هذا فيما ورد في ص ١١٦ حاشية ١ .

وصواحيدها<sup>(١)</sup> فيجلسنَّ أمامهم على حدة ، فينفردُ الورثانيح ويدنو من الميرم ، ويختاطها بكلام يعرفُه هو وهي ، فتأمر الميرم جماعتها أن يتفرقُنَّ على جماعة الورثانيح ، فياخذ كل فتى فتاة ، ويدهبان إلى محلِّ ينامان فيه إلى الصباح ، ولا عار في ذلك على إحدى<sup>(٢)</sup> منهن .

وليعلم أن الرجال في دارفور لا يستقلون بأمرِ البتة إلا الحرب ، فليس للنساء دخل فيه ، وما سوَى ذلك فهم والنساء سواء . بل أكثر الأشغال وأشقها على النساء . وللرجال اختلاطٌ عجيبٌ بهنَّ بالليل والنهار ، في جميع الأعمال .

ومن العجب في أهل جبل مرّة ، أنهم لا يأكلون من القمع الذي يزرون عنه ، بل يبعونه ويستبدلون بشمنه دخناً . وأعجبُ من ذلك غلظ قلوبهم وجفاوتهم ، مع أنهم متزجون بالنساء امتزاجاً كلياً . وهذا خلافُ المشاع على ألسنةِ جميع أهلِ بلاد أوروبا ، من أن الرجال إذا امتزجو بالنساء تذهب غلاظة<sup>(٣)</sup> قلوبهم ، ويكتسبون (٤٥) الرقة وحسنَ الطبع . ومن غلاظة طبعهم ، أن الرجل يسافر الفراسخ العديدة راجلاً ، ويكون معه حمار ، فيسوقه أمامه ولا يركبه ، وإن سئل يقول : إن ركبته أطأ بي . وأما لقائهم فهي لغة فيها حماس ، ألفاظها تشبه ألفاظ اللغة التركية ، لأنهم إذا دعوا إنساناً يقولون له : جلـاـ . والترك يقولون : كـالـ (جيـالـ) . وقولـي : تشبـه اللـغـةـ التـرـكـيـةـ ، ليس معناه أنـهماـ مـتقـارـبـتاـ<sup>(٤)</sup> المعنى ، بل وجه الشبه في مجرد الألفاظ ، وإن اختلف موضوعـ

(١) في الأصل : وصواحيتها .

(٢) كذلك ، وقد تكررت هذه الصيغة مراتاً .

(٣) الغلاظة بالكسر : ضد الرقة (القاموس) .

(٤) في الأصل : متقاربتي .

معنى كلٍّ منها ، وذلك أنَّ الفور يقولون للفرس : يَا مُورْتَا ، وعند الترك هو اسم البئضِ ، والقبحُ عند الفور اسمه : جِيٌّ . وعند الترك : فُلُّ ماضٍ بمعنى : ذهبَ .

ولم أسع لغةً أقصى من لغتهم ، لأنَّ العدد بلغتهم ينتهي إلى ستة ، ويُكمل بالعربي. فيقولون : دِيلْك : واحدٌ ؛ أو : اثنانٌ ؛ إِيسْ : ثلاثةٌ ؛ أُونجِيلْ : أربعةٌ ؛ أوسْ : خمسةٌ ؛ أُوصَانِيلْكْ : ستةٌ . ثم يقولون بالعربي : سَبْعةٌ ، ثَمَانِيَّةٌ ، تَسْعَةٌ<sup>(١)</sup> ، ثم يقولون : وَأَيْهَ<sup>(٢)</sup> ، وهو لفظٌ يدلُّ على عشرةٍ<sup>(٣)</sup> .

لطيفةٌ :

من أحبب ما سمعته بجبل مرأة ، أن الجنَّ ترعى مواشيهن التي ترعى في السلاسلِ بدون راعٍ معهم . ولقد أخبرني عدَّة رجالٍ ممَّن يُظن صدقُهـ<sup>(٤)</sup> ، أن الإنسان إذا مرَّ بمواشيهن ، ورأى أن لا راعيـ<sup>(٥)</sup> لها ، ربما طمع فأخذَ منها شاةً أو بقرةً أو غير ذلك . فإنَّ ذبحها تلتتصقُ يده بالسكين على منحرها ، ويُحرِّز عنِ فكاكِها ، حتى تأتي أرباب الماشية ، فيقبضون عليه ، ويُغَرِّمونه بمنها بأعلى قيمة ، بعد إهاتِهم له ، وضرِّبُهم إياه الضربَ المؤلم . ولقد تكرَّر علىَ سِماعِ ذلك ، حتى بلغ مبلغ التواتر ، مع أنَّى لا أصدقهـ .

(١) هذا ما جاء في المتن . وأما نطق الفور لهذه الأعداد الثلاثة ٧ ، ٨ ، ٩ فهو كما جاء في الترجمة الفرنسية (Voyage, p. 140). سبْع ، ثمانِيَّة ، تساه . وقد سمعنا بعض أهل دارفور أثنياء رحلتنا إلى جبل مرة في آخر عام ١٩٦١ ينطقونها على النحو الآتي : ساب ، ثمن ، تسى .

(٢) كذا ، وقد سمعناهم ينطقونها هكذا : ويه بامالة الواو ، أو ويه ، بفتح الواو وأماللة الياء المشددة .

(٣) في الأصل : عشر الأعداد .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) في الأصل : لاراع .

وَحِينْ كُنْتُ فِي جَبَلٍ مَرَّةً ، تَوَجَّهْتُ إِلَى دَارِ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي نُخْبِلِيهِ ، أَسْأَلُ عَنْهُ ، فَأَرَيْتُ فِي دَارِهِ أَحَدًا ؛ لَكِنْ سَمِعْتُ دَارِ الدَّارِ صُوتًا غَلِيظًا مُرْعِبًا ، اقْشَعَهُ مِنْهُ حِلْدَى ، يَقُولُ لِي : أَكَبَا . يَعْنِي : إِنَّهُ لَيْسَ هَنَا . وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَرَدْتُ أَنْ أَقْدَمَ وَأَسْأَلَ : أَيْنَ ذَهَبَ ؟ فَرَبِّي إِنْسَانٌ وَجَذْبَنِي وَقَالَ : ارْجِعْ ، فَإِنَّ الَّذِي يَخَاطِبُكَ غَيْرُ آدَمِي ! فَقَاتُ : وَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْحَارِسُ الْجِنِّي ، لَأَنَّ لَكَ إِنْسَانٌ مِنْهُ حَارِسًا مِنَ الْجِنِّ ، وَيُسَمَّى بِلُغَةِ الْفُورِ : دَمْزُوقَةٌ<sup>(١)</sup> . خَفِقْتُ حَيْنَيْذَ وَرَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ .

وَلَا رَجَعَتْ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ ، وَتَوَجَّهْتُ إِلَى الْفَاشِرِ ، اجْتَمَعْتُ مَعَ الشَّرِيفِ أَحْمَدَ بَدْوِي ، الَّذِي أَخْذَنِي مِنْ مَصْرَ ، وَذَهَبَ بِي إِلَى دَارِفُورَ ، فَأَخْبَرَهُ الْقَصَّةَ فَقَالَ : صَدَقَ . وَأَسْعَنِي أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِي : يَا وَلَدِي ، اعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فِي أَوَّلِ أَمْرِي أَسْمَعَ أَنَّ الدَّمَازِيقَ تُبَاعُ وَتُشَتَّرِي ، وَمَنْ أَرَادَ مِنْهَا دَمْزُوقَةً ، يَذْهَبُ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ عَنْدَهُ دَمَازِيقَ ، فَيَشْتَرِي مِنْهُ وَاحِدًا بِمَا يُرْضِيهِ ، ثُمَّ يَأْتِي بِقَرْعَةٍ فِيهَا لَبَنُ ، وَيَدْفَعُهَا إِلَى رَبِّ الْمَنْزِلِ ، فَيَأْخُذُهَا وَيَدْخُلُ (١٤٧) إِلَى الْمَحْلِ الَّذِي هُنَّ فِيهِ ، فَيُسْلِمُ عَلَيْهِنَّ ، وَيَعْلُقُ الْقَرْعَةَ الَّتِي فِيهَا الْلَّابِنُ فِي عَلَاقَةٍ فِي الْبَيْتِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّ صَاحِبِي فَلَانَا عَنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ، وَخَافَتْ عَلَيْهِ مِنَ السُّرْقَةِ ، وَأَرَادَ مِنْهُ حَارِسًا ، فَهَلْ إِحْدَى مِنْكُنَّ تَذَهَّبُ (٢) إِلَى دَارِهِ ، لَأَنَّ عَنْدَهُ لَبَنًا كَثِيرًا ، وَخَيْرًا غَزِيرًا ، وَقَدْ أَتَى بِهِذِهِ الْقَرْعَةِ مَمْلُوَةً لَبَنًا ؟ فَيَقْتَمِنُونَ

(١) فِي الْأَصْلِ : دَامْزُوقَةٌ . راجِعُ مَا ذَكَرَهُ مَا كِمَايِكِلُ فِي شَرْحِ الدَّمْزُوقَةِ مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمَا سَمِعَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَهْبَالِي دَارِفُورِ .  
MacMichael : op.cit. p. 102.

(٢) عَوْمَلْ لِفْظُ دَمْزُوقَةِ مُعَالَمَةُ الْمُذَكَّرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ وَمُعَالَمَةُ الْمُؤْنَثِ فِي مَوَاضِعِ قَلِيلَةٍ كَهَذِهِ .

أولاً ويقلن : لا أحد يذهب معه . فيتحنن لهن ويتملّق حتى يرضيَن ، فيقول : من أراد الذهاب منكَنْ فلينزلُ في القرعة . ويبعُد عنهن قليلاً ، وحين يسمع بصوت وقوعه في اللبن ، يغطى القرعة بطبقٍ من سعف ، ويأخذُها من علاقتها مغطاةً ويدفعها لصاحِيه المشترى ، فيأخذُها ويذهب بها إلى داره ، ويعلّقُها في بيته ، ويولّ بالقرعة جاريةً أو امرأةً ، تأتي كل يوم على <sup>(١)</sup> الصباح ، وتأخذ القرعة وتُرِيقُ ما فيها من اللبن ، وتعسلُها <sup>(٢)</sup> جيداً ، ثم تضع فيها لبنا آخر ملوكاً في ساعتها وتعلّقها . وحينئذ يأمن الإنسان على ماله من السرقة والضياع .

و كنتُ أكذب ذلك حتى كثُر مالي ، وصارت العبيد والخدم يسرقونه ، فاحتلتُ على منع السرقة بكل حيلة فلم يمكنني <sup>(٣)</sup> ذلك . وشكوتُ لبعض أصحابي ، فأمرني أنأشترى دمزاً وقاً ، و [أخبرني] أنى أكُف شر السرقة . فخداني حبُ المال أن توجهتُ إلى رجل سمعتُ أن عنده دمازيقاً ، وقلتُ له : أعطني <sup>(٤)</sup> دمزاً وقاً يحرس <sup>(٥)</sup> لي مالي . وأعطيته ما طلبه ، فقال لي : اذهب واملاً قرعة من لبن حليب وهاتها . ففعلتُ ، وأتيته بالقرعة مملوءة لبناً ، فأخذها وذهب ، وبعد ساعة جاءني ، والقرعة مغطاة ، وقال لي : علّقها حيث مالك مخزون . وعُرِفَ ما ينبغي أن يُنْعَل كل يوم ، من غسل الآنية ، وتجديد اللبن . ففعلتُ ذلك ، ووكلتُ جارية بذلك ، وأمنتُ على مالي ، حتى أني كنت أترك بيتَ مالي مفتوحاً ، ولا يقدر أحد على الوصول

(١) كذلك .

(٢) في الأصل : ويعسلها .

(٣) في الأصل : يمكنني .

(٤) في الأصل : دمزوقة تحرس .

إليه ، وفيه من العين والأمتعة شيء كثير ، وكل من رام أخذ شيء بغير إذن تكسر رقبته ، فقتل لي عدداً عبيداً .

وعشت آمناً على مالي مدة ، حتى كبر لي ولد كان اسمه محمد<sup>(١)</sup> ، فلما شب واحتلم تعلقت آماله بالبنات ، وأراد يهادهن بعض خرز وحلى ، فترقب غلتني يوماً ، وأخذ المفاتيح وفتح خزينة الأمتعة ، وأراد أن يدخل فكسر الدمزوقه رقبته ، ومات في الحال ، وكنت أحبه جداً شديداً . فلما أخبرت بهوته ، جزعت عليه جرعاً عظياً ، وسألت عن سبب ذلك ، وأخبرت أنه أراد أن يأخذ شيئاً من الأمتعة ، فقتلته الدمزوقه . فبحلفت يميناً أن الدمزوقه لا يجلس في بيتي ، وأردت إخراجه فأشعرني ، وشكوت بعض أحبائي ، فأشار على أن أصنع ولية ، وأجمع فيها أناساً كثيرين ، يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود ، ويأتون كلهم دفعة واحدة (١٤٩) يطلقون البنادق ، ويصيرون بصوت واحد بكلام الفور : دمزوقه أيّيه<sup>(٢)</sup> ؟ ومعناه : أين الشيطان ؟ ويكررون الطلق ، ويرفعون أصواتهم بذلك ، حتى يدخلون<sup>(٣)</sup> إلى المحل الذي فيه المال ، فربما خاف وهرب منه ، ففعلت ذلك ففر<sup>ر</sup> والله الحمد ، وخلصت منعاشرة الدمازيق ، أي : الشياطين .

ولقد أخبرني عدداً رجال ، أن التقاقيـر التي في بيت السلطان ، فيها واحدة تسمى :

(١) في الأصل : محمد .

(٢) في الأصل : أيّيه ، والتصحيح عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 153

(٣) كذا ،

منصورة<sup>(١)</sup> ، متملكها الشياطين ، وأنها ربما ضربت بغير ضارب . فإذا وقع ذلك يحدث في دارفور أمر عظيم ، إما حرب عدو لهم ، أو حرب بينهم ، وسيأتي لهذا مزيد توضيح ، حين نتكلم على عوائد الملاوك .

وأما عوائد القبائل الآخر ، كالبرق والداج والنوبة والزغاوة والبرقو والميمه وغيرهم ، فإن بعضها يقرب من عوائد أهل الجبل ، وبعضها يخالفها . أما الخالفة ، فبعض هذه القبائل فيه كرم ونجدته ورقة طبع ، وذلك لخالطتهم للعرب أهل الbadia ، وللتجار الذين يذهبون من أرض مصر وغيرها ، فترأه إذا رأوا أضيافاً أقسموا عليهم ، وأحسنوا ضيافتهم ، وإن رأوا غريباً كرموه ، وذلك بخلاف الفور الأنجام ، كأهل جبل مرّة وتمور كنه ، فإنهم لا ينكرون الضيف ولا يألفونه ، ولا ينزل الضيف عندَهم إلا قهراً عنهم ، انتهى . (٥٠)

---

(١) المنصورة : هو الطبل الكبير الذي ظفر به السلطان تيراب من العبد اللات عند أم درمان أثناء حملته على كردفان . وفي نعوم شقير : ( تاريخ السودان ج ١ ، ص ١٢٠ ) أن السلطان تيراب « لما فاز بنحالاتهم سر به سرورا فائقا حتى أنه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهودا من الذهب وحفظه الخلف عن السلف إلى انقضاء ملكهم . وكانوا في كل سنة يجدون تعليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الأحياء وداموا على ذلك إلى أن سقطت دارفور بيد مصر فحمل إلى القاهرة » .

## الفصل الثاني

### في عوائد ملوك الفور

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بحكمته ، وجعل اختلاف عوائدهم وأحوالهم عبرة لأولى الأ بصار ، وتذكرة لذوى الاستبصر .  
ليعلم العاقل ، إذا تأمل في أحوال المالك ، واختلاف عوائدها ، وطبيعتها المتنوعة  
وفوائدها ، أن القادر على الخلق الأكبر — جعل قدرته ، وعظمت إرادته — إنما نوع  
أحوال هذا العالم ، وخص كل قوم بجزء لا توجد في غيرهم ، ليعلم <sup>(١)</sup> عظم قدره  
وحكمة .

كما أنه إذا نظر في اختلاف أسلتهم وألوانهم ، وزينتهم ومعاشهم ، علم أنها آية  
كبيرة ، كما قال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ مَا نَمَّا لَكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَخْتِلَافُ أَسْنَتِكُمْ  
وَأَلْوَانِكُمْ » <sup>(٢)</sup> .

ثم إن الله جعل لكل إقليم طبيعة : فمن الأقاليم الحار ، ومنها البارد ، ومنها  
المتوسط بين الحرارة والبرودة . وذلك بحسب قرب الإقليم من خط الاستواء ، وبعده

(١) أي : العاقل .

(٢) سورة الروم آية ٢٢ .

عنه ، فسبحانه الفعالٌ يُريد . ولو شاء لجعلهم أمةً واحدة ، ولكن بالاختلاف ظاهر المزايا ، وشئاق النفس إلى معرفة ما لم تعرفه . ولو لا ذلك لما ساحت الشواح<sup>(١)</sup> ، وما بذلت في الأسفار الأموال<sup>(٢)</sup> والأرواح . وإذا تقرّر ذلك فنقول :

عادةً ملوك الفور مخالفةً لعوايد غيرهم من الملوك ، ولهم<sup>(٣)</sup> السلطنة التامة عليهم ، فإذا قُتل منهم ألواناً لا يُسأل : لماذا ؟ وإن عزل ذا منصب لا (١٥١) يُسأل : لماذا ؟ فهو تمام التصرف في كل أمر يريده ؛ وإذا أمر بأمرٍ لا يراجح فيه ولو كان منكراً ، إلاً من قبيل الشفاعة . ولا تردد له كلامه . لكنه إذا فعل ما لا يليق من الظلم والعسف ، تحصل له بعاصاه في قلوبهم ، ولا يقدرون له على شيء .

فأول عوايدهم : أن الملك لا يكون إلاً من بيت الملك ، أي من سلالاتهم . ولا يمكن توليء أجنبى منهم<sup>(٤)</sup> ولو شريطاً ، وتحقق نسبه عندهم .

وثانيها : أن الملك إذا تولى يجلس في بيته سبعة أيام ، لا يأمر ولا ينهى ، ولا تقوم بين يديه دعوى<sup>(٥)</sup> ، وكلهم على ذلك إلا السلطان عبد الرحمن ، فإنه خرق عادتهم ، كما مرّ عند الكلام على توليته<sup>(٦)</sup> .

والثالثاً : أن لهم عجائز تسمى : الحبيبات ، وهن طائفةٌ عظيمة ، ولهم رئيسة تسمى : ملكة الحبيبات . فمنذ خروج السلطان يوم الثامن يجتمعنَ ويأتين

(١) كذلك .

(٢) في الأصل : الأموال .

(٣) يقصد بالملك هنا السلطان الأعظم سلطان دارفور . قارن ماورد في ص ٥٤ حاشية ٤ .

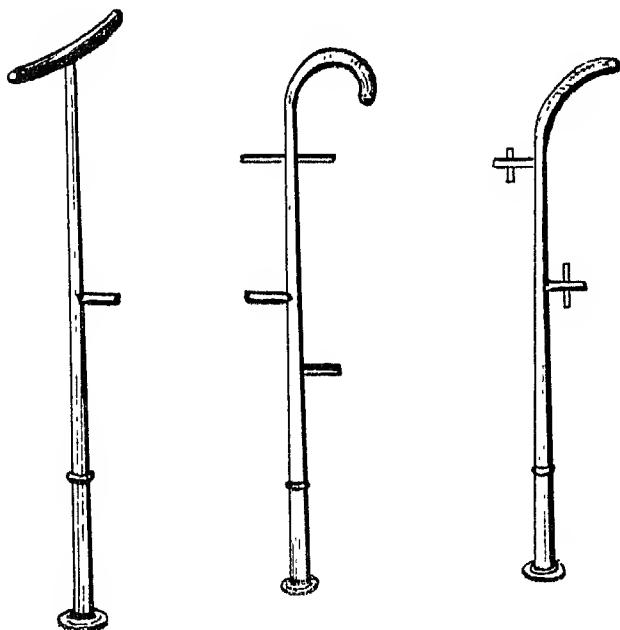
(٤) كلها في الأصل ، بدل : أجنبى عنهم .

(٥) في الأصل : دعوة .

(٦) انظر ص ١٠٢ .

إليه ، وكل واحده منها يديها أربع قطع من الحديد ، تسمى القطعة منها **شوك باجها** ،  
وصورتها :

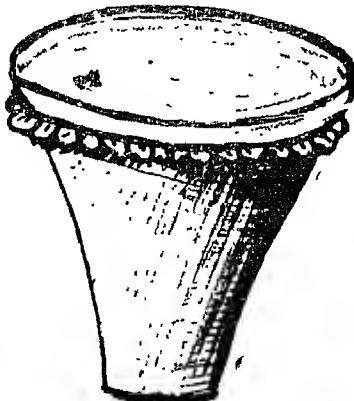
اما هكذا أو هكذا أو هكذا



وفي كلّ يدٍ كُرْباجان ، يضرُّنها على بعضِها فيحصلُ منها صوتٌ . وييد إحداهنَّ قبضةً من سقفِ أبيضٍ ، ومعها ماءٌ اختلفَ أهلُ دارفور (١٥٢) فيما ترَكَ منه ، فتُبَلِّش العجوزُ السعفَ من ذلك الماء ، وترُشُّ به على السلطان ، مع قولِ كلامٍ لا يعقلُه إلَّا هنَّ ، ويأخذُنَّ السلطانَ فَوْسَطُهُنَّ ، ويطُوفُنَّ به البيتَ ، ويتوَجَّهُنَّ إلى دار النحاس ، وهو الحللُ الذي فيه النقايرُ ، وهي طبولُ السلطان . فيدخلانَّ البيتَ ويأتينَ إلى التَّقَارِيَّة المسمَّاة بالمنصورة ، فيقْعُنَ حلقَةً ، ويجعلُنَّها في الوسط ، والسلطان وحده معهنَّ ، ويضرُّ بنَ الْكَرَا بِيَحْ على بعضِها ، ويُقلَّنَ من كلامِهنَّ ، ثم يرجعُنَّ بالسلطان إلى كرسى مملَكته . وبعد جلوسه ذاك ، تدخلُ إليه الدَّعَاوَى ويتناولُ الأحكام .

ومن عادتهم : أن السلطان لا يسلم على غيره إلا بتوجُّه ، صغيراً كان أو كبيراً ، عظيماً أو حقيراً . وكيفية ذلك : أنه<sup>(١)</sup> إذا دخل عليه أنس يجثون على رُكْبِهم ، ثم يتقدم التَّرْجُّه ، ويسمّيهم واحداً بعد واحداً إلى آخرهم . وهو أنه يقول : « إنْتُو تَورَا فَلَانْ ، دُونْجِيَةَ كَنْيَيْحِيَ دَارِي » ، ومعناه<sup>(٢)</sup> : إن هنا بَرَّا فلان ، سلام يعطي طاعة . فإذا تم<sup>(٣)</sup> أسماء الجالسين قال : « كِيْكِينْ دَقْلَهَ كَرِنْجِيَةَ »<sup>(٤)</sup> ، ومعناه : معهم أولاد وراءهم ، حتى أتباعهم وخدمهم . فتفعل العبيد الواقفون خلفَ السلطان ، المسمّون كُورُوكوا — وقد تقدم ذكرُهم — : « دُونْجِرَائِي دُونْجِيَةَ ، دُونْجِرَائِي دُونْجِيَةَ » ، ومعناه : سلام سلام ، سلام سلام .

فإن كان في ديوان<sup>(٥)</sup> حَفْلٌ ضُربَ إذ ذاك طبلٌ يقال له : دِنْقار ، وهو طبل عظيم من خشب ، مجلد من جهة واحدة ، أهْرَاجِي الشكل مقاوبٌ هكذا :



[ دِنْقار : طبل عظيم من خشب ]

(١) في الأصل : أن .

(٢) المعنى وارد بحسب ترتيب الكلمات .

(٣) كذا في الأصل ، والصيغة عامية بمعنى أتم :

(٤) معاني الألفاظ هي : كي : مع ؛ كين : هم ؛ دقْلَه : أطفال ، أولاد ؛ كر : وراء ؛

نجه : هم . Voyage au Darfour, p. 161. أما قول المؤلف : « حتى أتباعهم

وخدمهم » فليس له مقابل في العبارة الفوراوية .

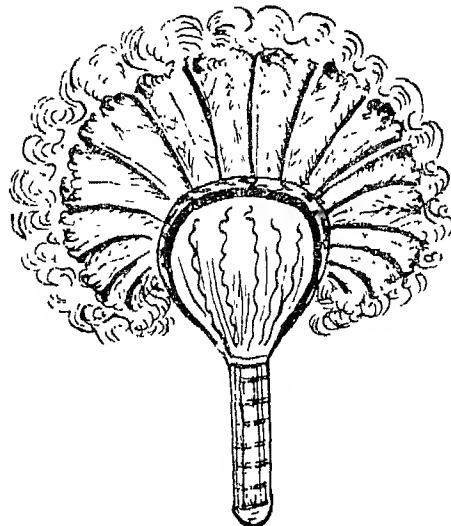
له صوتٌ عالٌ ، وإن لم يكن ديواناً لا يكونُ ذلك .

ثم من شدة تعظيمهم للسلطان ، أن السلطان إذا بصف في الأرض ، يمسحه بيده واحد من الخادمين ، [إلا] قاعدين أمامه ، [إلا] متطلعين دائمًا للسلطان والأفعاله وحركاته . وإذا تحنّح قالوا كلامهم : تسْ تسْ . يعني : يلقطون بناء مذغمةٍ في سين ، من غير حركات ، يكونُ اللسان ضاربًا للسنخ<sup>(١)</sup> العلوي للأسنان .

وإذا عطس لفظوا بحروف لا يلفظ بها إلا الوزغ<sup>(٢)</sup> ، أو من يسوق دابة .

وإذا جاس وأطال المجلس ، روّحوا عليه مراوحَ من ريش النعام .

وإن خرج إلى الصيد ، يطللونه بشمسيةٍ وأربع مراوحٍ كبيرةٍ من ريش النعام ، مخلفاتٍ بمحوخ أحمر . وهذه المراوح تسمى بالريش ، وصورته هكذا :



[ريش : مروحة كبيرة من ريش النعام]

(١) السنخ بالكسر مثبت الأسنان .

(٢) الوزغ جمع وزفة ، وهي : سام أبرص . (القاموس) .

(١٥٤) فيقفون بالشمسية على رأس السلطان ، ويجعلون المراوح اثنين عن اليمين ، واثنين عن اليسار ، فيصير على السلطان ظلّ واسع . وللشمسية المذكورة والرّيش ملكٌ مخصوصٌ وأعوان يتداولونها نوبات فنوبات ، ماشيين<sup>(١)</sup> على أقدامهم .  
ومن عادة السلطان إذا ركب أن تُرفع أمامه السجادة ، ولها ملكٌ مخصوص ، وأعوان يتداولونها أيضًا .

ومن تعظيم السلطان ، أنه إذا ركب جواده وعتر الجواد فرماد ، أو وقع من شدة الرّكب ، أنهم يرمون أنفسهم جميعاً من على ظهور الخيل ، ولا يمكن أن يثبت أحد منهم على ظهر فرسه بعد وقوع السلطان ، بل إن رأى الخدمة أحداً ثابتاً على ظهر جواده ولم يرم نفسه ، يرمونه إلى الأرض ويضر بونه ضرباً مؤلماً - وإن كان عظيماً - لـما يرون أن ثباته احتقار<sup>(٢)</sup> بأمر السلطان .

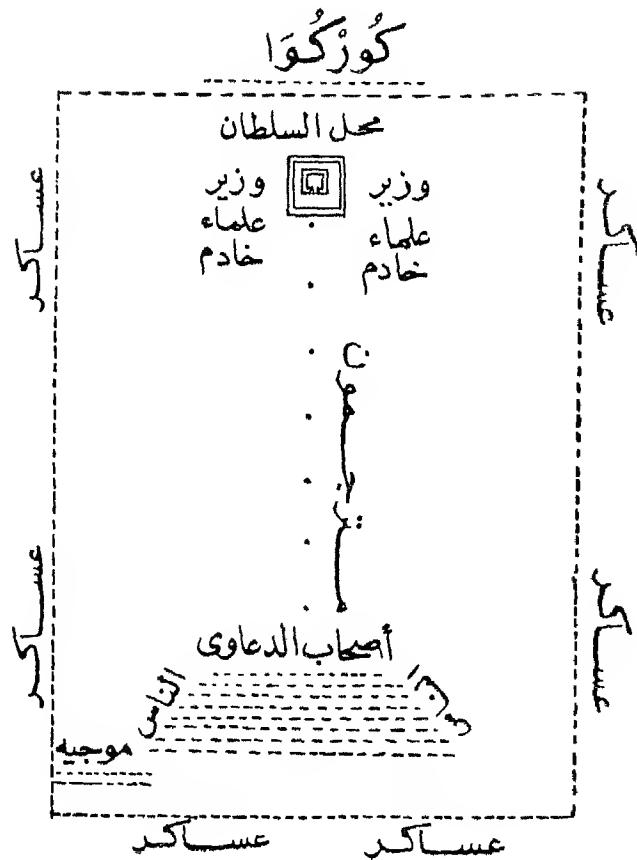
وإذا جلس السلطان للحكم في ديوانه ، لا يكلّ الناس مباشرةً ، بل بواسطة ترجمان ، إن لم يكن ديواناً عاماً . «إن كان ديواناً عاماً وقف المترجمون السبعة في الوسط ، أوّلهم عند السلطان ، وآخرهم عند الناس أصحاب الدعوى ، والعساكر حوله»<sup>(٣)</sup> ،

(١) كذا بياءين وهي صيغة عامية .

(٢) في الأصل : احتقاراً .

(٣-٣) الوارد في المتن كما يلى : «فإن كان ديواناً عاماً كانت سبعة المترجمون أولهم عند السلطان وآخرهم عند الناس أصحاب الدعوى والمترجمون في الوسط والعساكر حوله» وهو كلام بادي الاضطراب ، وقد قومناه في المتن على ضوء الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 163

والـكـورـكـوـاـ خـلـفـهـ ، والـعـلـمـاءـ وـالـأـشـرـافـ جـالـسـونـ ، وـهـيـئـةـ دـيـوانـ (١٥٥) هـكـذـاـ :



[ هیئه دیوان السلطان ]

والناس جاثون على رُكْبِهِمْ أَمَاهَهُ، واضعينَ أَيْدِيهِمْ على الترابِ، وَالْمِوْحِيَّةُ واقفون  
دائماً، وَسَنَدَ كَرْ تعرِيقَهُمْ .  
فإِذَا سَلَمَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ مسحُوا الترابَ بِأَيْدِيهِمْ .

وإذا تكلم أحدٌ في مجلسه لا يبدأ الكلام إلا بقوله : سلمٌ على سيدنا<sup>(١)</sup> .  
إن كان عربياً وإن كان فوراويًا ، قال : « أباً كوري دونجيا جنى » ومعناه ذلك .  
وإذا كان السلطان هو المتكلم يقول : سلمٌ عليه ، إذا [كان] يتكلم  
بالعربي ، فالترجمان يقول : « دونجاي داينشيخ سيدى<sup>(٢)</sup> » . وإذا كان [السلطان يتكلم]  
بالفورياوية يقول : « دونجيا جنى » إن كان [المخاطب] تجميماً ، وإن (١٥٦) كان  
عربياً يقول [السلطان] : سلمٌ عليه .

ولا خصوصية مجلس السلطان في ذلك ، بل كل مجلس تُعملُ فيه دعوى يقال ذلك  
حتى في مجلس القاضي ومشايخ البلاد . ولا يمكن أن تُعمل دعوى بغير : دونجيا جنى .  
ويلزم لذلك أنَّ الكلام يطُولُ وإنْ كان قصيراً ، لتقدير هذه الكلمة بعد كلِّ  
أو كلتين . وإذا افتتح أحدُ دعوى بغير ذلك يعيثون عليه ، ويرؤن أنه غير متذرّ ،  
بل إذا كان في مجلس حاكمٍ يؤذب بالزجر ، مالم يكن غريباً فيعذر .  
ومن عادةِ ملوكِ الفور تجليدُ النحاس وهي عادةٌ لا توجد في غير دارفور .

وتجليدُ النحاس هو تغيير<sup>(٣)</sup> جلود الطبلول ، المسماة في إقليم مصر بالتفاقير . وهذا  
التجليد يعظمونه ، ويجعلونَ له موسمًا في السنة ، ومدته سبعة أيام<sup>(٤)</sup> .

وكيفية ذلك أنَّ السلطانَ يأمرُ بنزع جلود الطبلول كلّها في يوم واحد ، فتنزَع

(١) ضبط اللفظ بكسر السين وسكون الدال عن الترجمة الفرنسية ، وهي صيغة  
عامية Voyage au Darfour , p. ١٦٤

(٢) أي : سيدى يسلم عليك .

(٣) فى الأصل : تغير .

(٤) جرت عادة سلاطين دارفور بالاحتفال سنويًا بتجليد النحاس (المنصورة)  
ويستمر هذا الحفل ، الذى يبدأ عادةً فى الأسبوع الأول من شهر ربيع الآخر ،

ئم يُؤتى بأثوار خضر<sup>(١)</sup> اللّون ، فيذبحونها و يأخذون من جلودها ، ويجلدون بها تلك الطبول . لكن أهل دارفور يقولون في ذلك كلاماً لا يقبله عقل عاقل<sup>(٢)</sup> مُمارسٍ للكتب ، ولتكنهم مطبقون على ذلك .

فإنهما يزعمون أن هذه الأثار من نوع بقرٍ معروف عندهم ، وأنها حين الدّبح تمامٌ وحدها بدون من يمسكها ، ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ، ويقولون . إن الجنّ هو الذي<sup>(٣)</sup> يمسكها وينيمها . ثم يأخذون لحومها ويجعلُ في خواي ، ويتراك ستة أيام مع الملح ، وفي اليوم السابع يأتون بقرٍ كثيرة<sup>(٤)</sup> وأغنامٍ ، وتذبح كلها ، ويطبخون لحومها . وفي حال الطّبخ يأخذون اللّحم الذي في الخوابي ، ويقطّعونه قطعاً صغيرة ، ويجهلون في كل قدرٍ منه قطعاً تخلط باللحام الجديد ، ثم تفرّق الموائد للملوك ، وأولاد الملوك ، والوزراء ، على حسب طبقاتهم ، ويقف على كل مائدة منها حارسٌ من طرف السلطان ، ينظر من يأكل ومن لم يأكل . فإذا أخبرَ السلطان بأن فلاناً لم يأكلْ أمر بالقبض عليه في الحال ، لأنهم يقولون : إنّ من كان في قلبه خيانةً للسلطان ،

= نحو تمانية أيام أو عشرة ، ويفدم في هذه المناسبة ، كبار الحكم الاقطاعيين والملوك ، الهدايا للسلطان . كما يقدم ملك الجلابة ( كبير التجار ) للسلطان هدايا مختلفة من بينها نحو تسعين رأساً من الرقيق .

Browne : op. cit., p. 222

ويذكر نعوم شقير ( تاريخ السودان ج ٢ ، ص ١٤٤ ) أنهم كانوا يأتون بشور وخراف أبقريين يتقدونها من قطبي يربوله في جبل مرة لهذه الغاية وينذبحونهما وبجلدون بجلديهما نحاس المنصورة .

( ١ ) يعبر في اللهجة السودانية بالأخضر عن الأسمر ، وبالأزرق عن الأسود ، وبال أحمر عن الأبيض .

( ٢ ) في الأصل : العاقل .  
( ٣ ) كما ،

أو غدرٌ، لا يمكن أن يأكل من هذا اللحم . وإن تعلل أحدٌ بأنه مريض ، أو لا يقدر على حضور [الوليمة] ، أرسلت إليه أولئك منه مع حارس أمينٍ ينظر ، هل يأكل أو لا ؟ فإن أبي يقيضُ عليه ، إلا إذا كان معدوراً بقوّة مرضه .

وبعضُ أهلِ دارفور يقولون : إنه ميؤتى بغلامٍ وصَبِيَّة لم يبلغَا الحُنْثَ<sup>(١)</sup> ، ويُذبحان سرّاً ، ويقطعُ لحمُهما ، ويُجعلُ في القدورِ مع لحمِ الحيوانات المذبوحة . وبعضُ الناس يقولُ : لا بدَّ وأن يكونَ اسمُ الغلامٍ مُحَمَّداً ، واسمُ الصَّبِيَّة فاطمةً . وإن صَحَّ هذا ، فهو غَايَةُ الْكُفَرِ بِالله ورَسُولِه . ولكنني لم أشاهِدْ ذلك ، ولم أقْفَ عليه ، لأنَّي غَرِيبٌ ، والأغْرَابُ لا اطْلَاعٌ لهم على مثلِ<sup>(٢)</sup> هذا الأمر أبداً ، لكنَّي سمعْتُه من أناسٍ كثِيرِين ، يحْلِفُونَ لِي بِإِيمَانٍ مَغَلَّظَةٍ ، أنَّ هذا الكلام صحيح لا رَيْبُ فيه .

وقبَلَ إخراجِ الطعامِ تَخْضُرُ العساكرُ كُلُّها ، ويقفونَ في بطحاءٍ واسعة ، أمام دارِ السُّلطان ، ثم يخرجُ السُّلطانُ عليهم في زينته وأبهِته ، فتُعرَضُ عليه الجيوشُ ، كلُّ ملَكٍ بِأتَبَاعِه ، واحدٌ<sup>(٣)</sup> بعدَ واحد .

وكيفيةُ العرضِ أنَّ الْمَلِكَ يأخذُ أتباعَه ويركضُ ، حتى يصلَ إلى محلِ السُّلطان ، فإنْ كانَ من العظاءِ بِرَزَ السُّلطانَ من جماعته إلى ملاقاتِه ، مقدارَ خطوتَين أو ثلاثة ، وإنْ كانَ غَيْرَ عظيمٍ ثَبَتَ السُّلطانُ في موضعِه ، فيرجِعُ الْمَلِكُ وجماعَتِه ، ويفعَلُ ذلك ثلَاثَ مرات ، وفي الثالثة يُعرضُونَ على السُّلطان ، ثم يرجعُونَ إلى محلِّ وقوفهم ، فيخرجُ ملكُ آخرٍ بِجيشِه ويفعلُ كذلك ، وهلَّمْ جَرَّا .

(١) في الأصل : الحُنْث ، وهو تصحيف . والحنث : الادراك والبلوغ يقال : بلغ الغلام الحُنْث ، أي الادراك والبلوغ ، وقيل : إذا بلغ مبلغاً جرى عليه القلم بالطاعة والمعصية . (اللسان)

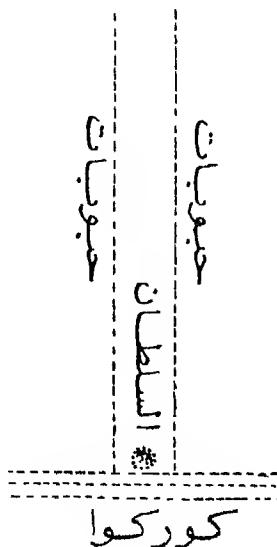
(٢) كذلك ، والعبارة عامية فيما يبدو .

فإذا تم العرضُ خرجُ السُلطان راكضاً ، وتَبَعَ المُلُوكَ ، وذهبَ أولاً إلى أعظمِهم ، ثم إلى مثيله وإلى أقل منه فهكذا<sup>(١)</sup> ، حتى يمر عليهم أجمعين ، جبراً لما طرهم.

وكلما أتى قوماً صاحوا في وجهه بكلامٍ يعذّبونه به ، وهو أنهم يقولون له بصوتٍ عالٍ : بُرْنُس [البلاد]<sup>(٢)</sup> ، حُرُّ السلاطين ، جنْزير المُلُوك ، أدَاب العاصي ، فرتاك الجبال بلا ديوان ، وغير ذلك .

فإذا تم العرضُ ، دخلَ السُلطان دارَه ، ودخلَ وراءه جميعُ أرباب المناصب ، من الوزراء ، والملوك ، وأولاد السلاطين فيدخلُ السُلطان<sup>(٣)</sup> إلى دار النحاس ، ويأخذُ قضيباً ويضربُ به النقاريكَ المسمىَة : منصورة ، ثلثَ ضربات ، والمجابرُ أى الحشبوفات محدّقاتٌ به ، بأيديهنَ السكريات يضرُّونها على بعضها<sup>(٤)</sup> كما تقدَّم .

ثم يمشين زوجاً زوجاً هكذا :



[صفة دخول السلطان بعد العرض .]

(١) كذا

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 168.

(٣) كذا

والسلطان<sup>١</sup> بين الزوج الأخير حتى يدخلن بالسلطان إلى محل جلوسه ، وأنا شاهدت ذلك .

ثم تفرق الأطعمة ، كما ذكرنا . وإذا كان بعض القواد والوزراء غائباً عن الفاشر ، في وقت تجليد النحاس ، ثم جاء بعد ذلك واتهم بفسد أو خيانة ، يُسقى من ماء كبلي ، وهو ماء ينبع فيه ثمر شجرة مسماة بـ كبلي ، وثمره كالجوز . تقول أهل دارفور : إن التهوم<sup>(١)</sup> بشيء ، إذا شرب منه ، إن كان بريئاً يتقياها<sup>(٢)</sup> في الحال ، وإن لم يكن بريئاً يشرب منه حتى يمتهن<sup>(٣)</sup> بطنه ولا يتقياها ، حتى أنه ربما شرب ملء خابية<sup>(٤)</sup> . [و] أنا شاهدت ذلك لكن في تهمة سرقة . واعلم هذا من خواص النباتات ، لأن النبات في دارفور له خواص عجيبة ، سندكرها بعد إن شاء الله تعالى . ومن عادة الفور : أن السلطان له مزرعة معلومة (٦٠) يزرعها لنفسه في كل سنة ، وفي يوم بذر الحب<sup>(٥)</sup> فيها بعد الأمطار ، يخرج في مهرجان عظيم ، وينخرج معه من البنات الجميلات المتجملات بالحلى والحلوى ، ما ينوف عن مائة صبية من محافظاته الخاصة ، حاملات على رؤوسهن آنية فيها المأكولات الفاخرة . وهذه الأواني تسمى بالعمارة ، مفردها : عمرة . فيعيشون وراء جوار السلطان ، سحبة العبيد الصغار ،

(١) كذا وهي صيغة عامية

(٢) يتقياها : صيغة عامية للفظ : يتقياها .

(٣) في الأصل : يمتهلا .

(٤) كان الفور يعتقدون أن السلطان مصدر الخصب ولذا جرت العادة في دارفور أن يشتراك السلطان في الاحتفال سنوياً بيده موسم البذر ، والحساب كذلك . وهي عادة كانت متتبعة في مصر الفرعونية وأخذتها من بعد ملوك الفونج وانتقلت إلى دارفور ، ولاحظ براون امتدادها إلى برنو .

Arkell : XXXII, Part II, p. 228.

الحاملين للحرب ، المسميين <sup>(١)</sup> : كوركوا ، وأصحاب الصفافير . وهؤلاء <sup>(٢)</sup> يُغنون  
بناء حال تصفيرهم ، وكوزكوا ، الحاملون للحرب ، يُغنون معهم ، فحين تخرج البناء  
مع السلطان ، يُغنّين <sup>(٣)</sup> معهم أيضًا . فيقيّ بخوبتهم صوت جميل جدًا .

وحيثما يصل السلطان إلى المزرعة ، ينزل عن جواده ، ويأخذ البذر ، ويأتي  
أحد عبيده يحفر الأرض بمسحاة معه ، ويرمى السلطان البذر ، وهو أول بذر  
يقع في الأرض ، في الجهة التي فيها السلطان . فعند ذلك تتبعه الملك والوزراء والقواد ،  
فيبذرون الحبّ ، ويزرعون المزرعة في أسرع وقت .

وبعد تمام زرع المزرعة ، يحضر الطعام المحمول على رؤوس البناء المذكورة ،  
فيوضع أمام السلطان فيما كل منه هو وزراؤه ، ثم يركب في مهرجانه حتى يصل إلى دار  
ملكيه ، وهذا اليوم من الأيام المشهورة في دارفور .

---

(١) كذلك في الأصل بيادين وهي صيغة عامية .

(٢) في الأصل : وهذه .

(٣) في الأصل : تغنين .

## الفصل الثالث

### في مناصب ملوك الفور<sup>(١)</sup>

اعلم أنَّ واجبَ الوجود تقدَّستْ ذاتُه عنِ المُعينِ ، لِمَا كانَ منفِرداً بالقدرةِ المطلقةِ ، والإرادةِ التامةِ المتصرِّفةِ ، أحوجَ الملوكَ إلىِ الوزراءِ والمدربينِ والمسعدينِ ، ليعلمَ عجزَهم عنِ الاستقلالِ في تدبيرِ مالِكِهم ومصالحِهم ، ولو لا ذلكِ الاحتياجِ لطقوها وبغاؤها أكثرَ ما هُم فيه منِ الطغيانِ ، بل ربما أدعُوا الألوهيةَ ، التي لا تليقُ إلَّا بذاتهِ العليةِ . لكنَّ خَصَّ كُلَّ إقليمٍ ، بترتيبٍ وتنظيمٍ . فلهذا تجدُ أسماءَ مناصبِ وزراءٍ<sup>(٢)</sup> الخلفاءِ ، كانتَ مغایرةً لأسماءَ مناصبِ وزراءِ الملوكِ الآتِ ، وأسماءَ مناصبِ وزراءِ ملوكِ هذا الزَّمنِ متخالفةً أيضًا .

ففي مملكةِ آلِ عثمانِ ، أسماءَ المناصبِ : الوزيرُ الأعظمُ ، والكتَّخداً<sup>(٣)</sup> ،

(١) عنوان الفصل في المتن كما يلى : « الفصل الثالث في مناصب ملوك في الفور وملابسهم وكيفية مجلس السلطان وغير ذلك » .  
ولما كان الفصل الثالث خاصاً بمناصب ملوك الفور ، والفصل الرابع خاصاً بكيفية مجلس السلطان ، والفصل الخامس خاصاً بملابس الفور فقد اكتفيينا في عنوان هذا الفصل بما خصص له . ونقلنا الباقى إلى موضعيه من الفصلين التاليين ، بدل ادماج الفصول الثلاثة في فصل واحد .

(٢) في الأصل : الوزراء .

(٣) الكتخدا : رئيس مجلس الشورى .

وَالخَازِنَدَارُ<sup>(١)</sup> ، وَالسَّلَاحَ دَارُ<sup>(٢)</sup> ، وَالْمَهْرَدَارُ<sup>(٣)</sup> ، وَالدَّيْوَتَ دَارُ<sup>(٤)</sup> ، وَجُوْخَةَ دَارُ<sup>(٥)</sup> ،  
وَسِرْبَوَاينُ<sup>(٦)</sup> ، وَقَابِجَى باشى<sup>(٧)</sup> ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ ، تُتُونِجِى باشى<sup>(٨)</sup> ، وَشَرْبَتْجِى  
باشى<sup>(٩)</sup> ، وَقَهُوجِى باشى<sup>(١٠)</sup> ، وَقَفْطَانُ أَغَاسِى<sup>(١١)</sup> ، وَبَشْكِيرُ أَغَاسِى<sup>(١٢)</sup> ، وَبَاشَاتُ  
وَأَمْرَاءُ الْأُولَى ، وَأَمْرَاءُ الْأَلَآيَاتُ .

وَأَمَّا أَهْلُ دَارِفُورِ فَإِنَّهُمْ اتَّعْظِيمُهُمْ لِلصَّلَاطِنِ لَمْ يَنْتَهُوا إِلَى جَسْمِ الصَّلَاطِنِ ، فَسَمَّوْا  
الْمَنَاصِبَ بِأَسْمَاءِ أَعْصَانِهِ .

فَأَوْلُ مَنَاصِبِهِمْ أَرْوَنْدُولُونِجُ<sup>(١٣)</sup> ، وَهُوَ مَنْصُبٌ عَظِيمٌ الْقَدْرُ ، صَاحِبُهُ يَكْنَى بِرَأْسِ  
الصَّلَاطِنِ . وَلِهُذَا (١٦٢) الْمَنْصُبِ إِقْطَاعٌ عَظِيمٌ وَبِلَادٍ ، وَصَاحِبُهُ لَا يُسْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا  
بِـ « دُونْجِيرَائِي دُونْجِيَا »<sup>(١٤)</sup> ، وَتُرْفَعُ السَّجَادَةُ أَمَامَهُ كَالصَّلَاطِنِ . وَصَاحِبُهُ هَذَا الْمَنْصُبِ ،

(١) الْخَازِنَدَارُ : وَزِيرُ الْخَزانَةِ وَالْمَالِيَّةِ .

(٢) السَّلَاحَ دَارُ ، أَوْ : السَّاحِدَارُ : وَزِيرُ الْحَرْبِيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ .

(٣) الْمَهْرَدَارُ : أَمِينُ الْأَخْتَامِ .

(٤) الدَّيْوَتَ دَارُ : حَامِلُ الدَّوَافِعِ ، وَهُوَ سَكِيرُ الصَّلَاطِنِ .

(٥) جُوْخَةَ دَارُ : وَزِيرُ الْخَارِجِيَّةِ .

(٦) سِرْبَوَاينُ : أَمِينُ الْمَفَاتِيحِ ( رَئِيسُ الْبَوَابَيْنِ ) .

(٧) قَابِجَى باشى : حَاجِبُ الصَّلَاطِنِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ بَعْضِ النَّسْوَنِ الْخَارِجِيَّةِ .

(٨) تُتُونِجِى باشى : أَمِينُ تَبْيَغِ الصَّلَاطِنِ .

(٩) شَرْبَتْجِى باشى : رَئِيسُ الشَّرْبَتِلِيَّةِ .

(١٠) قَهُوجِى باشى : رَئِيسُ قَهُوجِيَّةِ الصَّلَاطِنِ .

(١١) قَفْطَانُ أَغَاسِى : أَمِينُ قَفَاطِينِ الصَّلَاطِنِ .

(١٢) بَشْكِيرُ أَغَاسِى : حَامِلُ بَشْكِيرِ الصَّلَاطِنِ ، أَثْنَاءُ الْوَضُوءِ .

اعتمدنا فِي شَرْحِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ وَضَبَطْهَا ( مِنْ الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ٣ إِلَى الْحَاشِيَةِ

رَقْمُ ١٥ ) عَلَى التَّرْجِمَةِ الْفَرْنَسِيَّةِ .

(١٣) أَرْوَنْدُولُونِجُ : أَنْظُرْ ص ١٥٠ حَاشِيَة ٦ .

(١٤) اَنْظُرْ مَعْنَاهُ فِي ص ١٦٧ .

إذا كان السلطان مسافراً أو قاصداً ، وظيفته أن يشيّ بعساكره أمام الجيش كله ،  
لا يسبقه أحد .

وَثَانِيَهَا : مُنْصِبُ الْكَامِنَهِ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ فِي الْعِظَمِ وَالْجَلَلَةِ أَعْلَى مِنْ أَرْوَنْدُولِـوْنِيْجْ ، وَيَكْتَفِي عَنْهُ بِرِقْبَةِ السَّلَطَانِ . لَكِنَّ مِنْ عَادَةِ الْفُورِ أَنَّ السَّلَطَانَ إِذَا قُتِلَ فِي الْحَرْبِ ، وَسُلِّمَ الْكَامِنَهُ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَحْلِ الْأَمْنِ يَقْتَلُونَهُ ، لَكِنَّ يَخْنُقُونَهُ سَرًّا وَيُولُونَ غَيْرَهُ لِلسَّلَطَانِ الْمُتَوَلِّ . وَإِذَا مَاتَ السَّلَطَانُ عَلَى فَرَاسِهِ لَا يُقْتَلُ الْكَامِنَهُ . وَهَذَا الْكَامِنَهُ يَسْعَى بِلِغَةِ أَعْجَامِ الْفُورِ : أَبَا فُورِي<sup>(٢)</sup> ، وَمِنْهَا : أَبُو الْفُورِ . وَلِصَاحِبِ هَذَا الْمُنْصِبِ إِقْطَاعٌ جَلِيلَةٌ ، وَعَسَاكِرٌ كَثِيرَةٌ ، وَيَفْعَلُ مِثَامًا يَفْعَلُ السَّلَطَانُ . وَوَظِيفَتِهِ أَنْ يَمْشِي خَلْفَ جَيْشٍ أَوْ رَوْنَدُولِـوْنِيْجْ .

وَثَالِثًا : أَبَا أُومَانِيْجٍ<sup>(۲)</sup> ، وَهُوَ قَرِينُ الْكَامِنَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ كَنَاءٌ عَنِ الْفَقَرَاتِ ظَهُورُ السُّلْطَانِ ، وَوُظُوفُهُ أَنْ يُشَيِّعَ خَلْفَ الْجَيْشِ بِجَيْشٍ لَا يَعْقِبُهُ أَحَدٌ . وَإِنَّ أَعْقَبَ الْجَيْشَ عَدُوًّا [كَانَتْ] فِيهِ كَفَايَةٌ لِدُفْعِهِ وَالذِّبْحِ عَنِ الْجَيْشِ ، حَتَّى يُدْرَكَ وَيُمَدَّ بِالْجَيْشِ .

ورابعها: أَبَادِيَا<sup>(٤)</sup>، وهو أَعْظَمُ مَنْ تقدَّمَ جَلَلَةً وَأَبْهَةً وَعَسَاكِراً<sup>(٥)</sup> ويحكم على  
اثني عشرَ ملَكًا<sup>(٦)</sup> من ملوك الفور ، وله إقليمٌ واسعٌ يسمى (١٦٣) تُورْگَه ، وله جمِيعُ

١) السکامنه: انظر ص ١٥٠ .

(۲) آپا فوری : انظر ص ۱۵۰ .

٢) أباً أو مانع : انظر ص ١٤٢ .

٤) أباديمياً: انظر ص ١٤٢ .

• کذا (۰)

<sup>٦</sup>) راجع : ما ذكر عن لقب «ملك» في صفحة ٥٤ حاشية ٤

ما للسلطان من الشارات والأبهة ما عدا النحاس ، فإن طبله دُنقار [فقط]<sup>(١)</sup> ، وهو كنایة عن ساعد السلطان اليمين ، ووظيفته أن يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان .

وخامسها : منصب القَكْنِيَاوِي<sup>(٢)</sup> ، وهو قرين أباديمًا في كل شيء ، وهو كنایة عن الساعِد الأيسر للسلطان ، ويحكم على اثنتي عشر ملائكة أيضًا من ملوك الجهة الشمالية ، وله إقليم واسع .

وسادسها : منصب الأب الشيخ<sup>(٣)</sup> ، وهو أعلى من جميع ما ذُكر ، ولا فرق بينه وبين السلطان ، وأوامره تنفذ على جميع من ذُكر وغيرهم ، وله إقطاعات جليلة ، وإقليم واسع ، وصاحب هذا المنصب مطلوقُ السيف ، يقتل بغير إذن . وجميع أهل المملكة تحت يده . وهو كنایة عن عَجِيزَة السلطان . وقد تقدم بعض ذلك في حديث الأب الشيخ محمد كرما .

سابعها : مناصب الأمَناء<sup>(٤)</sup> ، وهي أربعة ، كل واحدٍ منهم يدعى أميناً وأخًا هذه المناصب لها إقطاع وعساكر ، وليس لها من شارات الملك شيء . وهؤلاء الأربع ملازمون لجلس السلطان .

وثامنها : مناصب الكورآيات<sup>(٥)</sup> . وهي مناصب جليلة القدر . إلا أنها أقل من مناصب الأماء رتبة . ومناصب الكورآيات أربعة أيضًا .

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسيّة Voyage au Darfour, p. 173.

(٢) راجع ص ١٠١ ، حاشية ١ .

(٣) راجع ما ذكر عن منصب « الأب الشيخ » في ص ٦٢ ، حاشية ١ .

(٤) راجع ص ٨٠ ، حاشية ٣ .

(٥) راجع ص ٨٣ .

وتاسعها : منصب سُوميندْفَلَه<sup>(١)</sup> ، وصاحبها (١٦٤) عظيمُ القدر ، ذو أبهة عظيمة ،  
وإقطاع وأموال وافرة .  
ويليه : منصب كوزكوا<sup>(٢)</sup> .

وأعلى من هذين منصب [ملك] ورّيبة<sup>ية</sup> ، وهو منصب جليل عظيم . [و] من  
عادة ملوك الفور أنَّ صاحب هذا المنصب لا يكون إلا حصيًّا . لأنَّه ينال منصب الأبوة  
بعد موت [الأب] الشيخ . وتقدَّم لنا أنَّ منصب الأب [الشيخ] لا يتولاه إلا حصيًّا .  
صاحب هذا المنصب يحكم على جميع الخصيان المولَّدين بجرائم السلطان . وهو أيضًا  
صاحب غضبِ السلطان ، وتحت يديه الحبس . فكلما غضب السلطان على إنسان أعطاه له  
فيسجنُه في سجنه . وتحت يديه عساكر كثيرة . ومعنى ورّيبة بالفور أوية : باب الحرير .  
صاحب هذا المنصب تحت أمرِ الأب الشيخ .

ويليه : منصب ملك ورِيدَايا ، ومعناه : ملك باب الرجال .  
ولكلَّ بيتٍ من بيوتِ الملوكِ والوزراء بابان . أحدهما للرجال . والثاني للنساء .  
باب الرجال يسمى : ورِيدَايا . وباب النساء يسمى : ورّيبة<sup>ية</sup> .  
ويليهما : منصب ملك العبيدية<sup>(٣)</sup> ، وهو منصب جليلُ القدر ، صاحبُه يحكم على  
جميع دُبيَّدِ السلطانِ الخارجيين عن داره ، الذين في البلاد بنسائهم وأولادهم . وكذلك  
تحت يديه مواشي السلطان . وألاتُ السفر من خمَّ وقرب وغير ذلك .  
ويليه : منصب ملك القوارين ، أى المَكَاسِين ، وهو (١٦٥) منصب جليل ، صاحبُه

(١) راجع : ص ٨١ حاشية ٢ .

(٢) المقصود به هنا : رئيس جماعة الكوركوا ، راجع ص ٧٩ .

(٣) راجع ما ذكر عن العبيدية في ص ٨٤ ، حاشية ١ .

يُمْكِن على جميع المَكَاسِين وجميع الجلاَبة<sup>(١)</sup> ، وله إقطاع وعساكر عظيمة .  
وأَعْلَى منه : منصب مَلِكِ الْجَبَائِين ، وصاحبُه في أَبْهَةٍ عظيمَةٍ وَمَلِكٌ كَبِيرٌ ، وهو  
مَلِكُ الْجَبَائِين ، أَى الَّذِين يَجْبُونَ النِّفَالَاتَ مِنَ الْبَلَادِ . وَمَعْنَى الْجَبَائِية<sup>(٢)</sup> : أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ  
عُشْرَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَبَوب ، وَيَجْعَلُونَهَا فِي مَطَامِيرٍ لِاِحْتِيَاجِ السَّاطَانِ .  
وَبَعْدَ ذَلِكَ مَلُوكٌ كَثِيرَةٌ : فَكَامَ الْأَقْالِيمِ عِنْدَهُمْ يُسَمُّونَ الشَّرَّاتِي<sup>(٣)</sup> ، وَاحِدُهُ  
شَرَّاتَى . وَكَامَ الْقَبَائِلِ يُسَمُّونَ : دَمَالِيجُ<sup>(٤)</sup> ، وَاحِدُهُ دُمَالِجُ ، وَكُلُّ مِنَ الشَّرَّاتِي  
عَسَاكِرٌ كَثِيرَةٌ ، وَكُلُّ مِنَ الدَّمَالِيجِ أَعْوَانٌ . وَهُؤُلَاءِ خَلَفُ السَّلَاطِينِ الصَّغَارِيِّينِ  
ذَكْرُنَاهُمْ سَابِقًا .

ثُمَّ اعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ ذُكِرَ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ لَا يَعْطِيهِمُ السُّلْطَانُ رَاتِيًّا ،  
وَلَا سَرَّابَ لَهُمْ عِنْدَهُ ، بَلْ كُلُّ ذِي مَنْصِبٍ لَهُ إِقْطَاعٌ يَأْخُذُ مِنْهَا أَمْوَالًا ، وَمَا يَأْخُذُهُ مِنْ  
الْأَمْوَالِ<sup>(٥)</sup> يُشْتَرِى بِهِ خِيلًا وَسِلَاحًا وَدُرُوعًا وَلَبُوْسًا ، وَيَفْرَقُهَا فِي الْعَسَاكِرِ .  
وَكَيْفِيَّةُ مَا يَأْخُذُ هُوَ أَنْ زَكَاتَ الْحَبَوبَ كُلُّهَا لِلْسُّلْطَانِ ، كَزَكَاتُ الْمَاشِيَةِ ،  
فَلَا يَنْسَالُونَ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِنَّمَا لَكُلُّ مَلِكٍ مِنْهُمْ أَفْدَنَةٌ كَثِيرَةٌ ، يَزْرِعُهَا دُخْنًا<sup>(٦)</sup>  
وَدُرَّةً وَسَمِّيًّا وَفُولًا وَقَطْنًا ، تَزْرِعُهَا الرَّعَاعِيَا وَتَحْصُدُهَا وَتَدْرِسُهَا لَهُ قَهْرًا عَلَيْهِمْ .  
وَلَهُ : الْهَامِلُ ، وَهُوَ الضَّالُّ مِنْ رَقِيقٍ وَبَقِيرٍ وَغَنَّمٍ<sup>(٧)</sup> وَتَحِيرٍ ، يَبِيعُونَهَا لَهُ  
وَيَأْخُذُ مِنْهَا .

(١) الجلاَبة : التجار ، مفرده : جلاَبي .

(٢) كذا في الأصل ، بدل : الْجَبَائِية بكسر الجيم .

(٣) راجع : ص ٦٨ ، حاشية ٥ .

(٤) راجع : ص ٦٩ ، حاشية ١ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : الْأَمْوَالُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : ذُخْنَا بِالْذَّالِ .

وله : التقادم ، وهي المدايا التي يقدمونها له حين التّولية والقدوم على البلاد .

وله : انحطاطية ، وهي في عرفهم أموال يدفعها الجانى للحاكم ، ويسمى عندهم بالحُكْم ، إذا شجَّ إنسان آخر يؤخذ من الشاجِّ ماله ويدفع للحاكم ؛ وإذا أخْبَلَ رجل امرأة في الحرام يؤخذ من كلِّ منها مالٍ على قدر حاليهما أيضاً .

وله : الدَّم ، وهو في عرفهم إذا قُتِلَ قتيلٌ ووَدِيَ ، يشارِكُ الحاكمُ أقاربَ القتيلِ في الديَّة ، سواء كانتْ دِيَة العَمَدِ أو دِيَة انحطاطِه . وذلك خلاف المظالم التي يأخذونها بغير حقٍ ، وخلاف الأعمال الشاققة التي يكثرونها بها ؛ لأنَّهم يبنُون لهم بيوتَهم ، ويُسخِّرونهم في جميع أعمالهم .

ومن مناصبِ الفور : مَلِكُ الْمُوحِّيْه ، وإنما أَخْرَنَاه لطُولِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ، وغَرَابَتِهِ وغَرَابَةِ المنصب ، وغَرَابَةِ أَفْعَالِ أَهْلِهِ . وهو عندَهُم أدنى المناصب وأقلُّها رتبة ، لِكَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ يَحْتَاجُ إِلَى تَهْمِيدٍ .

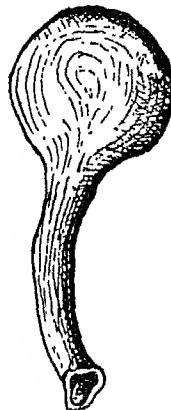
وهو أَنْ صاحبَ الْحَكْمَةِ الْأَزْلَيَّةِ ، والسلطنةِ الْأَبْدِيَّةِ ، واهبَ الْعُقْلِ ، ومانعَ الْفَضْلِ ، وَهَبَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَقْلًا يَمْيِيزُ بِهِ الْخَيْرَ لِيَتَبعَهُ ، مِنَ الْمَسْكُورِهِ لِيَحْذَرَهُ . وأودعَ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ حُبَّ رَأْيِ نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ ، بِحِيثُ يَرَى أَنْ عَقْلَهُ أَتْمَّ مِنْ عَقْلِ غَيْرِهِ ، وَرَأْيَهُ أَحْسَنُ مِنْ رَأْيِ غَيْرِهِ ، إِلَّا مَنْ بَصَرَهُ اللَّهُ بِعِيُوبِهِ ، (١٦٧) وَعَلَمَهُ عَجَزَ نَفْسِهِ عَنْ تَدْبِيرِ جَلْبِ مَصَالِحِهَا ، وَدَفْعِ مَضَارِّهَا ، وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَنَقُولُ :

مِنْ طَبِيعَةِ بَلَادِ الْفُورِ الْمَيْلُ إِلَى اللَّهِ وَالْاسْتِهْزَاءِ وَاللَّعْبِ وَالْطَّرَبِ ، يَسْتَفِزُهُمْ أَدْنَى مُطَربٍ ، فَتَرَاهُمْ لَا تَخْلُو أَوْقَاتُهُمْ عَنْ (١) مُطَربٍ ، مَلَوْكًا كَانُوا أَوْ سُوقَةً ، وَلَذِكْ

• كذا (١)

استحضروا جميعاً ما يسكنهم من آلات الطُّرب؛ فتجد كلَّ ملك له غلامٌ صغارٌ  
حسانُ الأصوات، وهم المسئونون: كوروكوا<sup>(١)</sup>، ومعهم صفافير يُصَرِّرون بها صفيرًا،  
هو في نفس الأمر غناء، مع حُسن أصوات الصفافير، وحُسن أصوات الغلامان، فيسمع  
من جميع ذلك صوت حسن.

وكيفية ذلك: أن الملك إن كان عنده من الغلامان عشرة مثلاً، يكون منهم  
أرباب الصفافير، اثنين أو ثلاثة، والرابع بيده قرعة جافة، خاوية الباطن مستطيلة،  
أحد طرفيها غليظ، والطرف الثاني رقيق، يُقبض عليه باليد، صورتها هكذا:

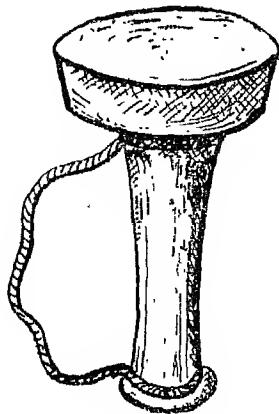


[قرعة جافة، فيها بعض حصبات، تستعمل آلة موسيقية]

فيجعلون فيها بعض حصيات، ويقيضُها الفلام، بشرط أن يكون قُممها منسداً  
بالقار، ويهزُّها فيسمع للحَقَّى فيها (١٦٨) صوت يوْفق على أصوات الصفافير،  
والستة الباقيون يغنوون، وربما أخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لأواني  
من الأطعمة للسلطان، ماشيات خلفه بحبة الغلام فيغنين مع الغلامان والصفافير، وربما

(١) كوروكوا: قارن ص ٧٩، حاشية ٣.

زادوا معهـما طبلاً من خـشب مستطـيل ، كـالطبلـة المسـماة فـي عـرف [أـهل] مصر بالـدرـبـكـة<sup>(١)</sup> ، ويسـمـى عندـهـم : تـكـجـل ، وصـورـتـهـ هـكـذا :



[تـكـجـل ، أـلـى : درـبـكـة]

ولـهـ عـلـاقـةـ كـاـفـ الصـورـةـ ، فـيـدـخـلـ الضـارـبـ منـ الـعـلـاقـةـ ، وـيـضـعـ الـعـلـاقـةـ عـلـىـ كـتـفـهـ ، وـيـصـيرـ الطـبـلـ تـحـتـ إـبـطـهـ ، وـيـضـرـبـ عـلـيـهـ بـكـلـتـاـ يـدـيـهـ تـقـرـاتـ مـحـكـمـةـ ، عـلـىـ صـوتـ الصـفـافـيـرـ ، وـمـاـ يـقـنـوـنـ يـكـوـنـ باـسـانـ الـفـورـ . وـلـهـ مـعـلـمـونـ يـلـمـونـهـمـ التـصـفـيـرـ وـالـغـنـاءـ وـالـضـربـ عـلـىـ الطـبـلـ المـذـكـورـ ، وـالـمـشـاـةـ الـذـينـ يـمـشـوـنـ أـمـامـهـ ، وـبـيـنـ يـدـيـهـ ، يـقـنـوـنـ غـنـاءـ وـحـدـهـ . وـكـيـفـيـةـ ذـلـكـ : أـنـهـمـ يـكـوـنـونـ<sup>(٢)</sup> كـرـادـيسـ كـرـادـيسـ ، يـقـنـيـ منـ كـلـ كـرـدـوسـ<sup>(٣)</sup> وـاحـدـ ، وـالـبـاقـ يـرـدـ عـلـيـهـ بـصـوتـ عـالـ . وـلـذـلـكـ ، إـذـا رـكـبـ السـلـطـانـ ، تـضـرـبـ الطـبـولـ ، وـتـغـنـيـ جـمـيعـ النـاسـ مـشـاـهـ وـرـكـبـانـاـ ، فـيـسـمـعـ ذـلـكـ ضـبـجـةـ عـظـيمـةـ ، مـعـ أـصـوـاتـ الصـفـافـيـرـ وـغـنـاءـ الـفـلـمانـ ، يـخـشـىـ إـلـإـنـسـانـ عـلـىـ سـعـيـهـ مـنـهـ لـقـوـتـهـ .

(١) فـيـ الـأـصـلـ : درـبـكـهـ .

(٢) فـيـ الـأـصـلـ : يـكـوـنـواـ .

(٣) الـكـرـدـوسـ : الـجـمـاعـةـ الصـغـيـرـةـ .

وهذه الصفافير<sup>١</sup> تسمى : طير الصعيد ، وذلك أن بلاد صعيدهم طيوراً<sup>(١)</sup> لها أصوات حسان ؛ فاختروا هذه الصفافير على شكل أصواتها .

وينضم<sup>٢</sup> لتلك الأصوات أصوات «المؤحية» ، وهذا النقط في لغة الفور يطلق على الواحد والجمع ، وهم طائفة عظيمة لها ملوك مخصوص ، وهو في عُرف الفور ، كالخلبوص ، أو المسخرة ، في عُرف أهل مصر ، أو كالشوتري في عُرف الترك . لكن المؤحية يخالف ما ذكر ، لأنه يتولى قتل من يأمر السلطان بقتله .

وصفة المؤحية : أن يلبس على رأسه عصابة ، فيها صفيحة من حديد ، مستديرة الشكل مع التجويف ، وفي العصابة المذكورة قطعة من حديد أيضاً كالمسمار ، معلقة بخيط ، محورة على التجويف الذي في الصفيحة ، بحيث إذا هزَ رأسه تضرب التجويف المذكور ، ويسمع لها رنة عليه . وأعلى منها في العصابة ريشة ، أو ريشتان من ريش النعام ، وصورتها هكذا :



[عصابة يلبسها المؤحية]

(١) في الأصل : طيور .

وعلی الطرطور وداعٌ وخرز معلقٌ أیضاً؛ وفي رجله اليميني خلخالانِ من الحديد ،  
وفي اليسرى خال واحد؛ وتحت إبطيه جراب صغير مستطيل ، إذا حلَّ عصابته وطرطوه  
يضمُّهما فيه ؛ وبيده عصماً مموجَّأعلاها هكذا :



[عصماً مموجَّأعلاها تكون بيد المؤجية]

معلقٌ فيه جلاجل ، فيقف بين يدي السلطانِ من المؤجية اثنان أو ثلاثة ، إنْ  
كانَ السلطانُ في ديوانه ، وإنْ كانَ في سفر أو قنصِي مشى أماته أربعة أو خمسة ، وكلُّ  
منهم يغنى ويرقصُ ، ويقول كلاماً مضحكاً ، يضحك منه سامعه ، ويحاكي نباح الكلب  
وصوتَ الهر . وغناؤه بكلامِ الفور لا بالعربي ، وليس في رقصِه تكثُر بل يهزُ رأسه  
يئنةً ويسرةً ، ويضربُ إحدى ساقيه بالأخرى ، فترنُّ الحديدة التي في العصابة على رأسه ،  
وترنُّ الخالخالُ التي<sup>(١)</sup> في ساقيه .

---

(١) أنت الخالخال والخالخال مذكور .



[المؤجّيّه]

وإذا كاتَ السُّلْطَانُ مَسَافِرًا أو قَانِصًا لَا يَغْنُونَ ، بل يَصِحُّونَ جَمِيعًا صِيَحةً  
وَاحِدَةً بِقُوَّةِ أَصواتِهِمْ ، يَقُولُونَ : « يَا يَا » ، وَهَكُذَا ، مَا دَامَ السُّلْطَانُ رَاكِبًا .  
وَلَا خُصُوصِيَّةَ فِي ذَلِكَ لِالسُّلْطَانِ ، بل كُلُّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْفُورِ السَّكِبَارِ لِهِ  
مُؤْجِيَّهُ ، يَقْفَأُ أَمَامَهُ فِي دِيوَانِهِ ، وَيَمْشِي قَدَامَهُ فِي سَفَرِهِ . وَالْمُؤْجِيَّهُ لَا يَخْشَوْنَ  
بَاسَ السُّلْطَانِ وَلَا غَضَبَهُ ، وَلَمْ جَرَأْهُ عَظِيمَهُ عَلَى السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ ، لَا يَكْتَمُونَ  
السُّلْطَانَ أَمْرًا ، بَحِيثُ أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا أَمْرًا فَظِيْعَهُ يَقُولُونَهُ فِي تَحْفِلَهُ ، وَيَنْسِيُونَ الْكَلَامَ

لقاتله ، حقيرًا كان أو جيلاً ، لا يخافون لومة لأثم . وإذا أراد السلطان إشاعة أمر ، أو إعلان حكم ، أمر المؤوييه أن ينادي به ، فينادي به المؤوييه بعد المغرب وقبل العشاء ، نداء يسمعه الخاص والعام .

وما اتفق أن السلطان عبد الرحمن كان يحب العلما ، ويكتثر الجلوس معهم فليله ونهاره ، وقلما يجلس مجلسا إلا ومعه عالم أو اثنان . فاغتناط الوزراء منه وقالوا : كيف يتركنا ويجلس مع هؤلاء ؟ ! لكن إن مات هذا السلطان لا تؤلي علينا بعده رجالاً يقرأ أبداً . فسمع ذلك أحد المؤوييه ، فأمهلهم حتى جلس السلطان في ديوانه وحضر أولئك الوزراء ، فجاء المؤوييه وقال بلسان الفور كلاماً معناه : ( نحن ما بقينا نؤلي علينا<sup>١</sup> ) من يعرف القراءة والكتابة ! فالتفت إليه السلطان وقال : لم ذلك ؟ قال : لأنك تترك الوزراء وتجلس مع العلماء . فاغتناط السلطان لذلك ، ونظر إليه نظرة الغضب ، فحاف المؤوييه أن يسطو عليه ، فقال : ما ذنبي ، أنا سمعت هؤلاء - وأشار إلى الوزراء - يقولون ذلك فقلت . فالتفت السلطان إليهم ( ١٧٢ ) ووجههم على ذلك ، وأراد القبض عليهم ، فاخذوا منه إلا بجهد ومشقة .

قلت :

### \* والجاهاون لأهل العلم أعداء \*

ومن ذلك ما حكاه لي بعض الثقات بدارفور ، أن<sup>(٢)</sup> السلطان تيراب ، السالف الذكر ، صنع ولية لأمر نسيته ، وحين حضر الطعام تتبعه لينظر أى الطعام أحسن ،

(١-١) وردت العبارة بدون ضبط في الأصل ، وهي عبارة عامية في اللهجة السودانية ، وضبطها على النحو الذي أودناه في المتن أولى ، على أن تنطق القاف في « بقينا » كما تنطق الجيم الشديدة غير المعطشة .

(٢) كما في الأصل ، وقد تكرر هذا التعبير في مواضع كثيرة .

جاء إلى طعام صنعته إياها كري كنانة ، وكشف عنه فأبجده ، فأمر به للعامة ، فأبى عليه وقالت : أنا عندك بهذه المزلة ، تعطى طعامي للمشيخ ، وطعم غيري للوزراء والملوك ؟ فقال : إنما أمرت به للمشيخ لحسنه ، ولتحصل لك بركتهم . قالت : دع طعامي تأكله الوزراء والملوك ، ولا حاجة لي ببركتهم . فقال : لا يأكله غير العامة . قالت : لا وحياتك لا تأكله العامة ، وغلبت عليه حتى أرسله للملوك ، واختار من طعام غيرها للعامة .

وطائفة المؤجّيه من أققر أهل دارفور ، لأنهم ليس لهم حرفة إلا السؤال ، فإنهم دائماً يقصدون الأمراء ، ويتكلّفون الناس . وتخاف الأمراء منهم ويكرمونهم ، لأنهم لا يكتنون حديشاً ، إن أحسن إليهم أحد أنثوا عليهم ، وأشاعوا الله كرمه ، وإن أحزمهم<sup>(١)</sup> أحد ذمّوه وأشاعوا ذمه . فهم في ذلك كالشعراء ، من أعطاهم مدحوه ، ومن منعهم هجّوه .

ومن مناصب الفور : منصب إياها كري<sup>(٢)</sup> ، وقد أسلفنا ذكره .  
ومنصب الحبيبات ، وقد ذكرناه أيضاً .

وإن كان للسلطان المتولى أم فلها منصب ، وإن كان [ له ] جدّه فلها منصب أيضاً . لكن المقصيّان ليسا مقوررين ، بل يطرآن عند وجودها .  
ولقد رأيت أمّ السلطان محمد فضل ، وهي جارية وحشا ، لو بيعت في دارفور لما كانت تساوي عشرة من الفرّانس ، ورأيت جدّته ، وهي عجوز وحشا من أقبح ما يُرى في عجائز السودان ، وكانت ناقصة العقل .

(١) كذا ، بدل : حرمهم .

(٢) راجع ص ٩٣ ، حاشية ١ .

وَمِنْ نُفُضِّلُ عَقْلَهَا [أَنْهَا] كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَى كُلْبِرِيَّ ، وَتَحْمِلُهَا الرَّجُالُ عَلَى  
 أَعْنَاقِهِمْ<sup>(١)</sup> لِلسَّفَرِ الْبَعِيدِ ، وَمِنْهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ خَالِقٌ كَثِيرٌ . وَوَشَى إِلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ بِأَنَّ  
 أَهْلَ دَارِفُورَ يَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ الْخَادِمَ قَدْ طَقَتْ وَبَغَتْ . فَجِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ جَلَسَتْ  
 فِي دِيَوَانِهَا ، وَأَحْضَرَتْ جَمِيعَ أَتَابِعِهَا وَقَالَتْ : أَنَا الْخَادِمُ ، الْخَادِمُ جَابَ الْفَضَّةَ ،  
 وَجَابَ الْفَضَّةَ الْذَّهَبَ . وَقَوْلُهَا : أَنَا الْخَادِمُ ، بِالْحَاءِ الْمُهَمَّةِ ، وَمَرَادُهَا الْخَادِمُ بِالْمُعْجمَةِ ،  
 إِلَّا أَنْهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى التَّطْقِيَّةِ بِالْخَاءِ الْمُعْجمَةِ لِمُعْجمِهَا .  
 وَهُنَاكَ مَنَاصِبُ أُخْرَى أَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا لِحَفَارَتِهَا .

(١) فِي الْأَصْلِ : عَنَاقِهِمْ .

## الفصل الرابع

### في كيفية مجلس السلطان

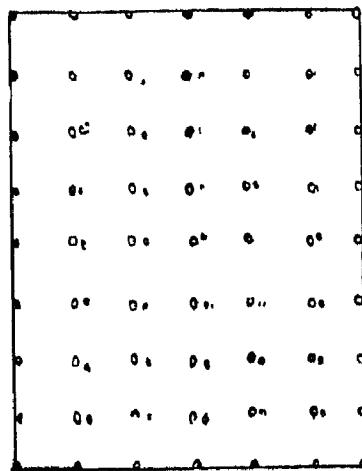
وأما كيفية مجلس السلطان ، فاعلم أن ييت سلطان الفور في بلده المسماة بالفاشر ، والناسُ حوله ، وهذا جعل لبيته بابان ، أحدُها - وهو الأعظم - هو المسمى : ورِيدَيَا [ و ] معناه : باب الرجال ، والثاني هو المسمى : وَرِيدَيَا ، ومعناه : باب النساء . وفي كلِّ منها له (١٧٤) مجلس ، فمجلس وَرِيدَيَا هو الديوان الأكبر ، وهو بعد أن يدخل الداخُلُ من الباب الأول . وهذا المجلس واسع ، ولا يجلسُ فيه السلطان إلا في الأئم العظيمية ، أو للأحوال المهمة .

وقد نذكر أن بناء الفور كلَّه بقصب الدُّخن أو المَرْهَبِسِيب ، ومحلُّ الديوان يسمى : لِقْدَابَة ، أو رَاكُوبَة ، وصورتها هي أن يُؤْتَى بأخشاب ملساء طويلة ، في آخر كلِّ خشبة شعبتان هكذا :



[ خشبة بآخرها شعبتان تستعمل في بناء القدابة ، أي : الرَاكُوبَة ]

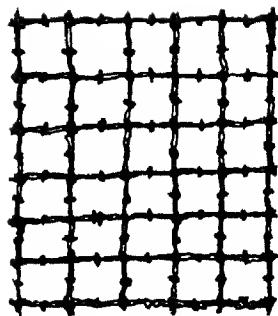
فِي حُفَرٍ فِي الْأَرْضِ حُفَرٌ مُتَسَاوِيَّةُ الْعُقُوبَةِ ، وَيَحْمِلُونَ الْأَخْشَابَ مُتَسَاوِيَّةً الطُّولِ ، وَيَحْمِلُونَ الْحُفَرَ سُطُورًا مُتَقَابِلَةً لَا يَخْتَلُ سُطُورٌ مِنْهَا عَنِ الْآخِرِ ، بِحِيثُ أَنَّهَا تَكُونُ هَكَذَا :



[ حفر على شكل سطور متقابلة يدخلون في كل حفرة خشبة ]

لَكُنْ تَكُونُ كُلُّهَا عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ ، وَخَطٍّ وَاحِدٍ ، فَيُدْخِلُونَ فِي كُلِّ (١٧٥) حَفْرَةِ خَشْبَةٍ مِنَ الْأَخْشَابِ ، وَيَجْعَلُونَ شِعَابَ كُلِّ صَفَّ مُتَجَهَّةً لِجَهَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَضْمُنُونَ عَلَيْهَا خَشْبَةً طَوِيلَةً تُسَمَّى : كَبْلَادَاهَا ، أَيْ يَضْمُنُونَهَا بَيْنَ شِعَابِ الصَّفَّ ، فَإِذَا كَمِلَ عَلَى تِلْكَ الْمِيقَاتِ ، يَأْتُونَ بِفَرْوَعِ رَفِيعِهِ تُسَمَّى مَطَارِقَ ، فَيَجْعَلُونَ مِنْهَا كُلَّ أَرْبَعَةٍ أَوْ خَسْتَهُ سَوَاءً ، وَيَرْبِطُونَهَا بِلِحَاءِ الشَّجَرِ حَتَّى تَصْسِيرَ حُزْمَةً ، وَيَوْصَلُوهَا بِغَيْرِهَا وَهَكَذَا ، حَتَّى تَصْسِيرَ طُولَ الْلَّقْدَابَةِ المَذَكُورَةِ ، وَيَجْعَلُونَ مِنَ الْفَرْوَعِ جَمَلَةً عَلَى هَذَا النَّمَطِ ، وَيَرْتَبُونَهَا كَلَّهَا مَرَاعِيًّا وَاحِدَادًا مُسْتَطِيلًا فِي وَسْطِهِ مَرْبَعَاتٍ ،

فتسكون صورتها هكذا :



[ مربع مستطيل في وسطه ، رباعات يوضع فوق البلديات ]

وبضمونها فوق البلديات المذكورة ، ثم يضعون البوص عليها وهو مجعل حزاماً ، ويربطونها مع الفروع باللحاء ، فيتسكون من ذلك سقف جليل بالنسبة لبنيهم .  
ففي وريديا يكون هذا المحل واسعاً ، وعلى هذه الصفة علا<sup>(١)</sup> السقف بمحيث يمر تحته الراكب على المجنين ، ولا يمس السقف رأسه ، وكانت قبل ذلك دانى السقف ، لا يمر تحته إلا الفارس .

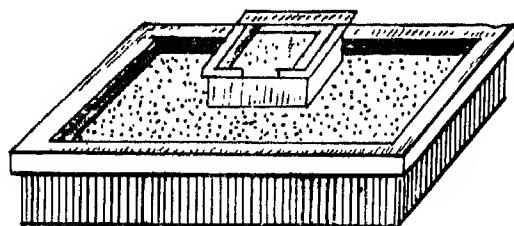
فاتفق أن حضر عند السلطان رجالان من أتقن ركوب الإبل ، وادعى كل واحد منها أنه أفرس من صاحبه في ركوب الإبل ، وتشاجرا ، ثم اتفق رأيهما على أن يركبا ويمرأ بيغيريهما من تحت اللقدابة . فتراهما على ذلك ، وخرج السلطان والناس من اللقدابة ، وركبا وجاءا راكضين ، فلما وصلا إلى اللقدابة ، أحدهما نقر<sup>(٢)</sup> فصار على ظهر اللقدابة ، وترك بيغيره وجري مسرعا ، فصادف بيغيره وهو خارج من تحت السقف ،

(١) في الأصل : علا .

(٢) نقر : وثب صعدا ، وقد غلب على الطائر المعتاد الوثب كالغراب والعصفور (السان) .

فرَكَبَهُ وَمَرَّ سَرِيعًا لَمْ يُعْقِهِ شَيْءٌ . والثَّانِي حِينَ وَصَلَ إِلَى الْقُدَّاْبَةِ ، مَالَ إِلَى جَانِبِ بَعِيرِهِ ، وَمَسَكَهُ بِيَدَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ تَحْتِ الْقُدَّاْبَةِ . فَكَلَّ مِنْهُمَا جَاءَ بَشَّيْ غَرِيبٍ . فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا السُّلْطَانُ ، وَاعْتَرَفَ النَّاسُ لَهُمَا بِصَنْاعَةِ الرَّكْوَبِ ، وَأَنْهُمَا كَفَرَقَدَنِي سَماءٌ . وَشَذَّ بَعْضُهُ فَادَّعَى أَنَّ الَّذِي تَرَكَ بَعِيرَهُ وَجَرَى عَلَى ظَهِيرِ الْقُدَّاْبَةِ أَصْنَعَ ، وَشَذَّ آخَرُونَ فَادَّعَوْهُ أَنَّ الَّذِي مَالَ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَصْنَعَ ، وَحُكِّمَ لِهِ السُّلْطَانُ . وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ زِيدُ فِي عَلَوِ الْقُدَّاْبَةِ .

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ إِنْ جَاسَ فِي هَذَا الْدِيَوَانِ يَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ ، وَلَذِكَرِ بَنَوْهُ لَهُ فِيهِ بِحَلَّ عَالِيٍّ ، لَكِنْ مَرْكَزُهُ أَعْلَى مِنْ جَانِبِيْهِ هَكَذَا :



[ دِيَوَانُ السُّلْطَانِ وَبِهِ مَحْلٌ عَالٌ مَرْكَزُهُ أَعْلَى مِنْ جَانِبِيْهِ بِلِامْسِ السُّلْطَانِ ]

(١٧٧) فَالْمَحْلُ العَالِيُّ الْمُتَوَسِّطُ هُوَ مَحْلُ جَلْوَسِ السُّلْطَانِ ، وَالَّذِي أَقْلُّ مِنْهُ مِنْ جَهَةِ اليمين هُوَ مَحْلُ جَلْوَسِ الْعُلَمَاءِ ، وَالَّذِي عَنْ يَسَارِهِ هُوَ مَحْلُ جَلْوَسِ الْأَئْمَافِ وَالْفَقَهَاءِ وَعَظَمَاءِ النَّاسِ ، وَأَمَامَهُ رَحْبَيَّةٌ وَاسِعَةٌ .

فَإِذَا أَرَادَ السُّلْطَانُ الجَلْوَسَ لِدِيَوَانِهِ عَامًّا أَوْ مَلَاقَةً<sup>(١)</sup> بَعْضِ رَسُلِ الْمُلُوكِ ، أَوْ يَوْمِ

(١) فِي الْأَصْلِ : مَلَاقَاتٌ .

فُرِحَ وسُرُورَ ، زُيَّنَ مَحْلٌ جَلْوِيهِ بِالزَّرْدَخَانَاتِ<sup>(١)</sup> وَالْمَقْصَبَاتِ ، وَوُضُعوا فِي الْمَحْلِ الْمَذْكُورِ كَرْسِيًّا ، وَعَلَيْهِ مَرْتَبَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ . نَجَّلَ السُّلْطَانُ فِي أَبْهَتِهِ ، وَجَلَّ السَّاعِدَاءُ وَالْفَقَهَاءُ وَالْأَشْرَافُ حَوْلَهُ ، وَوَقَفَ وَزِيرَاهُ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَهُمَا الْمُسَمَّيَانِ بِالْأَمِينِينِ ، وَوَقَفَ رَئِيسُ تَرَاجِّهِ أَمَامَهُ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَوَقَفَ التَّرَاجِّهُ السَّتَّةُ أَمَامَ التَّرَجَّهِ الْأَوَّلِ ، بَيْنَ كُلِّ تَرَجُّهَيْنِ مَسَافَةً قَلِيلَةً ، بِحِيثُ كُلُّ تَرَجَّهٍ يَسْمَعُ مَنْ يَلِيهِ سَمَاعًا جَيْدًا . وَوَقَفَ الْكُوْزُكُوكُوا بِالصَّفَافِيرِ خَلْفَهُ ، وَصَاحِبُ الدِّنْقَارِ مَعَهُمْ ، وَوَقَفَ عَبِيدُ السُّلْطَانِ وَأَحْمَابُ سِجْنَهُ وَغَضِيبُهُ وَرَاءَ النَّاسِ ، وَجَلَّ النَّاسُ الْبَاقِيُونَ<sup>(٢)</sup> كُلُّ وَاحِدٍ فِي الْمَحْلِ الْلَّائِقِ بِهِ ، وَوَقَفَ مَلِكُ الْأَوْجِيَّهُ قَرِيبًا مِنَ التَّرَجَّهِ الْأَوَّلِ . وَقَدْ انتَظَمَ الْمَجْلِسُ ، وَقَدْ رَسَمَنَا كَيْفِيَّتَهُ فِي بَابِ عَوَادَ الْفُورِ فَرَاجَهُ إِنْ شَئْتَ .

وَأَمَّا إِنْ جَلَّ السُّلْطَانُ فِي وَرِيمَاءِيَا فَإِنْ مَجْلِسَهُ يَكُونُ مُختَصِّرًا ، وَهُوَ أَشَبُّ بِمَجْلِسِ سِرِّ<sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّ الْقَدَّابَةَ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهَا صَفِيرَةً ، وَحِينَئِذٍ لَا يَقْفُ أَمَامَ السُّلْطَانِ إِلَّا تَرَجَّهَ وَاحِدٌ ، وَمَوْجِيَّهٌ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانٌ ، وَإِنْ كَثُرُوا فَثَلَاثَةً .

وَالسُّلْطَانُ قَدْ يَكُونُ جَالِسًا ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ جَالِسًا بِاللَّيْلِ ؛ وَقَدْ يَكُونُ رَاكِبًا ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ . وَإِنْ جَلَّ فِي مَحْلٍ عَالٍ لِكُنَّهُ غَيْرُ مَزِينٍ ، وَلَا فَرْشَ لَهُ حِينَئِذٍ إِلَّا سُجَّادَةً وَاحِدَةً ، وَبِإِزْاْهَهَا مَخَدَّةً . وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّ الْمَوَادَ ، أَنَّ السُّلْطَانَ لَا يُسْلِمُ عَلَيْهِ إِلَّا بِ« دُونِيَحَرَائِي دُونِيَحَا»<sup>(٤)</sup> وَأَنَّهُ إِذَا بَصَقَ مُسَحَّ التَّرَابُ الَّذِي بَصَقَ

(١) الزَّرْدَخَانَاهُ : كَلْمَةٌ فَارِسِيَّةٌ مَرْكَبَةٌ مَعْنَاهَا : دَارُ السَّلَاحِ . وَقَدْ أَطْلَقَهَا الْمُؤْلِفُ هُنَا عَلَى السَّلَاحِ نَفْسَهُ .

- قَارِنُ : الْمَقْرِيزِيُّ : السَّلْطُوكُ لِمَعْرِفَةِ دُولِ الْمَلُوكِ ، نَشْرٌ زِيَادَةُ جَ ١ قَسْمٌ ٢ ، صَ ٣٠٦ ، حَاشِيَةٌ ١ .

(٢) كَذَا وَهِيَ صِيَغَةٌ عَامِيَّةٌ ، بَدْلُ : الْبَاقِونُ .

(٣) انْظُرْ مَعْنَاهُ فِي صَ ١٦٧ .

عليه في الحال ، وإذا تنفتح قالوا صوتاً كصوت الورغ<sup>(١)</sup> . و [قد] بيته هناك أنتم تبيين ، فلا فائدة في الإعادة . هذه كيفية مجلس سلطان الفور .

\* \* \*

وأما كيفية مجلس سلطان الوادى فتختلف ، فإننا نذكر أنَّ الوادى دائمًا يحبون السلطانَ عن أعين الناس ، ويشددون في ذلك ، فلا يمكن أحد من رؤيته جيداً ، ولا تجتمع عليه الملوك كما تجتمع على سلطان الفور ، لأنهم يرون أنَّ عدم اجتماع الناس عليه أهيب له ، وأنفذ لكتمه .

ولما كان الأمر كذلك ، وخيف من وقوع ظلم وإجحاف ، رسم أن مجلس السلطان للمظالم في يوم الاثنين والخميس ، وجعلوا جلوسه ذلك كيفية مخصوصة ، تقام فيها نواميس الملك ، وينزجرُ الظالم ، وينتفع المظلوم ، ورتّبوا له مجلساً بحيث يحصل المقصود من غير اختلاط بالعامَّ .

و سنذكر أنَّ بناء الوادى قد يخالف بناء الفور ، (١٧٩) في أنَّ الفور لا يبنون باللَّبِن إلا قليلاً ، وأنَّ الوادى أكثر بنائهم باللَّبِن ، فجعلوا المجلس المعدًّا لذلك عالياً ، مجلس فيه السلطان مع بعض خواصه في يوم الاثنين والخميس ، ولا تراه الناس ، وإنما يعرف جلوسه فيه برأية ييرزونها من طaci في المجلس الذي هو فيه ، وبصوت البرديَّة . فهما بترت الرأيَّة ، وضربت البرديَّة ، وهي طبل كالكوبة المسماة في مصر : الترسَّكة ، لكن صوتها عال شديد ، فيسمع الكبرتو<sup>(٢)</sup> فييوقون بالبوقات ، ويضربون بالتنكجل ،

(١) انظر ص ١٦٨ .

(٢) الكبرتو : رجال الضبط الذين يقومون بتنفيذ الأحكام القضائية .

Voyage au Darfour, p. 192.

فتقسمُ الناسُ ، خصوصاً وأنَّ منْ كانت له دعوى<sup>(١)</sup> يتقدِّمُ ذلك اليوم ، فيجلسونَ كُلُّهم في الفاشر . وإنَّ الـكـمـاكـلة<sup>(٢)</sup> دائماً جالسونَ في الفاشر لسماع الدعـاوـى ، وإنَّ أربابَ المناصب والراتب يتقـبـونَ في ذلك اليوم جلوسَ السلطانِ في الديوان . فتحضرُ التراجمـة المسـمـوـنـ بخـشـمـ الـكـلامـ ، والـعـقـدـةـ<sup>(٣)</sup> والـلـوـكـ على طبقـاتـهمـ ، ويـحـضـرـ القـاضـى وأـشـرافـ النـاسـ والـعـلـامـاءـ ، فيـجـلـسـونـ فيـظـلـ شـجـرـ فيـالـفـاـشـرـ يـسـمـيـ ذلكـ الشـجـرـ بالـسـيـالـ<sup>(٤)</sup> . فـتـيـ أـخـرـجـتـ الرـايـةـ منـ الطـاقـ وـضـرـبـ الـبـرـدـيـةـ ، دـخـلـ خـشـمـ الـكـلامـ وـرـقـ منـ سـلـمـ فـدـاخـلـ الـبـيـتـ ، وـخـرـجـ مـنـ طـاقـ مـصـطـبـةـ مـعـدـةـ جـلـوسـهـ ، بـحـيـثـ يـصـيرـ قـرـيبـاً بـسـمـعـ منـ السـلـطـانـ ، وـوقـفـ هـنـاكـ ، وـاصـطـفـتـ الـمـسـاـكـرـ ، وـجـلـسـ القـاضـى والـعـلـامـ

(١) في الأصل : دعوة .

(٢) الـكـمـاكـلةـ ، جـمـعـ : كـمـكـولـاـكـ (Kamkolak) ، وـهـمـ جـمـاعـةـ الـمـسـتـشـارـينـ الـذـيـنـ يـحـضـرـونـ مـجـلـسـ السـلـطـانـ حـيـنـ النـظرـ فـيـ الدـعـاوـىـ وـالـنـازـعـاتـ Voyage au Darfour, p. 192. ويمكن تشبـيهـهـمـ بالـشـهـودـ فـيـ الـقـضـاءـ الـاسـلـامـيـ فـيـ الـعـصـورـ الـوـسـطـيـ ، اوـ بـالـمـحـافـيـنـ فـيـ الـقـضـاءـ الـأـنـجـلـيـزـيـ .

(٣) العـقـدـةـ ، جـمـعـ : عـقـيـدـ ، وـهـمـ وـلـةـ الـأـقـالـيمـ وـلـهـ مـمـثـلـونـ دـائـمـونـ فـيـ فـاـشـرـ السـلـطـانـ . Voyage au Darfour, p. 192.

(٤) السـيـالـ : كـمـاـ جـاءـ فـيـ القـامـوسـ – جـمـعـ سـيـالـةـ ، وـهـوـ نـباتـ لـهـ شـوكـ أـبـيـضـ طـوـيـلـ ، اـذـاـ نـزـعـ خـرـجـ مـنـهـ الـبـلـبـنـ ، اوـ مـاـ طـالـ مـنـ السـمـرـ ( بـفـتـحـ السـيـنـ وـضـمـ الـيـمـ ) .

وفي حاشية الترجمة الفرنسية (Voyage au Darfour, p. 193). نقلـاً عن مؤلف الكتاب : أنَّ السـيـالـ نوع من شـجـرـ السـنـنـتـ ، متـوـسـطـ الـارـتـفـاعـ ذـوـ لـحـاءـ أـخـضـرـ مـاـئـلـ إـلـىـ السـمـرـةـ . وـكـانـ فـيـ فـاـشـرـ وـادـاـيـ حـيـنـ زـارـهـ الشـيـخـ التـونـسـيـ بـضـعـةـ أـشـجـارـ زـرـعـتـ مـنـذـ سـنـوـاتـ لـيـسـتـظـلـ بـهـاـ الـقـائـمـونـ عـلـىـ الـقـضـاءـ هـنـاكـ وـكـذـلـكـ بـضـعـةـ أـشـجـارـ أـخـرىـ يـأـوـيـ إـلـيـهـاـ الـكـمـاكـلةـ . وـقـدـ رـأـيـ التـونـسـيـ ثـلـاثـاـ اوـ أـرـبـاعـاـ مـنـ شـجـرـ السـيـالـ قـدـيـمةـ جـداـ يـتـفـيـأـ ظـلـهـاـ السـلـطـانـ إـيـامـ الـجـمـعـ وـحـينـ يـسـتـعـرـضـ الـجـيـشـ فـيـ وـادـاـيـ ، وـمـنـ حـوـلـهـ رـجـالـ حـاشـيـتـهـ وـخـدـمـهـ وـعـبـيدـهـ الـدـيـنـ يـحـيـطـونـ بـهـ اـحـاطـةـ تـامـةـ حـتـىـ لـاـ يـرـاهـ أـحـدـ .

فِي مَرَاتِبِهِمْ ، (١٨٠) وَكَذَلِكَ الْأَشْرَافُ وَالْتُّجَارُ ، وَجَاءَ مَنْ لَهُ دُعَوَى<sup>(١)</sup> رَفِعَهَا إِلَى السُّلْطَانَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَقُولَ خَشِمُ الْكَلَامُ : السُّلْطَانُ يَسْلُمُ عَلَيْكُمْ يَأْهُلَ الْفَاسِرَ ، السُّلْطَانُ يَسْلُمُ عَلَيْكَ يَا قاضِي ، السُّلْطَانُ يَسْلُمُ عَلَيْكُمْ يَا عُلَمَاءَ ، وَهَكُذا ، كَمَا يَفْعُلُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ .

\* \* \*

وَلَرْجُعٌ إِلَى مَا نَحْنُ [فِيهِ مِنْ] ذِكْرٍ<sup>(٢)</sup> الْفُورُ ، فَنَذْكُرُ بِنَذْدَةٍ فِي صَفَاتِ تَنَدَّلَتِي ، فَاسْتَرِ السُّلْطَانَ ، وَفِي بَيْتِهِ ، وَصَفَةٌ كُلُّ مِنْهَا حَسْبُ الْإِمْكَانِ ، فَنَقُولُ : [أَمَا] تَنَدَّلَتِي<sup>(٣)</sup> فَهِيَ الآنَ قَاعِدَةٌ مَعْلَكَةٌ الْفُورُ ، وَأُولُو مَنْزَلَهَا وَخَطَّهَا مِنَ الْمَلُوكِ ، السُّلْطَانُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سَنَةُ ١٢٠٦<sup>(٤)</sup> مِنَ الْمَهْرَجَةِ .

وَأَمَا صَفَةُ أَرْضِهَا فِرْمَلِيَّةٌ كَاحِدٌ الْأَقْوَازِ ، يَشْتَهِيَا وَادِيَ الْعَرْضِ ، وَهَذَا الْوَادِي رِجْلُهُ مِنَ الْوَادِي الْأَكْبَرِ ، الْمَسْعَى الْكَوْعُ . فِي أَيَّامِ الْخَرِيفِ يَمْتَلِئُ<sup>(٥)</sup> ذَلِكَ الْوَادِي مَاءً ، فَلَا يَعْبُرُهُ عَابِرٌ إِلَّا مِنْ مَحَلٍ بَعِيدٍ مِنْ جَهَةِ الْمَشْرُقِ . وَفِي وَقْتِ اضْطُوبَ الْمَيَاهِ — وَذَلِكَ تَارَةٌ فِي آخِرِ الشَّتَاءِ وَتَارَةٌ فِي أَوَّلِ الصَّيفِ — يَحْفَرُونَ فِيهِ الْآبارِ ، وَمِنْهَا تَشَرِّبُ أَهْلُ الْفَاسِرِ كُلُّهُمْ . وَالسُّلْطَانُ ، لَخُوفِهِ مِنَ السُّحُورِ ، يَشَرِّبُ مِنْهُ تَارَةً ، وَتَارَةً يَأْتُونَ لَهُ بِمَاءٍ مِنْ جَدِيدِ السَّيْلِ ، لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ تَنَدَّلَتِي مِنْ جَهَةِ الْشَّرْقِ بِشَحْوِ فَرَسْخِ . وَبِنَاءَ الْفُورِ كُلُّهُ مِنْ قَصْبِ الدُّخْنِ ، وَحِيطَانُ بَيْوَرِهِمُ الْخَارِجِيَّةُ كُلُّهُ بِالشَّوْكِ ،

(١) فِي الأَصْلِ : دُعَوَى .

(٢) فِي الأَصْلِ : مَا نَحْنُ بِنَذْدَةٍ .

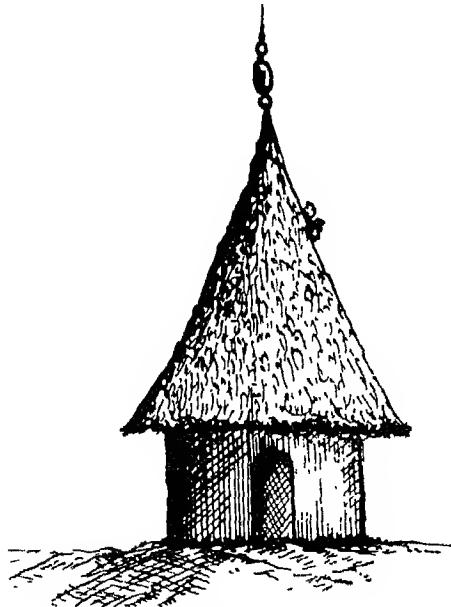
(٣) فِي الأَصْلِ : وَتَنَدَّلَتِي :

(٤) ١٢٠٦ هـ = ١٧٩١ م .

(٥) فِي الأَصْلِ : يَمْتَلِئُ .

ويسمون الحائطَ الخارجيَّ زَرِيبة ، والحائطَ الداخليَّ صَرِيفاً . والبيوْتُ - أعني المساكِنَ - كلُّها على هيئة قُبَّةِ الْخَيْمَةِ ، (١٨١) فَيَكُونُ الصَّرِيفُ لِهَا كَالْطَّلْكَ (١) . لكنَّ الْبَيْوَتَ أَصْنَافٌ فِي الْبَنَاءِ : [ فَنَّهَا ] بَيْوَتُ الْمَسَاكِينِ ، وَهِيَ مَسَاكِنُ عَنْدَهُمْ تَسْمَى بِالْبَيْوَتِ ، وَهِيَ مِنْ قَصْبِ الدُّخْنِ . وَ[ مِنْهَا ] بَيْوَتُ الْأَمْرَاءِ وَالْمَلُوكِ ، وَهِيَ مَبْنَيةٌ مِنَ الرَّهَبِيبِ ، كَمَا سَنَدَ كَرْذَلَكَ . وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى : سُكْنَاتِيَّة ، وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى : سُكْنَلَتِي ، وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى : كَرْنُكَ .

فَأَمَّا السُّكْنَاتِيَّةُ فَصُورَتُهَا هَكُذا :



[ سُكْنَاتِيَّةٌ ]

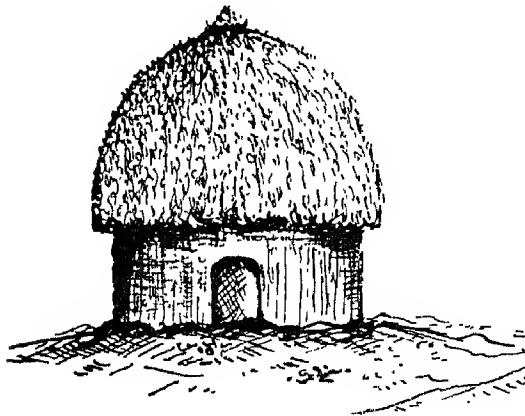
فَهِيَ كُبَّةُ الْخَيْمَةِ ، إِلَّا أَنَّهَا طَوِيلَةٌ رَفِيعَةٌ مِنْ أَعْلَى ، وَيَأْتُونَ بِيَعْنِي النَّعَامِ ،

---

(١) المقصود بالطلنك هنا : حاجز من القماش يوضع حول الخيمة لحمايتها من البرد والترباب . Voyage p. 195.

فيثقبونه ، كل بيضة ثقبين من محوريهما ، ويدخلون في الثقب عوداً ، فيجعلون في العود ثلاث بيضات أو أربع . ينها كرة من فخار أحمر ، إما أسفل دلنج<sup>(١)</sup> أو أسفل إبريق من صناعة كيري<sup>(٢)</sup> وينصبوه على قمة القبة .

واما التسلقى فهو بيت شكله هكذا :



[ تسلقى ]

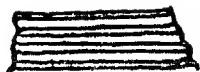
من أعلى نصف كرة وقائم على درزويتين<sup>(٣)</sup> .  
واما السكرنوك فهو مثله ، إلا أنه قائم على أربع درزويات ، والسلطان يضع بعض النعام على سكانتيه وتكلاليه وكرانكه ، ويكسو أعلىها ثياباً حمراء

(١) دلنج : نوع من الجرار المصنوعة من الفخار . Voyage p. 196.  
والقصد بأسفل الدلنج : قاعه أو نصفه التحتانى .

(٢) كيري قرية قرية من قرلى ، أسفل جبل مرة . Voyage au Darfour, p. 196.

(٣) الدرزوية : قائم من الخشب . Voyage p. 196..

وبضاء هكذا :



[ صورة ثياب حراء وبضاء يكسو بها السلطان أعلى سكتاته وتسكاليه ]

ليتميز بها عن غيره .

وأسفل دائرة سكتاتيات السلطان والإيمانى والسرارى وكبار الدولة (١٨٢)  
مبني من الطين ، وأما أعلىها فن المرة بباب ، وهو عزيز الوجود . وهذه الدائرة تسمى :  
دردر ، قطره ك قطر الخيمة العتادة .

واعلم أن أهل الفاشر منقسمون إلى قسمين ، أحدهما أهل وریدا ، والثاني أهل  
وریبایا ، وبيت السلطان بينهما .

فأهل وریدا يسكنون جهة باب الرجال ، المسماى بوریدا ، وأهل ورایدایا ،  
يسكنون جهة الباب المسماى وریبایا .

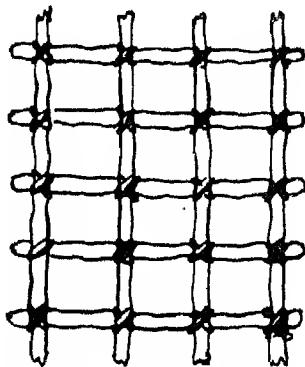
فزريبة السلطان موضوعة على شفير الوادى ، في العلو الكائن هناك ، فهي  
شمال الوادى ، وليس بينها وبينه إلا خطوات قليلة ، ومتعددة إلى جهة الشمال  
مسافة بعيدة .

واباب الرجال يفتح جهة الشمال ، أمام الفضاء المسماى بالفاشر ، وهو متسع عظيم  
يكاد أن يكون ثالث دائرة .

ونذكر الآن صفة زريبة السلطان وبيوته :

أما الزريبة فهى من شوك الكترو الحشأب ، ثلاثة صفوف ، بين كل صففين  
جذوع من خشب ، فيها بعض تفاريق ، محفور لها في الأرض حفر عبقة ، والشوك من

أمامها وخلفها كالبنيان المرصوص ، علوه أطول من قامة ، والجذوع بارزة منه ، وفي كل سنة يجدد ما حصل فيه من خلل . وبين الشوك وبين المساكين مسافة نحو أربعين خطوة . ولوريدايا أربعة أبواب ، كل باب عليه بوابون يتناوبون حفظه ، والأبواب ليست كالأبواب المعهودة ، أعني (١٨٣) أنها من ألواح الخشب ، بل هي أعواد مربطة بالقديد<sup>(١)</sup> التي ، أعني غير المدبوغ ، على هيئة شبكي هكذا :



[أعواد مربطة بالقديد هيئه شبكي تستعمل أبوابا لوريدايا]

وقد جعل فيه سلسلة من حديد ، وكل نجوة [ لها ] باب مجعل في حافتها أعواد كثيرة من خشب ، فتُجعَّل السلسلة في عود منها ، ويُدخل في الحلفتين قفل كأفال الصناديق ، ومسكناً للبوابين قريب من الباب . فإذا دخل الداخلي في وریدایا من أول باب ، يجد داخل الباب فضاء واسعا ، وفي آخره اللقبة الكبيرة ، التي هي ديوان السلطان ، وتكون<sup>(٢)</sup> على يسار الداخل . وقد ذكرناها سابقاً ، ورسمنا صورتها ، فلا إعادة .

(١) القد : السير يقد من جلد غير مدبوغ (القاموس) .

(٢) في الأصل : ف تكون .

وعلى يمينِ الداخليِّ محلُّ الْكُورَاءِياتِ وهم في عُرْفِنا سُوَاسُ الخيل ، والأصابيل<sup>(١)</sup> قريبةُ منهم ، وهي لِقدَابَة طوليةُ قليلةُ العَرض ، مربوطةُ فيها خيولُ الْمَالِك .  
وبعدَ الأصابيلِ بيتُ النحاس ، وبيوتُ خدمَتِه قريبةُ منه .  
والبابُ الثاني لسُوميندُوكَلَه ، والبابُ الثالث لـكُوزْكُوكَا ، والبابُ الرابع للطَّواشِيَّة .  
ويبينَ (١٨٤) كلَّ بابٍ فضلاً وصَرِيفَ حاجز ، وعليه مُرَكَّبُ الباب .  
وأيضاً داخلَ البابِ الثاني لِقدَابَة أخرى ، يجلسُ في هذه اللِّقدَابَة السلطان مع  
خواصَ خواصَه ، وداخلَ البابِ الثالث لِقدَابَة ثالثة صغيرَة ، يجلسُ فيها السلطان مع  
خواصَ خواصَه .

وداخلَ البابِ الرابع الحَرَمُ والجَوار ، ومحلُّ سكَنِيِّ السلطانِ ، كما سنَّيْنه بالرسم  
إن شاءَ الله .

وأما وَرِيَّبَايَا فهو بَابٌ يُدخلُ منه إلى فضاء طوله أكثرُ من عرضه ، وفي آخرِه  
لِقدَابَة كبيرة ، تكون مثلَ ثلثِ اللِّقدَابَاتِ الْكُبُرَى التي في وَرِيَّدَايَا ، وهذه اللِّقدَابَة  
عن يسارِ الداخليِّ ؛ وعن يمينه مِن بَعْد ، أبنيةُ الْفَلَاقِيَّة وللبوَّابين .  
وداخلَ البابِ الثاني لِقدَابَة أخرى أصغرُ منها ، يكونُ فيها السلطانُ بالليل مع مَن  
يحبُّ من خواصَه ، وعن يسارِ هذه اللِّقدَابَة البابُ الثالث ، وهو كأنَّه في رُكْنٍ [من]  
الصَّرِيف . وهذا الباب يقف عليه عبيد بوابون ، كما هو الحال في الأبواب الأخرى ،  
وهو بَابٌ يُدخلُ منه إلى محلِّ الحرَم ، الذي يحتوي على عددٍ كبيرٍ من المساكن المخصصة  
للمحظيات ، ولكلِّ مِنْه مسكنٌ خاصٌّ بها وبجوارِها .

(١) الأصابيل جمع اصطبل .

أما محل سُكْنِي السلطان ، فهو ، كما ذكرنا سابقاً ، يحتوى على سكتايتين مرتفعتين جداً ، وحولها صريف منفصل له بابان . وأمام صريف السلطان بنيتان من الطين ، تسمى الواحدة منها : دُنْجَايَة ، أي : مخزن ، وفيهما يحفظ أثاث السلطان والدُّنْجَايَاتان مبنيتان من الطين ، كيلا يمتد الحريق - إذا شب مصادفة في الشَّكْتَايَا - إلى أدوات الزينة والخلوي والملابس والتقويد والأشياء الثمينة الأخرى المحفوظة بالدُّنْجَايَة .

ويرى عن يسار الداخل لِقَدَابَة غاية في الطول ، وتحتها تشغله الجواري كل يوم بطحنة الدُّخن والقمح بالرَّحَى . وتسمى النساء اللاتي تكونن بيتهن أمام الْلِّقَدَابَة بالمرأحيك ، مفردها : مَرْحَاكَة ، أي : طَحَّانَة<sup>(١)</sup> .

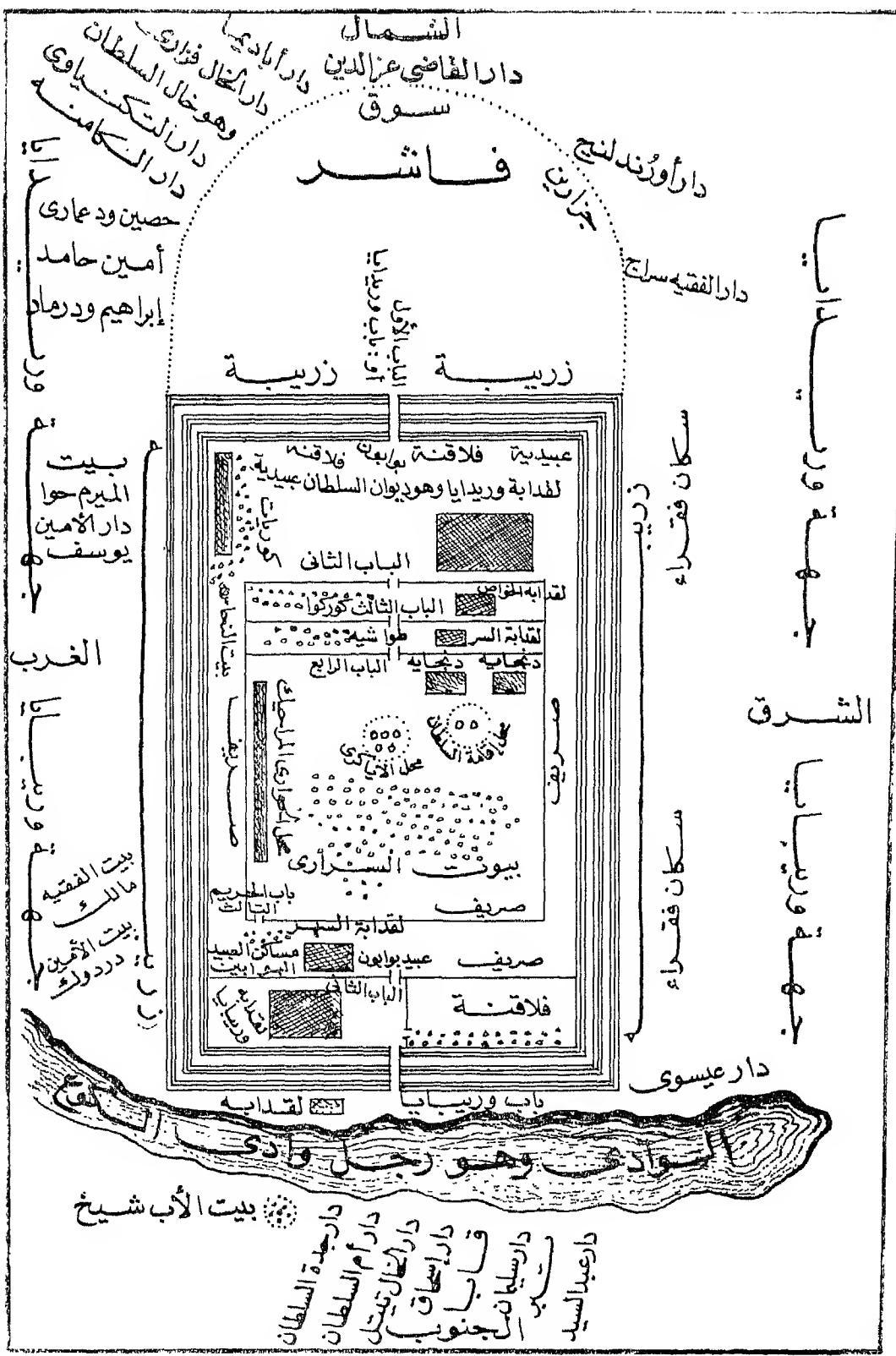
وقد رسمنا هنا صورة الزَّرَبَةِ السُّلطَانِيَّةِ والبيوت كَما ترى في الصحيفة الآتية بعد هذه ، لأنك تعرف ما ذكرناه في ذلك مفصلاً ، وتكون كذلك قد شاهدت ذلك عياناً . وهذه الصورة فيها صفة دارِ السلطان في الجملة .

(١٨٥) واعلم أن أهل الفاسير، سواء كانوا أهل وَرِيدَيَا أو أهل وَرِيَّيَا، كلّ منهم يحافظ على محل سكناه خلَفَ عن سَافِ . فـكُلُّ مَنْ يقول منصباً ، يبني بيته في محل صاحب المنصب الأول أو قريباً<sup>(٢)</sup> منه . فـنَّ كان من أهل وَرِيدَيَا لا يسكن في وَرِيَّيَا، وكذلك العكس . ولا خصوصية للإقامة في ذلك، لأنهم يحافظون على أماكنهم ، ولو في السفر . فـلو انتقلَ السلطان بعساكره مسافراً ، متى ما نصبت خيمته في بقعةٍ نصب

(١) ما اتبناه في المتن بين حاضرين ، مأخوذ من الترجمة الفرنسية بعد صياغته في أسلوب مقارب لأسلوب المؤلف بقدر الامكان والراجح أنه سقط من الأصل العربي وعلى هذا تقوم الترجمة الفرنسية هنا مقام الأصل .

أنظر : Voyage au Darfour pp. 200 - 201

(٢) في الأصل : قريب .



المساكنِ حَسْبَ ذَلِكَ ، كُلُّهُمْ فِي مَحَلِّهِ الْعِلْمُ ، بِحِيثُ لَا يَكُونُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ فِي الْإِقَامَةِ وَبَيْنَ الْمَنْزِلَةِ فِي السَّفَرِ فَرْقٌ إِلَّا كَبِيرُ الْمَنَازِلِ ، وَاتِساعُ الْبَيْوَاتِ .

وَأَمَّا الْجَهَاتُ ، فَكُلُّهُمْ يَعْرُفُ مَحَلَّ الْبَعْضِ ، فَكَانُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ . وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ يَأْتِي بِاللَّيلِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ فَيَعْرُفُ مَحَلَّ سَكَنَاهُ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ ، وَكَذَا أَبْعَادُهُ ، كُلُّهُ وَزِيرٌ وَأَمِيرٌ يَعْرُفُ مَنْزِلَهُ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْمَحَافَظَةِ عَلَى الْمَنَازِلِ .

وَفِي ذَلِكَ فَوَائِدٌ مِنْهَا : أَنَّهُ لَوْ أَرْسَلَ السُّلْطَانَ لِإِنْسَانٍ يَطْلَبُهُ بِاللَّيلِ لَا يَسْأَلُهُ الرَّسُولُ أَحَدًا ، بَلْ يَعْرُفُ أَنَّ مَنْزِلَ (١) فَلَانٍ فِي الْجَهَةِ الْفُلَانِيَّةِ ، فَيَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ أَحَدٍ . وَكَذَا لَوْ أَرْسَلَ بَعْضُ الْوَزَرَاءِ أَوِ الْمُلُوكِ لِبَعْضِهِمْ ، حِيثُ أَنَّ الْمَنَازِلَ مَحْفُوظَةٌ لَهُمْ ، لَا يَتَعَبُ رَسُولُهُمْ ، بَلْ (١٨٨) كُلُّهُمْ يَعْرُفُ مَنْزَلَ صَاحِبِهِ ، وَهَذَا مِنْ أَغْرِبِ مَا يَكُونُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : مَنْزِلَةٌ .

## الفصل الخامس

### في ملابس ملوك الفور

وأما زيهيم في الملابس، فاعلم أنَّ بلادهم في الحرارة بمكانٍ عظيمٍ، ولشدَّةِ حرَّها لا يمكنهم أن يلبسو إلا الثياب الخفيفة ، لكنَّ يتناولون في ذلك .

فالأغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جداً ، بيضاء كانت أو سوداء .

وأما الفقراء فإنَّهم يلبسون ثياباً<sup>(١)</sup> خشنة .

وأما السلطان والوزراء والملوك ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهم يلبس ثوبين كالأقصنة رفيعتين جداً ، إما مَا يجلب لهم من مصر ، أو مَا يعمل في دارفور . لكنَّ إن كانوا من البيض فإنَّهما يكونان في غاية من البياض والنَّظافة ، وإن كانوا من الشُّوك يكونان نظيفين أيضاً . ولا يتميزُ السلطان عن غيره في ذلك إلا بما يلبسه زيادةً على القميصين ، وذلك أنه يضع على رأسه كشميراً ، وهو لا يمكنهم ذلك . والسلطان يتلَّم بشاش أبيض ، يضع على رأسه منه طيَّاتٍ ، وعلى فيه وأنفه لثام منه ، وعلى جبينه أيضاً ، بحيث لا يظهر منه إلا الأحداق . لكنَّ اللثام يشارك فيه أرْوَنْدَلْوَنْج والكامنة ، فإنهما يتلَّمان كاسلطان ، وكذلكَ السلاطين الصغار يتلَّمون أيضاً ، لكنَّه يتميز بالسيف المذهب ،

(١) في الأصل : ثياب .

والحِجَابُ الْمَذَهَبُ ، وبِالْمَظَلَّةِ إِنْ كَانَ رَاكِبًا ، وَبِالرِّيشِ وَبِالسُّرُوجِ الْمَذَهَبَةِ (١٨٩) وَالرِّكَابُ ، وَعُدَّةُ الْجَوَادِ الَّتِي لَا يَكُنُ سَوَاءً أَنْ يَجْعَلَهَا عَلَى جَوَادِهِ .

وَإِنْ كَانَ فِي مَحْلٍ جَلْوِسٍ لَا يَتَلَثَّ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ ، وَمَنْ ذُكِرَ لَا يَكُنُّهُمْ أَنْ يَتَلَثَّمُوا بِحُضُورِهِ ، إِلَّا إِنْ كَانُوا رَاكِبِينَ مَعَهُ ، أَوْ كَانَ كُلُّهُمْ فِي مَحْلٍ حُكْمِهِ وَدِيَوَانِهِ .

وَأَنْوَاعُ مَا تَلْبِسُهُ أَهْلُ دَارِفُورَ الْأَغْنِيَاءِ مِنَ الْمَلَابِسِ مِنَ الْمَجْلُوبِ : الشَّاشُ وَالْبَفْتُ الْإِنْجِلِيزِيُّ وَالثِّيَابُ الْحَرِيرُ فِي يَوْمِ الْمَهْرَاجَانُ ، كِيمُونُ الْعِيدِ وَيَوْمِ تَجْلِيدِ النَّحَاسِ . وَلَهُمْ مَلَاحِفٌ يَتَلَفَّعُونَ بِهَا ، وَهِيَ كَالْمُلَائِكَةِ الَّتِي يَتَلَفَّعُ بِهَا فِي إِقْلِيمِ مَصْرُ ، وَهِيَ إِمَّا مِنَ الْإِلَاجَةِ ، أَوْ مِنَ الشَّاشِ ، لَكِنْ يَكُونُ لَهَا هُدُبٌ طَوِيلٌ . وَهَذِهِ الْمِلَاحِفُ يَتَوَشَّحُ بِهَا ، أَوْ تَوَضَّعُ عَلَى الصَّدِيرِ وَالْأَكْتَافِ ، وَإِذَا حَضَرَ لَاهِسُهَا أَمَامَ السُّلْطَانِ يَشَدُّ بِهَا وَسْطَهُ ، وَذَلِكَ مِنْ كَلَلِ الْأَدْبِ عِنْدَهُمْ .

وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ الْمَجْلُوبِ فَالسَّكْلَكْفُ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ ثُوبٌ مِنْ قُطْنٍ غَزَلُهُ رَفِيعٌ جَدًا ، طُولُهُ عَشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَاحِدٌ . وَمِنْ تَوْسِعِهِمْ يَلْبِسُهُمْ الْمَجْلُوبُ الشَّوْتَرُ ، وَهُوَ كُنْدِيَّةٌ عَنِ الْعَبَكِ الْمَصْبُوغِ أَزْرَقٌ<sup>(٢)</sup> ، وَيُحَلَّبُ لَهُمْ بَعْضُ قَفَاشِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، أَيْ مِنْ بَلَادِ الْوَادَائِي<sup>(٣)</sup> وَالْبَرْنُو وَالْبَاقِرْمَهُ ، يَسْمَى : التَّيْكَوُ وَالْقَدَائِي ، لَكِنَّهَا غَيْرُ عَرِيفَةٍ ، لِأَنَّ عَرْضَ الشَّقَّةِ قِيراطَانَ لَا يَعْيَرُ ، فَيَتَعَبَّونَ فِي خِيَاطَتِهَا . وَالتَّيْكَوُ وَالْقَدَائِي الْمَذَكُورَانِ سُودٌ ؟

(١) السَّكْلَكْفُ : قِمَاشٌ وَطَنِيٌّ مِنْ نَسَيِّجٍ خَشِنٌ نَوْعًا أَبِيضٌ اللَّوْنُ مَعَ صَفْرَةٍ خَفِيفَةٍ . وَقَدْ شَاهَدْنَا بِأَنفُسِنَا أَثْنَاءَ زِيَارَتِنَا لِدَارِفُورِ فِي شَتَاءِ سَنَةِ ١٩٦١ .

(٢) عَبَارةُ عَامِيَّةٍ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الْوَدَدَائِي .

لكن القدانى مع أنه أسود ، يُرى في لونه (١٩٠) بعض حمرة ، فهو كاوف رقاب  
الحبابي المسود .

ومن عجيب ما رأيته في ذلك أن لابسه إذا تنحّم<sup>(١)</sup> خرجت النخامة من صدره  
سوداء ، وذلك أن النيلة تدخل في مسام جسمه حتى تؤثّر في صدره .

وبالجملة فالغنى ، سلطاناً كان أو وزيراً أو ملكاً ، يلبس ثوبين وسراويل ، وعلى  
رأسه طربوش ، وباق الناس لا يلبسون إلا ثوباً واحداً وسراويل وملحمة إلن تكن ،  
وعلى رأسه طافية بيضاء أو سوداء . وأكثرهم يكون رأسه عرياناً .

وأما نساهم فإنهن يلبسن ميزراً في أوساطهن يسمى في عرفهم : الفردة . ثم  
الأبكار يلبسن فوطة صغيرة على صدورهن ، يقال لها : الدراءة . وهي لبيات الأغنياء  
تكون من حرير أو إلاجة أو بفت ، ولبيات القراء تكون من التكاكى ، ويربطن  
في أوساطهن أشرطة<sup>(٢)</sup> يجعلن فيها الگنافيس . والكتفوس للبيات الصغار عندهن ،  
عبارة عن منسوج عرضه أربع قراريط ، [و] طوله نحو من ثلاثة أذرع ، تأخذه الواحدة  
منهن ، وتدخل طرفه من الأمام في الشريط التي<sup>(٣)</sup> في وسطها ، وتقوّت الطرف  
 الآخر بين خديها وتشيكه في الشريط من الخلف ، وهو كالحافظ عند نساء المدن في أيام  
الحريم ، إلا أن الكتفوس عند نساء الفور لا يلبسنه لأجل الحريم ، (١٩١) بل يلبسنه مطافقاً .

وإذا تزوجت البكر لبست إزاراً كبيراً ، يسمى في عرفهم : الثوب ، وهو عبارة  
عن ملائمة تلتئف فيها المرأة ، ثم هو على قدر مقامات الناس في الغنى والفقر ، فنساء القراء

(١) تنحّم دفع بشيء من صدره أو أنهه . والنخامة النخاعية (القاموس) .

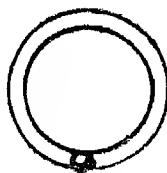
(٢) في الأصل : الشرطة .

(٣) كذا .

أو باهْنَ من التَّكَاكِي ، والأغنياء من الشَّوَّرَ أو الْكَلْكَافُ أو التَّيْكُو أو الْقُدَانِي  
أو الْبَفْتُ ، ولا يكونُ من حَرِيرٍ ولا من إِلاجَةٍ .

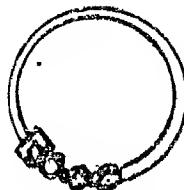
\* \* \*

وأمّا حُلَّيُّ النساء عندَهُم فَإِنَّهُن يلبسُنَ الْخَزَامَ ، وهو للأغنياء من الذهَبِ ،  
وللمتوسّطين من الفضة ، وللفقراء من النحاس . وهو على نوعين : حَلَقِي وشَوَّرِي ؛  
فالحَلَقِي : عبارة عن حَلْقَةٍ فيها ثَلْمٌ ، وهذا الثَّلْمُ تُجْعَلُ فيه مَرْجَانَةٌ ، وهذه صورته :



[ خزام حلقي ]

والشَّوَّرِي : عبارة عن حَلْقَةٍ ، نصفُها غَلِيلٌ ، ونصفُها رَفِيعٌ كالشُوكَة ، يَجْعَلُنَ فيه  
أربَعَ مَرْجَانَاتٍ ، بینَهَا حَبَّةٌ من ذَهَبٍ ، أو مَلَاثٌ حَبَّاتٌ إِحْدَاهُ ذَهَبٌ ، ورَأْسُ  
طَرَفِهِ الغَلِيلِ كَحْبَةٌ مَرَبْعَةُ الأَسْطِحَةِ ، وصُورَتُهُ هَكَذَا :



[ خزام شوري ]

ويلبسُنَ فِي آذَانِهِنَّ أَخْرَاصًا<sup>(۱)</sup> كبارًا مِنْ فَضَّةٍ ، يَزِنُ الْخُرْصُ مِنْهُنَّ نِصْفَ  
رَطْلٍ ، وَلِثَلَّا يَضُرُّ آذَانَهُنَّ (۱۹۳) يَرْبِطُنَهُ بِعَلَاقَةٍ فِي رُؤُسِهِنَّ ، تَمَمَّلُ بِثِقلِهِ

---

(۱) أَخْرَاص جمع خرص وهو حلقة القرط .

عن الأذن . وهو عبارة عن حلقة واسعة أحد طرفيها شوكي ، والآخر كالحلبة المربعة الأسطوحة كأنخزام . ومن لم تجده خراماً ولا خرصاً تسد ثقب أنفها بمرجانة ، أو حبة خرز مستطيلة ، وتسد ثقب أذنيها بقطعة من لب بوص الدخن أو الندرة أو قطعة من خشب . ويجعلن في أجيادهن عقوداً من أنواع الخرز كالمنسوص : وهو عندهم عبارة عن خرز أصفر من كهرباء ، وهو نوعان : كروي ومقرطح ، وتحتيف أفراد كلّ منها في الصغر والكبير .

والريش : وهو عندهم عبارة عن خرز مستطيل أبيض فيه خطوط حلقية أبيض منه ، وخطوط سُمْرٌ ؛ وهو على أنواع : أحسنها المسماى عندهم بالشوميت ، وكله جامد صلب كأنه من رخام ، يجلب من الهند : وهو خرز رفيع مستطيل كثثير الخطوط فيه سُمرة .

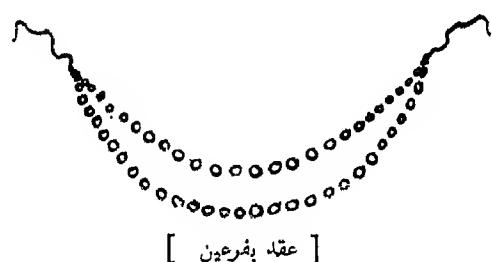
والعقيق : وهو عبارة عن خرز أحمر كروي كلّه ، يتفاوت في الكبير والصغر ، وهو من عقيق .

والمرجان : وهو نوعان ، نوع يسمى : القص ، وهو خرز أسطواني مستطيل قليلاً ؛ نوع يسمى : المذرزم ، وهو خرز كروي .

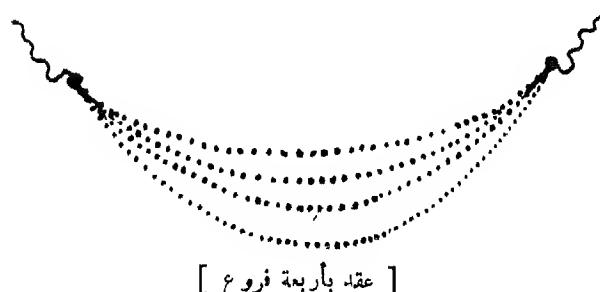
ودم الرعاف<sup>(١)</sup> : وهو نوع خرز أحمر داكن ، منه ما هو أسطواني ، ومنه ما هو كروي ، وهو من زجاج (١٩٣) يجلب من بلاد أوربا .

(١) كذا في الأصل بسكون الميم وفتح الراء ، والرعاف كفراب هو — كما جاء في القاموس — الدم يخرج من الأنف . وفي حاشية الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour. P. 208. أن الفور الذين لا يعرفون العربية يسمونه Denguraf

والفاوُ : وهو مَرْجَانٌ صِناعيٌّ كُرويٌّ وطويلٌ كُلُّهُ ، فيعملون من جميع ذلك عقوداً ويلبسنها ، كلّ منها على قدر حاليها في اليسارِ وعدمه . فتري منهُنَّ من يكون لها عقد واحد ، ومن يكون لها اثنان هكذا :



ومن يكون لها ثلاثة . وأغناهنَّ لا تزيدُ على أربعة عقود هكذا :



ويرتَبَنَ الحزَّ المذكورَ فيها ترتيباً حسناً ، بحيث يألفُه النَّظرُ ويميلُ للابسِه القلب .

ويضفَنَ على رُؤوسِهِنَّ تمايِّمَ من حبَّ نباتٍ يسمى : الشُّوش — وهو حبٌّ صغير أحمرُ كالجلنار<sup>(١)</sup> ، وفي جانب كلّ حبةٍ منهُ نُكّةٌ سوداء ، وهذا الحبُّ روئيَّهُ مفَرَّحةٌ جداً — وودِيعٌ وفولٌ . وهذا الفول عندهم ذو ألوان ، منهُ ما هو أحمرٌ ناصعٌ

---

(١) الجلنار : زهر الرمان .

الحرة . ومنه ما هو **تُبْنِي اللَّوْن** ، ومنه ما هو أسود ، ومنه [ ما هو ] عَسَلٌ . فيقتبس الشوش والودع والفول ، وينظمن الشوش وحده تمايز ، لكن يجعلنَّ في أسفل كلَّ تَمِيمَة إِمَّا جُلْجِلاً أو وَدَعَةً ، ويجعلنَّها عناقيدَ هكذا :



[ جلجل أو ودعة على هيئة عثةود تجعل أسفل التيةمة ]

(١٩٤) لكن يفصلن بين كلَّ تَمِيمَة بخزَرَة أزرق .  
ويلبسنَ في أوساطهنَ خرزَةً على أنواع :

فنساء الأغنياء يلبسنَ خرزَةً كبيرةً مثلَ الجوز ، يسمى عندهم : **رُقاد الفاقة**<sup>(١)</sup> .  
ونساء المتوسطين يلبسنَ المنجور ، ونساء القراء يلبسن إِمَّا الحرش ، وإِمَّا الخدور ،  
وجميع ما ذكر يُعملُ في الخليل من بَرِ الشام ، لكن رُقاد الفاقة أملسً جدًّا ، وهو ما بين  
أَخْضَرَ وأَزْرَقَ وأَصْفَرَ .

والشَّاهِرَة<sup>(٢)</sup> : وهو خرزَةً أسود منقط بـ نقط بيض .

والمنجور كذلكَ في الألوانِ ، إلا أنه أصفرُ حجمًا منه ، وفيه حُروشَة وعدمُ  
إتقان في صناعته . والحرشُ في لونِهما ، لكنه صغير كحبَّ الشبحة ، مع الحروشة  
الكليلَة ، وله غُضونٌ .

(١) لعل المقصود بالفacaة هنا : الافacaة أي الراحة ويكون معنى « رقاد الفacaة » ، رقاد الراحة الذي تستمتع به نؤومات الضحى .

(٢) كذا ضبط اللفظ في الأصل ، ولكنه ورد غير معرف بالألف وابلام .

وأماماً الخدود : فإنه حبٌّ أسطوانيٌّ ، وهو إما أحمر أو أبيض .

ويُلبسُنَ في أذرعِهنَ عِقداً يسمى المدرعة ، في المفصل بينَ الزَّند والساعد ، وهو عِقدٌ مركبٌ من خرزٍ أسطوانيٍّ ، طولُ الخرزَةِ منه<sup>(١)</sup> نحو قيراطين ، وهو إما أبيض أو أسود ، ويسمى : الشُّورُر ، فينظامُنَ خرزَةً بيضاءً ، وخرزةً سوداءً ، ويفصلُنَ بينَ كُلَّ خرزتينِ بحبةٍ ، إما من المرجان الحمر أو من المرجان الطُّبخ ، أى : الصناعي ، أو من حبٍ الرِّعاف ، وذلكَ على قدرِ حِلْمِنَ في الفقر والفناء<sup>(٢)</sup> .

ومن حليلِهنَ اللادَّاي : وهو سلكٌ غليظٌ من الفضة ، (١٩٥) نصفُ دائرةٍ ، في طرفِهِ اعوجاجٌ كالسنارة ، فيؤخذُ سلكٌ رفيعٌ من النحاس ، وينظمُ فيهِ منصوصٌ ومرجانٌ وعقيقٌ ، ويربطُ طرفاً في الاعوجاجِ الذي كالسنارة من الطرفين ، فيكونُ السلكُ الرفيعُ وما هو منظومٌ فيهِ كالوترِ للقوس ، وصوريَّهُ هكذا :



[لدَّاي يوضع قريباً من جبهة المرأة ويُشبَّك في شرها]

فيجعلُنَ الوتر قريباً من جباهِنَ ، ويُشيكُنَ السلك الغليظ في شعرِهنَ .  
ويُلبسُنَ في لادِهِنَ أساورَ<sup>(٣)</sup> من عاج ، أو من قرمن ، أو من نحاس . فإذا كانت من

(١) في الأصل : من

(٢) الفناء بفتح الغين والمد : الغنى .

(٣) في الأصل : اساورا .

قرن سميت بالكيم<sup>(١)</sup> ، [لكن أساور]<sup>(٢)</sup> بنات الأغنياء من الفضة والماج معاً . و[يلبسن]<sup>(٣)</sup> في أرجلهن الملاخيل ، وهى من النحاس للجميع . لكن [خلخيل]<sup>(٤)</sup> بنات الفقراء من النحاس الأحمر ، و[خلخيل]<sup>(٥)</sup> بنات الأغنياء من النحاس المخلوط بالتوتيا ، فراراً من حمارة النحاس المعروفة إلى الأصغار القريب للون الذهب .

ويمثل من أنواع الخرز الرفيع الملوّن عصابة على جيادهن وفي أياديهم .

\* \* \*

وأما طيبهن فهو الشنب والملب وكمب الطيب - وهو المسمى بعرف الفور : عرق أم أبيض ، لسبب لونه الأبيض بشيء أسمر وأصفر<sup>(٦)</sup> ، ويعرف مصر : عرق بنفسجي ، بسبب راحتيه - وخشب الصندل ، وهي كالحار الصغير ، يقال له : الظفر وهو (١٩٦) أسمر إلى سواد والشيبة والمرسين .

وبعض الأكابر يتقطبون بالبلاد وهو جلد نوافج<sup>(٧)</sup> المسك ، وعندهم ثمر شجر

(١) في الأصل : « من عاج أو من قرن فإذا كانت من قرن سميت بالكيم أو من نحاس » والصيغة المثبتة في المتن يقتضيها السياق من ناحية ، ثم هي كذلك في الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 210.

(٢) زيدات للتوضيح عن الترجمة الفرنسية ٢١١ - ٢١٠ ibid. op. cit., pp. 210 - 211

(٦) يزيد اللون الأبيض المشوب بسمرة وصفرة .

(٧) في الأصل : نوافخ بالباء ، والنوافح جمع نافحة وهي وعاء المسك مغرب ، عن نافه . ولذلك جزم بعضهم بفتح فائتها (شرح القاموس) .

زكي<sup>(١)</sup> الراحلة يسمى : الدايمق ، وهو حب أحمر يميل إلى الصفرة ، يستحقنه<sup>(٢)</sup> النساء ويخليطنه بطيههن .

ومن عادتْهن أن يكتحلن بالإيميد ، لكن لا يضعن الكحول في أعينهن ، بل يجعلنه على الأجناف السفلية والعلياً من الخارج ، فيلتتصقُ عليها بواسطة الدهن ، ويكتحلن عشاقهن كذلك ، فترى الشباب والشابات كأنها متكحّلة<sup>(٣)</sup> كذلك .

\* \* \*

ومن عادتهم أن العاشق يأخذ من محبوبته شيئاً من حلتها المعروفي ، ويلبسه افتخاراً له ، وتذهب كاراً لاسمها . وإذا أصابه ممث ، أو عَزَّ ، يقول : أنا أخو فلانة ، وهي تقول كذلك أيضاً .

وأكثرهم لا غيرة له على عرضه ، فربما دخل الرجل داره فوجد امرأة مع غيره في خلوة ، فلا يغضب إن لم يجده على صدرها . وأما إذا دخل ووجد ابنته أو اخته مع أجنبي لا يسويه ذلك ، بل ربما سرّ به ، وظن أن ذلك يكون سبباً لزواجها .

ومن عادتهم أن البنت إذا طعن ثديها ، يُفردون لها محللاً تبيت فيه ، ويأتيها من يحبها فيه وتبيت معه . ومن ذلك يقع الخبل بأكثر بناتهم ، ولا عار عليهم في ذلك . وولد الزِّناء<sup>(٤)</sup> عندَهم يُنسبُ نهاله وكذلك البنات . فالبنت التي تكون من هذا (١٩٧) القبيل يزوجها خالها ويأكل من صداقها مالاً ، لاسيما إن كانت جميلة .

(١) في الأصل : ذكي .

(٢) كذا .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل زناء بدون «ال» وزناء يمد ويقصر .

وِبِالْجَلَةِ لَا يُكَنُ فِي دَارِ الْفُورِ أَنْ تَمْتَنَعَ النِّسَاءُ عَنِ الرِّجَالِ ، وَلَا الرِّجَالُ عَنِ النِّسَاءِ . بَلْ لَا يُكَنُ الرِّجَلُ أَنْ يُحِرِّزَ ابْنَتَهُ تَحْتَ كَيْنَفِهِ وَلَوْ كَانَ عَظِيمًا ، أَمَا إِنْ كَانَ فَقِيرًا فَإِنَّهُ يُهَانُ وَيُؤْذَى وَرَبِّا قُتُلَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا اتَّفَقَ أَنْ رِجَالًا كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ ، وَكَانَ يَغْارُ عَلَيْهَا ، وَلَا يَرْضَى أَنْ يَكُلُّهَا أَجْنبِي . وَمِنْ شَدَّةِ خُوفِهِ عَلَيْهَا كَانَ يَقْهَرُهَا عَلَى الْبَيَاتِ مَعَهُ ، فِي الْمَحْلِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَكَانَتْ مِنَ الْجَمَالِ بِمَكَانٍ . فَكَانَ الشَّبَابُ يَأْتُونَ عَلَى عَادِتِهِمْ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا ، فَإِذَا حَسَّ<sup>(۱)</sup> بِهِمْ زَجْرَهُمْ وَلَعْنَهُمْ وَطَرْدَهُمْ . فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ أُمُرُّهُ احْتَالُوا عَلَيْهِ ، وَأَخْذُوا قَرْعَةً مُسْتَطِيلَةً قَلِيلًا ، تَقْرَبُ مِنَ الشَّكْلِ الْبَيْضِيِّ ، تَنْتَهِي بِعُنْقٍ ، وَفَتْحُوهَا مِنْ أَعْلَى ، وَأَخْرِجُوا لَهَا ، وَمَلَأُوهَا غَائِطًا وَبَوْلًا ، وَحَرَّكُوهَا حَتَّى امْتَزَجَ بَعْضُهُ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَلَا وَنَادُوهُ : يَا وَالِدَنَا ، مُرْ فَلَانَةَ تَأْتِ لِتَتَحَدَّثَ مَعَهَا . فَقَامَ عَلَى عَادِتِهِ ، وَلَعَنَ وَسْبَ وَزَجَرَ ، فَأَفَادَ ذَلِكَ ، بَلْ قَالُوا لَهُ : نَحْنُ لَا نَبْرُحُ حَتَّى تُخْرِجَهَا لَنَا . فَاغْتَاظَ مِنْهُمْ وَخَرَجَ قَاصِدًا طَرْدَهُمْ . وَمِنْ عَادِتِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَيْهِمْ ، يَفِرُّونَ مِنْهُ لَهِيَتِهِ ، إِلَّا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَإِنَّهُمْ ثَبَّتُوا ، وَمَسَكَ<sup>(۲)</sup> أَحَدُهُمُ الْقَرْعَةَ مِنْ عَنْقِهَا ، وَكَنَّ لَهُ حَتَّى أَخْرَجَ رَأْسَهُ<sup>(۳)</sup> مِنْ بَابِ الْبَيْتِ ، فَرَفَعَ يَدَهُ بِقُوَّةٍ ، وَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ الرَّجُلِ بِالْقَرْعَةِ ، فَانْكَسَرَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، وَسَالَ الْخَبَثُ الَّذِي فِيهَا عَلَى رَأْسِهِ

(۱) كُنَّا فِي الْأَصْلِ : حَسْ بَغِيرْ هَمْزَةٍ ، وَسَنَرِي فِيمَا بَعْدَ أَنَّ الْمُؤْلِفَ يَسْتَعْمِلُ الْمَضَارِعَ «أَحَسَ» بفتح الهمزة وَكُلُّ التَّصْيِيقَتَيْنِ عَامِيَّةً .

(۲) وَكَذَلِكَ نَجَدُ الْمُؤْلِفَ يَسْتَعْمِلُ الصِّيَغَةَ الْعَامِيَّةَ هُنَا فِي قَوْلٍ : مَسِكٌ ، بَدْلٌ : أَمْسِكٌ .

(۳) كُنَّا بِالْأَصْلِ ، وَاسْتَعْمَلَ «بِهَا» هُنَا مَعَ لَفْظِ «بِالْقَرْعَةِ» أَثْرُ مِنْ آثارِ الْلَّهُجَةِ السُّودَانِيَّةِ فِي أَسْلَوبِ الْمُؤْلِفِ .

وثيابه ووجهه ، فلما شم الرائحة الكريهة ، صاح يشم ، فقالوا له : اسكت ، هذه الليلة فعلنا هذا معك ، والليلة القابله إن عارضتنا قتلناك . فايقظ الرجل أهله ، وجاءوه بهاء ، فاختسل وتطيب ونام وخف منهم ، فلما أصبح أفرد لابنته حجرة لنومها قهراً عنه ، وجرت عليهما عادتهم .

وإن كان غبياً صاحب حشمة وأبهة وعبيد وخدم ، يتحيلون في الدخول إلى الحريم بالليل ، ولو على زي النساء .

ومن ذلك ما اتفق أن رجلا من أكابر الناس ، له سبعة أولاد ذكور<sup>(١)</sup> ، وله بنت واحدة ، وكانت فريدة حُسْنِي ، وقد خطبها منه أناس كثيرون فأبى عليهم ، فحين طال الأمد على البنت ، تحملت وأدخلت شاباً لطيفاً من الشجاعة بمكان ، فشكّعندها ما شاء الله أن يكُثُر ، وافتقده أهله فلم يعرفوا له جهة . فاتفق أنه أتى بشراب فشرب ، ولما أخذته النسوة طلب الخروج فقالت له البنت : أصبر<sup>(٢)</sup> إلى الليل . فأبى وقال : لا أخرج إلا الآن . وغلب عليها وخرج ، وكان أبوها وإن خوطها جالسين على باب بيتهما ، فاشعرُوا (١٩٩) بالشاب إلا وهو خارج ، فصاح أبوهم على بوابة البيت : اقفل الباب . فلما قفل الباب أمر العبيد بالقبض عليه . فاجتمعت العبيد ليقبضوا عليه ، ففرح منهم أناساً وامتنع عليهم ، تخرج الأولاد السبعة مجردين السلاح عليه .

(١) فالأصل : ذكورا .

(٢) كنا في الأصل بهمزة مفتوحة ، وهي لهجة سودانية وهذه قاعدة مطردة في فعل الأمر ، إذ يفتحون همزته باستمرار ، عدا بعض الأفعال الشاذة .

فأصدرين قتلها ، فناشدهم الله إلا أبعدوا عنه وتركوه يمضي<sup>(١)</sup> إلى سبيله فأبوا ، وثرا موتاً عليه ففرّ منهم ، ورماهم بالحرب فقتل واحداً منهم ، فسكنوا عليهم ذلك ، ورمواه بالسلاح يرموا قتله ، فصار يذبح عن نفسه ويرميهم ، حتى قتل من الأولاد ستة ، وجرح السابع جرحاً خفيفاً ، تخين رأي والدُّهم ذلك نادى : ياغلام ، افتح له الباب . ففتح له وخرج ، ولم يكن به جرح ، ولم يعرف من هو ، لأنَّه كان متخفياً . وكانت ابنته سبباً في خراب بيته وقتل أولاده .

ووَقَائِعٌ كثيرة من هذا القبيل ، تذهب الدماء فيها هدرًا ، لأنَّ البنتَ التي يكونُ لها الأمْرُ من شأنِها ، لا تخبر الناسَ باسم القاتل ولا من هو ، بل قصارى أمرها ، إذا سُئلتَ عمنْ فعلَ هذا الفعل ، أنْ تقولَ : لا أعلم . ولا يسلم من هذا الأمْرِ بيتٍ فيه أشيء ، إِلَّا إذا كانتَ وَخْشاً ، أو بها عاهةٌ تُنْفِرُ الناسَ عنها .

وقد اجتهد السلطانُ عبدُ الرحمن في معنِّ ذلك ، فلم يمكنه<sup>(٢)</sup> ، (٢٠٠) حتى إنه جمل في السوق خصيانتاً كثيرين ، يمنعون النساء من مخاطبة الرجال والاختلاط بهم ، فاحتالوا في ذلك حيلةً عجيبة .

منها : أن الرجل كان يمر بالبنت التي تُعجبه فيقول لها : يابنَيَّة ، مَالَهُ رَاسِكَ شَيْنٌ مِّثْلِ دِيلَكَ الشُوكَنَيَّة<sup>(٣)</sup> ! و « مَالَهُ » ، أعني : لأى سبب . و « شَيْنٌ » ، بُرْزَهم : غير جميل . فتقول هي : وَيُنُو الشُوكَنَيَّة الشَّيْن ، لِيُنُلَّ رَاسِي؟ و « وَيُنُو » ،

(١) في الأصل : أن يمضي .

(٢) في الأصل يمكنه ذلك .

(٣) سبق التعريف بالسوكتانية في ص ٢٠٢ .

بمعنى : أين هو ؟ فيقول : ديكاً . أى : ذاك . وينتظرها لها ياصحبها فتعرفها . وبعد المساء تذهب إليه فتنيت عنده ، ولم ينفع الحرس بشيء .

كأنه اجتهد في منع شرب الخمر فما أمكنه، واحتالت الناس حيلاً عظيمةً، حتى كانوا يأتون لبيوت الحمارين، ويسترون منهم الخمر، ويورون<sup>(١)</sup> ملء يراهم أنهم يسترون خبزاً، فكانوا يقولون بلغتهم: تُقْرُوْ بَأْيَنْسَا<sup>(٢)</sup>. أى: خبزُكُمْ عندَ هـل. أى: هل عندكم خبز؟ فإن خافوا أن يكونوا جواسيس طردُوهـم بقولـهم: أَكِبَا. يعني: ما هنا إلا أنا أفالـمـانـا<sup>(٣)</sup>.

وكان السلطان في أثناء ذلك، يأمر بشتم أفواه من حضر مجاسه من أكابر الدولة، وهم أكثر الناس إدماناً على الخمر، فاستعملوا لازلة الرائحة مضمضة فروع شجر يقال له الشعلوب، (٢٠١) فكانوا يشربون كفايتهم ثم يضفون منه فلا تشم من أفواههم رائحة الخمر أبداً. وهذه عوائد ارتكزت في طبائعهم، وامتزجت بدمائهم ولحمهم، فصارت سنة متبعة، وإن كانت في الإسلام محرمة.

ومن عوائدهم : أن الرجل إذا تزوج وكان فقيراً ، ولم يواسوه أهله الأغنياء ، وجاء يوم الوليمة ، يعيمد إلى مرعى المواشى حتى يجد ماشية أقرب الناس إليه فيعقر<sup>(٤)</sup> منها ما يكفيه لوليمته : ثوراً أو ثورين أو بعيراً ، إن كان صاحب إبل . وإن لم يكن شيء

(١) كذا ، وهو صيغة عامة .

(٢) تقوٰ : خبز ؛ با : أنتم ، کم ؛ بین : عند ؛ سا : آداه استفهام P 215 Voyage... وقد سمعنا بأنفسنا لفظ تقوٰ أي الخبز في منطقة جبل مرّة فوجدناهم ينطقونه تقوٰ ، ويعناه : الكسرة أي الخبز .

٣) في الأصل : يدخلونهم .

٤) يعقر : يجرح .

ذلك ، ذَبَحَ أَكْبَاشًا عَلَى قَدْرِ كُفَایَتِهِ . فَإِنْ فُطِنَ رَبُّ الْمَالِ لَهُ وَمَنَعَهُ قَبْلَ الْعَقْرِ ،  
رَبُّ مَا قاتَلَهُ إِلَّا أَنْ يُغَلَّبَ . وَإِنْ شَحَّ وَطَلَبَهُ لِلْقاضِي يُلْزِمُهُ القيمةَ ، فَيُدْفَعُهَا لَهُ عَلَى التَّدْرِيجِ ،  
إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتِيسِّرًا لِلْحَالِ .

وَمِنْ عَادِتِهِمْ : أَنَّ الْفَلَامَ إِذَا اخْتَنَ ، يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ فِي ثَالِثِ يَوْمٍ خَتْنَتِهِ إِلَى سَابِعِ  
يَوْمٍ جَمِيعُ غَلَامَنِ الْبَلْدِ وَغَيْرُهُمْ ، مَنْ لَهُ بَهْمٌ قِرَابَةً أَوْ مَعْرِفَةً ، وَيَأْخُذُونَ السَّفَارِيكَ<sup>(۱)</sup> ،  
وَيَخْرُجُونَ فِي بَلَدِهِمْ وَالْبَلَادِ الْقَرِيبَةِ مِنْهَا ، فَلَا يَرَوْنَ دَجَاجَةً إِلَّا قَتَلُوهَا ، وَإِنْ قَدِرُوا عَلَى  
صَبْطِهَا بِالْحَيَاةِ ، أَخْذُوهَا حَتَّى يَجْتَمِعُ عَنْهُمْ دَجَاجٌ كَثِيرٌ ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ  
يَعْلَمُهُمْ<sup>(۲)</sup> فِي ذَلِكَ . وَكُلُّ مَنْ عَارَضَهُمْ ضَرْبَوْهُ . وَهُمْ صَفَارٌ ، لَا تَقْامُ عَلَيْهِمْ شَرِيعَةٌ .

وَمِنْ عَادِتِهِمْ : خُنْفُ الْبَنَاتِ لِكَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى (۲۰۲) أَقْسَامٍ : فَنَّهُمْ مِنْ  
لَا يَرَكِي ذَلِكَ أَبْدًا ، وَهُمْ أَعْجَامُ الْفُورِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْفِضُ خَفْضًا خَفِيفًا كَعَادَةِ أَهْلِ مَصْرُ ،  
وَهُمْ أَكْبَرُ النَّاسِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْهِكُ الْخِفَاضَ ، حَتَّى يَلْتَحِمُ الْحَلَّ بِعِضْهُ ، وَيَجْعَلُونَ  
لَمْسَلَكِ الْبَوْلِ مَاسُورَةً مِنْ صَفِيفٍ . وَهُؤُلَاءِ إِذَا زَوَّجُوا ابْنَهُمْ ، لَا يَقْدِرُ الرَّجُلُ عَلَى  
افْتِصَاصِهَا ، حَتَّى يَشْقُوا<sup>(۳)</sup> لِهِ الْحَلَّ بِالْمُوسَى . وَهُنَّاكَ نِسَاءٌ لِهَا الْمَعْنَى ، وَفِي وَقْتِ الْوِلَادَةِ  
كَذَلِكَ أَيْضًا . وَهُؤُلَاءِ أَكْثَرُ بَنَاتِ الْفَقَرَاءِ النَّهْمَكَاتِ مَعَ الرَّجَالِ دَائِمًا . وَيَفْعَلُونَ  
ذَلِكَ خَوْفَ الْاِفْتِصَاصِ بِالْزَّنَّا ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقْعُدُ الْحَبَلُ فِيهِنَّ ، وَهُنَّ عَلَى  
تَلْكَ الْحَالَةِ .

وَفِي خَفَاضِ الْبَنَاتِ يَعْمَلُونَ أَفْرَاحًا عَظِيمَةً ، وَيُولِمُونَ الْوَلَاثِمَ الْعَظِيمَةَ . وَمِنْ عَادِتِهِمْ

(۱) السفاريك جمع سفروك وقد سبق التعريف به .

(۲) كذا .

(۳) فِي الْاَصْلِ يَشْقُونَ .

أن أقاربَ الْبَنْتِ الْمُخْفَوْضَةِ مِنَ الرِّجَالِ ، يقْفَوْنَ خَارِجَ الْمَحَلِّ الَّذِي تُخْفَضُ فِيهِ الْبَنْتُ ، وَالنِّسَاءُ يَكُنْ عَنْهَا ، فَإِنْ صَوْتُهُ قَدْرُ الْخَفَاضِ وَصَاحَتْ لِمَنْوَاهَا وَتَرَكَوهَا ، وَإِنْ صَبَرَتْ وَهَبَهَا كُلُّهُ مِنْ أَقْارَبَهَا عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَقِرَابَتِهِ ؛ فَنَهْمَ مَنْ يَهَبُ لَهَا بَقْرَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهَبُ [لَا] بَقْرَاتٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهَبُ لَهَا رَقِيقًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهَبُ لَهَا شَاةً أَوْ شِيَاهًا ، حَتَّى تَصْسِيرَ مِنْ رَبَّاتِ الْثَّرَوَةِ . وَأَبُوهَا وَأُمُّهَا يَهَبَانِ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ .

وَمِنْ عَادَتِهِمْ : أَنْ يَنْقُلُوا مُهُورَ الْبَنَاتِ ، (٢٠٣) فَرِيمًا تَزَوَّجُ الْبَنْتُ الْوَسِيْمَةُ مِنَ الْفَقَرَاءِ بِعَشَرَيْنِ بَقْرَةً وَجَارِيَةً وَعَبْدِيًّا . فَيَأْخُذُ الْأَبُّ وَالْأُمُّ جَمِيعَ ذَلِكَ وَيَمْقِدُونَ الْعَقْدَ عَلَى جَدَّعَةٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الْبَقَرِ ، وَلَذِكَّ يَفْرُحُونَ بِوَلَادَةِ الْإِنَاثِ ، أَكْثَرُ مِنْ وَلَادَةِ الذَّكُورِ ، وَيَقُولُونَ : « إِنَّ الْأُنْثَى تَمَلَّ الزَّرِيبَةَ خَيْرًا ، وَاللَّذُكُورُ يَخْرُجُ بِهَا » .

وَمِنْ عَادَتِهِمْ : أَنَّ الْبَنْتَ إِذَا تَزَوَّجَتْ ، تَمْكُثُ بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ ، وَلَا يَكُنْ خَرْجُهَا لَيْتِ زَوْجَهَا إِلَّا بَعْدَ جَهَدِ جَهَيدٍ . وَالنَّفَقَةُ فِي تَلِكَ الْمَدَّةِ عَلَى أَبِيهَا ، وَمَا يَأْتِي بِهِ الرَّجُلُ فِي تَلِكَ الْمَدَّةِ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْهَدِيَّةِ .

وَمِنْ عَادَتِهِمْ : أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَطَبَ بَنِيَّاً ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَهُ اخْتِلاطٌ بِأَبِيهَا وَأُمِّهَا ، وَكَانَتْ لَهُ اخْتِلاطٌ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَيْضًا ، تَذَهَّبُ تَلِكَ الْمُخَالَطَةُ بِمَجْرِدِ الْخِطْبَةِ ، وَيَسْتَوْحِشُ كُلُّهُمْ . فَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَأَى الرَّجُلُ أَبَا الْبَنْتِ الْمُخْطُوبَةِ أَوْ أُمَّهَا ، يَفْرُغُ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ؛ وَهَا كَذَلِكَ . وَكَذَلِكَ الْبَنْتُ تَفْرُغُ مِمَّا رَأَتْ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ . وَفِي أَنْتَاهِ ذَلِكَ ، إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الْبَيْتَ يَرْسِلُ السَّلَامَ لِأَمْ الْبَنْتِ ، إِمَّا مَعَ الْبَنْتِ أَوْ أَخْرِيَهَا أَوْ جَارِيَةً

(١) الجدعة من البقر : ما كان لها سنتان .

فِي الْبَيْتِ وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَهِيَ تُرْسِلُ لِهِ السَّلَامُ أَيْضًا ، وَلَا يَتَلَاقِيَانِ . وَلَا يَرَالُونَ كَذَلِكَ حَقَّ  
يَنْبَغِيَّ بَهَا ، فَعِنْدَ سَابِعِ يَوْمٍ مِّنَ الْبَنَاءِ يَخْرُجُ وَيَقْبَلُ رَأْسَ تَمَاهٌ وَتَمَاهِيَّهُ ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِمَا ،  
وَكَذَلِكَ الْبَنْتُ .

وَمِنْ عَادِتْهُمْ : أَنْ كَلَّاً مِّنْ (٤) الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ ، يَرَى أَقْارَبَ زَوْجِهِ كَأَقْارِبِهِ ،  
فَيَعْتَرُمُ الرَّجُلُ حَمَاهُ وَيَخَاطِبُهُ : يَا أَبِيَّ ، وَأَمُّ امْرَأَتِهِ يَخَاطِبُهُمَا بِأَئْمَى ، وَأَخْتَهُمَا بِأَخْتِي ؛  
وَهِيَ كَذَلِكَ . وَيَرَوْنَ ذَلِكَ مِنْ آكَدِ الْحَقْوَقِ عَلَيْهِمْ <sup>(١)</sup> .

---

(١) لم يلتزم المؤلف هنا ، ولا في صفحة ٢٦٨ ، ما رسمه لنفسه من تقسيم  
للقصيدة (ص ١٣٢) إلى أبواب وفصول ، فأضاف الناشران ما بين  
الحاصلتين ، رغبة في السير على نمط واحد في ترتيب الكتاب .

## (البِابُ الْثَانِيُّ)

[ وفيه فصلان ]

### <sup>(١)</sup> الفصل الأول

في اصطلاح تزويج الفور

لما كان المתוحّدُ في ذاته وصفاته وأفعاله غنّيًّا عن الزوج والولد ، ما انفصل عن أحد ، ولا ينفصل عنه أحد ، إذ لا يحتاج لما ذُكر إلا الحادثُ المسكين ، الذي لا سند له إلا الله ولا مُعين ، وهو سبحانه وتعالي حَقْ قيوم ، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم ، واحدٌ أحد ، فردٌ صَمَدٌ ، لم يَتَّخِذْ صاحبةً ولا ولد<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له كُفُواً أحد ، خلق آدم أباً البشر من التراب ، وخلق حواء زوجة من أقصر ضلعٍ من الجهة اليسرى على الصواب .

ولما كان سُرُّ خلقه أن يكونَ خليفةً في الأرض ، ويملأَ من نسله طولها والعرض ، رَكَبَ فيما الشَّهوةُ البشريَّةُ ، ليحصلَ على التنازلٍ وفق<sup>(٣)</sup> الإرادة السنوية .

(١) في الأصل : فصل .

(٢) كما يترك نصب « ولد » مراعاة للسجع .

(٣) كما بكسر الواو بدل فتحها .

وكان آدم حين خلقتُ حواً في سِنَةٍ من النوم ، ولما أفاق رآها أماته على ترتيبٍ منظوم ، ففقطت منه موقع الإعجاب ، وقال لها : مَنْ أنتِ يَا أَعَزَّ الْأَحْبَابِ؟ قالت : أنا حواء ، وقد خلقني الله من أجلك يا آدم ، وقدر ذلك من أَرْزَلِ تقادم . فقال لها : هَلْ (٢٠٥) إِلَّا . قَالَتْ : بَلْ أَنْتَ تَعَالَ (١) إِلَّا . فقام آدم إليها ، فصارت عادة الرجال الذهاب إلى النساء .

ولما أن جلس معها ، ومسَّ يديَّهِ جسدهَا ، [و] دَبَّتْ فيه الشهوة الإنسانية ، وأراد مُواعيיתה كـ هو مُقْتَضى الحيوانية ، قيل له : مَهْ (٢) يَا آدَمْ ، لَا تَحْمِلْ حَوَاءَ إِلَّا بِصَدَاقٍ وَعَقْدٍ نَكَاحٍ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبِّحَاهُ وَتَعَالَى خَطْبَةَ نِكَاحِهِمَا بِكَلَامِهِ الْقَدِيمِ قَالَ : الْحَمْدُ لِعَزَّتِي ، وَالْعَظَمَةُ هَيْبَتِي ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَبِيدِي . وَإِنِّي أُشَهِّدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي ، وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِي ، أَنِّي زَوَّجْتُ بَدِيعَةَ فِطْرَتِي ، حَوَاءَ أُمِّي ، لَادَمَ خَلِيفَتِي ، عَلَى صَرَاقِ أَنْ يُسَبِّحَنِي وَيُهَلِّكَنِي . فَكَانَ ذَلِكَ سُنَّةً لِأَوْلَادِهِ .

لَكِنْ لَمَّا اخْتَلَفَتِ الْأَقَالِيمُ وَالْأَلْغَاتُ ، وَتَمَدَّدَتِ الْقَبَائِلُ وَالْأَصْطِلَاحَاتُ ، كَانَ اصطلاحُ كُلِّ قَوْمٍ مُبَايِنًا لِاصطلاحِ آخَرِينَ ، وَإِنْ كَانَ الْعَقْدُ وَالْمَهْرُ وَاحِدًا .

فَنِ اصطلاحِ الْفُورِ ، أَنَّ الشَّبَانَ إِنَّا وَذُكْرُانَا ، يَدْشُؤُونَ جَمِيعًا ، فَنِي صِغَرِيمٌ يَرْعَوْنُ الْأَغْنَامَ ، وَلَا حِجَابٌ بَيْنَهُمْ عَلَى الدَّوَامِ ، فَرَبِّهَا اصطحبَ الشَّابُّ وَالصِّبِيَّةَ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ ، وَانْعَقَدَتِ بَيْنَهُمَا الْمَوْدَةُ الَّتِي لَا تَبْلِي عَلَى كَمْرَ السَّنَنِ . فَتَيْ أَحْبَبَهَا وَأَحْبَبَهُ ، رَكِنٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : تَعَالَى .

(٢) مَهْ : أَكْفَفَ .

إليها ، وصار يغارُ عليها ، ولا يرضأها تحدثُ غيره . وحينئذٍ يرسلُ أباه أو أمّه أو أحد أقاربه فيخطبها ، فإذا انعقد بينهما الكلام ، ونفَّذ على وفق المرام ، جمعتْ (٢٠٦) الناس للإِملاك ، وحضر الشهود للملائكة<sup>(١)</sup> ، فيذكرون شروطاً كثيرةً ، ويطلبون أموالاً غزيرةً ، وكلُّها يأخذُها الأب والأم ، أو الحال أو العم ، ويعقدون لها على شيءٍ قليل ، من ذلك المالِ الجزيء ، وكنا قد ذكرنا نبذةً من ذلك ، فلتُراجع<sup>(٢)</sup> هنالك<sup>(٣)</sup> .

ثم بعد تمام العقد يتكون الأمرَ نسياً منسياً مدةً طويلاً ، ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاروُون ، فينعقدُ رأيُهم على وقتٍ فيه يرْفُون ، فإنْ كان العروسان من ذوى البيوت النِّعْمَان ، والراتب العظام ، ابتدأ أهلُهما في تهيئَةِ الذَّبَاح والشراب ، قبل العرسِ بأيام كثيرةً ، ثم يرسلون الرَّسُلَ إلى أحبابهم من البلاد ، ويقولون : العرس في اليوم الفلانى المعتاد . ويكون<sup>(٤)</sup> قد حضَّروا من المِزْرِ<sup>(٥)</sup> والنَّبَيْذِ الأحمر المسقى عندَهم بأمْ بُلْبُل ، ومن البقرِ والغنم ما فيه كفاية . فتأنى النَّاسُ في اليوم الموعودِ أفواجاً أفواجاً ، وهناك نساء معهنَّ طبولٌ صغارٌ وكبارٌ ، كلُّ امرأةٍ معها ثلاثةٌ طبول ، اثنان صغيران ، وأخرٌ كبيرٌ على هيئةِ الدَّرَبُكَةَ ، تضعُها تحتَ إيطِها الأيسر ، أحدهُما وهو الكبيرُ من أعلى ، والثانى يحاذِيان أسفلَ الكبير ، وتضرِبُ بيدها على الثالثة ، ومجموعُها يسمى عندَهم : الدَّلُوكَةَ . وكلَّما جاءتْ طائفَةٌ خرجتْ النساء بالطبول و[هن] يضرِبُنَّها ، ويقلُّنَّ كلاماً يمدحُنَّها به ، منه قولهُنَّ : (٢٠٧)

(١) الإِملاك والملائكة بكسرهما ويفتح الثاني : التزوج أو العقد (القاموس) .

(٢) في الأصل : فلتراجع .

(٣) راجع ص ٢١٩ - ٢٢٦ .

(٤) كما في الأصل .

(٥) في القاموس : المزد بالكسر نبيذ الدرة والشعير .

هَنِيْ بَانِيْ هَنِيْ بَنَانِ  
 وَبَنِينَ حِسَنَ الْبَنَانِ  
 يَا هَزَازِينَ الْقَنَّا  
 أَرِيتُ<sup>(١)</sup> مَا يَجِيْكُمْ فَنَا  
 عَيْنَ الْخَسُودُ بِالْعَمَى  
 يَا هَزَازِينَ الْحَرَابُ  
 أَرِيتُ مَا يَجِيْكُمْ خَرَابُ  
 عَيْنَ الْخَسُودُ فِي التُّرَابِ

وَكُلُّمَا قَالَتْ كَلَامًا ، قَالَتْ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ غَيْرَهُ :

هَنِيْ بَانِيْ هَنِيْ بَنَانِ  
 وَبَنِينَ حِسَنَ الْبَنَانِ  
 إِنَّمَا هَذَا الْكَلَامُ لَا يَعْنِي شَيْئًا بِالْحَقْيَقَةِ ،

وَكُنْتُ مَرَّةً جَثَتْ إِلَى عُرْسٍ ، فَتَعَرَّضَتْ لِي امْرَأَةٌ وَقَالَتْ :

الشَّرِيفُ جَاهِيْ مِنَ الْمَسِيدِ<sup>(٢)</sup>

الْكِتَابُ فِي إِيْدِ  
 وَالسَّيْفُ فِي إِيْدِ  
 وَمِنْ قَبْلِ يَجِيْبُ  
 الْبِرْقِدُ عَيْدُ<sup>(٣)</sup>

وَكُنْتُ أَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهِنَّ كَثِيرًا نَسِيْتُهُ .

(١) أَرِيتُ ، لفظة عامية ، أصلها : يَا لَيْتَ .

(٢) الْمَسِيدُ : الْمَسْجِدُ .

(٣) قيلت هذه الأغنية في مدح رجل يتصرف بالعلم والشجاعة وفي الدليل على شجاعة المدوح أنه كان من قبل يجلب جماعات من قبيلة البرقد ويسترقهم Voyage, p. 226

فتخرج أصحابُ العرس ، (٢٠٨) ويتلقّونَ القادِمين ، و[ف] كل طائفةٌ تأتى رجالاً ونساءً ، فيجعلونَ كل طائفةٍ في محلّ ، ويأتونَ لهم بالأطعمة والأشربة على حسب مقامهم . فنهم [من] يأتونَهم بالعصائد<sup>(١)</sup> والمزْر ، المسمى في مصر بالبُوزَة ، واللحم السَّلِيق والشَّوَّا<sup>(٢)</sup> . ومنهم من يأتونَ له بالفَطير والثَّرَاب الأَحْرَ الذي كالجَيْد ، المسمى عندهم بآم بَلْبَل . وإنْ حضرُهُمْ جماعةٌ من الفقهاء ، أتَوْهُم بالعصائد واللحوم والشَّوَّان ، وتسمى عندَهُم : دِينَزَ آيا ، ثم يُكَيِّنُونَ في أماكنِهِمْ حتى يبرُدَ الْحَرُّ ، ويُعَظِّمُونَ الْفَنَّ .

فتخرج الشَّابَاتُ من النساء متزَّينات ، والشَّابُونَ من الرجال في كل زينة يقدِّرونَ عليها . وتصطفُ النساء صفوافاً صفوافاً ، وكل [صف] من النساء يقابلُه صفٌ من الشَّيَّان . وتخرج النساء التي<sup>(٣)</sup> معهنَ الْطَّبَولُ ، فيضرِّبنَ ويُقَالُنَّ من كلامِهِنَّ ، فيبرُز صفٌ من صفوف النساء يمشينَ هَوْنَا ، ويرُقصنَ باكتافِهِنَّ ، ويتقاضرنَ إلى الأرضِ ، حتى يصلُّنَ إلى صف الرجال . فـكُل شابَةٌ تعمِّدُ شابَةً حتى تضعَ وجهَها في وجهِه ، وتهزُّ رأسَهَا نحوَه حتى تضرِّبه بضفائرِها في وجهِه - وضفائرها إذ ذاك مدهوَنة بالطَّيب وأنواعِ ما يعرِفُونَه من المطر - فيهيجُ الشَّابُ ويهزُ حربَتَه على رأسِهَا ، ثم تلتفتُ راجعةً فتتبعُها حتى إلى<sup>(٤)</sup> مكانِها الأول ، فيقفُ فيه الرَّجُلُ ، وترجُسُ هي التَّهَمَّرَى حتى تصلَ إلى الخلُّ الذي كان واقفاً فيه الرجل . فحينئذٍ من يتأملُ يجد صف النساء

(١) العصائد جمع عصيدة .

(٢) في الأصل : والشوى .

(٣) كذا .

(٤) كذا في الأصل ، بعرف الغایة كدأب المؤلف في عدة مواضع من الكتاب .

ثبتت في مكان صفت الرجال وبالعكس ، (٢٠٩) وإذا كان هناك بعض شُبان لم يدخلوا في الصفت ، وإنحدر الصبابيا تريده أن يقابلها واحد منهم تالفة ، تخروج من الصفت وتنذهب إليه راقصة حتى تكتب شعرها على أنفه ، فيهيج ويصبح ويهز حربته ويمزح وراءها ، وإن لم يخرج كان ملوماً ، وعليه ولية للخارجته له .

وبعد أن يثبتت كل صفت في مكان الآخر ، تخروج النساء راقصات ، والرجال راقصين ، وكل منهم مقابل الآخر ، وكل شابة مقابلة لشاب ، حتى يتلاقى (١) الصفان في وسط المجال . وكل شابة تكتب رأسها في صدر وجه الشاب المقابل لها ، والشاب يهز حربته على رأسها ويصبح صياح الفرح ، وهذا الصياح عندهم يسمى : الرّفرقة . وكل من النساء والرجال ثمِيل (٢) ما شرب ، ولا يزالون هكذا حتى يأتي الليل ، فترجع كل طائفة إلى مقرّها ، ويؤتى لها بالأطعمة والأشربة .

هذا لا يخطر ببالك أنه ليس عندهم رقص إلاً هذا النوع ، وهو المسمى بـ رقص الدّاؤكة ، فهناك (٣) رقص آخر يسمى بالجليل ، وآخر يسمى : النق ، وآخر يسمى : شـكـنـدـرـي ، ورقص العبيد والإماء يسمى : توزي ، ورقص الفور (٤) يسمى : تندـنـيـحـه ، وهناك رقص آخر [للعبيد والإماء] (٥) يسمى : بـندـله .

(١) في الأصل : يتلاقا .

(٢) في الأصل : نمل ، بفتح الناء والميم .

(٣) في الأصل : وهناك .

(٤) في الترجمة الفرنسية ( Voyage, p. 229 ) أن هذا النوع من الرقص خاص بالفور الأصليين الذين يسمّيهم المؤلف أعيجـامـ الفـورـ وـهـمـ التـسـمـورـكـةـ والـكـراـكـيـرـ .

(٥) الزيادة على ضوء الترجمة الفرنسية ( Voyage, p. 229 ) .

وفي الأعراس كلُّ أنسٍ يرقصون نوعاً من هذه الأنواع . فالنساء الجميلاتُ بناةُ الأكابر يرقصن مع أمثالهنَّ من الشبان على الدلوكة ، وأواسط (٢١٠) النساء مع أمثالهنَّ من الشبانِ يرقصن الجليل ، ومن دونهنَّ (١) يرقصن [الـ] لائقى . فاما رقصُ الجيلِ : فتتقابلُ فيه النساء مع الرجالِ ، يرقصن باكتافهنَّ ويضربن بأرجلهنَّ المينى على الأرض ، والرجال كذلك ، لكن في كلٌّ حلقة هنالك نساء يغنين ، والناسُ ترقصُ على غنائهنَّ .

وفي رقصِ اللائقى : بعضُ النساء يغنين ، والشاباتُ والشبانُ يضربون (٢) بأرجلهم الأرض ، ويرقصُ كلُّ منهم برجليه المينى واليسرى ، لكن الشبانَ يكررون كريماً (٣) معروفاً لهم .

واما الشّكندري : فيجتمع الشبانُ والشاباتُ (٤) ، وكلُّ رجل يأخذ شابةً أمامه ، وتنحني هي ، ويمسك خصرها بيديه ، حتى يكونوا كلهم كدائرة مسللة ، أعني : الآتى تضع يديها على حقوئي الذكر الذي هو أمامها ، والذكر يضع يديه على حقوئي الآتى التي هي أمامه ، وكلهم منحنيون (٥) حتى يكونوا كدائرة تامة ، ويمشون رويداً رويداً ، مع ضربِ أرجلهم في الأرض ، لأجل يسمع (٦) رنين خالصيهنَّ ، والبناتُ التي يغنين خارجات عن الحلقة .

(١) في الأصل : دونهم .

(٢) في الأصل : يضربن

(٣) الكبير صوت في الصدر كصوت المنافق .

(٤) في الأصل : والشبات .

(٥) كذا ، بدل : منحنون .

(٦) كذا .

وأما البندَله: فهي من أنواع رقص العبيد، وهو أن العبد يأتي بالناًرِجِيل ، المسمى عندم بالدَّلِيب ، ويشبهه ، وهو أَكْرَه<sup>(١)</sup> مثل كُرة المدفع ، وينظم منه ثلاثة أو أربعاء خيط ، ويربطها في رجله اليمني كالخلخال<sup>(٢)</sup> . وكل عبد يفعل ذلك ، وتتفق جارية من الجواري<sup>(٣)</sup> خلفه ، ويكونون كدائِرَة ، ولم (٢١) كغير مخصوص . فيخرج العبد منهم لآخر في وسط الدائرة ، ويتحاول معه في اللعب ، وهذا اللعب مبني على القوة وخففة الجسم ، كما يلعب البهلوان . وبعد أن يتحاول ملبياً يضرب أحدُها صاحبَه برجليه التي فيها النارِجِيل ، فلا يخلو إما أن يُوقَه في الأرض أولاً، فالماهر هو الذي إنْ ضرب صاحبَه أوقعه . والباقي يرقصون رقصًا لاتِّكشَرَ فيه ، وكلهم يردون على المغنيات ، وهذه المغنيات خارجات<sup>(٤)</sup> عن الحلقة .

وأما التُّوزِي : فهو أن عبداً من العبيد يضرب على طبلٍ كبير ، والنساء والرجال حوله حلقَة ، وكل رجلٍ واضح يديه على حقوقِ امرأة ، وكل امرأة واضحة يديها على حقوقِ رجل ، لكن مع الانتساب والاعتداش ، لا مع الانحناء . ويسعون رويداً والنساء يضربن أرجلهن بعضها لترنَّ الخلخليل التي في أرجلهن ، ومشيهم كلهم في الدائرة على نظم نَقراتِ الطبل ، ويكونون أيضاً كدائِرَة ، والمغنيات خارجَ الحلقة .

وأما التَّنَدِّنِيحا : فهي لَعِب البرقد والفُور<sup>(٥)</sup> ، وهو أشباه بالتُّوزِي . وإنما الفرق بينهما في كونِ التُّوزِي يمشون فيه رويداً ، والتَّنَدِّنِيحا بحركاتٍ عنيفة .

(١) بهذا الضبط في الأصل . ولعل المقصود «أكْرَه» وهي لغية في الكرة .

(٢) في الأصل : ويربطها في رجله كالخلخال في الرجل اليمني .

(٣) في الأصل : الجواري ، بفتح الراء .

(٤) كذا .

(٥) في الأصل : خارج .

(٦) سبق أن ذكر المؤلف أن هذا الرقص هو رقص الفور ، ولم يذكر البرقد معهم . (قارن صفحة ٢٣٢ حاشية ٤) .

وبحقيقة العبارة لا تفي بذلك ، لأن المشاهدة شيء<sup>(١)</sup> آخر ، فربما يرى المشاهد شيئاً لا يمكن التعبير عنه .

ولكل رقص من الأرقص غناء مخصوص ، فأما غناء « الجيل » فنه قولهن<sup>(٢)</sup> :

يُوبَانِي هَنِ يُوبَانِينْ  
اللَّيلُ بُوبِي<sup>(٣)</sup> يَا لِمُتَقَالَ  
أَنَا رَاسِي إِنْدَار<sup>(٤)</sup>  
اللَّيلُ بُوبِي يَا لِمُتَقَالَ  
أَنَا رَاسِي إِنْدَار

وهذه الكلمات : « يُوبَانِي هَنِ يُوبَانِينْ » ، لا تعنى شيئاً ، لكن واحدها منه تنشد وتقول : « اللَّيلُ بُوبِي يَا لِمُتَقَالَ » ، فتقول النساء الآخر : « أَنَا رَاسِي إِنْدَار » .  
ومنه قولهن<sup>(٥)</sup> :

اللَّيلُ بُوبِي  
دَارْفُورْ جَفَّة<sup>(٦)</sup>  
أَنَا رَاسِي نَوَى<sup>(٧)</sup>

(١) في الأصل : بشى .

(٢) بوبى : ولى وانقضى Voyage, p. 232,429 .

(٣) المقصود بلفظ المتقال هنا : المحبوب الغالى Voyage, p. 429 .

(٤) أنا راسى اندار : أى نقلت وغلب عليها النعاس والمعنى : لقد انقضى الليل يا حبيبى الغالى ، ورأسى نقلت وغلب عليها النعاس ، فهم الى ، لتنام معى Voyage, p. 429 .

(٥) أى أن دارفور ليس فيها من يودنى ويعطف على .

(٦) نوى : نقلت وغلب عليهما النعاس ، Voyage, p. 232,429 .

ومنه قولهنّ :

فُرِيعَ الْجَانِيَّةَ (١)

سَبَبَتُو الْجَانِيَّةَ (٢)

وَيَا فُرِيعَا الصَّنْدَلَ

فِي وَيَتَنَا قَامَ رَنْدَلَ (٣)

وَأَمَا غَنَاءُ اللَّنْقِ فَهُنَّ قُولُهُنَّ (٤) : ٢١٣

يَاعِيَّانَ

جِيُوبَا الْمَالَ (٥)

نَهِيَضُ دَلْدَنْيَّيْحُ وَدِينَيَّهُ (٦)

صَبُوا دَرِيزَ الْخَيلَ فِي كَرِيوْ (٧)

(١) فُرِيع : تصغير فرع . والجانية : العطف والحنان .

(٢) الجانية : الجنائية ، ويقصد بها هنا : الحقد والغيرة .

(٢) رندل : لفظ فوراوى ، معناه . يحنون . والمعنى : يا حبيبي ، يا من تحنو على " وتأثيرني بعطفك دون بنات الجنى ، فائرت بذلك غيرهن وحقدهن ، أقم على

موذتك وحبكانا ليبقى عبيرك بقاء عبر الصندل Voyage, p. 429,30

(٤) المعنى المقصود : ايها الشبان ، اجلبوا الرقيق وبيعوه لتحصلوا على المال الذي تقدمونه مهرا عند زواجكم Voyage, p. 430

(٥) نهیض دلدنچ : سارعوا وانضموا الى دلدنچ . دلدنچ ودبنيه : هو دلدنچ ابن الاميرة بنية بنت السلطان . وقد طلب دلدنچ هذا من السلطان محمد فضل ان يأذن له بالقيام باغارة - على ظهور الخيل - على قبائل الفرتيت جنوبى دارفور لجلب الرقيق ، مما يعود عليه وعلى رفاقه بالشراء . وقد قيلت هذه الأغنية عقب عودته من حملة موفقة على قبائل الفرتيت Voyage, p. 430

(٦) درير الخيل : جلبتها . والمعنى : ان حملتهم التي عادوا منها على ظهور الخيل بالرقيق انتهت عند قرية كرييو Voyage, p. 430

تَهِيِّئُ دَلَانِيْحُ وَدِيلِيْكَهُ  
 وَأَمَا غَنَاءَ التَّنْدِنِيْحَا عِنْدَ الْفُورِ فَهُنَّ قَوْلَهُنَّ :  
 بَاسِي طَاهِيرِ دَقْلَا<sup>(١)</sup> .  
 بِي لَبَا وَدُوِينِيْحُ أَبَا<sup>(٢)</sup> .  
 كِتَاب مُضْعَفٌ لَنِيْحُ حَلْفِينَ فِيَا<sup>(٣)</sup> .  
 تَرِيمَدُو كَبِي رِيلَا<sup>(٤)</sup> .  
 تَارِنِيْحَا مُدُو صَقَل جُوَا جَبِي<sup>(٥)</sup> .  
 وَلَوْ تَتَبَّعُنَا غَنَاءَ أَنْوَاعِ الرَّقِصِ أَطَالَ الْحَالُ .  
 فَبَعْدَ أَنْ يَأْكُلُوا وَيُشَرِّبُوا يَزْفُونُ الْعَرَوَسَ بِالْدَلْوَكَةَ ، وَيَلْفُونُ بَهَا حَوْلَ الْبَلَدَ ،  
 وَيَأْتُونَ بَهَا لِلْمَحَلِّ الَّذِي أُعِدَّ لِلْدُخُولِ عَلَيْهَا فِيهِ . ثُمَّ بَعْدَ الْعِشاَءِ بَكِيرٍ تَجْتَمِعُ الشَّبَانُ ،  
 وَيَأْخُذُونَ الْعَرِيسَ وَيَزْفُونَهُ بِالْفَنَاءِ وَالرَّقْرَقَةِ ، حَتَّى يَأْتُونَ<sup>(٦)</sup> بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْمَعْلُومَ ،

---

(١) بَاسِي : أَمِيرٌ ؛ دَقْلَا : أَوْلَادٌ .  
 (٢) بِي : أَنْتُمْ ؛ لَبَا : أَنْفُسُكُمْ ؛ وَهِيَ وَالْعَطْفُ الْعَرَبِيَّةُ ؛ دُوِينِيْحُ : كِمْ  
 (ضَمِيرٌ مَتَّصلٌ) . أَبَا : أَبٌ .  
 (٣) لَنِيْحٌ : عَلَامَةٌ اضِفَافَةٌ ؛ حَلْفِينَ : قَسْمٌ ؛ يَمِينٌ ؛ فِيَا : الَّذِي أَقْسَمْتُمْ .  
 (٤) تَرِيمَدُو : اِنْكَشَفْتُمْ ؛ كَبِي : بَلْدَةٌ كَوْبِيَّهُ الَّتِي سَبَقَ النَّعْرِيفُ بِهَا ؛ رِيلَا :  
 رَفَعْتُمْ ، أَدْخَلْتُمْ .  
 (٥) تَارِنِيْحَا : أَقْدَامٌ ؛ مُدُو : خِيَانَةٌ ؛ صَقَل : شَيْخٌ ، مَلِكٌ ؛ جُوَا : تَجَازَوْتُمْ ، تَعْدَيْتُمْ ؛  
 جَبِي : جَدْرَانٌ ، حِيطَانٌ .  
 وَمَعْنَى الْأَغْنِيَّةِ : يَا أَوْلَادَ الْأَمِيرِ طَاهِيرَ ، لَقَدْ كُنْتُمْ حَلْفَتُمْ أَنْتُمْ وَأَبُوكُمْ عَلَى  
 الْمَصْحَفِ إِلَّا يَخُونُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَلَكُنْكُمْ حَنْثَتُمْ فِي الْيَمِينِ وَأَدْخَلْتُمُ الْخِيَانَةَ  
 فِي بَلْدَةِ كَوْبِيَّهِ ، لَأَنَّكُمْ تَجَازَنَمْ حَدُودَ جَدْرَانِهَا • Voyage, p. 233, 234, 431

(٦) كَنَا فِي الْأَصْلِ بِالنُّونِ .

فيجلسونَ خارجَهُ . وحينئذ جمِيع الشابات مجتمعة<sup>(١)</sup> مع العروس ، والشبان مجموعون عند الرئيس ، وقد (٢٤) استوزرَ الرئيسُ أعزَّ إخوانه ، لأنَّه حينئذٍ كالسلطان ، [وسموه : الوزير]<sup>(٢)</sup> واستوزرت العروس امرأة ، وسموها : ميرام .

فبعد أن يجلس الرجالُ مع عَرَبِيهِم يطلبونَ الميرام ، فلا تخرجُ لهم إلاّ بعد نحو ساعتين ، فيتقدَّم لها الوزيرُ ويسلِّمُ عليها بُطفَّه ، [و] يلتَمِسُ منها حضور العروس ، فتقولُ لهم : منْ أنتُمْ ، ومنْ أينْ جئْتُمْ ، وما هي العروسُ التي تريدونَ ؟ فيقول الوزيرُ : أمّا نحن فضيوف ، وقد جئنا من بلاد بعيدة ، ونريدُ الملِكَةَ توانس ضيوفها . فتقولُ له : أمّا الملِكَةُ فمشغولة بشغلٍ عظيمٍ ، وها أنا وكيلتها في ضيافتكم وقرائكم<sup>(٣)</sup> وما يلزم لكم . فيقولُ الوزير : نحن نعلم أنَّ فيك البركة والكافية ، لكن لنا معها كلام لا يمكن إفشاوه لغيرها . فتقولُ له : إذا كان كذلك ، فماذا للملِكَة ، وماذا لي ؟ لأنَّ عادتها ألا تبرُّزَ من حِيجارِها ، ولا تأتي لطَلَّاها إلا بجعل . فيقولُ : لها المال والأرواح وكلُّ ما طلبته .

فلا يزالُ يحاوِلها وتحاوله حتى يتراضيا ، وهذا كله والعروسة قريبة منهم وراء ستارة ، لكنَّها لا تتكلم بشيء ، والرئيس أيضًا ساكتٌ كذلك ، والمحاورة بين الاثنين .

فإذا وقع التراضي رفعت ستارة فتخرج العروس ، فيقولُ الوزير : أمّا الملِكَةُ فلم يملك ، وماذا لنا نحن ؟ فتقنادي الميرام للبنات<sup>(٤)</sup> التي مع العروس ، فيحضرنـ

(١) كذا .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) القراء بالفتح والمد ، كالقرى بالكسر والقصر .

(٤) كذا .

وتقولُ هنْ : أيتها البنات ، أريدُ منكُنْ في هذه الليلة أن تؤانسنَ (٢١٥) أضيافَ الملكةِ . فيقلنَ لها : حبياً وَكرامةً . [وحيثند تقدم الميرم<sup>(١)</sup>] - وهي تعلمُ كلَّ صبيةٍ ومحبوبها - فتقول : يا فلانة ، كوني مع فلان ، وأنتِ يا فلانة ، كوني مع فلان ، وهكذا حتى لا يبقى إلاَّ التي لا محبوب لها ، أو الذي لا محبوبة له ، فيأخذُ كلُّ شابٍ محبوبته ويبيتُ معها ، إنَّ وسِعَهم المُحلَّ الذي هم فيه .

وصورةُ ذلك : أنَّ بيتَ الرئيسِ وَعروسي ، والميرمُ والوزير ، وكلُّ زوجين معاً ، صفتانِ أو صفين ، على حَسَبِ سَعَةِ المَوْضِعِ ؛ وإنْ لمْ يَسْعِ المُحَلُّ جَمِيعَهُمْ ، يَقِيَّ مَنْ وَسَعَهُ<sup>(٢)</sup> المُحَلُّ مع العروسينِ ، وذهب الباق . فكلُّ شابٍ منهم يأخذ محبوبته ويتوجهُ بها إلى بيتها ، أو إلى بيت بعض أحبابها ، ولا يذهب بها إلى بيته ، لأنَّها لا تَرْضى ذلك ، لأنَّ عادتهم أن الشابَ متى ما أحبَّ صبيَّةً ، وعلمتُ أمَّها بذلك ، لا تقاومُه أبداً ولا يقاومُها ، وإذا رأته ف طريق ، ولم تَرَ لها مخلصاً منه برَّكت في الأرضِ وسدَّلتْ ثوبَها على رأسِها ووجهِها حتى يُرُّ ، وهو كذلك يفعلُ . يعني : إن رآها وعرفها ، يرجعُ على عقبِه هارباً إنْ أُمِكَنَه ذلك ، وإلاَّ أدار وجهَه نحوِ حائطٍ أو شجرةٍ حتى تمرُّ . ثم يرسلُ لها السلام إنْ كان معه أحد ، وكذلك هي تفعلُ بعد مرورِه ؛ [وإنْ لمْ يَكُنْ معه أحد ، ترسلُ له السلام إنْ كان معها أحد . وهذا كله عندهم من نوع الحياة والتعظيم .

وعندَهم أهلُ الزَّوْجَةِ محترمون ، فآمُلُها (٢١٦) كاملاً بل أشدَّ احتراماً ، وأبوها كأبيه بل أشدَّ ، وإنْ خوتها كإخوته ؛ وهي مثلُه في ذلك ، إذا رأتْ أمَّه أو أباً فرَّتْ وسلَّكتْ طريقةً غيرَ طريقيهما ، وترسلُ السلامَ [إليه] أو يُرسَلُ إليها ، ولا تواجهُ أحداً منها ، وتعتبرُ أباً

(١) زيادة يقتضيها السياق وهي عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 236

(٢) في الأصل : وسِعَه ، بفتح السين .

كأيها ، وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ، ولذلك تذهب مع محبوها إلى محل آخر ، ولا ترضى أن تذهب معه إلى بيته ، بل إن صفات الأماكن يكتنفها الناس ، وليس هناك دار سوى دار أبيها ، لا تذهب معه إليها ، بل يذهبان إلى الخلاء ويبقان فيه .

وأما دار أبيها ، من حيث أن لها ملائكة معداً لذلك ، يبيت معها فيه من أرادت ، ولا يراها أبوها ، فإن الرجل يذهب معها إليه وينخرج عند الفجر ، وأبواها نائمان ، فلا يراه أحد منها .

ولرجوع إلى ما نحن بصدده فنقول :

ثم يبيتون تلك الليلة ، فإذا أصبح الصباح قامت كل صبية وتوجهت إلى بيت أبوتها ، فتصليح شأنها ، أعني : أنها تعسل وجهها وأطرافها ، بل ربما اغتسلت ، ثم تتطيب وتكتحل وتجدد زيتها ، وكذلك العروس تدخل عند أمها فتصليح شأنها ، وكذا الرجال يذهبون إلى ديارهم إن كانت قريبة ، فإن كانت بعيدة كان كنوا من بلد أخرى ، يذهب كل منهم إلى دار صاحب له ، فيصلح شأنه هناك . وكذلك النساء ، إن كانت (٢١٧) المرأة من بلد أخرى ، تذهب إلى دار حبيبة لها ، تصليح شأنها فيها ، لأن الشابات اللائي حضرن للعرس ، مع كل شابة منهن كحلها وعطرها وما تحتاج إليه ، فتصليح شأنها ، ويجلسن حتى يقرب الضحى ، فتأنى المديّر إلى محل الزفاف ، والعرس غائب عنه - أعني : عند قيامه لإصلاح شأنه هو الآخر - فتقمه<sup>(١)</sup> وتنظفه وتفرشه وتهبئه مجالسه هي وبعض صواحبها<sup>(٢)</sup> ، فيأتي العريس فيجده نظيفاً ، فيجلس هو وزيره ، وتهلل عليه الشبان فيجلسون معه .

(١) قم البيت كرسه (القاموس) .

(٢) في الأصل : صواحبها . والصيغة التي ابتناها في المتن مسترد في الصفحة بعد التالية . وانظر صفحة ١٦٠ ، حاشية ١ .

ثم أصحاب العرس بالخيار ، إن شاءوا جعلوا السبعة أيام<sup>(١)</sup> كلها بالرقص والدلوسكة ، وإن شاءوا اقتصروا على يوم واحد . فإذا ظهر اقتصارهم جلس الضيوف إلى وقت الغذاء<sup>(٢)</sup> ، وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهن إلى بيته ، ولم يبق إلا أهل البلد الذي هم فيه . وإن لم يروا الاقتصار ، وعلموا أن أصحاب العرس يريدون أن يمتد عرسهم إلى السبعة أيام<sup>(١)</sup> ، أقاموا . ويظهر ذلك بتتجدد الذبائح وعصر التمور والتهبي .

#### تنبيه :

اعلم أن أهل كل بلد من البلاد الذين دعوا إلى مثل هذه الوليمة ، يأتون إما بقرتين أو ثورتين أو بقرة أو بشياها ، إعانة لصاحب الوليمة . وإن كان لهم أقارب خارجين<sup>(٣)</sup> عن بلدتهم ودعوا ، يأتون بأنوار أو بقر غير ماتأته به أهل بلدتهم<sup>(٤)</sup> إعانة ، ثم يمكثون نهارهم كله في لعب وضحك وانسراح وأكل وشرب وطيب محادثة إلى العصر ، فتضرب الطبoul التي هي الدلوسكات ، ويفعلون مثل ما فعلوا في اليوم السابق ، حتى إلى الليل ، ففيأتمهم الطعام والشراب ، وبعد فراغهم من ذلك يجتمعون رجالاً ونساء في محل الزفاف ، فيتحادثون حتى إلى نحو نصف الليل . ثم يأخذ كل شاب حبيبته وبيت معها حيث باتاً أسمهما ، وينبقون على ذلك المدة المذكورة .

وإذا أعزَّ الأمر إلى الذبائح ، بأن كان ما أعد للذبح لم يكُف من حضر ، خرج أبو العروس أو أخوها أو أحد أقاربه إلى المراعي ، فكل ما وجده من البقر أماته ، عقر منها ثوراً أو ثورتين أو بقرة أو شيئاها . وبعد العقر يرسل الجزارين فيذبحون العقير<sup>(٤)</sup> ويأتون

(١) كما .

(٢) كما في الأصل : بالدال .

(٣) كما .

(٤) العقير : المعمور ، اي : المجروح .

بلغمه إلى الضيوف وهكذا ، فإذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو ، إما أن يطلب الشمن  
فيؤذضونه ، أو يسكت حتى يبقى له عرس أو لأحد أقاربه ، فيعقر هو الآخر ما يريد  
من بقر من عقر بقره ، ودقة بدقة .

ولذلك إذا عمل عرس تختلف أرباب المواشى من العقر ، فيأمرون رعاهم أن  
يُبعدوا بها في الخلاء ، لأنهم لا يعقرُون إلا من الأموال القرية المراعى . وهذه سنة  
جاربة فيهم .

وفي تلك المدة [ تكون العروس كالمملكة ] ، وصواحباتها معها في لعب وانسراح ؛  
والعرس كذلك .

ومن (٢١٩) عادتهم : أن العريس لا يفتخض عروسه إلا بعد السبعة أيام<sup>(١)</sup> ، مع أنها  
بيهتان متعاقدين لا حائل بينهما ، ويجعلون ذلك كرامة لها والأبوة لها ، لأنهم يقولون : الليلة  
الأولى في كرامة أبيها ، والثانية في كرامة أمها ، والثالثة في كرامة أخيها — إن كان —  
أو أختها ، وهكذا حتى تتم السبعة أيام . ومن استعجل وفض قبل تمام ذلك ، غريب<sup>(٢)</sup>  
عليه وقالوا : قد استعجل . ولكن من المحال أن يفتخضها قبل ثلاثة ليال .  
عجيبة :

من عوائدهم : أن المرأة لا تأكل أمام زوجها ولا غيره من الرجال . وإذا  
دخل زوجها وهي تأكل قامت وفرّت ، وهذا عندهم من أكل الحياة ، ويقبّحون على  
المرأة التي تأكل أمام الرجل . وحين كنت هناك ، ورأيت ذلك قلت لهم : أستحي  
من الأكل مع الرجل ، ولا تستحي من النوم معه ، وأنه يدخل بين شعبها ، ويولج فيها ،

(١) كذا .

(٢) بهذا الضبط في الأصل .

ويرى فرجها وما هي عليه؟ قالوا: ذلك لا ضرر فيه؛ وأما [أن] تفتح فاها، وتدخل فيه الطعام أمام الرجل، فهذا شيء قبيح. انتهى.

ومن عادتهم: أن الرجل لا يأخذ عروسه ويبيها في بيته ، بل في بيت أمها وأيتها ، ولا تخرج معه حتى تلد ولدين أو ثلاثة ، فإن طبئها للنفقة معه قبل ذلك أبت عليه ، وربما وقع الطلاق بينهما بسبب ذلك .

ومن عادتهم: أنها لا تذكر اسمه على لسانها أبداً ، بل دائمًا (٢٢٠) تقول : قال لي كذا وكذا . فإذا سئلت : من الذي قال؟ تقول : هو . حتى يولدها فتني ولد لها قالت : أبو فلان ، أو : أبو فلانة . باسم من يولد ، إن كان ذكراً أو أنثى .

ومن عادتهم : أن الرجل لا ينفق على المرأة بعد الزفاف إلا بعد سنة ، فإن جاء بشيء قبل السنة ، جاء به على سبيل المدينة ، مع أنه لا يأكل إلا أعز ما يأكلون . فيمكن أنهم طبخوا شيئاً قبيحاً لهم ، من المأكل الرديئة ، وينجحون له دجاجاً أو حماماً أو حمراً .

ومن عادتهم : أن الرجل مدة ما هو في بيت أبي زوجته ، يصنعون له طعاماً جميلاً جداً ، غير العشاء ، يتناوله بالليل ، إما مرة أو مرتين أو ثلاث [مرات] . ويسمون الأولى بلغة الفور : جرى جرانج ، والثانية : تارنجيا جيسو ، والثالث : صبيخ جلو . ومرادهم بذلك تقويته على الجماع ؛ وأما اسمه بلغتهم العربية : ورانية . وأكثر الأغذية يأكلون بعد أكلهم العشاء ، لأنهم ربما جاءهم ضيف ، فلم يتمكن من الشبع لحياته من الضيف ؛ أو كان العشاء غير جيد ، فلا بد له من «ورانية». ومعنى قولهم : جرى جرانج :

انزعَ القيصَ . فإنَّ جُرِي ، معناه : قيص ؛ وجَرَانِيجَ ، معناه : انزع . وتارِنجِيا  
جيسيُو ، معناه : مَسْكُ الرِّجْلِ . فإنَّ تارِنجِيا ، معناه : رِجْلٌ ؛ وجِيسُو ، معناه : مَسْكٌ .  
وصُبْحَ جَلُو ، معناه : طلوعُ الفجرِ .

وأَمَا الورَانِيَةُ : فهي عربية منسوبةٌ لوراء ، ضد الأمام ، لأنَّه يأكلها وراء  
المشاء ، أي : بعد ما(٢٢١) يأكل العشاء . ولهذا تجد بعض الناس ، إذا كان عنده من  
يُعِزُّ عليه من الإخوان ، وحضر العشاء معه ، وأراد أن يقول ، يمنعه حتى ينفض المجلس ،  
ثم يدعو خادمه ويقول : هل من شىء يؤكل ؟ فيأتيه الخادم بالورانِيَة ، فيما كلان معا ،  
وهذا لا يفعل إلا مع أعز الأصدقاء . وهذه الورانِيَة تتفق أحياناً للاضيق المفاجيء ، بالليل  
الداجي ؛ وهذا كلُّه إن كان عرساً .

فإن كان ختناً فعلوا ما ذكرناه من استحضار الأطعمة والمزرات وأم بذبل  
والدَّينزِ آياً<sup>(١)</sup> ، ودعوا الناس ، ورقصوا على الدَّلَالِيك ، وزفروا المظاهر<sup>(٢)</sup> ، وجاء المزَّين ففتحته  
وابوه واقف . فإن بكى المظاهر نَفِر<sup>(٣)</sup> أهله منه ، وتركوه ومضوا . وإن صبر حال الختن ولم  
يُبُوك ، قال أبوه : اشهدوا يأهل المجلس ، أني أعطيت ولدي بقرة أو ثوراً أو عبداً  
أو أمة ، مما يقدر عليه . وقالت أمه كذلك . وكل من حضر من أهله يهدى له شيئاً .  
فإن كان أهله أغنياء ناله منهم شيء كثير ، فيصير غنياً . وذلك كلُّه بحسب غناء أهله

(١) في الأصل : الدنزايا بدل مفتوحة بعدها نون ، وقد وردت اللفظة في ص ٢٣١  
كما أثبتناها في المتن وكما وردت في الترجمة الفرنسية .

Voyage au Darfour, p. 244.

(٢) أي : المختون .

(٣) في الأصل : ففر .

وقدِّرُهم . ثم يجتمعُ أثْرَابُه في ثالثِ يومِ الطَّهُور<sup>(١)</sup> ، ويأخذون السَّفَارِيكَ ، ويَجْمُوسُون خلَالَ الْبَلَدِ يضرِّبون الدَّجاجَ ، فيقتلون دَجَاجًا كثِيرًا وفي رابعِ يومٍ إلى اليومِ السابعَ ، يذهبون إلى الْبَلَادِ الْمُجاوِرِ لَهُمْ ، فلَا يَرَوْنَ دَجَاجَةً إِلَّا قَتَلُوهَا ، وكلَّ يومٍ يَتَوَجَّهُوا<sup>(٢)</sup> لِبَلَدٍ ، يقتلون دَجَاجَهَا ، وأصحابُ الدَّجاجَ لَا يَرَوْنَ بِذَلِكَ بَأْسًا .

وإِنْ كَانَ خِفَاضًا فَمُلُوْا فِيهِ كُلَّ مَا ذَكَرْنَا إِلَّا الدَّجاجَ فَلَا يَقْتُلُونَهُ . وَالخِفَاضُ لَا يَقْتَلُونَ فِيهِ كَانِيَتَانِ . وَمَا ذَكَرْنَا يَعْلَمُ الْوَاقِفُ عَلَى رَحْلَتِنَا ، أَنَّا اسْتَقْصَيْنَا جَمِيعَ ذَلِكَ لِتَامِ الْفَائِدَةِ ، وَحَسْنِ الْعَائِدَةِ .

وَاعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ دَارِفُورَ لَا يَسْتَقْلُونَ بَشَّيْءٍ فِي أُمُورِهِمْ بِدُونِ النِّسَاءِ ، بِلَ إِنَّهُنْ تُشارِكُهُمْ<sup>(٣)</sup> فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، إِلَّا الْحَرْبِ الْعَظِيمَةِ . وَلِذَلِكَ [فَإِنْ] عُرْسًا لَا يَتَمَّ إِلَيْهِنَّ ، أَوْ حُزْنًا كَذَلِكَ . وَلَوْلَا هُنَّ مَا اسْتَقْتَامَ لِأَهْلِ دَارِفُورِ شَيْءٍ ، فَتَرَى النِّسَاءُ يَحْضُرُنَ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : الْأَذْكَارِ ، وَهِيَ عَلَى ضَرِّيْنِ : ضَرَبَ يَفْعُلُهُ أَهْلُ الْبَلَادِ الْمُسْتَقْبِلُونَ ، أَعْنِي : مَنْ لِيْسُوا بِعَجَمٍ ، وَضَرَبَ يَفْعُلُهُ أَعْجَامُ الْفُورِ .

فَأَمَّا الْأُولَى ، فَهُوَ مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ شِيْخٍ مِنَ الصَّوْفِيَّةِ ، أَوْ وَلِيٌّ مِنَ الْأُولَى إِيَّاهُ . وَعَلَى كُلَّ فَتَحْضُرِ حَلْقَةِ الذِّكْرِ امْرَأَةٌ تُنْشِدُهُمْ ، وَالنِّسَاءُ خَلْفَهُمْ قَوْفٌ لَا يَتَكَلَّمُنَّ ، بِلَ يَنْظُرُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ وَأَقْارِبَهُنَّ ، لِيَعْلَمَنَّ أَيِّهِمْ أَحْسَنُ ذِكْرًا . وَقَدْ يُنْشِدُ رَجُلٌ ، وَالنِّسَاءُ يَسْمَعُنَّ ، كَبْقِيَّةُ الرِّجَالِ .

(١) الطَّهُورُ : الختان .

(٢) كَذَا .

(٣) كَذَا .

ومن ذلك ما وقع أن تلميذَ الشِّيخِ دَفْعَ اللَّهِ، حضرَ حَلْقَةً ذِكْرِ تلاميذِ الشِّيخِ  
يعقوبَ، وبينَ تلاميذِ الشِّيخِينِ معانَدَةً، فلما سَمِيَ الذِّكْرُ، أرادَ أحدُ تلاميذِ الشِّيخِ  
يعقوبَ أن ينَكِّتَ على تلميذِ الشِّيخِ دَفْعَ (٢٢٣) اللَّهِ، فقالَ :

الْمَا عِنْدُ شَيْخًا فَرَاجَابَا<sup>(١)</sup>  
لَا يَدْخُلُنَّ دَرَقَةً وَنَشَابَا<sup>(٢)</sup>  
الْمَا عِنْدُ شَيْخٍ مَهِيبٍ  
لَا يَدْخُلُ حَلْقَةً يَعْقُوبَ<sup>(٣)</sup>

فسمعَ تلميذُ الشِّيخِ دَفْعَ اللَّهِ، وعلمَ أَنَّهُ عَنَاهُ بِذَلِكَ، فقالَ :

نَدْخُلُنَّ وَيَسْرُقُنَّ<sup>(٤)</sup> مَتَعَافِي  
بِالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ أَلْصَافِي<sup>(٥)</sup>  
دَفْعُ اللَّهِ فَوْقِ طَوَافِ<sup>(٦)</sup>

نادرة :

حضرتْ امرأةً فِي حَلْقَةِ ذِكْرِ، وَأَنْشَدَتْ :  
نُصْفِي لَكُمْ مَرِيسَةً دُوَانِي

(١) الما عندو : الذي ليس عنده ، فراجابا : مبارك يحمى أتباعه .

(٢) لا يدخل درقه ونشابا : لا يعرض نفسه للمخاطر .

(٣) المعنى : من لم يكن تابعاً للشيخ مبارك مهيب يستطيع حماية أتباعه فلا يعرض نفسه للأخطار بالدخول في حلقة شيخنا يعقوب . Voyage, p. 247,434

(٤) نمرق : نخرج .

(٥) بهذا الضبط في الأصل .

(٦) المعنى : نحن ندخل حلقة ذكر الشيخ يعقوب ونخرج منها سالمين . وذلك بفضل سلامة نيتنا وأعمالنا الصالحة وبفضل رعاية شيخنا دفع الله .

Cf. Voyage au Darfour, p. 247,435.

وَأَنَا عَزَّبًا بَسِيْتِي طَرْفَانِي  
يَا فُقَرَاءِ مَا فِي كُمْ زَانِي

فسموها الذاكرون ، وكان فيهم شابٌّ فهم المعنى ، وكان يقول : الله حَنْ . فصار يقول : أنا زانِي ، أنا زانِي <sup>(١)</sup> .

وأما أجيام الفور فيقولون في الذُّكْر صَفَنْ أو حَنْقَة ، وكلُّ رجلٍ منهم خلفه صَبِيَّة ، والنساء يُنْشِدُنَّ ، وهم يَذَكُّرُونَ ، وذَكْرُهُمْ كَرِيرٌ ؛ فن إنشادِهنْ قولهنْ : (٢٤)

كُرُو كِرُؤُ يَسِ عَالِمًا نِمَا  
صِحْ لَنْيَحْ كُويِسِ جَنَّه  
صِحْ لَنْيَحْ كُويِسِ

ومعنى ذلك :

كُرُو ، معناها : شجرة ؛ وَكِرُؤُ ، معناها : خضراء ؛ وَعَالِمًا نِمَا ، معناه ؛  
ظلُّ العلماء .

وصحح لَنْيَحْ كُويِسِ [جَنَّة] ، صِحْ لَنْيَحْ كُويِسِ . معناه : صحيح نمشى  
إلى الجنة . صحيح نمشى إلى الجنة <sup>(٢)</sup> .

ومعناه :

إن الشجرة الخضراء ظلُّ العلماء ،

(١) يتضح من هذه العبارة أن التونسي كان يهبط أحياناً إلى مستوى لا قيمة له في أخبار رحلته العظيمة . ولا يستطيع المحققان أن يجدوا تفسيراً لاهتمامه بهذا النوع من التوارد وأمثاله . ومع هذا فإن الألفاظ الواردة في هذه النادرة لم تكن تستغرب من خليع يندس بين الناس أو من خلية .

(٢) العنى في الترجمة الفرنسية هل صحيح نمشى إلى الجنة ؟ نعم صحيح نمشى .

وَنَحْنُ نَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَقًا ،  
نَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَقًا .  
وَمِنْهُ قَوْلُهُنَّ :

جَبَرَائِيلُ مِيكَائِيلُ<sup>(١)</sup>  
كُلُّ سَيْبَا مُلْكًا أَجْنَّةَ

وَمِنْهُ قَوْلُهُنَّ :

جَبَرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ ،  
كُلُّ حَسَنَةٍ يَمْلِكُ بَهَا إِنْسَانٌ<sup>(٢)</sup> الْجَنَّةَ .  
وَمِنْهُ قَوْلُهُنَّ :

اللَّهُ قُوَيَا<sup>(٣)</sup> اللَّهُ  
شَهْرٌ رَمَضَانَ اللَّهُ أَنْدَوَا<sup>(٤)</sup>  
كَافَارِنْبِيَّةَ

وَمِنْهُ قَوْلُهُنَّ :

اللَّهُ ، يَا إِمَامَ<sup>(٥)</sup> اللَّهِ ،  
شَهْرُ رَمَضَانَ دَوَاهُ اللَّهِ ،  
فَافْرَحُوا بِهِ ،

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ ، لَوْ تَتَبَعَنَا خَرْجَنَا إِلَى الإِسْهَابِ ، وَجَلَبْنَا الْمَلَأَ لِأُولَى  
الْأَلْبَابِ . وَفِيهَا ذَكْرُ نَاهٌ كَفَايَةً . لَكِنْ مِنْ حِيثُ أَنَّا تَكَلَّمُنَا فِي التَّزْوِيجِ ، وَمَا<sup>(٢)</sup> (٢٢٥)  
يَتَعَلَّقُ بِهِ ، عَنَّا أَنَّا نَذَكِرُ نُبَذَّةً فِي حُجَّابِ النِّسَاءِ ، وَهُمُ الْمَسْمُونُ فِي مَصْرِ الْطَّوَاشِيَّةِ ،  
وَبَأْغَوَاتِ الْحَرِيمِ ؛ وَبِالْتَّرْكِيَّةِ : قُزُلَّرُ أَغَلَّرُ ، لَأْنَهُمْ أَمْنَاءُ عَلَى الْحَرِيمِ ، وَنَقُولُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : جَبَرَائِيلُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : لِلإِنْسَانِ .

(٣) قُويَا : بَنَاتٌ ، امَاءٌ ،

(٤) أَنْدَوَا : أَنْ : عَلَامَةُ اضْفَافَةٍ ، دَوَا : دَوَاءٌ .

(٥) كَذَا بِضمِ الْهَمْزَةِ .

## الفصل الثاني<sup>(١)</sup>

### في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشية

لما كان الحق سبحانه وتعالى غيرًا على عباده وتحاربه ، منتقلاً من تمدّى حدوده بارتكان متأمّله ، وكانت الغيرة وصفاً من أوصافه ، ولذا حرم الظلم على نفسه وخلافه ، جعل الغيرة مركزة في طباع بني آدم ، من زمن سلف وقادم . وأول من غار قايل على أخيه إقليلها ، لما أمر آدم أن يزوجها من هابيل ويزوجه من أخيه ذميا . فكان من الغيرة من أمرها ما كان ، وقتل قايل أخيه كاورد بنص القرآن . بل قد تُوجَد الغيرة في غير بني آدم من الحيوانات ، فيغير<sup>(٢)</sup> الحيوان على أشهه وتحصل المعارضات ، سِيئاً والنساء أكثر شبيقاً وغامقة ، ولا مروءة تنتهي ولا همة . وكان بعض الناس بلغ في الغيرة أعلاها ، وارتقى إلى مقتهاها ، حتى إن بعضهم لا يرَون النساء إلا كإماء ، ومنهم من هو كثير الغيرة ، حتى من الإخوان والأبناء . بل منهم من يغار في الغيرة ، فصار يغار عليهم من الليل والنهار ، ومنهم من يغار من عيون

(١) في الأصل : فصل .

(٢) المضارع من غار ، في الفصحى : يغار ، وفي العامية : يغير كما استعمله المؤلف هنا ، إلى جانب استعماله للصيغة الفصحى بعد عدة أسطر حيث يقول : « فصار يغار عليهم » ، ولعله أراد التفرقة في اللفظ بين غيرة الإنسان وغيره الحيوان فاستعمل للإنسان صيغة : يغار ، والحيوان صيغة : يغير .

النرجسِ أنْ تراه ، كَمَا قَالَ الشاعر ، (٢٢٦) مِنَ السَّكَامِ :

غُصَّى جُفونَكِ يَا عَيُونَ النَّرجِسِ مِنْكِ اسْتَحِيْتُ بِأَنْ أَقْبَلَ مُوَانِسِي  
نَامَ الْحَبِيبُ تَذَبَّلَتْ وَجْنَاهُ وَعِيُونُكُنَّ شَوَّاخِصُ لَمْ تَنْعَسِ  
وَبَالْغَ بَعْضُهُمْ حَتَّى إِنَّهُ غَارٌ عَلَى الْمَحْبُوبِ ، مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ الْمَحْبُوبِ ، وَمِنَ الزَّمَانِ  
وَالسَّكَامِ ، كَمَا قَالَ الشاعرُ ، مِنَ الْوَافِرِ (١) :

أَغَارُ عَلَيْكِ مِنْ عَيْنِي وَمَنْيِي وَمِنْكِ وَمِنْ مَكَانِكِ وَالزَّمَانِ  
وَلَوْ أَنِّي وَضَعْتُكِ فِي جَفُونِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِي  
وَمِثْلَهُ قَوْلُهُ ، مِنَ الْوَافِرِ (٢) :

فَلَوْ أَمْتَسَى عَلَى تَلَفِي مُصِرًا لَقُلْتُ : مُعْذِّبِي ، بِاللهِ زِدْنِي  
وَلَا تَسْمِيْخ بِوْضُلِكَ لِي ، فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ ، فَكَيْفَ مِنِّي  
وَارْتَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَعْلَى الْمَبَالَغَةِ ، فَعَارَ مِنَ الضَّمِيرِ حِيثُ قَالَ ، مِنَ الطَّوِيلِ :  
أَغَارُ عَلَيْسِهِ مِنْ ضَمِيرِي فِيَاللهُ هُوَ رَابِّي حَتَّى اتَّهَمَتُ جَوَارِحِي  
فَتَحَيَّلَ النَّاسُ فِي حِرَاسَةِ الْحَرَمِ ، لِمَا عَنْهُمْ مِنْ دَاءِ الْغَيْرِيَةِ الْمُقْعِدِ الْمَقِيمِ . فَارَأُوا  
أَحْسَنَ مِنْ حِرَاسَةِ إِنْسَانٍ يَكُونُ مَقْطُوعَ أَعْضَاءَ التَّنَاسُلِ ، وَهُوَ الَّذِي تَطْمَئِنُ إِلَيْهِ  
النُّفُوسُ فِي الْتَّاجِلِ وَالْأَجِلِ .

وَأَكْثَرُ النَّاسِ احْتِياجًا لِذَلِكَ الْمَلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ ، لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَجْمِعُ  
مَا قَدِيرَ عَلَيْهِ مِنْ النِّسَاءِ بِلَا مِرَاءً . وَلِمَا كَانَتْ مَلُوكُ الشُّوَدَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ لِلنِّسَاءِ جَمِيعًا ،

(١) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : الْهَرْجُ .

(٢) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : الْهَرْجُ .

وأبد لهم في ذلك وسعاً، كان يوجد عند الملك من الخصيـان (عدد كثـير، وجـمـ غـيرـ، فيوجـدـ عندـ سـلطـانـ دـارـ الفـورـ نحوـ الـأـلـفـ أوـ أـكـثـرـ، وـعـلـيـهـمـ مـلـكـ مـنـهـمـ، وـهـمـ لـهـ كالـعـساـكـرـ. وـهـوـ الـذـىـ يـرـتـبـ فـيـ بـيـتـ السـلـطـانـ ماـ يـلـزـمـ مـنـهـمـ للـحـراـسـةـ، وـيـبـقـيـ عـنـدـهـ مـاـ زـادـ إـلـىـ وـقـتـ الـحـاجـةـ.

والـخـصـيـانـ مـسـكـرـمـونـ عـنـدـ الـأـكـابـرـ، خـصـوصـاـ فـيـ دـارـ الفـورـ، فـإـنـ لـمـ فـيـهاـ سـطـوةـ وـأـئـيـ سـطـوةـ، وـالـكـلـمـةـ النـافـذـةـ وـالـقـوـةـ؛ وـ[ـلـهـمـ] مـقـامـ وـمـقـالـ، وـحـالـ لـاـ يـمـاـلـهـ حـالـ، حـتـىـ إـنـ لـهـمـ هـنـاكـ مـنـصـبـينـ جـلـيلـيـنـ، لـاـ يـتـوـلـهـمـ غـيرـ خـصـيـيـ: أـحـدـهـاـ مـنـصـبـ الـأـبـوـةـ<sup>(١)</sup>، وـالـثـانـيـ مـنـصـبـ الـبـابـ، وـأـفـوـلـ: إـنـ مـنـصـبـ الـبـابـ غـيرـ مـخـتـصـ بـدـارـ الفـورـ، بلـ فـيـ تـوـنـسـ، وـفـيـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ كـذـلـكـ.

وـأـصـلـ الـخـصـيـانـ الـذـينـ فـيـ دـارـفـورـ، مـنـ بـلـدـ رـوـنـجـيـ، يـخـصـوـنـهـمـ هـنـاكـ، وـيـأـتـوـنـ بـهـمـ إـلـىـ دـارـفـورـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـهـدـيـةـ، لـكـنـهـمـ كـثـيـرـونـ جـداـ؛ وـمـنـهـمـ يـخـصـيـ فـيـ دـارـفـورـ.

ولـقـدـ رـأـيـتـ، حـينـ كـنـتـ هـنـاكـ، غـلـامـاـ حـسـنـ الـوـجـهـ، جـيـلـ الـصـوـرـةـ، فـيـ نـحـوـ الـثـانـيـةـ عـشـرـ، خـيـرـيـ فـيـ دـارـفـورـ. وـسـبـبـهـ أـنـهـ كـانـ مـنـ خـدـمـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ فـضـلـ، وـأـحـبـ غـلـامـيـهـ الـذـينـ رـبـواـ فـيـ الـبـيـتـ، وـكـانـ لـهـ سـعـدـ قـائـمـ، تـحـبـهـ الـذـنـاسـ، لـقـضـاءـ أـوـطـارـهـنـ غـيرـ الـخـنـاءـ<sup>(٢)</sup>. وـكـانـ اـسـمـهـ: سـلـيـمانـ تـيرـ، فـسـدـهـ أـقـرـانـهـ، وـنـمـواـ عـلـيـهـ عـنـدـ السـلـطـانـ، فـفـضـبـ عـلـيـهـ وـأـرـادـ قـتـلـهـ، فـأـشـارـ عـلـيـهـ بـعـضـ وـزـرـائـهـ بـخـصـيـهـ، وـقـالـ لـهـ: مـنـ حـيـثـ أـنـ الـأـمـرـ<sup>(٢)</sup> كـذـلـكـ، اـقـطـعـ مـاـ يـؤـذـيـكـ بـهـ وـلـاـ قـتـلـهـ. فـخـصـاءـ وـعـاشـ وـاجـتمـعـتـ

(١) أي: منصب الأب الشـيخـ وقد سـبـقـ شـرـحـهـ فـيـ صـ ٦٤ـ .  
(٢) كـذـاـ بـالـمـدـ فـيـ الـأـصـلـ مـرـاعـاةـ لـلـسـجـعـ وـالـخـنـاءـ، بـالـقـصـرـ: الـفـحـشـ .

عليه ، وكان ذا منصبٍ جميل وأبهةٍ حسنة ، إلا أنَّ السُّلطانَ كان لا يألفه [لعدم]  
صلاحه<sup>(١)</sup> ، ولما قيلَ فيه .

ولقد سمعتُ من ثقلياتِي أنه أحبَّل امرأةً [من جواري السُّلطان]<sup>(٢)</sup> وظهر حملها ،  
فسئلتُ فقلتُ : مِنْ سليمانٍ تير ، فغضبَ عليه السُّلطانُ ، وخَصَاهُ وبعد أنْ بَرِئَ  
أعطاه المرأةَ ولدَها . وقد ذكرنا سابقاً أنَّ [الأب] الشَّيخَ محمدَ كُوكَا كان أثِرَّهم بما أثَرُّهم  
به سليمانٍ تير ، فنَحَّى نفسه بيده دفعته للرَّيب<sup>(٣)</sup> ، فحُظِيَ<sup>(٤)</sup> عند السُّلطانِ وصارَ ماصارَ  
منْ أمرِه .

#### نُكْتَةٌ :

ما وقع منْ عَتُوهُمْ وَجَهْرُهُمْ ، أنَّ اجتمعَ بعضُ أُمَّاءِ الْفُورِ في محلٍ انتشارِ  
ونزهَةٍ وانبساطٍ ، وكانُ فيهم خَصِيُّ ، فجعَلُوا يأكلونَ ويشربونَ ، وانلخصُ  
كواحدٍ منهم . فاتفقَ أنَّ واحداً منْ هؤلاءِ الأُمَّاءِ [كان] معه مِندِيلٌ منْ حريرٍ ،  
فأبْرَزَهُ في المجلسِ وقال : هل تعلمونَ لماذا يصلاحُ هذا المِندِيل؟ فقال أحدُهم : هو يصلاحُ  
لمسحِ العَرقِ . وقال الآخرُ : هو يصلاحُ للتَّجَمِيلِ والزِّينةِ . وقال آخرُ : هو يصلاحُ لأنَّ  
يُجعلَ على صدرِ ابنةِ جميلةٍ . وتفقَّدَ واحدٌ يقولُ ما بدَّله ، وصاحبُ المِندِيلِ  
يقولُ : لا . ولما أعيَّهم أمرُه قيلَ له : قل لنا أنت ، لماذا يصلاح؟ فقال :  
هذا يصلاحُ لمسحِ بعدِ الجماعِ . فاستحسنوا قوله وسكتُوا . فـ راعُهم إلا أنَّ  
قامَ انلخصُ<sup>(٥)</sup> مِنْ بينِهم صالتا<sup>(٦)</sup> (٢٢٩) سيفَة ، يرِومُ قتلَ صاحبِ المِندِيلِ ، وقال

(١) في الأصل : اصلاحه .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية .

Voyage au Darfour, p. 254.

(٣) انظر ص ٦٢ حاشية ١ وكذلك ص ٨٠ .

(٤) بهذا الضبط في الأصل .

(٥) كذا ، بدل : مصلنا .

لَهُ : أَتَعْرِضُ بِي أَنِّي مَقْطُوعٌ ؟ لَابْدُ مِنْ قَتْلِكَ . فَقَامُوا إِلَيْهِ وَتَلَطَّفُوا بِهِ ، وَهُوَ لَا يَرْجِعُ عَنْ قَوْلِهِ ، حَتَّى أَرْضَوْهُ بِخِيَوَلِهِمْ كُلُّهُمْ . وَكَانَ الْخَصِّيُّ لِلْخَلِيفَةِ [إِسْحَاقَ] بْنِ السُّلْطَانِ تِيرَابِ الَّذِينِ أَسْلَفَنَا ذِكْرَهُمَا .

وَمِنْ عُتُوقِهِمْ أَنَّ [الْأَبَ] الشَّيْخَ مُحَمَّدَ أُورْدَكَ<sup>(۱)</sup> كَانَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ تِيرَابِ فِي مَنْصَبِ الْأَبُوَةِ ، وَمِنْ عَادَةِ الْأَبِ [الشَّيْخِ] أَنْ يَتَوَجَّهَ لِبَلَادِهِ وَمَحْلِهِ فِي كُلِّ سَنَةِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ ، وَيَجْمِعَ أَهْلَ الْبَلَادِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَيَعْرِضُ الرِّجَالَ ، وَيَرِى الْعَسَاكِيرَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ جَمِيعَهُمْ فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ حَرًّا فِي رَحْبَةٍ وَاسِعَةٍ أَمَامَ دَارِهِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُمْ حَتَّى فَاتَّ القَائِلَةَ ، فَرَجَ فِي أَبْهَتِهِ رَاكِبًا جَوَادَهُ ، وَالْعَبِيدُ يَظْلَلُونَهُ مِنْ حَرًّ الشَّمْسِ ، وَيَحْلِيُونَ لَهُ الْمَوَاءَ بِالْمَرَاوحِ ، وَخَرَجَ الْعَسْكَرُ ، وَصَفَّوْا النَّاسَ صَفَوفًا كَدَائِرَةَ ، وَهُوَ وَاقِفٌ يَنْظَرُهُمْ ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْحَرُّ وَأَمْرَ النَّاسَ بِالْجُيُوشِ عَلَى رُكُوبِهِمْ ، وَسَلَاحُهُمْ وَدَرَّبُهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . فَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ لَا يُسْتَطِعُ الْجُيُوشَ لِشِدَّةِ حَرًّ الرَّمَضَانِ ، وَسَالَ الْعَرْقُ ، وَكَثُرَ الْقَلْقَ ، وَمَكَثَ مَلِيئًا لَا يَأْمُرُ بِأَمْرٍ ، وَلَا يَنْهَا عَنْ شَيْءٍ . وَعَطَشَ النَّاسُ ، وَأَخْذَ مِنْهُمْ حَرًّ الشَّمْسِ أَكْبَرَ مَا خَذَ ، وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى مَاتَ بِعِصْمِهِمْ مِنَ الْعَطَشِ . وَلَا رَأَى قَلَقَ الْعَالَمَ وَتَحْيَرَهُمْ ، أَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ وَضَحْكَ ، وَقَالَ بِلَسَانِ الْفُورِ : (۲۳۰) نَتَوْ نَتَوْ نَتَوْ «يُومَاعْبُوسًا قَمَطْرِيرًا» . وَكَرَرَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَاتِ ، وَكَانَ الْعَالَمُ الْجَمِيعُ فِي تِلْكَ الْجَلْدِ يُنْيَحَا ، أَى : الْعَرَضُ ، مَا يَنْوِفُ عَنْ زُهْاءِ عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَكَانَ فِيهِمْ

(۱) أُورْدَكَ : لَقْبُ فُورَاوِي مُرْكَبٌ مِنْ كَلْمَتَيْنِ : «أُور» بِمَعْنَى : سَابُ ، وَ«دَكَ» بِمَعْنَى : أَسْوَدٍ .

رجل صالح يقال له : الشيخ حسن السّكّو<sup>(١)</sup> . فبز و قال بأعلى صوته : اسكت يا كافر . ثلثاً . فأخذه الرّعبُ من الشيخ المذكور و ولّ هارباً . ورفع الشيخ يديه إلى السماء وقال : اللّهم ارحم عبادك . فما تمَّ كلامه حتى ارتفع السحابُ مثل الجبال ، ونزل المطرُ وتفرق الناس ، وكان يوماً مشهوراً . وسبَّ<sup>(٢)</sup> غضبُ الشيخ أنه<sup>(٣)</sup> مثل نفسه بالإله ، ومثل عرض الناس عليه بعرضِهم للحساب ، ومثل شدة حر الشميس بشدة حر يوم القيمة . ولذلك استشهد بقوله : نَتُو ، بالأية الكريمة . و «ن» بمعنى : هذا ، و «نُو» بمعنى : يوم . والباقي هو<sup>(٤)</sup> نص الآية الكريمة<sup>(٥)</sup> .

نادرة :

حُكِي أن [الأب] الشيخ محمد أوزدكا المذكور كان قليلاً العقل ، ومن قلة عقله أنه لم تأتِ في منصب الأبوة ، أمره السلطان تيراب أن يقرأ ، ليتعلم القراءة والكتابة ، فحضر فقيها يعلميه ، فكتب له حروف المجاء ، وصار يقرأ عليه في كل يوم ، واستمر على ذلك مدة أيام . ثم إن ذات يوم طلب المصحف بخيء به له ، فتصفحه ونظر في السطور ، فرأى واواً مفردة فعرفها وقال للفقيه : إنما نوح واو يعني : أليس هذه واو<sup>(٦)</sup> فقال الفقيه : نعم . فقال : قد (٢٣١) ختم القرآن . وأمر بذبح الذبائح ، وضرب الطبلول ، وصنع ولبة عظيمة . فعدت هذه من طيشه ، وخفة عقله . ولترجم إلى ما كنا بقصدِه فنقول :

(١) كو : لفظة فوراوية ، معناها : صارم ، شديد .

(٢) في الأصل : وبسبب .

(٣) أي : الأب الشيخ محمد أوزدكا .

(٤) في الأصل : هي .

(٥) يقصد الآية القرآنية : «انا نخاف من ربنا يوم عبوسا قمطريرا » سورة الإنسان ، آية ١٠ .

(٦) كذا .

وَمَعَ كُثْرَةِ الْخَصِيَانِ فِي دَارِ السُّلْطَانِ لَمْ يَشْلَمْ مِنَ الدَّنَسِ ، لَأَنَّ النَّسَاءَ شَيَاطِينٌ  
لَا يَفْلِهُنَّ غَالِبٌ ، سَيِّدًا وَقَادَ قَامَ عُذْرُهُنَّ بِدَاعِيِّ كُثْرَتِهِنَّ فِي بَيْتِ السُّلْطَانِ ، وَهُنَّ فِي سِنِّ  
الشَّابِ وَالرَّاحِةِ ، وَحُسْنِ الْمَأْكُلِ وَالْمَلْبِسِ ، فَلَشَهْوَةِ فِيهِنَّ نَصِيبٌ أَوْفَرُ . وَلَمَّا سُجِنَ  
فِي هَذَا السُّجْنِ ، تَحِيلُّهُنَّ عَلَى دُخُولِ الرَّجُالِ بِكُلِّ حِيلَةٍ .

فَهُنَّ مَنْ تَصَاحِبُ مِنَ الرَّجُالِ مِنَ الْخَدْمَةِ الَّذِينَ بِالْبَابِ . وَمِنْهُنَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ  
يَأْتِيهِمَا بِالرَّجُالِ بِحِيلَةٍ : وَهِيَ أَنَّ الْعَجُوزَ تَنَاهِلُ فِي الْفِتْيَانِ ، حَتَّى تَرَى الشَّابَ الْجَيِلَ الَّذِي  
لَا نَبَاتَ بِعَرَضَيْهِ<sup>(۱)</sup> فَتَتَحِيلُ عَلَيْهِ بِلَطْفٍ حَتَّى تَأْخُذَهُ إِلَى دَارِهَا — وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ شَبَانَ  
السُّودَانِ لَا يَحِلُّ لَقُوْنَ رُؤُسِهِمْ ، بَلْ يَوْفِرُونَهَا فَتَصِيرُ الْوَفْرَةُ لَهُمْ كَشْعِرِ النَّسَاءِ — وَتَجْمَعُ  
وَفَرَّتَهُ ظَفَائِرُ كَظَفَائِرِ<sup>(۲)</sup> النَّسَاءِ ، وَتُلْبِسُهُ حُلْيَاتٌ كَحُلَيَّهِنَّ مِنْ عَقُودٍ وَتَمَاثِيمٍ وَمَدَارِعَ  
وَمَنْجُورٍ ، وَتُلْبِسُهُ دُرَاعَةً وَفَرَّدَةً وَثُوبَانًا بِحِيثُ لَا يَشَكُّ رَأْيِهِ أَنَّهُ امْرَأَ ، وَتُدْخِلُهُ دَارُ  
السُّلْطَانِ بَيْنَ نَسَاءٍ ، فَتَقْتُلُ ذَهْبَ خَوْفُهَا ، وَسَلَّمَتْهُ مِنْ أَدْخَلَتْهُ بِرِسْبِهَا ، (۲۳۲) فَيُمْكِثُ  
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُمْكِثَ ، فَإِنْ سَتَّ اللَّهُ عَلَيْهِ خَرَجَ كَمَا دَخَلَ ، وَإِنْ عُثِرَ عَلَيْهِ قُتُلَ . وَلَا يُعْتَرَ  
عَلَيْهِ إِلَّا بِأَسْبَابٍ .

مِنْهَا : أَنْ تَلْمِعْ أَمْرَأَهُ إِحْدَى ضَرَائِرِهَا ، فَتَطْلُبُهُ مِنْهَا فَتَأْبَى هِيَ بُخْلَاءَ بِهِ ، أَوْ لَا يَرَضِي  
هُوَ أَنْ يَذْهَبَ . فَخَيْنَقَهُ يَحْمِلُهَا الغَيْظُ عَلَى أَنْ تَقْتِنَ عَلَيْهِ<sup>(۳)</sup> ، فَيَغْتَرُ عَلَيْهِ .  
وَمِنْهَا : أَنَّ السُّلْطَانَ يَأْمُرُ بِالتَّفْتِيشِ ، فَيَحْضِرُ الطَّوَاشِيَّةَ كَلَّاهُمْ ، وَيَفْتَشُ مِعْهُمْ  
الْبَيْوتَ ، وَمَنْ وَجَدَهُ قَتْلُوهُ .

(۱) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(۲) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(۳) تَعبِيرٌ دَارِجٌ ، مَعْنَاهُ : تَشَىَّ بِهِ .

ومنها : أَنَّهُ يَرْهَقُ مِنْ طُولِ الْمَكْثِ ، فَيُخْرُجُ وحْدَهُ ، فَيَعْتُرُ عَلَيْهِ الْبُوَابُونَ  
وَهُوَ خَارِجٌ فَيَقْتُلُونَهُ ، وَإِنْ سَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ خَرْجٌ . وَأَغْلَبُ مَنْ يَدْخُلُ بِالصَّفَةِ الَّتِي ذَكَرَنَا هَا ،  
لَا يُخْرُجُ إِلَّا بِاللَّيْلِ ، أَوْ مَعَ نِسَاءٍ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ فِي وَسْطِهِنَّ .

وَمِنَ الْعَجَائِزِ مَنْ يَتَحِيلُ<sup>(۱)</sup> فِي خَرْجِ النِّسَاءِ مِنْ بَيْتِ السُّلْطَانِ ، بِأَنْ يُنْكَرُنَّ  
الْمَرْأَةُ مِنْهُنَّ بِثِيَابٍ مِنْهُنَّ قَذِيرَةً ، وَيُخْرِجُنَّهَا أَمَامَ النَّاسِ جِهَارًا ، فَإِذَا عَثَرَتْ بِهَا الْبُوَابُ أَوْ أَحَدُ  
الْخَصِيَّانِ قِيلَ لَهُ : هَذِهِ اسْرَأَةٌ مُسْكِيَّةٌ ، كَانَتْ دَخَلَتْ مَعَنَا تَلْتَمِسُ مَعْرُوفًا .

وَمِنْهُنَّ مَنْ يُدَلِّسُ عَلَيْهَا الْخَصِيَّانُ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا عَلِمَ الْخَصِيُّ أَنَّهُ إِنْ  
عَرَضَ افْتَحَ لَهُ مَهْوَى فُقِيلَ فِيهِ . فَيَنْتَذِي سَكَتُ قَهْرًا عَنْهُ ، وَتَدْخُلُ الْمَرْأَةُ وَتَخْرُجُ ،  
وَتَدْخُلُ مَنْ شَاءَتْ وَلَا تَخْشَى بَأْسًا .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ مَحَاظِي السُّلْطَانِ صَابُونَ مَعَ تُرْقُونَ مُحَمَّدَ<sup>(۲)</sup> (۲۲۳)  
ابْنِ عَهْمَهَا ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ صَابُونَ ، سُلْطَانُ دَارِ الْوَادِي ، إِنْ شَاءَ  
اللهُ تَعَالَى<sup>(۳)</sup> .

وَاعْلَمُ أَنَّ نِسَاءَ السُّودَانِ كَثِيرَاتُ الشَّبَقِ وَالْفُلْمَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِنَّ لِأَمْرِي :

الْأُولَى : لِفَرْطِ حِرَاجَةِ الْإِقْلِيمِ .

الثَّانِي : لِكَثِيرَةِ مَخَالِطَتِهِنَّ لِلرِّجَالِ :

الثَّالِثُ : لِعَدَمِ صَوْنِهِنَّ وَاسْتِقْرَارِهِنَّ فِي الْبَيْوَتِ ، فَمِنْ ذَلِكَ تَرَى الْمَرْأَةَ مِنْهُنَّ  
لَا تَقْنَعُ بِزَوْجٍ وَلَا بِخَلِيلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ ، مِنَ الْهَنْجِ :

(۱) فِي الْأَصْلِ : يَتَحِيلُ .

(۲) وَرَدَتْ هَذِهِ السِّيرَةُ فِي كِتَابٍ آخَرَ لِلتُّونِسِيِّ هُوَ : « رَحْلَةُ إِلَى وَادِيِّ » وَالْمَعْرُوفُ  
أَنَّ الْأَصْلَ الْعَرَبِيَّ لِهَذِهِ الرَّحْلَةِ مَفْقُودٌ ، وَلَمْ تَبْقَ سُوَى تَرْجِمَتِهَا الْفَرَنْسِيَّةِ .  
الْمَعْرُوفَةُ بِاسْمِ : Voyage au Ouaday

أيمَن لِيْس يُرْضِيْهَا خَلِيلٌ كُلَّ عَامٍ  
 أَرَالِكَ بَقِيَّةً مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ  
 الْرَابِعُ : لِعدَمِ اقْتِصَارِ أَزْوَاجِهِنَ عَلَيْهِنَ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ ذَا قُدْرَةٍ  
 نَكَحَ مِنَ الْخَرَائِرِ أَرْبَعًا ، وَتَسْرِيْعِي بَغِيرِهِنَّ مِنَ السَّرَّارِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ حَالَهُ ،  
 وَالنِّسَاء شَقَاقِيْنِ الرَّجَالِ ، وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ فِي الشَّهْوَةِ وَالظَّبْعِ ، خَصْوَصًا وَعِنْدُهُنَّ مِنَ  
 الْغَيْرِيْةِ مَا لَمْ يَزِدَ عَلَيْهِ ، فَيَتَحِيلُنَ عَلَى الْاجْتِمَاعِ بَغِيرِ زَوْجِهِنَ ، وَتَأْخُذُ<sup>(١)</sup> كُلَّ مِنْهُنَ فِي  
 ضَرُوبِيْنِ الْحَيَلِ تَوَصَّلُ بِذَلِكَ إِلَى مَرْغُوبِهِا ؛ وَإِنْ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّسْرِيْعِ ،  
 طَمَحُ نَظَرِهِ إِلَى غَيْرِ امْرَأِهِ ، فَتَى عَلِمَتْ امْرَأَتُهُ بِذَلِكَ ، حَدَّاها حَادِي الْغَيْرِيْةِ عَلَى  
 الْاجْتِمَاعِ بَغِيرِهِ .

الْخَامِسُ : الْعَادَةُ ، لِأَنَّهُنَّ مِنْ صِغَرِهِنَ قَدْ تَعَوَّدُنَ الْاجْتِمَاعَ مَعَ أَتْرَابِهِنَ مِنَ الدَّكُورِ  
 حَتَّى كَبِيرَنَ عَلَى ذَلِكَ ، وَالْعَادَةُ إِذَا اسْتَحْكَمَتْ<sup>(٢)</sup> (٢٣٤) صَارَتْ طَبَعَةً ، فَذَلِكَ إِذَا  
 تَزَوَّجَتْ ، لَا يَعْكِنُهَا الْاقْتِصَارُ عَلَى زَوْجٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا مَنْ رَحْمَ اللَّهَ . وَمِنْ حِيثُ أَنَّ هَذَا  
 الظَّبْعَ مَرْكُوزٌ فِيهِنَّ ، يَصْدُرُ مِنْهُنَّ مَا يَصْدُرُ ، فَذَلِكَ لَا يُرَى مِنْهُنَّ مَنْ اقْتَصَرَتْ  
 عَلَى بَعْلَاهَا إِلَّا الْقَلِيلُ . وَكَلَّمَا تَقادَمَا الزَّمْنُ ، كَلَّمَا<sup>(٣)</sup> كَثُرَ الْفَسَادُ عَنْهُمْ .

نَادِرَةً :

وَمِنَ الْمَجَرَّبِ فِي دَارِفُورِ ، أَنَ النَّارَ إِذَا اشْتَعَلَتْ فِي دَارِ<sup>(٤)</sup> وَاشْتَدَ وَقْدُهَا ،  
 وَعِبَزوْعَاهُ ، نَادَوْا : هَلْ مِنْ طَاهِرَةٍ ؟ فَتَأْتِي امْرَأَةٌ عَجَوزٌ لَمْ تَزْنِ<sup>(٥)</sup> قَطُّ ، فَتُخْرِجَ

(١) فِي الْأَصْلِ : وَيَاخْذُ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِتَكْرَارِ لِفَظِ « كَلَمَا » ، وَهُوَ مِنْ تَأْيِيرِ الْعَامِيَّةِ فِي الْفَصْحِيِّ ،  
وَالصَّوَابُ حَذْفُ « كَلَمَا » الْثَّانِيَةِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : دُورٌ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : لَمْ تَزْنِ ، بِفَتْحِ النُّونِ .

كُنْفُوسَهَا ، وَتُشِيرُ بِهِ لِلّتَّارِ فَتُعْلَمَا<sup>(١)</sup> يَمْرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَذِهِ مِنْ مُجَرَّبَاتِهِ .  
 وَحِينَ كَنْتُ هَنَالَّكَ وَقَعَ حَرِيقٌ فِي بَيْتِ جَدَّةِ السُّلْطَانِ وَاشْتَدَّ ، وَحَضَرَ  
 السُّلْطَانُ بِنَفْسِهِ ، وَأَرْبَابُ دُولَتِهِ ، فَمَا أَمْنَكُوهُمْ إِطْفَاؤُهُ . وَنَادَى مَنَادِي السُّلْطَانِ : هَلْ  
 مِنْ طَاهِرَةٍ ؟ وَتَكَرَّرَ النَّدَاءُ فِي الْبَلَدِ ، فَمَا قَدِرْتُ امْرَأَةً تَأْتِي لِذَلِكَ الْحَرِيقِ . وَمِنْ  
 هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ الْآنَ فِيهِنَّ طَاهِرَةً . لَكِنْ سَمِعْتُ بِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَوْجَدُ فِي نِسَاءِ  
 أَعْرَابٍ بَادِيَتِهِمْ ، وَأَمَّا نِسَاءُ السُّودَانِ<sup>(٢)</sup> ، فَقُلْ أَنَّ يَوْجَدُ فِيهِنَّ طَاهِرَةً ، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ  
 — حِيثُ لَا عُقْلَ يَرْدَعُهُمَا ، وَلَا خُوفَ يَزْجُرُهُمَا ، وَلَا دِينَ تُرَاعِيهِ — تَفْعَلُ مَا أَرَادَتْ ،  
 بَلْ قَدْ تَفْتَخِرُ بِسَكْثَرَةِ الْأَحْبَابِ ، وَتَقُولُ : لَوْ كَنْتُ قَبِيحةً مَا جَاءَنِي أَحَدٌ ، وَلَوْلَا  
 أُتَّى مِنَ الْحَسْنِ بِمَكَانٍ مَا أَلْفَنَى الرِّجَالَ ، وَارْتَكَبُوا مِنْ شَانِي<sup>(٣)</sup> الْأَهْوَالَ .  
 وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ فِي بَلَادِ الْعَرَبِ<sup>(٤)</sup> ، إِذَا أَسْتَنَتِ الْمَرْأَةُ ، وَكَانَ لَهَا وَلْدُ جَلِيلٌ  
 ذَوٌ (٢٣٥) شَهْرَةَ ، يَمْنُعُهَا ذَلِكَ عَنِ ارْتِكَابِ الزُّنَاقِ ، وَعَنِ التَّطْلُعِ لِلرِّجَالِ ،  
 إِمَّا لِعِلْمِهَا بِعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِيهَا ، إِنْ كَانَتْ مُسِنَّةً ، أَوْ لِخَوْفِهَا عَلَى مَقَامِ وَلِدِهَا وَجَلَالِهِ  
 قَدْرِهِ ، إِلَّا نِسَاءُ السُّودَانَ .

فَقَدْ حَكَى لِي مَنْ هُوَ أَعْزَى أَصْحَابِي — وَصَوْنَا لِصَحْبِتِهِ لَا أَذْكُرُ اسْمَهُ — أَنَّ  
 خَالَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدَ فَضْلَ ، الْمَسِئَ : مُحَمَّدَ تَيْنَتَلَ ، زَوْجُهُ أَخْتُهُ ، وَهِيَ أَمْبُوْسُ أُمُّ السُّلْطَانِ ،  
 وَعُمْرُهَا بِنَحْوِ<sup>(٥)</sup> خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، بِإِمْرَأَةٍ مِنْ بَيْتِهِمَا ، وَصَنَعَتْ لَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : فَتَطَقَّنِي .

(٢) الْمَقْصُودُ بِالسُّودَانِ هُنَا أَهْلُ دَارِفُورِ الْأَصْلِيُونَ الَّذِينَ لَمْ يَخْتَلُطُوا بِالْعَرَبِ  
الْوَافَدِينَ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يَكُونُوا قَدْ تَأْثَرُوا بِهِمْ بَعْدَ .

(٣) تَعْبِيرٌ عَامِيٌّ .

(٤) يَقْصُدُ بِبَلَادِ الْعَرَبِ هُنَا الْبَلَادُ السُّودَانِيَّةُ الَّتِي تَسْكُنُهَا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

مهـرـ جـانـاـ (١) عـظـيمـاـ ، هـرـعـ النـاسـ لـلـفـرـجـ عـلـيـهـ . فـأـخـبـرـنـيـ أـنـهـ كـانـ مـنـ جـمـلةـ الـمـتـفـرـجـينـ ،  
 قالـ : بـيـنـا أـنـا وـاقـفـ ، إـذـ جـاءـتـ أـمـ السـلـطـانـ ، وـمـعـهـ سـرـبـ مـنـ النـسـاءـ كـأـهـنـ الغـزلـانـ ،  
 وـهـىـ تـمـشـيـ أـمـامـهـنـ ، وـهـنـ خـلـفـهـاـ . وـهـىـ كـانـتـ جـارـيـةـ بـشـعـةـ الـمـنـظـرـ ، مـُشـوـهـةـ الـخـلـقـ ،  
 دـنـيـةـ الـأـصـلـ ، لـأـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ فـيـ سـكـانـ دـارـ الـفـورـ أـدـنـيـ أـصـلـاـ مـنـ الـبـيـةـ وـالـذـينـ هـيـ  
 مـنـهـمـ . فـضـارـ كـلـ مـنـ الـوـاقـفـينـ يـتـمـجـبـ مـنـ صـنـعـ اللـهـ تـعـالـىـ ، أـنـ قـدـمـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ ،  
 مـعـ مـاهـىـ عـلـيـهـ مـنـ قـبـحـ الذـاتـ وـالـأـصـلـ ، عـلـىـ مـنـ هـنـ أـحـسـنـ وـجـهـاـ وـأـصـلـاـ ، وـذـاتـاـ  
 وـبـهـاءـ وـجـالـاـ . قالـ : فـدـخـلـتـ عـلـىـ أـخـيـهـاـ تـبـيـنـ ، وـكـانـ وـقـتـ بـنـائـهـ بـعـرـسـهـ ، فـكـثـتـ  
 عـنـهـ بـرـهـةـ ثـمـ خـرـجـتـ . قالـ : فـلـمـ نـشـعـرـ إـلـاـ بـرـزـنـ الخـلـاخـلـ وـالـخـلـيـ وـعـبـقـ الـطـيـبـ ، فـعـلـمـنـاـ  
 أـنـهـاـ خـارـجـةـ فـوـقـفـنـاـ صـفـاـ ، حـتـىـ إـذـا خـرـجـتـ لـمـ نـشـعـرـ بـهـاـ إـلـاـ وـقـدـ قـبـضـتـ عـلـىـ يـدـيـ ،  
 وـجـذـبـتـنـىـ لـلـذـهـابـ مـعـهـاـ . فـأـرـدـتـ الـامـتـنـاعـ ، وـكـانـتـ تـعـاـصـيـتـ ، فـدـفـعـنـىـ (٢) الـنـسـاءـ الـلـائـىـ  
 خـلـفـهـاـ ، وـكـرـهـتـ أـنـ يـشـعـرـ النـاسـ بـذـلـكـ ، فـشـيـتـ مـعـهـاـ مـحـاذـيـاـ لـهـ ، وـهـىـ بـجـانـبـ قـاـبـضـةـ عـلـىـ .  
 فـلـمـ كـيـنـاـ فـيـ أـثـنـاءـ الـطـرـيقـ قـالـتـ : أـنـاـ تـعـبـتـ - مـعـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ بـيـنـ بـيـتـ أـخـيـهـاـ وـبـيـتـهاـ  
 أـكـثـرـ مـنـ مـائـةـ خـطـوـةـ ، وـقـدـ بـلـغـفـ أـنـهـ قـبـلـ اـنـصـالـهـ بـالـسـلـطـانـ ، كـانـتـ مـنـ أـقـلـ  
 الـجـوارـىـ الـمـبـذـلـاتـ لـلـمـهـنـةـ ، فـكـانـتـ تـأـتـىـ بـالـمـاءـ وـالـحـطـبـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ مـنـ الـخـلـاءـ ،  
 وـالـآنـ تـتـبـعـ مـنـ مـشـىـ (٢) مـائـةـ خـطـوـةـ - قـالـ ، فـقـلـتـ لـهـ : مـنـ كـثـرـةـ مـاـ عـانـيـتـ  
 فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ . قـالـ : ثـمـ دـخـلـنـاـ الدـارـ - وـالـخـصـيـانـ وـاقـفـونـ عـلـىـ الـبـابـ ، لـاـ يـجـتـرـىـ أـحـدـ  
 مـنـهـمـ أـنـ يـتـكـلـمـ ، وـقـدـ عـرـفـنـىـ مـعـهـاـ - فـلـمـ وـصـلـتـ إـلـىـ حـجـرـهـاـ دـخـلـتـ ، فـدـخـلـتـ مـعـهـاـ ،

(١) يـهـذـاـ الضـبـطـ فـيـ الـأـصـلـ .

(٢) فـيـ الـأـصـلـ : شـىـ .

فأطلقَتْ يدي خاستُ على فراشِ هناك، وانطَرَحتْ هى على سريرِها ، تقلبَ يمنةً ويسرةً ، ويهزُّ منجورَها يديها ، ثم قالتْ لي : إنَّ بِي صُدَاعاً . قلتُ لها : لا بأس عليكِ . قالتْ : فاقرأْ لي عليهِ ، لعلَّه يذهب . فبَثَتْ إِلَيْها وقد علِمْتُ أنَّ ذلك حيلةً منها لقصدِها، وأنَّ الْكِبِيرَ ينبعُها أنَّ تقولَ لي : هيئتَ لك ، معَ أنَّ جمِيعَ من كأنَّ معهَا من النساء ذهب ، ولم يبقَ إِلَّا أنا وَهُنَاكَ جارِيَةً جالسة خارجَ الباب ، إنْ احْتَاجْتَ إِلَى شَيْءٍ دعْتها له . قال : فلماً أكثَرَتْ من التقلبِ ، ولم تَرْ مَنْ مِيلًا إِلَيْها ، دعْتُنِي لأقرأُ على صُدُغِها . فخَيَّنَ وضَعَتْ يدي على صُدُغِها وابتدأَتْ القراءَة ، ارْفَعْتُ تَحْتَ (٢٣٧) يدي ، وصارَتْ تضطربُ اضطرابَ المذبحِ وتتأوهُ ، فشِيمَتْ منها رائحةُ الطَّيْبِ فانْعَشَتْني ، وأخذَني ما يأخذُ الرجلَ من النُّشَاطِ ، فهمَمْتُ أنَّ أعلُوَّها ، فأدرَكتُ خوفَهُ من ابنِها السُّلطان ، لأنَّه متى وجدَ مَمَّا أحْدَى قتلَه . وقد تَكَرَّرَ منه ذلك مراراً ، [إِذْ كَانَ] يَهْجُمُ (١) عليها بغيرِ استئذان . لكنَّه قد رصَدَتْ له أنسَاً يخبرُونَها بِمجيءِه ، فإنَّ كَانَ عندهَا أَحَدٌ تَحْيِلُّتْ في إِخْرَاجِه .

قال : وخافتُ أَيْضًا (٢) ، لأنَّ كُنْتُ سمعتُ أنها مصابةٌ بداءِ الْخَصَرِ ، وهو المعبرُ به عندَ الْحَكَاءِ بالسِّيَلانِ الأَبِيْضِ ، أعني : أنَّ كُلَّ مَنْ واقعَهَا ابْتُلَى به ، سِيَّما وقد شاهدتُ مَنْ مِرِضَ به منها .

قال : فخَيَّنَ أَدْرَكَني الخوفُ مِنْ هاتينِ الجهَتَيْنِ بَرَدٌ مَاءٌ قليلاً ، وكانتْ قد اطْلَعْتُ على حالِي أولاً ، فلماً رأَتْ مني الْفُتُورَ ظَفَتْ أَنِّي جائع ، فدَعْتُ بِجَارِيَةٍ لها اسمُها : ذرَاعٌ

(١) في الأصل : مراراً ويَهْجُمُ ، وما بين حاصلتين زيادةً يقتضيها السياق ، وبعد حذف الواو .

(٢) كذا . ولعله يريد أن يقول : خفت على نفسي .

القادر، وقالت لها: أنت بطعمِ جيلٍ . فأنتِ الجارِيَةُ بإنايَنِ في أحدِها حمامٌ مقلُوْفٌ  
السُّنْنِ ، وفي الآخرِ فطيرٌ بالعسلِ ، وقالت لى: كُلْ . قال: فابثِتْ واعذرْتْ  
بأني غيرُ جائع . خلقتُ علىَ فتناولْتُ من الطعامِ وأعجبَنِي ، [وكان الوقت متاخراً]<sup>(١)</sup>  
وكنتُ في تلكَ الليلةِ محتاجاً [للهامِ برغمِ ما قلتْ]<sup>(٢)</sup> .

وبينما أنا آكلُ إذ سمعتُ حركاتِ عنيفةٍ وكزكبةٍ<sup>(٣)</sup> ، وجاء الخدمُ يهربونَ  
ويقولون: إنَّ السلطانَ قد أتى . فقالتْ: خذُوا هذا وأخرجُوه من البابِ الثانيِ .  
فأخذني الجوارِ وأسرعوا في المشيِّ ، حتى أخرجوني من الزرِيبةِ .

ومن لطفِ<sup>(٤)</sup> الله تعالى أنَّ السلطانَ لم يدخلْ عليها من البابِ الذي عادَتْهِ  
الدخولُ منه ، بل من<sup>(٤)</sup> البابِ المذكور ، وأوقفَ عليه حرساً . ودار حتى أتى للبابِ  
الذى خرجتُ منه ، لأنَّه يجرِدُ خروجي وانفصالي عن البابِ ، رأيتُ نواسىَ الخليلِ  
قد أتَيْتُ ، فرفقتُ علىَ بُعدٍ أرى ما يكون . فسمعتُه يقولَ لابوَابين: منْ خرجَ الآنَ  
من هنا؟ فقالوا: لا أحدَ . فقال أحدُ الفرسانِ: أنا رأيتُ إنساناً انفصلَ من هنا ، وأظنهُ  
كان هنا . فقال جيمِهم: ما رأينا أحداً . كلَ ذلكَ وأنا واقفٌ أسمعُ ، وحيَدتْ  
اللهَ الذي أخرجَنِي قبلَ وصولِهم ، وإلا لو وصلوا إلى البابِ قبلَ خروجي  
كنتُ أولَ قتيلٍ .

خينَ سمعَ منه هذه القصةَ تعجبَتْ غايةَ العجبِ ، وعلمتُ أنَّ الخصيَانَ  
لا ينفعُون إلا مع عدمِ غرضِ النساءِ ، وممَّا كان للمرأةِ غرضٌ لا يقدرُ الخصيُّ أنَّ  
يصنَعَ شيئاً . فانظر يا أخيَ كيفَ وقعتْ هذه القصةُ منْ هذه المرأةِ ، مع أنها أمَّ ملكٍ ،

(١) و(٢) مابين الحاصرين منقول من الترجمة الفرنسية Voyage, P, 266.

(٣) ضبط هذا اللفظ العامي على النطق الشائع في اللهجة المصرية.

(٤) في الأصل: إلى.

ولو وقعت من غيرها لسان الكلام فيها بجال ، فكيف بهذه<sup>(١)</sup> ؟ وبالجملة فالنساء لا خير فيها إلا من حفظها الله ، ورحم الله من قال ، من الطويل :

ففيهن مَنْ تسوِي ثمَانينْ بـكُرْتَه  
وَفِيهن مَنْ تَأْتِي الْفَتَى وَهُوَ مَعْسِرٌ  
فَيُضْحِي وَكُلُّ أَخْيَرٍ فِي سَجْنِ دَارِهِ  
وَفِيهن مَنْ تَأْتِي الْفَتَى وَهُوَ مُؤْسِرٌ<sup>(٢)</sup>  
فَيُصْبِحُ لَمْ يَمِلِكْ عَلَيْكَ حَمَارِهِ  
إِذَا غَابَ عَنْهَا الزَّوْجُ رَاحَتْ جَارِهِ  
فَلَرَحْمَ الرَّحْمَنُ خَائِنَاتِ النِّسَاءِ<sup>(٣)</sup>

وَلَيَعْلَمَ أَنْ كُلَّ مَصِبَّةٍ تَقْعُدُ ، أَصْلُهَا النِّسَاءُ . فَكُمْ بِسَبِيلِنْ قُتِلَتْ مَلُوكُ ، وَخُرَبَتْ  
مَالُوكُ ، وَسُفِكَتْ دَمَاءُ . فَوْنَانَا شَيَاطِينُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ ، [ من البسيط ] :

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينٌ خَلَقْنَاهُنَا . نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

غريبة :

مُقتضي أنهم جعلوا الخصيان لصيانته الحرير عن الرجال ، أن الخصيان  
أمناه عليهن من طرف السيد ، والأمر يخالف ذلك . فقد رأينا منهم من عنده عدّة نساء  
يتمتع بهن ، وأول من رأيت عنده ذلك محمد كرمًا ، الذي أسلفنا ذكره .

وَحَكَى لِي مَنْ أَتَقَبُّ بِهِ : أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْغَلَبَ عَلَيْهِ فِي قِتَالِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ فَضْلٍ ، كَانَ عَنْهُ  
امرأةٌ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، فَذَبَحَهَا بِاللَّيْلِ قَبْلَ مَوْتِهِ لَثَلَّ يُحْظَى<sup>(٤)</sup> بِهَا غَيْرُهُ . وَهَذِهِ نَهَايَةُ الْغَيْرَةِ .

(١) الراجح من سياق هذه القصة المطلولة أنها حالية من الحقيقة ، وأنها من تلقيقات الرواى وتشهيراته ۷ وتفاخره بجاذبيته الجنسية ، لأنه لم يعرف عن هذه السيدة شيء من هذا القبيل في حياتها الطويلة .

(٢) في الأصل : مؤسر .

(٣) في الأصل : النساء .

(٤) كذلك في الأصل ببناء الفعل للمجهول .

ورأيتُ في دار فورَ وفي الوَادِيَ كثيراً من الخصيَانِ، كلُّ منهم حائزٌ نسأه  
عديدةً، وسألتُ من<sup>(١)</sup> أهل الخبرة : ما يصنعونَ بهنَّ؟ وهم كُلُّ من حيثُ إنَّ أعضاء  
التناسل مفقودة؟ فقيلَ لي : إنَّهم يساخرونَ النساءَ، ويشتقدُ بهم الحالُ وقتَ المساحةِ،  
حتى إنَّه يَعْضُّ الأنَّةَ وقتَ الإِنْزَالِ عَضْـاً مَوْلَـاً. وكنتُ إذ ذاك جلوسي بعلمِ الطِّبِّ  
أصدقُ ذلكَ، لكنَّ الآنَ لا (٤٠) أصدقُهُ، لأنَّ وظيفةَ العُضُوِ قد فُقدَتْ بفقدِهِ،  
والعملةُ تدورُ مع المعلول وجوداً وعدماً.

وكنتُ سألاً أهل الخبرة عن كيفيةِ الخصيِ، فأخبرني بعضُهم أنه يؤتى بهنَّ  
يرادُ الفعلُ به، فيضبطُ ضبطاً جيداً، وتُمسكُ المذاكِرُ وستَّاصلُ بُوسَى حادَّ، ويوضعُ  
في ثقبِ مجرَى البَوْلِ أنبوةٌ صغيرةٌ من صَفِيقٍ ثلاثة يَنسَدُّ، ويكونُ قد سُخِنَ السُّمُّ  
على النارِ تسخيناً جيداً حتى غَلَى، ثم يُسْكُنَى به محلُ القطعِ. وبعدَ أن يكونَ محلُ القطعِ  
جُرحاً حديديَّاً، ينقلبُ جرحاً ناريَّاً، ثم يَداوى بالتجفيفِ عليهِ بالتفتيك والأربطة، حتى  
يُشفَّى أو يموتُ، ولا يُشَقَ منه إلَّا القليلِ.

فإن قيلَ : إنَّ في هذا تعذيباً للحيوانِ الناطقِ، وقطعًا للتناسلِ المأمورِ بكثرته شرعاً  
 فهو حرامٌ . قلتُ : نعم ، قد صرَّحَ غيرُ واحدٍ من العلامةِ بحرُمهِ، خصوصاً  
جلالُ الدين الشيوطي رحمة الله ، فإنه صرَّحَ بالتحريرِ في كتابِه الذي ألقاه في : « حرمة  
خدمةِ الخصيَانِ ، لِضرِّيْحِ سَيِّدِ ولِدِ عَدْنَانَ ». لكنَّ الحرمةَ على الفاعلِ ، وإنما يُخصى  
الخصيَانَ قومٌ من المَجُوسِ ، ويأتونَ بهم إلى بلادِ الإسلامِ ، فيبيعونَهُم ويهدُونَ بهم ،  
ولا يُخصى على يدِ المسلمينِ منهم إلَّا القليلُ النادرُ .

وأما استِخدامُهُم بعدِ الخصيِ فلا ضررُ فيهِ ، بل فيهِ ثوابٌ عظيمٌ ، لأنَّهم لم

• ) ١( كذا .

يُستخدمُوا الحصَلَ (٢٤١) لهم الفسرُ من وجهين : الأول : ممّا وقع عليهم من الخُصْنِي الموجِبِ لفقدِ اللذَّةِ العظيمة ، وقطعِ النِّنَاسِلِ . والثَّانِي : من ضيقِ المعيشةِ .  
 فإنْ قيلَ : إذا كانَ الْأُمْرَاءُ كالمُلُوكِ ومنْ يجْرِي بِحُراهم ، يجتمعونَ كثِيرًا من النساءِ فِي دُورِهِم ، وَكُلُّهُنَّ شَابَاتٍ — ومن المعلومِ أَنَّ الْفَيْرِيَةَ موجودَةٌ فِيهِنَّ ، كَمَا هِيَ موجودَةٌ فِي الرِّجَالِ ، لِأَنَّهُنَّ شَقَائِقُهُمْ — فَكَيْفَ يَعَاشُنَّ بَعْضَهُنَّ ، خَصوصًا إِذَا أَحْبَبَ الرِّجَلُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ ، وَأَعْرَضَ عَنِ غَيْرِهَا ؟

قلتُ : إنَّ العِدَاوَةَ واقعَةٌ يَنْهَى عَنِ قَدْرِ أَحْوَاهِهِنَّ ، فَكُلُّهُنَّ تَنْمَى أَنْ يَخْلُو (١)  
 لِهَا وَجْهُ زَوْجِهَا ، وَلَا يَأْفِ سُوَاهَا . لَكِنَّ لَمَّا كُنُّ تَحْتَ قَفْرِ الزَّوْجِ ، خَصوصًا إِنْ كَانَ مِلِكًا ، يُخْفِيَنَ الْبَغْضَاءَ ، وَيَظْهِرُنَ الْمَلُوَّدةَ . وَهَذِهِ عَادَتُهُنَّ فِي إِخْفَاءِ مَا يُبَطِّنُنَ وَإِخْلَامِهِنَّ ،  
 وَلَا يَظْهُرُ مَا أَخْفَتُ الْمَرْأَةُ مِنْهُنَّ إِلَّا إِذَا زَالَ (٢) خَوْفُهَا ، وَمَلَكَتْ رُشْدُهَا . وَحِينَئذٍ تُظْهِرُ  
 مَا كَانَ كَامِنًا فِي صُدُرِهَا .

فإنْ قيلَ : مَا رَتِبَهُ نِسَاءُ السُّودَانِ فِي الْجَمَالِ ؟ قلتُ : أعلمُ أَنَّ نِسَاءَ السُّودَانِ  
 عَلَى أَقْسَامٍ فِي ذَلِكَ ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ قَبْيَلَةٍ يَوْجِدُ فِيهَا الْجَمِيلُ وَالْقَبِيْحُ ، لَكِنَّ هَنَاكَ  
 قَبَائِلٌ يَوْجِدُ فِيهَا الْجَمَالُ أَكْثَرُ ، وَآخَرِي يَوْجِدُ فِيهَا الشَّوَّهُ أَكْثَرُ . وَأَفْلَقَ قَبْيَلَةٍ فِي دَارِ  
 الْفُورِ [مَعْرُوفَةٌ] بِالْجَمَالِ هُنَ التَّمُورَكَهُ ، لِأَنَّهُمْ وَحْشِيُّونَ أَهْلُ حِبَالٍ وَسُوءِ مَعَاشٍ ، وَكَذَا  
 السَّكَرَ اكْتُرِيتُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّ قَبْيَلَةَ الْبَرْقِيِّ (٢٤٢) وَالْمِيدُوبُ أَجْمَلُ نِسَاءٍ مِنْ غَيْرِهِمَا .  
 وَيَلِيهِمَا قَبْيَلَةُ الْبِيَهَهُو وَالْبَرْقُو وَالْمِيمَهُ وَالثَّنْجُورُ . وَأَشَوَّهُ قَبَائِلُ الْفُورِ نِسَاءُ أَعْجَامِ الْفُورِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : يَخْلُ ، بِضمِ الْلَّامِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : زَادَ .

و يليهم الداجُو والبرِّقِد والمسالِيط ، كَمَا أَنْ فِي دَارِ الْوَادَى قَبِيلَةُ أَبْنَ سَنُونَ<sup>(١)</sup> و ملنقا<sup>(٢)</sup> أَوْ مَنْقَأَأَجْلِ الْوَادَى نِسَاء ، و يليهم الـكُوكُوكَه<sup>(٣)</sup> و الميمَه و كشمرَه<sup>(٤)</sup> . وأقبحُها نِسَاء التَّامَّا ، و يليها البرِّقِد والمسالِيط والداجُو . ولا يقدرُ الإِنْسَانُ أَنْ يساوِيَ بَيْنَ جَمَالِ أَهْلِ السُّودَانِ وغِيرِهِمْ مِنْ أَهْلِ بَلَادِنَا لَا خِتْلَافِ اللَّوْنِ .

تنبيه :

أَجْلُ أَهْلِ بَلَادِ السُّودَانِ عَمومًا مِنْ مُشْرِقِهَا لِمُغْرِبِهَا نِسَاء عَفْنُو<sup>(٥)</sup> ، و يليهم باقرمهه و بَرْنُو و سَنَار . وأوْسْطُهُمُ الْوَادَى ، و يليهم الـفُورُ ، وأقبحُهم الشُّبو<sup>(٦)</sup> و الـكَتَكُوكُ . و بالـجَلَةِ فَابْجَمَـالُ يُوجَدُ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ ، لَكِنْ قَدْ يَقُلُّ فِي وَاحِدَةٍ وَيَكُثُرُ فِي أُخْرَى ، و سَبِّحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شَاء بِمَا شَاء ، لَرَبَّ غَيْرِهِ ، وَلَا مَعْبُودَ سَواهُ . فَـكُلُّ أَسْمَـرَ مِسْكَـاً ، وَلَا كُلُّ أَحْمَـرَ يَاقُوتًا ، وَلَا كُلُّ أَسْوَـدَ زَبَادًا<sup>(٧)</sup> ، وَلَا كُلُّ لَمَاعِـ

(٢-١) أَبْنَ سَنُونَ - ملنقا : اسْم يطلق على جبل في وادى ، واليه تنسب قبيلة السنوين او أَبْنَ سَنُونَ . كانت هذه القبيلة على الوثنية ، ثم اعتنق أفرادها الإسلام على يد السلطان صليح ، واستطاع بواسطتهم أن ينشر الإسلام في وادى ، فاعتنقته قبائل منها : ملنقا ، مدبا ، مدلا وارتبط السلطان صليح وهذه القبائل الأربع برباط المصاهرة ومنها جميعا نشأت الأسرة المالكة في وادى .

Voyage au Ouadai, pp. 69-73.

(٣) كوكه : قبيلة تسكن جنوب شرق وادى . ترجع أهمية هذه القبيلة في وادى إلى أنها كانت مصدرا هاما للحصول على الرقيق .

" Voyage au Ouadai, p. 247.

(٤) كشمره : قبيلة من قبائل وادى تقطن وادى البطيحة على بعد اربعة أيام من مدينة وارة عاصمة وادى .

Voyage au Ouadai, p. 246. .

(٥) عفُنو : أحدي بلاد اقليم نفه غربي أغاديس .

Voyage au Ouadai p. 25.

(٦) التبو : يطلق لفظ تبو بصفة خاصة على سكان اقليم نيساري وبعرفون كذلك باسم تدا Teda . انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « تبو » .

(٧) الزباد طيب معروف ، وهو رشح يجتمع تحت ذنب السنور (اي قط الزباد) على المخرج ، فتمسك الدابة وتمنع الا ضطراب ويسلت ذلك الوسخ المجتمع هناك بليطة أو خرقه (عن القاموس) .

ماساً . وإن شئت قلت : ما كلُّ أسودَ فمًا ، ولا كلُّ أحمرَ لِحًا ، ولا كلُّ أبيضَ  
جِيرًا ، فقد يوجد في الأسود والأسمري من الجمال ما لا يوجد في الأبيض الشاهق . وكأنَّ  
بقائي يقول : وهل تستوي الظلامات والنور ، أو الظل والحرور<sup>(١)</sup> ؟ لكنَّ مِن الناسِ  
مَن تُشَقِّقُ فِي الشَّمْرِ حَيْثُ قَالَ ، (٢٤٣) مِن الطويل :

وَفِي الشَّمْرِ مَعْنَى لَوْ نَأْمَلْتَ حُسْنَهُ لَمَا عَشِقْتَ عَيْنَكَ بِيَضَّا وَلَا مُحْرَماً  
وَأَحَبَّ بَعْضُهُمُ السَّوَادَ وَبِالغَ حَتَّى قَالَ ، مِن الْوَافِرِ :

أَحَبُّ لِأَجِلَّهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحَبُّ لِأَجِلَّهَا سُودَ السَّكَلَابِ

وَكُنْتُ قَدِيمًا مُؤْرِمًا بِهَذَا الْمَذْهَبِ قَلْتُ ، مِن الْوَافِرِ<sup>(٢)</sup> :

يَلْوُمُونِي عَلَى حَبِّي بِسَوْدَادِ وَمَا عَلِمُوا السُّيَادَةَ فِي السَّوَادِ  
فَقَلْتُ لَهُمْ : دَعُونِي لَا تُلْوِمُونِي لَا تُلْوِمُونِي  
وَجُلُّ الْبَيْضِ لَوْلَا الْحَاجِبَانِ وَخَالُ الْخَلْدَ حَالِكُ فِي السَّوَادِ  
لَمَا عُشِّقُوا وَلَا نُظِرُوا بَعْنَى وَلَكِنَّ الْفَضْيَلَةَ فِي السَّوَادِ

وَفِي الْأُولِي ، السَّوَادَ ، بَعْنَى : السُّوَادَ ؛ وَفِي الثَّانِي ، بَعْنَى : الْمَالَ ؛ وَفِي الْثَالِثِ ، بَعْنَى :  
السَّوَادُ الْحَقِيقِ ؛ وَفِي الْأَرْبَعِ ، [بَعْنَى] : الْعَالَمَ الْكَثِيرِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ، مِن الْبَسيطِ :

قَالُوا : تُشَقِّقُهَا سُوَادًا ، فَقَلْتُ لَهُمْ : لَوْنُ الْغَوَالِي وَلَوْنُ الْمِسْكِ وَالْعُودِ  
إِنِّي امْرُؤٌ<sup>(٣)</sup> لَيْسَ حُبُّ الْبَيْضِ مَكْرُمَةً عِنْدِي وَلَوْخَلَتِ الدُّنْيَا مِنَ السُّوَادِ

(١) هذا اقتباس من الآية القرآنية : « وما يستوي الأعمى وال بصير ، ولا الظلامات  
ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور » سورة فاطر ، آية ٣٥ .

(٢) في هامش الأصل : المهرج .

(٣) في الأصل : أمرء .

وقال الفاضلُ الشِّيخُ عبدُ الرحمن الصَّفْقِيُّ، من الكَاملِ:

بِالرُّوحِ أَنْتَرَ، نُقْطَةٌ مِّنْ لَوْنِهِ  
تَكْسُوُ الْبَيَاضَ مِنَ الْجَمَالِ شِعَارًا  
لَا أَعْتَاضَ مِنْ ثُوبِ الْمَلَاحِةِ عَارًا  
مَا مِنْ سُلَافَتِهِ سَكِيرَتُ وَإِنَّمَا  
حَسَدَ الْمَحَاسِنُ بِعَصَاحِتِ اشْتَهَتْ  
(٢٤٤) وَكُنْتُ عَارِضَتُهُ بِقُصْبِيَّدَةٍ مِّنْهَا قَوْلِيُّ، مِنَ الرِّجْزِ وَالْكَاملِ أَحَقُّ :

الْحَقُّ أَيْضُّ، دَغْ مَقَالَةَ مَعْشِرٍ  
قُدْ عَانِدُوا وَاسْتَكِبَرُوا إِسْتَكِبَارًا

وَقَالَ الصَّفْقِيُّ أَيْضًاً، مِنَ الْبَسيِطِ :

فَالَّوَا : تَعْشَقُهَا سِمْرَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ  
لَوْنُ الْفَوَّالِي وَلَوْنُ الْمِسْنَكِ وَالْخَدْقِ  
وَمَا تَرَكْتُ بَيَاضَ الْبَيْضِ عَنْ غَلَطٍ  
إِنِّي مِنَ الشَّيْبِ وَالْأَكْفَانِ فِي فَرَقٍ

وَتَعَالَى بِعِظَمِهِمْ فِي مَدْحِ الْبَيَاضِ، وَذَمَّ السَّوَادِ، بِكَلَامٍ يَطْوُلُ، وَقَالَ : مَنْ عَانَدَ فِي ذَلِكَ ،  
عَمِيَّتْ بِصِيرَتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَمَحَوْنَا آيَةَ الْلَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَصِّرَةً »<sup>(١)</sup> ،  
« وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّهَا »<sup>(٢)</sup>

\* وَلِلنَّاسِ فِيهَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ \*

(١) فِي الْأَصْلِ : الْقَوْلُ .

(٢) سُورَةُ الْأَسْرَاءِ ، آيَةُ ١٢ .

(٣) سُورَةُ الْبَقْرَةِ ، آيَةُ ١٤٨ .

## (البِابُ الثَّالِثُ)

[ وفيه فصلان ]

### الفصل الأول<sup>(١)</sup>

في أمراض السودان ، والأماكن ، وصحة الأقاليم ، والصيد  
وبعض الحيوانات

يجب على العبد أن يعلم أن الله خص كل إقليم بما لا يوجد في غيره ، وجعل في كل قبيلة خاصة لا توجد في غيرها ، ولذا إذا ترتب إنسان من بلده لأخرى ، يكون هواها مخالفًا<sup>(٢)</sup> لهواء بلده ، تحصل له مشكلات ، فيمرض حين يتغير عليه الهواء ، فربما مات ، وإن لم ينم يطول مرضه ، ولا يصح جسمه ، حتى يعتاد بهواء البلد التي سكن فيها بعد طول المدة .

ولما كان الأمر كذلك ، كان الأولاد الذين يتناسلون من أم وأب فوراً أو يبن مثلًا ، أطول أعماراً وأقوى (٤٥) بنيه . ولذلك ترى الرجل له عشرة من الولد وأكثر ،

(١) في الأصل : « فصل » وانظر صفحة ٢٢٦ حاشية ١ .

(٢) في الأصل : مخالف .

أقوية أصحاء . وكذا أعراب البدية هناك لا يموت الرجل منهم حتى يرى من ولده عدداً كثيراً ، فلو انعكس الأمر : بأن تزوج فوراً فوريّة ، أو عربيّة فوريّة ، ترثي سلالته ضعيفةٌ نحيفَةٌ ، لا يعيش منها إلا ما قل وندر . وهذا مما يدل على أن في البليد والجنسِ خاصيةً لا توجد في غيرها ، لأن كل ولد يوجد من أبوين من نوع واحد ، وبلا واحد ، يكون <sup>(١)</sup> أقوى بنيةً ، وأعدل صحةً . وترى من انعكس فيه الأمر ضعيفاً ، فاسدة اللون نحيفاً .

ورأيتهم في دارفور ، ودار واداي ، يستعينون على صحّة الطفل بأخذ الدم ، فيأخذونه الطفل حين يستكمل أربعين يوماً من ولادته ، ويشرّطون بطنه من الجهتين – أعني : اليمني واليسري – تشاريط كثيرة ، وينزل منه دم غزير . وحين يستكمل ثلاثة أشهر يفعلون به ذلك ، وإن لم يُفْعَل به ، ربما هاج عليه الدم فقتله .

وأكثر أمراض الأطفال عندهم المرض المسمى : « أبو لسان » وهو داء يعتري الطفل في غالبيته ، أى عند اللهاة <sup>(٢)</sup> ، فتحدث له فيها زائدة كلسان العصفور ، عند أصل اللسان ، فيعالجونها بالقطع . وصورة الآلة التي يقطعنها بها هكذا :



[ آلة لقطع زائدة كلسان العصفور عند أصل لسان الطفل ]

(١) في الأصل : كان .

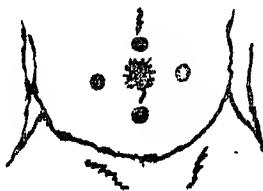
(٢) في الأصل : اللهاة .

(٢٤٦) وهي حديدة مركبة في يد من خشب، ومعها قطعة خشبة ناعمة، فيدخل الطبيب الخشبة أولاً، حتى يوصلها إلى محلّ الذي فيه الزائدة، ويكون العليل قد ضبط ضبطاً جيداً، ثم يدخل الحديدة حتى يصل رأسها المفوج إلى أصل الزائدة من الجهة الأخرى، وتبقى الزائدة بين الحديدة والخشبة، ويتكىء عليها معاً، فتقطع الزائدة بينهما، فيخرج الحديدة والخشبة معاً، فيترى على الخشبة قطعة لحم صغيرة، ويكون قد استحضر على قليل<sup>(١)</sup> من النّطرون، ويسحق جيداً بين حجرين، ثم يبلل الرجل إصبعه، ويحمله على المسحوق فيلتصق به، ويدخله في فم العليل، بعد أن يكون قد دخل الخشبة، إن كان الطفل قد أُنْفَرَ، لكن لا يوصلها إلى محلّ الألم، بل حتى [لا] تتجاوز أسنان العليل. ثم يدعّل محلّ القطع بالمسحوق الذي على إصبعه دعكاً جيداً، فيبرأ العليل بذلك. وإذا ترك أبو الإنسان المذكور أنْحَلَ جسم الطفل، ونشأ عنه إسهال عجيب، فيكون سبباً في قته.

وilyie مرض آخر يسمى عندهم: «أم صُقُع»، ولا يعترى إلا الأطفال أيضاً. وهي استرخاء يقع في الْهَمَةِ وبَثْرَة تحدث فيها، فلا يشرب العليل اللبن، ولا يأكل، ويصفر لونه، فيدعون له بالطبيب، فيأتي وي suction النّطرون كا تقدم، ويضع الخشبة وحدتها في فم العليل، ويدخل إصبعه، فيرفع كماته، وينقاً (٢٤٧) البثرة التي توجد، فينزل منها دمٌ وقيح، ثم يغمس إصبعه مبلولاً بريقه في النّطرون، ويُحْكَث به البثرة والْهَمَةِ، لكن يفعل ذلك ثلاثة أيام، فيبرأ العليل.

(١) عبارة عامية.

وقد يقع الإسهال المفرط ، لكن ينظر في الطفل ، فإن كان ابن سنتين ، ووجدوا المعدة تبرز من محلها حكوها بشفقة حتى فقتو ما فيها من البثور ، وينزل منها دم كثير ، وقللوا ما كله فينرا ؛ وإن كان صغيراً كابن سبعة أشهر أو ثمانية أو نحوها ، كوه حول السرة أربع كيات هكذا :



[ كيات السرة ]

أعني : تكون السرة في الوسط ، ويكون الكثي أعلاها وأسفلها وأيمتها وأيسرها . وقد يعترى الأطفال المرض المسمى بـ «الغزيل» ، وهو مرض ناشئ عن إصابة في المخ ، يترك الطفل يبعث بيديه ورجليه ، على غير الحالة المألوفة . وأهل مصر كأهل تونس يقولون : إنه من الجان ، حين يترك الصبي وحده في محل ، يعتريه هذا الحادث ، فيقتل في مصر وتونس وبلاط العرب أطفالاً كثيرة .

فاما أهل مصر فيستعينون <sup>(١)</sup> في علاجه بالكتابات ، لاعتقادهم أنه من الجن . فيأتون بن له شهرة في الرق والعزم والأقسام ، فيكتسب العليل <sup>(٢)</sup> ويرزق . وهذا قد يصادف أن العليل يخفف منه ، وقد لا ينجح .

(١) في الأصل : يستعينون .

(٢) في الأصل : العليل .

ومنها «المتحى المطيبة»، وهي التي لا ترتفع عن صاحبها إلا بالشفاء أو بالموت. وتسمى في مصر بالنشوة، وهي في عُرفِ الأطباء الآن، التهاب معدى معوي، وكلها عند أهل السودان تسمى بالوردة، لا يمرون فيها<sup>(4)</sup>.

ومن الأمراض العامة الوبائية عندهم: «الجدري»، وهو عندهم كالطاعون

(١) في الأصل: فيبرء.

(٢) الدرت ، في اللهجة السودانية ، معناه : الفترة التي تشتند فيها الحرارة وتنضج فيها الدرة ، وتستغرق حوالي أربعين يوماً من انتهاء فصل الأمطار المعروف في السودان بالخريف ، أي من منتصف شهر سبتمبر إلى أواخر شهر أكتوبر .

(٢) في الأصل: ويغيب.

• کذا ( ۴ )

في مصر، ويشتغل خوفهم منه لأنّه قتال جداً، وكلٌّ من مرض به منهم (٢٤٩) آخر جوهر من البلد إلى محل آخر في الخلاء، وبنوا له عيشة<sup>(١)</sup> تسمى عندهم بـ «الكربابا» وتركوا عنده من يخدمه من يكون قد مرض بالجدرى. وكلما مرض آخر قلوه إليه وهكذا، وهذا هو : الكربابا ، بعينها .

تبنيه :

أخواف أهل السودان من الجدرى أعراب باديتهم ، لأنَّ الجدرى إن دخل في حيٍّ من أحياهم أفننه ، فلذلك تراهم أخواف الناس منه . ولقد أخبرني رجلٌ من أكبر البر وقد يقال له : عثمان ود عائض ، أنه كان مرض بالجدرى وقاسي ما قاسي ثم شفاه الله ، فلما قشر جدرية ، وقبل أن يندمل ، صار يؤذيه الذباب ، فكان يتلثم لاجل ذلك ، قال : بينما أنا ذات يوم متلثم واقف على بابِ داري ، إذ رأيت أعرابياً قد جاء يمشي مشيئاً الحائف ، فلما رأىني أقبل على حتى دنا مني وسلم على ، ثم قال : أمتانة عليك<sup>(٢)</sup> ، هل في حللكم هذه جدرى ؟ فقلت : كفانا الله شر الأمانة . ورفعت اللثام عن وجهي ، فحين رأىني صاح صيحة عظيمة ، وسقط إلى الأرض ، فجاء لصيحته إخوانه من الأعراب فرفعوه وذهبوا به ، و كنت أنا حين جاء إخوانه فررت لثلا يقتلوني . فبلغني بعد ذلك أنه مات بعد ثلاثة أيام .

ومن خرافاتِ أهل السودان أنهم يقولون : إن الجدرى حيوان لا يشاهد إلا أثره يعلق بالإنسان فيقتله . سمعت من كثيرٍ منهم أنه رأى أثره ، (٢٥٠) ويتواترون على ذلك ، ويصدق بعضهم بعضاً . وسألتهم عن أثره كيف هو ؟ فقالوا<sup>(٣)</sup> : أثره نُكت

(١) لفظة عامية وردت بغير ضبط في الأصل .

(٢) عبارة عامية .

(٣) في الأصل : فقال .

مستديرة متولية هكذا :

٥٥٥٥٥

[أثر جدرى]

على سطري واحد . فكل بيت، أصبحنا ورأينا ذلك الأثر دخل فيه، نجد أهله قد أصيبوه .  
عجيبة :

أخبرني القاضي الدليل ، قاضي القضاة بمملكة الوداي ، حين جاء إلى القاهرة سنة ١٢٥٧<sup>(١)</sup> ، أن المرض المسماى بالميضنة — وأهل مصر سمّوه : الهواء الأصفر ، الذى كان آتى إلى مصر من الحجاز سنة ١٢٤٧<sup>(٢)</sup> — ذهب إلى بلادهم وأخربها ، وقتل منها عالماً كثيراً ، وكفنا نُفُونْ أنه لا يصل إلى هناك . فسبحانَ الفعالِ لما يُريد ، لامعقبَ لِمَا يُمْكِن .  
ومن الأمراض العامةِ السَّكِيرَةِ الحصولُ عندهم المرضُ الإفرنجي ، ويُسمى عندهم بالجِقْيل ، وكثيره بينهم لكثرهِ الفسادِ ، وليس له عندهم دواً إلا السكري .

وصفةُ هذا السكري أنهم يأتون بجديدة ، وهى المسماة عندهم بالخشاشة ، وهذه الحديدية مستطيلة مفرطحة ، عرضها بنحوٍ قيراطين ، وطولها بنحو خمسة قراريط أو ستة ، فيحتموها بالنار حتى تحرر ، ولها صورةُ أنبوبةٍ مركبةٍ في وسطها عرضاً ، فإذا أحررت الحديدية أخرجوها من النار ، وصبووا على الأنبوةِ ماءً قليلاً ، ثم يدخلون في تلك الأنبوةِ عوداً يرفونها به ، ويُكونون به المخل الذي ظهر فيه الداء من غير استثناء . ومتى ما شهدَ هذا الداء على أحدٍ — وله أهل — (٢٥١) كَوْهٌ ولو قهراً عنه ، وبهذه المعاجلة شفاء الله بأقرب زمان .

(١) سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م .

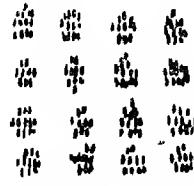
(٢) سنة ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م .

وهذا المرض في كُرْدُفَال أكثر من دارفور ، ودارفور أكثر من الوايادى ، حتى إنه في الوايادى لا يسمع بِإِنْسَانٍ مِرِض بِهِذَا الدَّاء إِلَّا نادراً . وسببُ كثريته في كُرْدُفَال ، أنَّ مَنْ أصَيبَ مِنْهُمْ بِهِ ، يَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَلَّمَا أَعْدَى<sup>(١)</sup> غَيْرَهُ بِهِ يَخْفُ عنَّهُ مَا هُوَ فِيهِ ، وَلَمْ يَذْرُ أَنَّهُ لَوْ أَعْدَى<sup>(٢)</sup> مائةَ أَلْفٍ لَمْ يَنْقُصْ مَا هُوَ فِيهِ شَيْءٌ . فَتَرَى الْمَرِيضُ مِنْهُمْ سواهُ كَانَ امْرَأَةً أَوْ رَجُلًا يُعْدِي خَلْقًا كَثِيرًا ، فَلَذِكَ كَثُرَ عَنْهُمْ .

وفي دارفور ، وإنْ كَانَ كَثِيرًا ، لَكِنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَرَى النَّاسُ مِرِيضًا فَيُعْدِي غَيْرَهُ ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِي مِنْ ذَلِكَ فَيَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى يَبْرُأ ، وَهُوَ كَثِيرٌ ، فَقَلَّ عَنْهُمْ .

وَأَمَا فِي الوايادى كُلُّ<sup>(٣)</sup> مَنْ مَرِضَ بِهِ لَزِمٌ مُحَلَّهُ حَتَّى يَبْرُأ ، فَكَانَ وَجُودُهُ نادراً . وَمِنْهُ : «الْحَصَر» وَهُوَ السَّيَلَانُ الْأَبِيسُ ، وَمِثْلُهِ «الْهَبُوب» ، وَهُوَ رِيحٌ يَنْعَقِدُ فِي الْبَطْنِ الشَّفَافِ لِلْمَرْأَةِ أَوِ الرَّجُلِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ فِي النِّسَاءِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُمْ مُعْدِيَانِ . وَمِنْ الْأَمْرَاضِ الْفَاشِيَّةِ عَنْهُمْ : «الْجَذَامُ» وَهُوَ تَأْكُلُ مَارِنِ الْأَنْفِ وَأَطْرَافِ الْأَصْبَابِ . وَكَذَلِكَ : «الْبَرَصُ» إِلَّا أَنَّهُ أَقْلُ .

وَمِنْهَا : «أَبُو الصَّفَوف» ، وَهُوَ «ذَاتُ الْجَنْبِ» ، وَعَلاجُهُ عَنْهُمْ بِالتَّشْرِيطِ عَلَى الْأَضْلاعِ فَيُشَرِّطُونَ أَرْبَعَةَ صَفَوفَ أَوْ خَمْسَةَ ، كُلُّ صَفَّ أَرْبَعُ شَرَطَاتٍ أَوْ خَمْسٌ هَكَذَا :



[ تَشْرِيطُ الْأَضْلاعِ ]

(٢،١) فِي الْأَصْلِ : أَعْدَاهُ ، فِي الْمَوْضِعَيْنِ .  
(٣) كَذَا .

(٢٥٢) ويَدْعُوكُونَ الْمُلْلَ بَعْدَ التَّشْرِيطِ بِسَحْوَقِ النَّطَرُونَ ، فَيَنْزَلُ مِنَ الْفَتَحَاتِ دَمٌ كثِيرٌ فِي رَأْسِ الْمُصَابِ .

ومنها : «الفرندية» وهو كثير عندهم ويسمى في مصر بالفرندية . وهو ورم يحدث في الساق أو اليد ، أو في محل آخر ، فيتكون فيه قبح <sup>(١)</sup> ، وينتشر من محل البقع خطأً أحياناً طويلاً أشبه بالعصب ، إلا أنه غير متين كالعصب . والظاهر أنه حيوان ، لأنه يخرج ويدخل . وعلاجه البقع والتداهنة بورق العُشَرِ ، المدهون بالسمين ، المسخن على النار .

ومن الأمراض العضوية عندهم : «الشوئية» ، وهي مرض يختص الركبة ، وهو ورم كالفرندية إلا أنه لا يظهر له خطأ ، ويكون داخله قبح كثير . ولا يبرأ حتى ينتشر المثلث بعمقاً غائراً ثلاثة صنوف ، في كل صفي ثلات بعجات أو أربع ، فينزل منها قبح كثير . وبالتدريج يبرأ العليل .

ومنها : «الذرقي» ، وهو مرض يختص الساق على طولها ، وهو ورم كورم الشوئية ، إلا أن هذا يمتد على قصبة الساق ، وذلك مقصورة على الركبة . وعلاجه كعلاج الشوئية ، إلا أن البقع يكون صفين من وحشية الساق <sup>(٢)</sup> ، وصففين من إنسيتها .

ومن الأمراض عندهم ، التي تصيب الأطفال : «الحصبا» <sup>(٣)</sup> و «البزجك» وهي : «القرمزية» <sup>(٤)</sup> .

(١) بقع ، أي : شنق .

(٢) الوحشى من الساق : ظهرها ، وانسيتها : ما أقبل عليك منها . (عن القاموس) .

(٣) كلما رسمت في الأصل .

(٤) في الأصل : القرمزية ، بسكن الراء ، وفتح الميم .

ومن الأمراض العامة : « وجع الطحال » أعني : كبره ، و « الاستسقاء » بأنواعه . وأغلب الأمراض (٢٥٣) عندهم ، إلا الطاعون والسل ، فلا يوجدان ، وإن وجد اللش فنادر . وأما الجراحة فتقدمة بينهم لكتلة الفتق والخرب ، فتراهم يخيطون الجروح ، حتى إن من خرجت أمعاؤه يرددونها ويختطون عايمها وبيارا . وكذا يداوون الشجاجع بأنواعها (١) ، وهناك ناس يسمون : الشلانيحين (٢) ، يعمدون عملية الكترات من العين مع المماراة التامة . ولتكن لا أعلم كيفية العملية ، ولا الآلات المستعملة عندهم لذلك . وأغريف منهم رجلاً شهيراً يسمى : الحاج نور ، غير أنهم لا يستعملون البتر ولا القطع ولا الاستئصال . وأمراض الأذرة (٣) قليلة عندهم . هذا ما اتهى إليه عليه علمي في ذلك . وأطباؤهم مُسيثون ، فلا تجد فيهم طبيباً شاباً إلا نادراً . ومن بَرْع في صناعة الطب تَهَرَّع (٤) إليه الناس ولو من مسافة أيام ، ويكرِّمونه إكراماً تاماً . وأكثر علاجهم التشريط والسكى ، ولا يستعملون من الباطن إلا التمر هندي ، والعلس النجلي (٥) ، والسمن البقرى .

١٢

أخبرني شيخي الفقيه مَدِينُ الْفُوتَاوِي - عليه سحائب الرحمة - أنه كان أصيبي بالنقرس الذي هو وجع المفاصل ، وهو المسما في كتب الطب بداء الملوك .

### ١) في الأصل: بأنواع .

(٢) الشلانجيين جمع، مفرده: شلانج، وهو لفظ فوراوي معناه: طبيب العيون  
Voyage, p. 288.

(٣) الادرة : الفتة ، والمأدور من نصّه فتق في احدى خصيّه (عن القاموس) .

(٤) كذا في الأصل بدل : تهreu بالبناء للمجهول .

(٥) في الأصل : النحل .

وأنَّ أعرابياً من البدية وصفَ له الوقوفَ في السُّمْنِ الْبَقْرِيِّ ، فقال : أمرتُ بإحضارِ  
 كثيِرٍ مِنْ السُّمْنِ الْبَقْرِيِّ ، وسُخِنَ<sup>(١)</sup> عَلَى النَّارِ حَتَىٰ ذَابَ (٢٥٤) ذُوبَانًا تامًا ، فُنِزِّلَ<sup>(١)</sup>  
 عَنِ النَّارِ وَتُرِكَ إِلَىٰ أَنْ هَدَأَ ، وَصَارَ يَتَحَمَّلُهُ الْإِنْسَانُ ، وَرُبِطَ لِي حَلْبٌ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ ،  
 وَصَارَ<sup>(٢)</sup> طَرْفَاهُ بِيَسْدِيَّ ، وَأَفْرَغَ السُّمْنَ فِي قَصْمَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَغَسَّلَتُ رِجْلَيَّ ، وَوَقَفْتُ  
 فِي السُّمْنِ ، وَمَسَكْتُ<sup>(٣)</sup> الْجَبَلَ الْمَذْكُورَ ، فَكَانَ مُعِينًا لِي عَلَى طَولِ الْوَقْفِ ، قال : فَلَمْ أَشْعُرْ  
 إِلَّا وَالسُّمْنُ يَسِرِي فِي جَسْمِي كَسْرَيَانِ الشَّمْ ، غَيْرُ أَنَّهُ أُولَا صَعْدَ<sup>(٤)</sup> إِلَى سَاقَيَ ، ثُمَّ إِلَى  
 رَكْبَتِيَّ ، ثُمَّ إِلَى خَذْنَيَّ ، ثُمَّ سَرَيَ فِي النِّصْفِ الْأَعْلَى ، فَصَرَّتُ أَحِسْ<sup>(٥)</sup> بِهِ يَصْعَدُ فِي جَسْمِي  
 شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَىٰ وَصَلَ إِلَى عَنْقِيَّ ، فَأَخْذَذْنِي دُوَارٌ وَغُشِيشَ عَلَىٰ وَكَدْتُ أَسْقُطَ ، فَتَلَاقَنِي  
 الْخَلْدَمُ وَدَنَرُونِي فِي ثِيَابِيَّ ، وَأَضْبَجَوْنِي عَلَى فِرَاشِيَّ ، وَأَنَا لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَتُ  
 نَهَارِيَّ كُلَّهُ وَلِيَلِيَّ كَذَلِكَ ، ثُمَّ أَفْقَتُ عَنِ الصَّبَاحِ وَأَنَا نَاشِطٌ كَأَنِّي حَلَّتُ مِنْ  
 عَقَالِ<sup>(٦)</sup> ، وَرَأَيْتُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ عَرْقِ كَثِيرٍ كَرِيمَ الرَّاحِةِ . وَبَذَلِكَ شَفَانِي اللَّهُ .

وَأَخْبَرْنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ أَهْلَ الْبَادِيَّةِ كَذَا يَفْعَلُونَ ، حَتَىٰ بَلَغَ هَذَا الْخَبِيرُ مِيلَنَ التَّوَاتِرِ .  
 وَلَكَوْنِهِمْ يَتَعَاطَوْنَ السَّحْرَ كَثِيرًا يَتَداوَوْنَ بِالْكِتَابَةِ . وَعِنْهُمْ أَنَاسٌ مَشْهُورُونَ بِذَلِكَ ،  
 وَأَكْثُرُهُمْ شَهْرَةً [الْفَلَاثَةَ] .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَسُخِنٌ » وَ « فُنِزِّلٌ » بِالْبَنْاءِ الْمَجْهُولِ ، وَلَكِنْ بِغَيْرِ تَشْدِيدِ  
 فِيهِمَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَصَارَتْ .

(٣) كَذَا بِدُونِ هِمْزَةٍ .

(٤) كَذَا بِفَتْحِ الْعَيْنِ فِي الْأَصْلِ .

(٥) كَذَا بِفَتْحِ الْهِمْزَةِ وَهِيَ صِيغَةُ عَامِيَّةٍ سَبَقَ اسْتِعْمَالِ الْمَاضِ مِنْهَا .

(٦) كَذَا بِضْمِ الْعَيْنِ .

وكيفية الولادة عندَهُمْ أَنَّهُ إِذَا أَخْدَى ابْنَاءَهُمْ بَعْضَ الْجَائِزِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَرَبِطُوا<sup>(١)</sup> لَهَا حِبْلًا فِي سَقْفِ الْبَيْتِ فَتُمْسِكُهُ وَهِيَ وَاقِفَةً ، وَتَعْتمَدُ عَلَيْهِ كَلَّا اشْتَدَّ بِهَا الْوَجْعُ ، وَتُفَرِّجُ بَيْنِ رِجْلَيْهَا حَتَّى يَسْقُطَ الْمُولُودُ ، فَتَتَلَقَّاهُ (٢٥٥) إِحْدَى النِّسَاءِ الْحَاضِرَاتِ ، وَتَقْطَعُ سُرَّهُ<sup>(٢)</sup> وَتَضَجِّعُنَّ<sup>(٣)</sup> الْبَاقِيَاتُ النِّسَاءُ عَلَى فَرَاسِهَا . إِذَا تَمَّ الْمُولُودُ أَسْبُوعٌ<sup>(٤)</sup> عَمِلُوا لَهُ عَقِيقَةً ، كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ ، فَتَجْتَمِعُ النِّسَاءُ عَنْدَ النِّفَسَاءِ ، وَالرِّجَالُ مَعَ الرِّجَالِ ، وَيَكُونُ قَدْ ذَبَحَ شَاةً ، فَتَأْكُلُ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ لَحْمَ الشَّاةِ ، وَيُسَمُّونَ الْمُولُودَ ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ . وَيُطَعِّمُونَ النِّفَسَاءَ فِي ذَلِكَ الْأَسْبُوعِ عَنْدَ الصَّبَاجِ «الْمَدِيْدَة» ، وَهِيَ : الْحَرِيرَةُ، بِلْغَةِ أَهْلِ مَصْرُ، وَالْخَسُوُّ، بِلْغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، وَالْكَرِيمُ، بِلْغَةِ الْإِفْرَنجِ ، وَعِنْدَ الظَّاهِرِ لَحْمُ دُجَاجَةٍ<sup>(٥)</sup> ، إِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ ، فَإِنْ كَانُوا فَقَرَاءَ فَالْمَدِيْدَةُ أَيْضًا<sup>(٦)</sup> ، وَهِيَ مَرْكَبَةٌ مِنْ دَقِيقِ الدَّخْنِ، وَدَقِيقِ التَّبَلْدِيِّ أوِ الْهَبْجِيلِيْجِ ، فَإِنْ كَانَتْ كَانَتْ مِنِ الْهَبْجِيلِيْجِ كَانَ بِهَا مَرَادٌ<sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ كَانَتْ مِنِ التَّبَلْدِيِّ كَانَتْ حَامِضَةً . فَإِنْ تَمَّ الْمُولُودُ شَهْرَانْ أَوْ ثَلَاثَةَ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ عَلَى ظَهِيرَهَا ، وَرَبَطَتْهُ بِثُوْبِهَا ، وَيُسَمُّ ذَلِكَ الْمَحْلَ : قُوقُو<sup>(٨)</sup> . فَتَحْمِلُهُ كَذَلِكَ وَتَذَهَّبُ إِلَى شَتْوَنَهَا مِنْ زَرْعٍ وَمَاءٍ وَحَطَبٍ ، حَتَّى يَشِبَّ<sup>٩</sup> .

وَمِنْ عَادِتِهِنَّ أَنْهُنَّ يُرْضِعُنَّ أَوْلَادَهُنَّ حَوَّلَنِينِ فَأَقْلَى<sup>١٠</sup> كَالْإِسْلَامِيَّيْنِ . وَلَا يُرَوُّجُنَّ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٢) السُّرُّ مَا تَقْطَعُهُ الْقَابِلَةُ مِنْ سَرَّةِ الصَّبَى (الْقَامُوسُ) .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : لَلْوَلَدِ || سَبْوُعَ .

(٥) فِي الْقَامُوسِ : الدَّجَاجَةُ لِلذَّكَرِ وَالْأَنْثَى وَيُشَلِّثُ . وَقَدْ جَاءَتِ الْفَظْوَةُ هُنَا بِالْضمِ كَمَا سَتَرَدَ لِفَظْوَةِ دَجَاجٍ بِالْضمِ أَيْضًا فِي صَفَحَةِ ٢٨٩ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : الْمَدِيْدَةُ أَيْضًا .

(٧) دَأَبَ الْمُؤْلِفُ عَلَى اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصِّيَغَةِ ، بَدْلٌ : مَرَادَةٌ .

(٨) بِهَذَا الضَّبْطِ فِي الْأَصْلِ ، وَفِي التَّرْجِمَةِ الْفَرْنَسِيَّةِ « gôgo » Voyage, p. 291 .

بناتهن<sup>(١)</sup> إلا إذا بلغت البنت الحلم ، وعرفت منفعة الرجل .  
 ولقد مكثتُ عندَم سبع سنين ، ما رأيتُ عروسًا تزوجتْ قبلَ بلوغها ؛ وإنْ عُقِدَ عقدُها قبلَ البلوغ ، لا يئنُ بها الرجل إلا بعدَ بلوغها ، لأنَّ عادتهم أنَّ الرجل يمتلك ، ويترك<sup>(٢)</sup> [عرسها] مدةً ، فنهم من لا يبني بعرسه إلا بعدَ سنين ، ومنهم بعدَ ثلاثة . والمستعجلُ منهم يبني بعدَ سنة لأنَّهم لا يمتلكون عليها إلا إذا تهُزَّتْ البلوغ . هذا في البكر ، وأما الثيبُ فيبني بها الرجل يوم ملائكة<sup>(٣)</sup> أو غده .

\* \* \*

وأما قراءةُ القرآنِ فتأخرَةً جداً ، لأنَّهم لا يقرئون القرآنَ إلا بالليلِ في المكاتبِ ، فيكونُ الصبيُّ في النهارِ سارحًا بماشته من غيم أو بقر ، وبعدَ أن يرجع في المساء يأخذُ لوحه ويدهبُ إلى المكتبِ . وعلى كلٍّ صبيٌّ الإتيانُ بالخطبِ يوماً ، فقيدون<sup>(٤)</sup> النارَ ومحظون بها ، فيستضيئون بضوئها ، وعلى ذلك الضوء يحفظون ويكتبون . وحفظهم غيرُ جيدٍ ، فلن ذلك قلَّ من يحفظُ القرآنَ منهم حفظاً جيداً .  
 وأما قراءةُ العلومِ فتأخرَةً أيضاً<sup>(٥)</sup> لعدم العلماء . وأكثرُ قراءتهم للفقهِ والتوحيدِ .

(١) في الأصل : بناتهن .

(٢) أي تزوجه .

(٣) كذا وهي صيغة دارجة . تقول العامة : قاد النار يقيدها ، والصواب أو قد النار يوقدها . وقد استعمل المؤلف هذه الصيغة الدارجة في أكثر من موضع من الكتاب ، كما سيرد مثلاً في ص ٢٨٥ .

(٤) في الأصل : ايسه بالهاء وقد وردت هكذا مراراً .

وأَمَا الْمَعْقُولُ فَقَلِيلٌ جَدًّا ، وَمَعَ قَلْتَهُ لَا يَقْرَءُونَ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ النَّحْوِ .  
وَأَمَا الْمَعَانِيُّ وَالبَيْانُ وَالبَدِيعُ وَالْمَنْطَقُ وَالْعَرْوَضُ فَلَا يَعْرِفُونَ مِنْهُ إِلَّا الْاسْمُ ، وَمَنْ  
يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ يَكُونُ قَدْ تَغَرَّبَ لِبَلَىٰ آخَرَ كَيْمَرْ وَتَلَقَّاهُ فِيهِ ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ كَانَ  
هُوَ الْعَالَمُ .

وَأَكْثَرُ مَا يَعْمَلُونَهُ الرُّوحَانِيُّ وَالسَّحْرُ ، وَيُسَمُّونَ عِلْمَ السَّحْرِ : عِلْمَ الْطَّبِّ ، وَمَنْ مَهَرَ  
فِيهِ سُكُونٌ : « طَبَّابِيٌّ » . وَهَذَا الْعِلْمُ يُوجَدُ عِنْدَ الْفُلَانَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقَدْ نَذَرْ كَمَا وَقَعَ  
مِنَ الْفَقِيهِ مَا لِيَكَ فِي ( ٢٥٦ ) أُولَادِ السَّلَاطِينِ ، وَسِحْرِهِ إِلَيْهِمْ ، حَتَّىٰ رَجَعُوا إِلَى الْفَاسِرِ  
بَعْدَ مَا هَرَبُوا مِنْهُ ، وَمَا وَقَعَ مِنَ الْفَقِيهِ تَمَرُّو .

\* \* \*

تَذَبِّيَّهُ : أَعْلَمُ أَنْ دَارْفُورَ — وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا إِقْلِيمًا وَاحِدًا ، وَمَلَكَةً وَاحِدَةً —  
هُوَأُهُدًا مُخْتَلِفٍ ، وَأَصْحَاهَا الْقَوْزُ . فَلِذَلِكَ تَجَدُّ مَنْ فِيهِ مِنْ أَعْرَابِ الْبَادِيَّةِ أَقْوِيَاءً أَجْرِيَاءً<sup>(١)</sup> ،  
لَسْلَامَةً أَرْضِهِ مِنَ الْعُفُونَاتِ وَالْوَحْيِمِ<sup>(٢)</sup> ، لَكِنْ مَأْوَهُ قَلِيلٌ ، فَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّ مِنْهُمْ  
مَنْ يَبْيَنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ مَسَافَةً يُوْمَيْنِ وَأَكْثَرَ .  
وَيَلِيهِ فِي الصَّحَّةِ بِلَادُ الزَّغَاوَةِ الْمُسَمَّأُ بِدَارِ الرِّيحِ ، فَلِذَلِكَ تَجَدُّ الزَّغَاوَةَ وَالْبَدِيَّاتَ<sup>(٣)</sup>  
الْقَاطِنَيْنِ بِهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَلَسْلَامَةِ الْأَعْضَاءِ .

(١) أَصْلُ هَذِهِ الصِّيَفَةِ : « أَجْرِيَاءُ » بِهِمْزَتِينِ .

(٢) كَلْدَا بِكَسْرِ الْخَاءِ .

(٣) أَحَدُ الْقَبَائِلِ الْبَدِيَّةِ الَّتِي تَسْكُنُ شَمَالَ دَارْفُورَ ، وَتَقْعُدُ مَوَاطِنُهُمْ شَمَالِيَّ  
الْزَغَاوَةِ وَجَنُوبِيَّ الْقَرْعَانِ . وَيَنْتَسِبُ الْبَدِيَّاتُ إِلَى الْزَغَاوَةِ . مُحَمَّدُ عَوْضُ  
مُحَمَّدٌ : ( السُّودَانُ الشَّمَالِيُّ ) ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

Mac Michael, H.A.; op.cit. pp. 52-53.

وأرداها هواء الصعيد لكتلة مياها ، خصوصاً جبال مرّة ، ووحشها وغلوتها ،  
لكن لا تكون أرضه وخيمة إلا على من لم يعتدّها . وأماماً المؤودون فيها تراهم  
أصحاب أقواء ، لكن عندهم الحمى كثيرة ، وأرضاً من الصعيد المدن ، وأقواءها الفاسد ،  
ويابس كوبيه وگنكابية . وأما سلا ، وفقرؤ ، وينجاء ، وشالا ، فأوخر الأمانة كلها ،  
لكتلة الرطوبة عندهم ، واستمرار الأمطار ، لأنها لا تنتفع في السنة إلا مدة  
شهرين أو ثلاثة .

ومع ما في دار الفور مما ذكرناه من الأمراض ، كل منهم يحب وطنه ، ويألف  
سكنه . وإذا تحول إلى غيره يبكي عليه ، ويتمى الرجوع إليه ، وهذه غريزة جبل عليها  
الإنسان ، وانطبع عليها الجنان ، (٢٥٨) من قديم الزمان . فلذلك كان المصطفى – صلى الله  
عليه وسلم <sup>(١)</sup> – يحن إلى مكة حنيناً للمشتاق ، ولو لأن الله أمره بسكنى المدينة لأقام بهكمة  
بعد الفتح باتفاق .

ليكن من حيث أن أمراض بلاد السودان لم تكن وبائية قنالة ، كانت أعمارهم  
أطول من أعمار غيرهم ، فلذلك تجد فيهم المسلمين ، حتى تجد من تجاوز المائة وعشرين <sup>(٢)</sup> .  
وأما أبناء السبعين والثمانين والتسعين ، فلا يكاد أن يحصرهم العدد ، ولا يوقف لكثرتهم  
على حد . هذا مع ما أبقيلوا <sup>(٣)</sup> به من الفتنة ، والحروب والمحنة ، لأن كل  
قبيلتين منهم ينهمي مسفوكة ، وثار مطالب به غير متراك . كما ينـ البرتـ

(١) في الأصل : ص م .

(٢) كذا .

(٣) كذا في الأصل .

والزيادية<sup>(١)</sup>، وبني عمران والميمه و[الغلاّتا والمساليط والمسيرية المحر والرّزقيات والمجانين] وبني جرار والزّغاوة والحاميد مما لا يكاد يحصى . هذا خلافٌ فِيَنَّ الملوكي ، وخلافٌ ما يصيّرُ من القتل في مجالسِ الشراب ، أو في المعاندةِ على الكواعبِ الأتراك . ولو لا ذلك لكانوا في الكثرةِ كياجوج وماجوج ، وضاق بهم الفضاء والمرُوح .

فإنْ قلتْ : إذا كان الأمرُ كذا ذكر ، فما بال النساء العجائز قليلة ، مع أنهن لا يقاتلن ولا يخضرن حرباً . فلو كان ما ذكر صحيحًا في عدم كثرة الرجال ، كان وجود النساء المسنات كثيراً مع أنهن مثلمهن أو أقل ؟ قلتْ : لما كان يحزن على من قُتل لهن من الرجال ، ويتحمّلن بعدَهُم الفخر والنّكال ، (٢٥٩) كن عرضة للأمراءِ المردّية ، الحالبة للمنية ، بسبب ما يحصل لهن من الانفعالات النفسانية ، ومع ذلك هن أكثرُ من الرجال المسنّين .

ولقد كنتُ في بلدة أقل عاراً وسكاناً ، وهو أبو الجدول ، ورأيتُ فيها من المسنّين والمسنّات كثيراً ، وكلّما دخلتُ حلةً أرى فيها أكثرَ من ذلك ، مع أنّ معيشتهم في غاية الانحطاط ، لو تناول<sup>(٢)</sup> منها أحدٌ من أهل بلادنا مرةً واحدةً لذهب منه النشاط ، لأنّ أكثرَ ما كلّهم إما مُرّة أو متغّنة ، ويرؤون أن هذه هي النعمةُ المستحسنة .

(١) تنتمي قبيلة الزيادية إلى مجموعة بني فزاره . كان القسم الأكبر من هذه القبيلة ، فيما مضى ، يعيش في دارفور ، وقليل منها في كردفان ، غير أن الزيادية في دارفور تعرضوا لاضطهاد شديد زمان المهدية ثم زمان السلطان على دينار ، ومن ثم اضطر معظمهم للمهاجرة إلى قرب مواطن دار حامد في كردفان ، حيث أصبحوا من رعاة الإبل . ولم يبق من الزيادية في دارفور في الوقت الحاضر سوى عدد قليل . محمد عوضي محمد : (السودان

الشمالي ، ص ٢٢١) . Mac Michael, H.A. : op.cit.pp. 262-3

(٢) كذا .

(وَكُنْتُ حِينَ حَلَّتُ بِبِلَادِهِمْ ، وَلَمْ أُعْنِدْ بِاعْتِيَادِهِمْ ، صُنِعُوا فِي الدَّارِ وَيَكِهٌ<sup>(١)</sup> ، وَدَعَوْنِي أَنْ آكُلَّ مِنْهَا فَأَبْيَتُ ، وَلِمَا سَمِعَ الْدَّى بِذَلِكَ قَالَ لِي : حَيْثُ لَمْ تَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ هَذَا الْأَدْمَ ، لَمْ جِئْتَ هَنَا ؟ وَصَارَ مُتَحِيرًا ، فَكَانَ يَتَكَلَّفُ وَيَصْنَعُ لِي أُرْزًا بِلَبَنٍ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى الْفَاسِرِ ، وَنَزَّلَتُ فِي بَيْتِ الْفَقِيهِ مَالِكِ الْفُوتُوْاَىِ ، حَضَرَ الْعَشَاءَ فَرَأَيْتُ الْأَدْمَ مُرًّا ، فَسَأَلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَيْلَ لِي : هَذِهِ وَيْكَةُ الْمَجْلِيْجِ . فَأَبْيَتُ أَنْ آكُلَّ مِنْهَا . فَجَاءُونِي بِأَدْمٍ آخَرَ ، فَشِيمَتُ مِنْهُ رَائِحَةً مُنْتَنَةً . فَقَلَّتُ : مَا لِهِذَا مُنْتَنٌ<sup>(٢)</sup> ؟ فَقَيْلَ لِي : هَذِهِ وَيْكَةُ الدَّوْدَرِيِ ، وَهِيَ جَيِّدَةٌ عِنْهُمْ . فَأَبْيَتُ أَنْ آكُلَّ مِنْهَا . فَأَخْبَرَ الْفَقِيهَ مَالِكَ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ لِي لِبَنًا حَلِيلًا عَلَيْهِ عُسْلٌ ، فَأَكَلَتُ مِنْهُ . وَلَمَّا حَضَرَ فِي دِيَوَانِهِ لِلسَّمَرِ قَالَ لِي : لَمْ كَمْ تَأْكُلَ مِنْ وَيْكَةٍ (٢٦٠) الْمَجْلِيْجُ أَوْ الدَّوْدَرِيُّ ؟ فَقَلَّتُ لَهُ : إِحْدَاهُمَا مُرًّةً ، وَثَانِيَتَهُمَا مُتَعَفِّفَةً . فَقَالَ : هَذِهِ هُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْلُحُ فِي بِلَادِنَا ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ هَكُذا يَخْشى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ .

وَالْدَّوْدَرِيُّ وَيْكَةٌ تُتَخَذُ مِنْ عَظَامِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَسَائِرِ الْحَيَوانَاتِ ، وَهُوَ أَنْتَمْ يَأْخُذُونَ عَظَامَ الرُّكْبَةِ وَعَظَامَ الصَّدْرِ ، وَيَجْرِّدُونَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْلَّحْمِ ، ثُمَّ يَضْمَمُونَ الْعِظَامَ فِي خَابِيَّةٍ ، وَيَرْكُونُهَا أَيَّامًا حَتَّى تَعْفَنَ ، فَيُخْرِجُونَهَا وَيَهْرُسُونَهَا فِي هَاوِنٍ حَتَّى يَنْهَرِسَ الْعِظَامُ فِي الْلَّحْمِ ، وَيَصْنَعُونَهُ كُرْكَاتٍ فِي جِرْمِ الْبَرْتُقَانِ الْكَبِيرِ ، فَإِذَا أَرَادُوا الطَّبِيخَ أَخْذُوا قَطْعَةً مِنْ كُرْكَةٍ وَذُوبُوهَا فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا قِطْعَةٌ مِنْ عَظَامٍ صَفَوْهَا مِنْ مِصْفَافَةٍ ، ثُمَّ صَبَّوْا ذَلِكَ الْمَاءَ فِي الْقِدْرِ ، وَوَضَعُوهُ عَلَى النَّارِ ، حَتَّى يَصِيرَ لَهُ قِوَامٌ ، فَيَأْتُونَ بِقِدْرٍ صَفَيْرٍ

(١-١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْعِبَارَةِ رَكِيْكَةُ وَكَانَ أَوْلَى بِالْمُؤْلِفِ أَنْ يَقُولَ مِثْلًا : وَحَدَّثَ حِينَ حَلَّتُ بِبِلَادِهِمْ ، وَلَمْ أُعْنِدْ بِاعْتِيَادِهِمْ ، أَنْ صُنِعُوا فِي الدَّارِ وَيَكِهٌ .  
(٢) كَذَا .

يقطّعون فيه قليلاً من البصل ، ويَقُولُونه في قليلٍ من السمن ، ويُصْبِغُونه لذلِك ، ويَضَعُونَ فيه شيئاً من الملح والفلفل والكمبَا ، إن وجدتْ ، وهذا طعام لا يوجد إلا في بيوتِ أمراء الفُورِ .

وأما ويسَّكَةُ الْمَجْلِيْجُ ، فلا يخلو إِنما تَكُونَ مِن الورقِ أو مِن الشَّمَرِ . فَالَّتِي مِن الورقِ هِيَ أَنْهُمْ يَجْتَهُونَ الْوَرِيقَاتِ الطَّرِيَّةَ الْحَدِيثَةَ ، وَيَدْفَعُونَهَا ، وَتَوْسَعُ فِي الْقِدْرِ عَلَى النَّارِ ، وَتَحْرَكُ بِالْمِسْوَاطِ حَتَّى تَمْتَزَّجَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ وَالدَّهْنِ . وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الشَّمَرِ فَكَيْفَيَّتُهَا أَنْهُمْ (٢٦١) يَأْخُذُونَ الشَّمَرَ وَيَنْقَعُونَهُ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ يَهْرُسُونَهُ بِالْيَدِ ، حَتَّى يَذْهَبَ لَهُ كُلُّهُ فِي الْمَاءِ ، وَيَأْخُذُونَ ذَلِكَ الْمَاءَ وَيَصْفُونَهُ فِي قِدْرٍ . فَإِنْ كَانُوا فَقَرَاءَ وَضَعُوا عَلَيْهِ قليلاً مِنَ الشَّحِيمِ وَأَكْلُوا ؛ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ قَادُوا (١) النَّارَ حَتَّى يَصْبِرُوهُ قِوَامًا ، ثُمَّ عَمِلُوا تَقْلِيْةً كَالَّتِي ذَكَرْنَا هَا فِي الدَّوَدَرِيِّ ، وَأَضَافُوا لَهَا حَمَّاً مَدْقُوقًا مِنَ الْقَدِيدِ ، وَصَبَبُوا فِيهَا الْمَاءَ وَتَرَكُوا الْجَمِيعَ عَلَى النَّارِ ، حَتَّى يَحْصُلَ الْامْتَازَاجُ التَّامُ ، فَتَنْزَلَ عَنِ النَّارِ . وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ وِيَاكِهِمْ (٢) . هَذِهِ طَعَامُ أَغْنِيَاهُمْ .

وَأَمَا فَقَرَاؤُهُمْ فَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الدَّخْنَ بِغَيْرِ تَقْسِيرٍ ، وَأَنَّ أَذْمَهُمْ قَبِيجٌ جَدًّا ، لَأَنَّهُ إِمَّا «كَوْل» أَوْ وَرْقُ الْمَجْلِيْجِ الصَّغِيرِ الطَّرِيِّ ، الْمَسْعَى عَنْهُمْ بِ«النَّيْلُمُو» ، أَوْ نُقْلُ السَّمْسَمِ ، أَوْ شَرْمُ الْمَجْلِيْجِ الْأَخْضَرِ ، الْمَسْعَى : عَنْقَلُو ، أَوْ شَرْمُهُ النَّاضِجُ ، وَمَاجُ كُلُّهُ مَا ذُكِرَ الرَّمَادُ الْمَسْعَى بِ«الْكَنْبُو» ، لِقَلَّةِ الْمَالِحِ وَغُلوُّهُ .

وَأَتَرَفُ الْفَقَرَاءُ مَنْ تَكُونُ لَهُ شِيَاهٌ أَوْ بَقْرَةٌ يَحْلِبُ لَبَنَهَا ، وَيَأْخُذُ زُبْدَهُ ، وَيَأْتِدُمْ بِمَخْيِضِهِ . وَلَا يَعْرُفُونَ الْلَّحَمَ إِلَّا بَعْدَ أَشْهَرٍ ، إِنْ ذُبْحَتْ فِي الْبَلَدِ بَقْرَةٌ أَوْ ثُورٌ

(١) راجع ص ٢٨٠ حاشية ٣ .

(٢) ويالك جمع ويكه .

وأقتسموها ، فيأخذُ الفقيرُ منهم قسماً على قدرِ حاله بأمدادٍ<sup>(١)</sup> من الدُّخنِ لا بشيء آخر .  
ولذلك تجدُ كثراً شُتّانِهم يُعانون القَنِيصَ .

\* \* \*

وقد ذكرنا سابقاً أيضاً أنه في كل سبتي يضرِبُ الوزنانيح طبله ، ويخرجُ  
الشبانُ كلُّهم معه للصيد ، فكلُّ منهم يأتي في المساء (٢٦٢) بما تيسَّرَ معه ، لأن  
غاباتِهم فيها كثير من الحيواناتِ الوحشية . فأكثرُ ما يصيدهونه الأُرْنَبُ ثم الغزالُ ثم  
أبو الحصينِ ثم بقر الوحش . وإن وجدوا تيَّنَّاً مريضاً ، أو أخذوه على غرَّة ، قتلوه  
وأقتسموا لحمه .

والثَّيَّنَلُ حيوانٌ وحشىٌ ، على صورةِ البقرِ الأَهْلِي ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ جِزْمَاً ، فَأَعْظَمُه  
كالعجل . وله قرنانِ صاعدانِ مائلانِ قليلاً ، إِمَّا لِلْخَلْفِ أَوِ الْأَمَامِ ، طولُهُما بِنِحوِ  
شَيْرِينَ وَأَقْلَّ ، وَمَعَ وَحْشِيَّتِهِ فِيهِ نُوْعٌ بَلَادِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> ، فَلَا يَفْرُشُ إِلَّا مِنْ نَاسٍ كَثِيرِينَ . وَأَمَّا مِنْ  
رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ فَلَا يَفْرُشُ ، بَلْ يَبْثُثُ مَكَانَهُ ، وَيَنْظَرُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ الْمُتَأْمِلِ .  
وَمِنْ عَادَةِ الْفُورِ : أَنْهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَنْادُونَهُ بِصُوتٍ عَالٍ : يَا يَتَّيَّنَلُ يَا كَافِرَا فِي صَيْرِ  
شَاخِصاً إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَكْتَرِثٍ بِهِمْ ، فَلَا يَرْجُحُ مِنْ مَكَانِهِ إِلَّا إِذَا يَدْنُونَ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ دَنُوناً  
كَلَّيْاً ، فَيَنْتَذِرُهُمْ رُوَيْدَاً روَيْدَاً ، فَإِنْ رَآهُمْ جَدُّوا فِي طَلْبِهِ هَرْوَلَ .

(١) أمداد جمع مدد ، من المكاييل ، وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفى الإنسان  
المعتدل اذا ملأهما ومديده بهما ، وبه سمي مدا . (القاموس)

(٢) في الاصل : بلادة بضم الباء .

(٣) كلًا .

والفرقُ بين التيَّلِ وبقر الوحش المعتادِ ، أنَّ التيَّلَ وإنْ كان نوعاً من بقرِ الوحش ، إلا أنه أصغرٌ حَجْماً ، وقرونه تنبتُ معتدلةً كقرنِ الغزال . وبينَ القرنيْنِ من أعلى انفراجٍ كثير ، ولونُ التيَّلِ أصفرُ كلهُ .

وأمامَ البقرِ الوحشى فنهم<sup>(١)</sup> الأسودُ والأصفرُ والأباقُ الذي لونه مختلطٌ بياضٌ كثير ، وقرونه كقرنِ البقرِ الأهلِي في النَّفَاطِ والاعوجاج ، وحجمُه كحجمِ البقرِ أيضًا<sup>(٢)</sup> ، وبهذا تعلمُ أنَّ التيَّلَ نوعٌ من البقرِ وينتهيُ وبينَ البقرِ الفروقُ المذكورة .

وهناكُ أنسٌ مشغولون بصيدِ الحيواناتِ لا حرفةَ لهم سواها ، وكلَّ منهم قد أعدَ ذلكَ عُدَّةً ، فأما الشَّبانُ فيستعينونَ على الصيدِ بالكلابِ والسفاريكِ لا غير .

وأما الحدّادون «فيحتالون» [على الصيد] وهم على قسمين<sup>(٣)</sup> :

منهم من يتمحَّضُ لصيدِ ذواتِ الأربع كالغزالِ وبقرِ الوحشِ والفيلِ والجاموسِ والصبايع والسباعِ والخرتيتِ ونحوِها . وهؤلاء يجتمعون فرقاً فرقاً ، كلُّ فرقةٍ منهم خمسةٌ أو ستةٌ ، فيأتونَ للطريقِ التي يمرُّ عليها الفيلُ وغيرُه حين ورودِه على الماء ، ويحفرون فيها حفرةً عميقَةً أطولَ من قامة ، ويدقون في مركزِها وتبدأ مدبةَ الرأس ، حادَ السنُّ كالرمح ، ويصلبون على الحفرةِ أعواداً ضعيفةً ، وينظُّونها بالخشيش ، ثم ينطُّون الخشيشَ بالترابِ . فيأتي الفيلُ أو السبعَ أو بقرُ الوحشِ أو الجاموسِ أو الخرتيتِ

(١) كذا .

(٢-٢) في الأصل : «فيحتالون ومنهم طائفة الصياديْن المذكورين لا حرفة لهم سواها وهم على قسمين» ويظهر أنَّ عبارَة : «ومنهم طائفة الصياديْن المذكورين لا حرفة لهم سواها» مقحمة على المتن ، علاوة على أنها لا توجد في الترجمة .

واردةً لماء ، فتقربُ على تلك الحفرة ، فتى ما تقلُّ على الأعوادِ الوطءُ تكسّرتُ تحتَ أرجلهم ، وسقط في الحفرة منها حيوانٌ أو اثنانِ ، فتى نزلَ الحيوانُ بثقلِه على الودَى الذي في المركز ، دخل ذلك الودَى في لحمِه فلا يقدر أن يتحرّك ، حتى (٢٦٤) يأتي صاحبُ الحفرة فيتمّ قتله ، ويأخذ لحمه بعد سُلْخِ جلده ، فيعمّلون اللحمَ قدِيداً ، وهو المسمى عندَهم بالشراميط ، لأنَّهم يشرمِطونه أي يقطّعونه سُيوراً ويأكلونَ منه طَرِيًّا .

فإنْ كانَ فِيلًا أَخْذُوا سِنَّهُ وَجِلَّهُ ، وَقَدَّدا لَحْمَهُ . وإنْ كَانَ خَرْتِيَّا أَخْذُوا قَرْنَهُ وَجِلَّهُ ، وَقَدَّدا لَحْمَهُ ، وَهَذَا الْقَدِيدُ يَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَيَبْيَعُونَ مِنْهُ .

وَكُلُّ فِرْقَةٍ لَهَا جَمَاعَةٌ فِي الْبَلَادِ يَفْتَقِدُونَهُمْ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ ، وَيَأْتُوهُمْ بِمَا يَحْتَاجُونَهُ مِنَ الزَّادِ وَغَيْرِهِ ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ جَمَلٌ يَحْمِلُونَ مَا يَمْجُدوْنَهُ عَنْهُمْ مِنَ الْقَدِيدِ وَالْجَلْوَدِ وَالْقَرْوَنِ وَسِنَّ الْفَيْلِ . فَيَأْتُونَ بِالْجَلْوَدِ فَيَعْمَلُونَ مِنْهَا الدَّرَقُ وَالسَّيَاطِيرُ ، وَيَبْيَعُونَ الْمَاجَ وَقَرْنَ أَكْخَرِتِيَّ وَالسَّيَاطِيرَ لِلتَّجَارِ ، وَيَبْيَعُونَ الدَّرَقَ لِلْعَسْكَرِ .

وَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْدُهُمْ وَيَسْمَوْنَ : الدَّرَامِدَةُ ، فَلَا يَنْعَكِسُونَهُمْ أَبْدًا ، وَلَا يَتَزَوَّجُونَ الدَّرَمُودِيَّ إِلَّا مِنْ جَنْسِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَيَّلُ عَلَى الصَّيْدِ ، بَأْنَ يَأْتِيَ لَهُ الْمَحْلُ الْوُحُوشُ ، وَيَأْتِيَ بِجَبَلٍ مِنْ قِدَّمِتِينَ يَجْعَلُهُ خُرُوتَةً وَاسِعَةً ، فَإِذَا مَرَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْوَاحِشِ وَدَخَلَتْ رِجْلُهُ فِي أَخْرَوتَةٍ — وَهِيَ دَائِرَةٌ أَشْبَهُ بِالْمُرْوَةِ — فَرَفَعَ الْوَحْشُ رِجْلَهُ انْخَرَطَتْ عَلَيْهِ ، وَهِيَ مَا كَيْنَةُ الْأَوْتَادِ ،

فلا يقدر الوحشُ على قطعِها ولا قلعِها ، فيمكثُ حتى يأتيوا<sup>(١)</sup> إليه (٢٦٥) فيقتلوه<sup>(٢)</sup> .  
ومنهم من يعلو على شجرةٍ يقْيَّل تحتها الوحش ، ويكونُ معه حربةُ أو حربانٍ  
من الحرابِ الواسعةِ الحادةِ التي هي هكذا :



[حربة]

فيمكثُ في أعلى الشجرةِ حتى يأتيَ الوحشُ ويُقْيَّلَ ويهدأ ، فينظرُ أمَّنْ هو قريبٌ  
منه ويطعنُه وهو نائمٌ في بطنه ، فتنبرُ باقي الوحشِيِّ التي معه ، ويُمكثُ المطعونُ فينزلُ  
إليه الصيادُ ويتَّمُّ قتله .

ومنهم من يتمحَّضُ لصيدِ الطيرِ . وأحسنُ طيرٍ يُصادُ عندَهم الخبراءِ ، وهو  
طايرٌ عظيمٌ أَكْبَرُ من الدجاج<sup>(٣)</sup> الرشومي ، لونُه أبيضٌ يميلُ إلى الأصفرارِ والخضرة ،  
يسَّمَّنُ في أيامِ الدرَّاتِ<sup>(٤)</sup> سِمناً مُفرطاً ، ويكونُ لحمُه طرِيقاً لطيفاً . وهذا يألفُ دوداً

(١) في الأصل : يأتون .

(٢) في الأصل : فيقتلونه .

(٣) راجع ص ٢٧٩ حاشية ٥ .

(٤) راجع ص ٢٧١ حاشية ٢ .

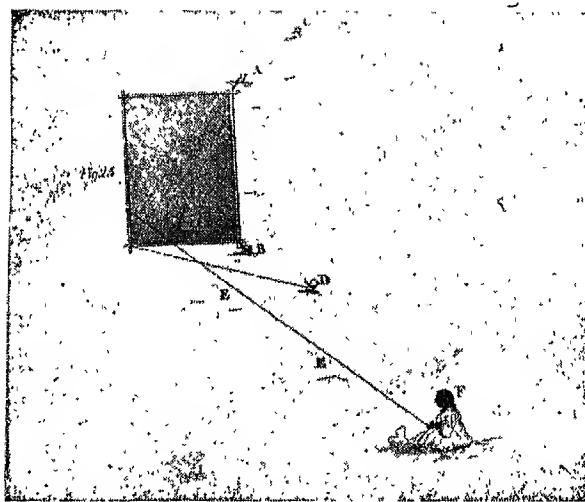
معروفاً عندَهُم ، وحَشَراتٌ صَغِيرَةٌ . فِيأْنِي الصِيَادُ بِذَالِكَ الدُودُ وَالحَشَراتُ ، وَيَكُونُ مَعَهُ خَيْطٌ قَدْ قَتَلَهُ مِنَ الْعَصَبِ فَتُلَأْ جَيْدًا ، وَهُوَ رَفِيعٌ لَا يَكُادُ أَنْ يُرَى لِلطَّائِرِ ، وَيَقْصِدُ الْمَحَالَ الَّتِي يَصِيدُ فِيهَا . فَتَرَى رَأْيِي الصِيَادُ الْجَبَارِيُّ فِي مَحَلٍ رَبْطٌ حَشَرَةٌ أَوْ دُودَةٌ فِي خَيْطٍ ، وَرَبْطٌ الْخَيْطَ فِي أَسْفَلِ شَجَرَةٍ ، وَيَذْهَبُ إِلَى الْجَبَارِيِّ فِي سُوقِهَا — وَفِي الْجَبَارِيِّ بَلَادَةٌ لَا تَكَادُ تُطَيِّرُ حَتَّى يَقْرُبَ إِلَيْهَا أَنْ يَمْسِكَهَا — فِي سُوقِهَا لِجَهَةِ الْحَشَرَةِ أَوِ الدُودَةِ حَتَّى تَرَاهَا ، فَتَرَى (٢٦٦) مَارَأْتُهَا هُرِعَتْ إِلَيْهَا وَابْتَلَعَتْهَا ، وَلَا صَارَتْ الْحَشَرَةُ فِي حُوْصَلِهَا وَأَرَادَتْ تَذَهَّبُ ، يَنْهَمُهَا الْخَيْطُ مِنَ الْذَّهَابِ ، فِيأْنِي الصِيَادُ فِي ذَبْحِهَا وَبِضَمْهَا مَعَهُ ، وَيَرْبُطُ فِي الْخَيْطِ حَشَرَةً أُخْرَى ، إِنْ كَانَ هَنَاكَ جَبَارِيٌّ .

وَيَوْجَدُ أَيْضًا طَيْرٌ آخَرٌ يُسَمَّى : أَبَا طَنْطَرَةٍ ، وَهُوَ أَيْضًا ؛ وَهُوَ طَائِرٌ أَكْبَرٌ مِنَ الْجَبَارِيِّ بَقْلِيلٍ ، وَلِهِ فِي عَنْقِهِ كِيسٌ طَوِيلٌ مُخْرُوطٌ الشَّكْلِ ، أَسْفَلُهُ وَاسِعٌ وَأَعْلَاهُ ضَيقٌ ، يَتَلَقَّ الْحَشَراتِ أَيْضًا كَالْجَبَارِيِّ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيدُ الطَّيْورَ الصَّغِيرَةَ بِالشَّبَّاكِ ، وَهَذَا أَقْلَى الدَّرَامِدَةَ كَسْبَاً ، لِكَوْنِهِ يَغْرِمُ حَبَّاً<sup>(١)</sup> ، إِذَا العَصَافِيرُ وَأَبُو مُوسَى وَأَمْثَالُهُمْ، لَا تَقْعُ إِلَّا عَلَى الْحَبَوبِ ، فِيأْنِي فِي الْمَحَلِ الَّذِي يَرِيدُ الصِيَادُ فِيهِ ، بِحِيثُ يَكُونُ قَرْبَ نَهْرٍ أَوْ بَرْكَةٍ ، وَيَنْصِبُ شَبَّاكَتَهُ ، وَهِيَ

(١) فِي الأَصْلِ : حَبَّا بِكَسْرِ الْحَاءِ ، وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ .

## شبكة مربعة وصورتها هكذا :



[شبكة أصياد المصايف]

ولها أربعة أوتادٍ : وتدانٌ منها (٢٦٧) مربوطانٌ ليُصقَّ ركينها ، وتدانٌ مربوطانٌ في حبلين طويلين في ركينها الآخرَيْن<sup>(١)</sup> ، فيدقُّ الأوتادَ في الأرض ، وفي قرب أحدِ أركانها الوحشى<sup>(٢)</sup> حبلٌ متين طويل جدًا ، فينصبُّ الشبكةَ ويئدرُ الحبَّ أمامها ، ويأخذُ طرفَ الحبلِ الطويلِ ، ويمكثُ بعيدًا عنه . فتى غلاتُ الطيورُ وكثُرَت على الحبَّ ، كفأَ الشبكةَ عليها بالحبلِ الذي في يده . وعيونُ الشبكةِ ضيقةٌ جداً ، فلا يخرجُ منها عصفور ، ولا يفليتُ منها شيءٌ ، فيأتى صاحبُ الشبكةِ ويأخذُ الطيورَ منها . فإنْ كان فيها ما هو غالٍ الثمنِ كالدُّرَّة أو الْبَعَاء ونحوه ، أخذَ ريشَ جناحيه وتركه

(١) كذلك ، بالتأنيث .

(٢) الوحشى : الخارجي .

فِي مِكْتَلِهِ<sup>(١)</sup> . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا ذَلِكَ ذَبَحَهَا كُلُّهَا ، وَبَدَرَ حِجَّاً آخَر . وَحِينَ كَفَتْ هَنَاكَ كَانَتْ لِي شَبَكَةً ، وَكُنْتُ أَصْطَادُ بِهَا فِي بَيْتِي ، فَطَالَتِ الْمِسْافِرَاتِ مِنَ الْمَصَافِيرِ بِصِيدِي بِهَا .

وَهَنَاكَ مَنْ هُوَ مُغْرَمٌ بِصِيدِ الْقُرُودِ وَالْمَنَاسِنِ فِي الْجَبَلِ ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ اصْطَيَا دِهْمَ بِهَا .

وَأَحَسْنُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ الصَّيْدُ بِالْبَارُودِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هَنَاكَ مَتَى مَا كَانَ مَعَهُ بِنَدْفَةٍ جَيِّدَةً ، يَشْبَعُ مِنْ لَحْومِ الْحَيَّانَاتِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ . وَمِنَ الْأَغْنِيَاءِ مَنْ يَشْتَرِي مِنَ الدَّرَامِدَةِ عَبْدًا وَلَا يَكُفُّهُ إِلَّا بِالصَّيْدِ ، فَلَمَّا نَصَحَ ذَلِكَ الْعَبْدُ أَشْبَعَ سَيِّدَهُ مِنَ الْلَّحْمِ .

وَلَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ شِيفِخَنَا الْفَقِيهِ مَدَنِي عَبْدًا يُسَمَّى : سَعِيدًا ، مُسِنًا . فَأَخْبَرَنِي (٢٦٨) أَنَّهُ صَيَّادٌ ، وَأَطْعَمَنِي لَحْمَ غَزَالٍ . وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ صَيِّدِهِ ، وَأَنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ فِي كُلِّ جُمْعَةِ أَنْ يَأْتِيَ لَهُ بِاللَّحْمِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ . فَصِرَرْتُ أَنَّهُ أَنْ يَكُونَ لِي عَبْدٌ مُثُلُّهُ فَمَا عَثَرْتُ عَلَيْهِ .

وَقَسْمٌ مُتَمَحِّضٌ لِصَيْدِ الزَّرَافِ وَالنَّعَامِ ، وَهُمْ أَعْرَابُ الْبَادِيَّةِ : كَالْحَامِيدِ وَالْزَّبَدَةِ وَالْعَرِيقَاتِ بَدَارُ الْوَادَائِي ، وَالْجَانِينِ وَالزَّيَادَيَّةِ وَبَنِي جَرَّارِ وَالْعَرِيقَاتِ بَدَارُ الْفُورِ ، وَكُلُّ مِنْ هُؤُلَاءِ يَصْطَادُ عَلَى الْخَلِيلِ ، فَأَكْثَرُهُمْ صَيِّدًا أَسْبُقُهُمْ جَوَادًا .

ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْهُمْ إِذَا رَأَى صَيِّدًا وَتَبَعَهُ لَا يَقْفُوا أَثْرَهُ ، بَلْ يَهُكَرِيهُ حَتَّى يَحَاذِيهِ ،

(١) المكتل : الزنبيل .

ومتى تمكّن من فريسته عقرّها . فأما النعامُ – وإنْ كان شديد العَدُوِّ – فيوجدُ  
مَن يلتحّقُه ، وأما الزَّرافُ فلا يكادُ يلتحّقُه في العَدُوِّ فَرسٌ ، ولذلكَ لا يلتحّقُ إلا الفرسُ  
الذى يمرُّ كالريح .

وأعرابُ الـبادـيـةـ ، فـدارـفـورـ وـدارـوـادـاـيـ ، مـنـعـمـونـ فـيـماـيـشـتـهـونـ ، لـاـيـحـتـاجـونـ إـلـىـ  
الـدـخـنـ وـالـذـرـةـ وـالـلـبـوـسـاتـ ؛ لـكـنـ يـشـتـرونـ ماـيـحـتـاجـونـهـ مـنـ ذـلـكـ ، بـمـاـزـادـ عـنـ كـفـايـتـهـمـ  
مـنـ السـمـنـ وـالـعـسـلـ وـالـمـوـاشـىـ وـجـلـودـ الصـيـدـ وـالـبـقـرـ وـالـإـلـبـلـ ، حـتـىـ إـنـهـ يـجـلـبـونـ لـدـارـ  
الـوـادـاـيـ وـلـدـارـالـفـورـ الـأـجـرـيـةـ (١)ـ وـالـقـرـبـ وـ[الـبـطـاطـ]ـ (٢)ـ وـ[الـجـيـالـ]ـ [الـمـصـنـوـعـةـ]ـ مـنـ سـيـورـ  
الـجـلـدـ ، وـيـسـمـونـ هـذـهـ الـحـيـالـ الـجـلـدـيـةـ بـالـوـجـجـ وـالـسـيـاطـ وـغـيـرـ ذـلـكـ .

وـأـمـاـ السـمـنـ فـيـنـ أـنـعـمـهـمـ ، وـ[أـمـاـ]ـ العـسـلـ فـيـنـ الـأـشـجـارـ لـأـنـ النـحـلـ يـعـشـشـ فـيـهـاـ ،  
وـهـمـ يـحـتـنـوـهـ . وـالـصـيـدـ كـثـيرـ ، فـلـذـاـ تـرـىـ (٢٦٩ـ)ـ رـيـشـ النـعـامـ عـنـهـمـ لـاـقـيـمـةـ لـهـ ، وـكـذـاـ  
قـرـنـ الـخـرـتـيـتـ .

وـحـينـ كـنـتـ فـيـ دـارـ الـوـادـاـيـ ، جـاءـ بـعـضـ التـجـارـ مـنـ فـزـانـ يـطـلـبـ رـيـشـ النـعـامـ ،  
وـطـلـبـ مـنـ الشـرـيفـ أـحـدـ الـفـاسـيـ الذـيـ توـزـرـ بـعـدـ أـبـيـ ، أـنـ يـكـتـبـ لـهـ كـتـابـاـ إـلـىـ الشـيـخـ  
شـوـشـوـ ، شـيـخـ الـخـامـيـدـ ، بـالـوـصـيـةـ عـلـيـهـ ، وـأـنـ يـأـمـرـ الـأـعـرـابـ بـالـصـيـدـ لـهـ بـرـفـقـ فـيـ الـثـنـ ، وـكـانـ  
مـعـهـ خـسـوـنـ رـيـالـاـ مـنـ الـفـرـانـسـاـ . فـكـتـبـ لـهـ الشـرـيفـ بـذـلـكـ ، فـأـخـذـ الـكـتـابـ وـتـوـجـهـ

(١) الـأـجـرـيـةـ جـمـعـ جـرـابـ .

(٢) صـورـةـ الـكـلـمـةـ فـيـ الأـصـلـ بـطـطـ بـدـونـ ضـبـطـ ؛ وـقـدـ كـتـبـهـ بـيـرـونـ فـيـ التـرـجمـةـ  
الـفـرـنـسـيـةـ (أـوـلـ صـفـحةـ ٣١٠ـ)ـ بـحـرـوفـ لـاتـيـنـيـةـ هـكـذـاـ battahـ . وـتـرـجـمـهـاـ  
يـقـولـهـ : «ـأـوـصـيـةـ مـنـ الـجـلـدـ تـسـتـعـمـلـ فـيـ حـفـظـ السـمـنـ أـوـ الـعـسـلـ»ـ . وـعـلـىـ هـذـاـ  
يـرـجـعـ أـنـ الـكـلـمـةـ الـمـوـجـوـدـةـ بـالـتـنـ هـىـ صـيـفـةـ الـجـمـعـ لـلـفـظـ : بـطـةـ ، وـتـقـرـاـ : بـطـطـ  
بـيـاءـ مـضـمـوـنـةـ وـطـاءـ مـفـتوـحـةـ .

إلى الحاميد بدليلٍ من العربِ، ومكث هناكَ ماشاء الله أن يمْكُثَ . ولما جاءَ أخْبَرَنَا بِأَنَّهُ  
حينَ وصلَ إِلَى حَيْبِهِ وسُؤلَ عنْ بَيْتِ الشَّيْخِ دُلَّ عَلَيْهِ، فَنَزَّلَ فِي أَكْرَمِ ضِيَافَةِ، وأَرْحَبَ  
نُزُلِّ . ولما أَرَاهُمْ كِتَابَ الشَّرِيفِ زَادَ الشَّيْخُ فِي إِكْرَامِهِ، وَبِالْعَفْوِ فِي التَّلْطُّفِ وَالْبَرِّ بِهِ<sup>(١)</sup> ،  
وَأَفْرَدَ لَهُ بَيْتَهُ مِنَ الشَّعْرِ، بِفَرْشِهِ وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُهُ، وَوَكَّلَ وصِيفًا وَوَصِيفَةً لِقَضَاءِ  
مَهَمَّاتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ التَّاجِرُ أَخْذَ مَعَهُ هَدِيَّةً لِلشَّيْخِ الْمَذْكُورِ، فَقَدَّمَهَا لَهُ فَقِيلَّاها مِنْهُ  
وَأَثَابَهُ عَلَيْهَا .

ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ سَلَّمَ لِلشَّيْخِ الْمُحْسِنَ رِيَالًا، فَطَلَبَ الشَّيْخُ الْعَربَ وَقَالَ لَهُمْ : هَذَا  
رَجُلٌ غَرِيبٌ أَضَافَنِي وَالْتَّجَأَ إِلَيْهِ، وَيَرِيدُ رِيشَ النَّعَامِ، فَنَّ كَانَ لَهُ أَرْبَعَ فِي الرِّيَالَاتِ  
فَلِيَغْدُ لِلصَّيْدِ مِنَ الصَّبَاحِ، وَكُلُّ مِنْ أَتَى بِجَلْدٍ ظَلِيمٍ<sup>(٢)</sup> فَلَهُ نَصْفُ رِيَالٍ، وَمَنْ أَتَى  
بِرَبَّدَاءَ<sup>(٣)</sup> فَلَهُ رُبْعُ رِيَالٍ . فَاهْتَزَّ الْعَربُ لِمَطَلِّبِهِ وَأَصْبَحُوا فَانِصِينَ ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ  
(٤٧٠) جَاءُوا بِنِحوِ عَشْرِينَ ظَلِيمًا ، فَكَثُرَ عَنْهُمْ نَحْوَهُمْ<sup>(٤)</sup> عَشْرِينَ يَوْمًا ، فَجَمِعَ  
فِيهَا نَحْوَ مَائَةِ جَلْدٍ ظَلِيمٍ<sup>(٥)</sup> ، وَجَلَّهَا لِهِ الشَّيْخُ عَلَى إِبْلِهِ ، وَزَوَّدَهُ بِزَادٍ كَثِيرٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : وَأَكْبَرِيهِ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ ، الظَّلِيمُ : الْذَّكَرُ مِنَ النَّعَامِ ، وَفِيهِ : الرِّبَادَاءُ مِنَ الْمَعْزِ السُّودَادِ  
الْمَنْقُوتَةُ بِحُمْرَةٍ ، وَلَكِنَّ الْمُتَرَجِّمَ بِيُورُونَ يُورِدُ فِي تَرْجِمَتِهِ شِرْحًا سَمِعَهُ مِنَ الشَّيْخِ  
مُؤْلِفِ الْكِتَابِ مَضْمُونُهُ : أَنَّ النَّعَامَةَ الْبَيْضَاءَ الَّتِي لَهَا فِي كُلِّ جَنَاحِ ثَمَانِ رِيشَاتٍ  
بِيَضِّ ، أَرْبَعَ كَبَارٍ وَأَرْبَعَ وَسْطَاءً ، تُسَمَّى بِالظَّلِيمِ ؛ وَأَمَّا النَّعَامَةُ الَّتِي لَهَا مُثْلُ هَذَا  
الْعَدْدُ مِنَ الرِّيشِ الرَّمَادِيِّ فَتُسَمَّى : أَرْبَدًا (arbada) (كَذَا وَلَعِلَّ الْمُتَرَجِّمُ  
يَقْصِدُ : رِبَادَاءً) ، وَقَدْ حَرَفَ عَرَبُ السُّودَانَ الْأَسْمَاءَ إِلَى رِبَدَهُ (rabdah)  
Voyage au Darfour, p. 459.

(٤) كَذَا وَقَدْ وَرَدَ هَذَا التَّعْبِيرُ مَرَارًا .

Voyage au Darfour, p. 311.

(٥) أَى : جَلْدٌ نَعَامٌ أَبْيَضُ الرِّيشِ .

وكان من جملة ما جاء به دهن الطعام، فإنه جاء منه بكثير، وأني وعه من العسل، والسكنيا كنينا، والسرنة، والسكرنو<sup>(١)</sup>، شيء كثير، وباع في وارة<sup>(٢)</sup> الظليم<sup>(٣)</sup> بثلاثة رياضات، ولم يبق معه إلا نحو عشرة من الجلود، وربح ربحاً كثيراً.

وأما الزراف<sup>(٤)</sup> نفع في المستجر إلا بجلوده يبيعونها، وأما لحمه فیا كلونه طریقاً وقدیداً . ويوجد عند العرب من الأرز ، والدفارة ، والكوريب ، والمجلح ، والتمر هندي ، والعسل ، والسكرنو ، والسرنة ، مالا يوجد عند غيرهم . وأما اللبن فلا قيمة له عند لكتريته ، يأخذون منه السمن ويرمون رائبه ، حتى إن من أتى إلى أحياهم ، رخصوصاً أحياه الرزقيات ، و [ال] مسيرة المحر ، والختانية ، يجد الفدران والبرك القرية منهم كلها لبناً .

(١) انظر شروح هذه الألفاظ في الفصل الخاص بالنبات الذي سيرد بعد .

(٢) وارة عاصمة وادى :

(٣) يزيد جلد الظليم

(٤) كما .

## الفصل الثاني<sup>(١)</sup>

### في معاملة أهل دارفور

قد تقرر في علم التوحيد أن الحقَّ — تعلَّتْ أسماؤه — غُنِيَ عن المُحَلَّ والمحصَّص ، فهو صاحبُ الغَنَاء المطلق ، لا يحتاجُ إلى أحدٍ من خلقِه ، وجميعُ الْخَلَاق لِفَضْلِه مُحْتَاجُون ، ولنواه سائلون ، وعلى أبواب رحمته مُزدحرون .

فنظرَ إِلَيْهِم بَعْنِ رَحْمَتِه ، ووَهَبَ لِكُلِّ مِنْهُم مَا يَقُولُ بِهِ وَبِعَائِلَتِه ، وَفَضَّلَ (٢٧١) بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْق ، فَجَعَلَ مِنْهُم الْمَلُوك ، وَمِنْهُم الْغَنَى وَمِنْهُم الصَّاغُولُوك . وَجَعَلَ لَهُمْ أَسْبَابًا يَتَبَعَّونَهَا فِي طَلَبِ الْأَرْزَاق ، وَأَمَرَ بِالسعيِّ وَالاجتِهادِ خوفَ الإِملاق .

وَمِنْ عَظِيمِ مِنْتَهِيَّهِ أَن جَعَلَ الْبَيْعَ وَالشَّرَاء حَلَالاً بَيْنَ النَّاسِ ، لِيَنالُوا مَا فِي نُفُوسِهِمْ وَيَذْهَبَ عَنْهُم الْبَاس . فَجَعَلَ فِي الْبَلَادِ الْمُتَمَدِّنَةِ التَّقْدِيرُ ، قَرَةَ لِلْعَيْنِ ، يَنالُونَ<sup>(٢)</sup> بِهِمَا مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ أَمْوَالِ مَعَاشِهِمْ ، وَيُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ فِي ارْتِيَاشِهِمْ . وَخَصَّ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — كُلَّ مُلْكَةَ بِسِكْتَةٍ مُعْرُوفَة ، وَدِرَاهَمَ وَدِنَارَيَّ يَدِينَهُمْ مَأْلُوفَة .

لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ أَهْلُ السُّودَانِ فِي بُؤْنِي عَنِ الْمَدْنَى العَظِيمِ ، وَفِي ظُلْمَةٍ وَحُشْشَةٍ

(١) في الأصل : فصل .

(٢) في الأصل : يَنالُونَ .

كالليل البهيم ، كان أغلبهم لا يميز الذهب من النحاس ، ولا الف Cassidy من الرصاص ، حتى من كان في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبراً ، ويرؤون أن بيته كذلك آخرَي ؛ سيما<sup>(١)</sup> مملكة دارفور ، [التي] ليس بها شيء من المعادن إلا ما جلب إليها من الأقطار ، حتى إن أعظم حلي نسائهم كما تقدم من أنواع الأحجار . فهم جديرون أن يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة والفضار . لكن لما وطئت بلادهم التجار ، وتمصرت بالمتاجر فيها الأمصار ، احتلوا إلى سكينة بها يتعاملون ، ويشترون بها ما يشتهون ، فانقسموا في ذلك أقساماً ، وأذهب كل قسم منهم بما اصطلاح (٢٧٢) عليه من المعاملة أواماً .

فأولها الفاشر ، وهو مقر السلطنة ، وتختتم المملكة ، جعلوا من التصدير خواتيم يشترون بها ما يحتاجونه من لحى وجاج وطيب وخطب وخضراوات وغير ذلك ، وتسمى بالفواراوية : تارنيه . وهى على قسمين : غليظة ، وتسمى : تارنيه توتفانيه ؛ ورفيعة ، وتسمى تارنيه بيما<sup>(٢)</sup> ، يتعاملون بها في سفاسيف أمورهم كما ذكرنا . والأمور المهمة يتعاملون فيها بالتكلكي ، جمع تككية ، وهى : شقة من غزل قطن ، طولها عشرة أذرع ، وعرضها ذراع ، وهى على نوعين : شيكه ، وهو منسوج خفيف غير مدمج ؛ وكتكات ، ومنسوجها تقيل مدمج . فمن الأول : كل أربع تكاكى بريال فرنسا ، ومن الثاني : كل اثنين ونصف<sup>(٣)</sup> بريال فرنسا . وما عدا ذلك فيهم كله استبدال

شيء بشيء .

(١) في الأصل : وسيما .

(٢) في الأصل : بيبيانا والضبط عن الترجمة الفرنسية  
Voyage au Darfour, p. 315.

(٣) كما في الأصل ، وفي الترجمة الفرنسية : كل أربع تكاكى ونصف  
Voyage au Darfour, p. 315.

والأمور العظام عندَه تُباع بالرَّقيق ، فيقال : هذا الفرس سُداسيَّين ، أو ثلاثة سُداسيَّا . والسداسيَّ عندَه العبدُ الذي إذا قيسَ بالشَّبرِ ، من كعبِه إلى شحمةِ أذنه ، كان طولُه سُيَّةٌ أشبار ، والسداسيَّ كذلك . وقيمةُ السُّداسيَّ ، من التَّكاري ، ثلاثون تُككيَّة ، ومن الشَّواتِر الزُّرقِ ستَّة ، و[من] البيضِ ثمانية ، ومن البقرِ ستَّة ، ومن الريالات فرنسا عشرة ريالات ، وكلُّ إنسان يشتري بما عندَه .

ولا يعرفون المحبوبَ ، ولا التِّرْشَ ، ولا الفَرَانْك ، ولا الخيرية ، ولا شيءٌ<sup>(١)</sup> من معاملاتٍ (٢٧٣) أهلِ المدنِ ، سوى الريال الفرنسا ، المسمى عندَهم : أبا مدفعَ .

وأما أهلُ كوبيه و بكاريَّة و سرافٍ<sup>(٢)</sup> الدُّجاج ، ففيهم يتعاملون بالخرش<sup>(٣)</sup> ، وهو : خرزٌ ليس بالغليظٍ ولا بالرَّقيق ، منه أخضرٌ ومنه أزرقٌ ، يُعمل سُبُّحاً ، كلَّ سُبُّحةٍ مائةٌ حبةٌ ، وقد قدمَنا الشرحَ علىَه في حلٍّ النساء وزينتهنّ ، فيتعاملون به في سفاسفِ الأمورِ عِوضاً عن التَّارنيَّه في الفاشرِ .

ومن العجائب أنَّ التَّارنيَّه في هذه الأسواقِ الثلاثة لا تُسقى شرابة ماء ، بل المعاملة ناحرشِ من خمسةٍ<sup>(٤)</sup> جياتٍ إلى مائة ، ومن سُبُّحةٍ ، إلى عشرة ، إلى ملا نهادِيه له . وقيمة التُّككيَّة عندَهم ثمانٌ سُبُّح . وبقيمة الأحوالِ كالفاشرِ .

وأمامِ قرْمِي وما ولاها<sup>(٥)</sup> ، فيتعاملون بالقلْقو ، وهو ملْحٌ صناعيٌ مستخرجٌ تراباً من الأرض ، ويصبُّونَ عليه الماء على غالبِ ظنِّي لرسوبِ الأوساخ والأترية ، ويُصنَّف ، ويُقطَّرون ماءه لنقصِي هذا الماء ، ويتلَقَّونَ المَقْطَرَ منه في قوالبِ كالأسابيع ، فيجمدُ بعد بُرودَتِه ، ويصيَّرُ كالأسابيع .

(١) كذا .

(٢) في الأصل : صرف .

(٣) راجع ص ٢١٦ .

(٤) كذا .

(٥) كذا .

وقد شاهدت محال استخراج هذا الملح ، ورأيت أولى النقاط ويشابهون<sup>(١)</sup>  
البرام الأفرنجية ، ولا نعلم من أوصل هذه الصناعة إليهم . وأهل البلد لا يعلمون أيضاً ، بل  
قصارى أمرهم إذا سئلوا وقال لهم قائل : من عالمكم هذه الصناعة ؟ أنت يقولوا :  
شيء وجدنا آباءنا يفعلونه (٢٧٤) ففعناه ، ولا نعرف أول من صنعه .  
ولقد عاملت بهذا الملح واشتريته ، وله لذة عجيبة في طعمه ، تختلف لذة الملح الطبيعي ،  
إلا أنه غير شفاف وفيه سمرة .

وأنواع الملح في دارفور ثلاثة ، زغاوي : وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوي ،  
[ وَلَقُوا ] وقد قدمنا ذكره ، وميداوي : وهو ملح طبيعي أيضاً ، إلا أنه لونه أحمر  
كاللّم ، وقد يستخرج قطعاً كباراً كالحجارة<sup>(٢)</sup> الطاحون في العظم والاستدارة . ونقوله  
لا يحمل الجمل منه إلا حجرين ، وله طعم لذيد أكثر من النوعين الآخرين ، وأغلب<sup>(٣)</sup>  
ثمنها ، ولا نعلم ماسبب احواره . وبالجملة فأعلى الأملاح الميداوي ، وأوسطها الفلقوا ،  
وأدناها الزغاوي . فأهل سوق قرلي وما والاها يتمالون بالملح الفلقوا في سفاسف  
أمورهم ، كالحرش في كوبية ، والثازنيه في الفاسر . ولا يماع عندهم الملح بكيل ولا وزن ،  
بل بالأصابع ، فيياع هذا الشيء بفلقويه ، بفلقويتين<sup>(٤)</sup> ، بثلاثة<sup>(٥)</sup> فلقويات . وهكذا  
وباق الأمور لهم كغيرهم .

- (١) كذلك في الأصل :
- (٢) في الأصل : كبار كالحجارة .
- (٣) في الأصل : وأغلا .
- (٤) في الأصل : بفلقوبه بفلقوتين .
- (٥) كذلك .

وأما سوقُ كُسَّا فيتعاملون فيه بالدُّخانِ ، ويُسمى بلغتهم : تاباً ، كما يسمونه الإفرينج . وهذا الاتفاقُ من العجائبِ . ولا خصوصية لأهلِ دارفور ، بل جميعُ السودانِ يسمون الدُّخانَ : تاباً . وأما أهلُ فزان وأهلُ طرابلس المَسْرِيبِ فيسمونه : تَبَغَا .

وفي سنة ١٢٣٢<sup>(١)</sup> رأيتُ قصيدةً (٢٧٥) لبعضِ الْبَكْرِيِّينَ ، في حلٍ شرب الدُّخانِ ، وأطْلَنَ تاريخَ كتابتها في وسط القرنِ التاسع من الهجرةِ ، يقولُ فيها ، من الطويلِ :

وقد أظهرَ اللهُ القديرُ بمصرِنا  
نباتًا يسمى : التَّبَغَ ، مِنْ غَيْرِ مِرَأَةِ  
بِتَاءِ مُشَنَّأَةِ وَبَاءِ مُوَحَّدِ  
وَغَيْنِ ، وَضَبَطَ الْغَنِينِ فِيهَا بِمَتَحَةِ  
وَمِنْهَا :

وَمَنْ يَدْعُ التَّحْرِيمَ جَهَلًا فَقُلْ لَهُ :  
بَأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيِّ آيَةِ ؟  
قَوْلَكَ بِالْتَّحْرِيمِ مِنْ أَيِّ وِجْهٍ ؟  
وَلَيْسَ بِهَا سُكْرٌ وَلَا اللَّهُ ذَمَّهَا<sup>(٢)</sup> ;  
وَمِنْهَا :

فَإِنْ تَنْتَشِقْ دُخَانَهَا فَتَرَى الشَّفَاءَ  
فَلَا تَنْسَ باسْمِ اللَّهِ أَوَّلَ مَصَّةَ  
فَحَمْدُكَ لِلْمَسْؤُلِ زِيَادَةُ نِعْمَةِ  
وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .  
اتهى .

وهذا التَّاباً هو أقاعٌ أهْرَامِيَّةُ الشَّكْلِ ، مصنوعةٌ من ورقِ الدُّخانِ بعدَ دَفَةٍ — وهو أخضرُ — في مهراسٍ من خشبٍ حتى يصيرَ كالعجبينِ ، ويجعلونه أقاعًا

(١) ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦ م .  
(٢) في الأصل : زَمَّهَا ، بالزَّمَّ ،

ويَجْفَفُونَهَا فِي الشَّمْسِ ، وَبَعْدَ جَفَافِهَا يُبَرِّزُونَهَا إِلَى سُوقِهِمْ ، وَيَتَعَامِلُونَ بِهَا فِي سُفَاسِفِهِمْ . وَهَذَا الدُّخَانُ قُوَىُ الرَّائِحةِ ، يَكَادُ إِذَا شَمَّهُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَهُ الدُّوارُ . وَهَذِهِ<sup>(١)</sup> الْأَقْنَاعُ ، مِنْهَا مَا هُوَ كَبِيرٌ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَغِيرٌ ؛ فَكَبِيرُهَا كَأَكْبَارِ السَّكُونِيِّ ، وَصَغِيرُهَا كَصَغِيرِهَا .

وَأَمَا كَبِيرُ الرِّيلِ وَالشَّعِيرِ<sup>(٢)</sup> يَةً ، فَإِنَّهُمْ يَتَعَامِلُونَ فِيهَا بِـ « الرُّبَطِ » ، وَهِيَ رُبَطٌ غَزِيلٌ مِنْ قُطْنٍ ، طُولُهُ اَعْشَرَةُ أَذْرُعٍ ، وَفِيهَا عَشْرُونَ فَتْلَةً لَا عَيْنَرَ ، فَيَتَعَامِلُونَ بِالرُّبَطِ فِي سُفَاسِفِهِمْ ، وَيَتَعَامِلُونَ فِي الْأَمْوَارِ التَّافِهَةِ جَدًا بِالقطنِ ، كَمَا يُجْتَنِيَ مِنْ شَجَرِتِهِ ، أَيْ بِغَلَافِتِهِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا . فَيَتَعَامِلُونَ بِقَطْعٍ مِنْهُ كَأَوْقَيَّةٍ وَأَوْقِيَّتَيْنِ وَهَلَاثِ أَوَاقِيْ ، عَلَى سَبِيلِ الْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ لَا لَوْزَنْ ؟ وَ[ف] الْأَمْوَارِ الْمِهْمَةِ كَبَاقِيِ الأَسْوَاقِ .

وَأَمَا سُوقُ الْمُنْلِيَّةِ وَمَا وَالاَهَا ، فَعَامَلُوهُمْ بِالبَصَلِ ، يَشْتَرُونَ بِهِ جَمِيعَ أَمْوَارِهِمُ التَّافِهَةِ ، وَالقطنِ أَيْضًا ، وَالرُّبَطِ ؛ وَبَاقِي أَمْوَارِهِمُ بِالشَّكَاكِ ، وَلَا يَعْرُفُونَ الشَّوَّاتِرَ وَلَا الرِّيَالَاتِ .

وَأَمَا سُوقُ رَاسِ الْفَيْلِ فِي الْحَشَاشَاتِ . وَهِيَ قَطْعٌ مِنْ حَدِيدٍ مُصْنَعٌ صَفَانِحٌ لِوَلَهَا أَنْبُوبَةٌ ، وَصُورَتْهَا هَكَذَا :



[ حَشَاشَةٌ بِدُونِ قَضِيبٍ ]

(١) فِي الْأَصْلِ : وَمِنْ هَذِهِ .  
(٢) كَذَا بِتَاءُ التَّأْيِثِ فِي غَلَافَةِ .

فيُدخلون في طرِفها الأنبوبي قَضيباً ، ويحْرُّون بها الزرع ، فتقطع الحشيش الذي في الزَّرع ، ولذلك سميت : الحشاشة . فيتعاملون بها في سفاسف أمورِهم وتأفهِّمها ، من حشاشة إلى اثنين<sup>(١)</sup> إلى عشرين . وما زاد على ذلك فالتسكاكى والشواطِر كباقي الأسواق .

وأما نموذج كه ، فعاملتهم بدَمَاجِنَ النحاس ، وهى في مُهِمَّاتِ أمورِهم ، وبائندور في (٢٧٧) سفاسفِ أمورِهم . وقد تقدَّم تعريفُ الدَّمَاجِنَ وانندور في حُلُّ النساء ، فلا إعادة<sup>(٢)</sup> .

وأما أهل القوز ، فيتعاملون بالدُّخن في سفاسفِ أمورِهم كُلُّها ، كقبضة ، وحَفَنة ، وحَفَنتَين ، إلى نصفِ مُدِّ ، إلى مُدِّ . وباقِ أمورِهم المهمة بالتسكاكى والريالات كباقي الأسواق . وأكثر ما يتعاملون به البقر ، فيقولون : هذا الفرسُ بعشرين بقرات ، أو بعشرين .

فاظرِ أثيا المتأمل إلى أهلِ مملَكته واحدة ، كيفَ تنوَّعَتْ معاملاتُهَا ، واختلفتْ أحوالُها ، فترى هؤلاء يرَون شيئاً حسناً ، وهؤلاء يرَونه قبيحاً ، والملاك لا يحكمُ عليهم بإجراء معاملة واحدة في جميعِ الأسواق ، بل أبقى كلَّ قومٍ على ما اعتادُوا . فسبحانَ الفعالِ لما يُريد ، ولنمسيكِ عنانَ القلم عن الرُّكضِ في ميدانِ المعاملات ، لأنَّ ماذكرناه فيه كفايةٌ في الاعتبارات .

(١) كذا .

(٢) راجع صفحة ٢١٣ - ٢١٨ .

## آخراتمة<sup>(١)</sup>

### باب

فيها ينبت في دارفور من النبات ، وفي السحر والتعزيم ،  
وضرب الرمل ، وغير ذلك .

اعلم أنَّ الفَنِّيَّ عنَّ الْمَتَّى وَالْأَئِنِّ وَالسَّكِيفَ ، وَالْمُنَازَةَ عَنَّ الْجَوْزِ وَالظُّلْمِ  
وَالخِيفَ ، قَسْمَ الْأَشْيَاءِ وَعَدَّهَا ، وَأَنْزَلَ كُلَّاً مِنْهَا مِنْزَلَهَا ، فَجَعَلَ فِي الْبَلَادِ الشَّاهِيَّةِ  
الْبَرَدُ الشَّدِيدُ ، وَفِي الْجَنُوبِيَّةِ الْحَرَّ الَّذِي مَاعَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ . لَكِنَّ لِرَحْمَتِهِ بَعْبَادَهُ ، مَنْ  
عَلَى أَهْلِ الشَّمَالِ بِالدِّفِءِ (٢٧٨) بِالْمَلَابِسِ ، وَبِالْأَكْنَانِ (٢) الَّتِي لَا يَنْزَدُ فِيهَا أَطْهَالُ  
وَنَظَرُ لِأَهْلِ الْجَنُوبِ بَعْنِ الإِسْعَافِ وَالتَّلَطِيفِ ، فَجَعَلَ الْمَطَرَ يَنْزَلُ عَلَيْهِمْ وَقَتَّ  
اشْتِدَادِ الْمَصِيفِ .

---

(١) ليس لهذا العنوان المستقل وجود في الأصل ، رغم ما ذكر المؤلف في تقسيمه (من ٥) من أنه رتب الكتاب على مقدمة ومقصد وخاتمة وفي كل منها أبواب .

(٢) الأكنان ، جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت ، أو وقاء كل شيء وستره .

ولما كانت أرضُ الفُورِ من هذا القبيل ، وفي وقتِ الصَّيفِ يشتدُ فيها الغَلَيل ، كان مِدرارُ الْوَبْلِ مُطْفَئاً لوهِيج ذلك الْخَرُور ، لُطفاً مِن العَزِيزِ الْغَفُور . فيزرعونَ على مطِيرِ الصَّيف ، ويسمُون ذلك الفصلَ باخْرِيف . فلذلك — على ظَنِّي — لا يزروعون بُرَّا ، ولا شعيراً ، ولا فولاً ، ولا عَدَسَا ، ولا حَمَصَا ، ولا يبْتُعُونَهُ المِشْمِشُ ، ولا أَلْخُونَ ، ولا التَّفَاحُ ، ولا الرَّمان ، ولا الزَّيْتون ، ولا الْبَرْقُوق ، ولا الْكَمْثَرَى ، ولا الْأَنْجُونْ ، ولا الْلَّيْمُونُ الْلَّهُو ، ولا الْبَرْقُان ، ولا الْلَّوْز ، ولا الْبَنْدُق ، ولا الْفُسْتِقُ ، ولا الْجَوْزُ ، ولا الزَّعْرُور<sup>(١)</sup> ، ونحو ذلك .

بل يزروعون الدُّخْنَ ، وهو حَبٌّ صَغِيرٌ أَصْفَرُ ، منه يقتاتون هُم وَدَوَاهُم ومواشِهِم ، فهو الغذاء الرَّئِيسُ عَنْهُم .

ويزروعون الدُّرَّةَ عَلَى اختلافِ أَنْوَاعِهِ ، ويسمُّونَهُمْ : الْمَارِيقُ ، وهو أنواعٌ : نوعٌ منه يسمُّ : العَزِيزَ ، وهو الدُّرَّةُ الْحَمَراءُ ، ونوعٌ يسمُّ : أَبَا شَلَّوْأَوْ ، وهو الدُّرَّةُ الْبَيْضَاءُ ، ونوعٌ يسمُّ : أَبَا أَبَاطُ ، وهو الدُّرَّةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي مَصْرَ بِالدُّرَّةِ الشَّامِيِّ .

ولا يزرعُ التمْحُ عندهم إِلَّا فِي جَبَلِ مَرَّةٍ ، لِكَثْرَةِ الْأَمْطَارِ فِيهِ ، أو فِي كُوبِيهِ وَكَبِيكَارِيَّةٍ ، ويَسْتَقُونَهُ مِنْ (٢٧٩) الْآبَارِ حَتَّى يَتمَّ نُضْجُهُ كَمَا تَقْدَمَ ذَلِكُ . والدُّخْنُ عندهم نوعان: [نوع معتاد ، و]<sup>(٢)</sup> نوع يسمُّ : دِنْـيِـي ، وهو ما يزرعُهُمْ أَعْجَامُ الفُورِ فِي الْجَبَلِ وَغَيْرِهَا؛ وهو حَبٌّ كَالدُّخْنِ الْمُعْتَادِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَمْلِيُ إِلَى الْبَيْاضِ ، وَسُبْلِهِ أَغْلَظُ مِنْهُ ، وَيَنْضَجُ زَرْعُهُ قَبْلَهُ بِنَحْوِ عَشْرِينِ يَوْمًا ، وَهُوَ قَلِيلٌ فِي سَهْلِ دَارْفُور ، وَلَا يَأْلِفُونَهُ كَالدُّخْنِ الْأَصْفَرِ .

(١) الزَّعْرُور : ثُمَر شَجَرَةٍ . الْوَاحِدَةُ زَعْرُورَةٌ ، تَكُونُ حَمَراءً وَرَبِّما كَانَتْ صَفَراءً ، لَهُ نُوَيٌّ صَلْبٌ مُسْتَدِيرٌ (اللَّسَان) .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 324

وأماماً أنواع الـثـرة فلا يـالـفـونـ منها إـلاـ الأـيـضـ ، وـمـعـ أـلـقـتـهمـ لـهـ لاـ يـكـثـرـونـ منـ تـنـاوـلـهـ . وأـمـاـ أبوـ أـبـاطـ فـيـزـ عـونـ مـنـهـ قـلـيلـاـ لـلـشـمـوـةـ ، فـيـأـكـلـونـهـ مـشـوـيـاـ ، وـلـاـ يـخـزـنـونـ مـنـهـ حـجـاـ . وأـمـاـ العـزـيرـ فـهـوـ مـيـغـوـضـ عـنـدـهـ لـأـكـلـهـ إـلاـ الـقـرـاءـ ، وـعـنـدـ الـاضـطـرـارـ .  
وـيـبـتـ عـنـدـهـ فـيـ الـبـرـكـ وـالـغـدـرـانـ أـرـزـ يـبـتـ بـدـونـ زـارـعـ ، فـيـجـمـعـونـ مـنـهـ ماـقـدـرـواـ عـلـيـهـ فـيـ أـيـامـ الرـبيعـ ، فـيـطـبـخـونـهـ بـالـلـبـنـ مـنـ قـبـيلـ التـرـفـهـ .

وـعـنـدـهـ نـوـعـ آـخـرـ يـقـرـبـ مـنـ الـأـرـزـ وـلـيـسـ بـأـرـزـ ، وـيـسـمـيـ بـالـدـفـرـةـ ، وـهـوـ حـبـ صـغـيرـ ، أـصـغـرـ مـنـ حـبـ الـأـرـزـ ، وـفـيـهـ بـعـضـ فـرـطـحـةـ ، شـدـيدـ الـبـياـضـ ، يـالـفـونـهـ أـكـثـرـ مـنـ الـأـرـزـ .  
وـيـزـرـعـونـ مـنـ السـمـسـمـ شـيـتاـ كـثـيرـاـ . وـمـنـ الـعـجـبـ أـنـهـ لـاـ يـنـتـفـعـونـ مـنـ بـرـيـتـ ،  
بـلـ يـأـكـلـونـ حـجـاـ ، وـيـطـبـخـونـ مـنـهـ فـيـ أـطـعـمـتـهـ . كـمـاـ أـنـ الـعـسـلـ النـحـلـيـ كـثـيرـ عـنـدـهـ ،  
وـلـاـ يـنـتـفـعـونـ بـشـمـعـهـ ، بـلـ يـأـخـذـونـ الـعـسلـ وـيـرـمـؤـونـ الشـمـعـ ، وـهـمـ أـحـوـجـ الـأـنـامـ إـلـيـهـ وـإـلـىـ  
زـيـتـ السـمـسـمـ ، لـأـنـهـمـ (٢٨٠) يـسـتـصـبـحـونـ فـيـ بـيـوـتـهـ بـالـخـطـبـ ، وـمـعـ كـثـرـةـ الـخـطـبـ  
عـنـدـهـمـ ، لـاـ يـفـحـّمـونـ مـنـهـ فـحـماـ يـنـفـعـهـمـ ، وـلـاـ يـعـرـفـونـهـ .

وـيـزـرـعـونـ الـلـوـبـيـاـ وـالـبـطـيـخـ مـعـ الدـخـنـ سـوـاءـ ، فـأـمـاـ الـلـوـبـيـاـ فـيـ كـالـلـوـبـيـاـ بـأـرـضـ  
مـصـرـ إـلـاـ أـكـبـرـ ، لـأـنـهـاـ عـنـدـهـمـ تـقـرـبـ مـنـ حـبـ الـفـولـ الـمـصـرىـ . وـأـمـاـ الـبـطـيـخـ  
فـأـكـثـرـهـ صـغـيرـ الـحـجـمـ ، كـالـبـطـيـخـ الـذـيـ يـكـوـنـ فـيـ آـخـرـ فـصـلـ الـبـطـيـخـ فـيـ الـمـقـاتـأـ ، وـإـذـاـ  
كـسـرـ يـكـوـنـ غـيـرـ نـضـيجـ ، لـكـنـ الـذـيـ فـيـ دـارـالـفـورـ - مـعـ صـفـرـهـ - نـضـيجـ .

وـلـهـ فـيـ الـبـطـيـخـ ثـلـاثـ مـنـافـعـ ، الـأـوـلـىـ : أـنـهـمـ يـأـكـلـونـ مـنـهـ جـالـ نـضـيجـ كـمـاـ كـلـ  
بـطـيـخـناـ [فـيـ مـصـرـ]<sup>(١)</sup> ، وـيـشـرـبـونـ مـاءـ كـذـلـكـ . الـثـانـيـةـ : أـنـهـمـ يـأـخـذـونـ الـبـطـيـخـةـ وـيـزـعـونـ

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 325

قُشرَهَا بالسُّكِّينِ ، ثُمَّ يَقْطَعُونَهَا أَربعَ قِطَّعٍ وَيَتَرَكُونَهَا حَتَّى تَجْفَ فَيَخْزُنُونَ مِنْهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ شَيْئاً كَثِيرًا ، وَفِي وَقْتِ الْاحْتِيَاجِ يَدْعُونَهُ فِي مِهْرَاسٍ مِنْ خَشْبٍ حَتَّى يَصِيرَ دَفِيقًا ، فَيَعْمَلُونَ مِنْهُ حَسُوًا<sup>(١)</sup> يُشَرِّبُ ، وَتَسْمَى عِنْدَهُمْ : مَدِيدَةً ، وَهِيَ السَّمَّاءُ بُعْرُفُ الْأُورُوبَا بِالسَّكِيرَةِ . وَرَبِّمَا أَكَلُوا مِنْهُ بِغَيْرِ دَقَّ لَا طَبَخٍ . الْثَالِثَةُ : أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ مِنَ الْبَرِّ شَيْئاً كَثِيرًا وَيَخْزِنُونَهُ ، وَيَدْعُونَهُ وَقْتَ الْاحْتِيَاجِ ، وَيَنْسِفُونَ قُشْرَهُ ، وَيَأْخُذُونَ اللَّبَّ فِي طَبْخِهِنَّهُ فِي أَذْمِيمِهِمْ ، أَوْ يَعْمَلُونَ مِنْهُ السَّكِيرَةَ أَيْضًا .

وَيَرَعُونَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْفَلْفَلَ ، وَهُوَ حَبٌ (٢٨١) صَغِيرٌ ، وَالْكَسِيرَةَ ، وَحَبَّ الرَّشَادِ ، فِي كَوْبِيَّهِ وَكَبَّاكِيَّهِ ، وَفِي أَوْدِيَّهِ جَبَالُ الْفُورِ كَمَا تَقْدُمْ .  
وَيَرَعُونَ الْقَرْعَ بِأَنْوَاعِهِ ، وَيَرَعُونَ نُوعًا مِنَ الْقِثَاءِ<sup>(٢)</sup> .

وَفِي كَوْبِيَّهِ وَكَبَّاكِيَّهِ يَرَعُونَ الْخِيَارَ ، وَالْفَقْوَسَ الطَّوْيَلَ ، وَالْبَاذْنِجَانَ ، وَالْمَلُوخِيَّةِ ، وَالبَامِيَّةِ ، وَفِي غَيْرِهَا لَا [تَوْجِدُ هَذِهِ الْخَلْصَرَاتِ إِلَّا نَادِرًا] ، وَذَلِكَ فِيَّا عَدَا الْبَامِيَّةَ<sup>(٣)</sup> .  
وَهُنَّاكَ وَادٍ بَيْنَ الْبَلَدِ الْمَسِيَّةِ<sup>(٤)</sup> بَمَرْبُوَةٍ وَالْفَاشِرِ ، يُسَمَّى : وَادِي الْكَوْعَ ، يَفِيَضُ وَقْتَ الْخَرِيفِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ ، فَلَا يَعْبُرُهُ إِلَّا مِنْ يَعْرِفُ السَّبَاحَةَ . وَفِيهِ تِيَارٌ شَدِيدٌ ، فَإِذَا فَاضَ هَذَا الْوَادِي وَطَفَّا الْمَاءُ عَلَى شَاطِئِهِ ، ثُمَّ نَصَبَ ، يَنْبَتُ فِيهِ مِنَ الْبَامِيَّةِ شَيْئاً كَثِيرًا ، فَيَهُرَّعُونَ<sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ مِنَ الْجَهَاتِ الْقَرِيبَةِ لَهُ ، وَيَجْمَعُونَ تَلْكَ الْبَامِيَّةَ وَيَجْفَفُونَهَا ، وَيَدْخُرُونَهَا لِأَذْمِيمِهِمِ الْعَامَ كُلَّهُ<sup>(٦)</sup> . وَهَذَا الْوَادِي يَشْقَ دَارِفُورَ بِالْعِرْضِ مِنْ أَوْلَاهَا

(١) الْحَسْوُ كَعْدُو اسْمٌ مَا يَحْتَسِي . (القاموس) .

(٢-٢) الراجح أن هذه العبارة متأخرة عن موضعها الصحيح بال Mellon ، والأصح أن تورد قبل لفظ « والكسيرة » المذكور قبل ، وذلك استناداً إلى ترتيب الترجمة الفرنسية

(٣) الزيادة منقولة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 326.

(٤) في الأصل : المسماة ، والراجح أن المؤلف يرى بد الصيغة العامية التي أثبتناها في المتن والتي استعملها المؤلف نفسه أكثر من مرة فيما مضى .

(٥) في الأصل : فيهزعون .

(٦) في الأصل : كلها .

إلى آخرها . ونشأة<sup>(١)</sup> من جبال مرة ، وعلى شاطئيه سياج من شجر السنط . وإذا فاض يعم من كل جهة من جهتيه ماينوف عن فرسخين ، إلا في بعض الحال ضائقه<sup>(٢)</sup> الرمال . وسعته في بعض الحال كثياج مصر<sup>(٣)</sup> ، وفي بعضها أوسع برتين . يسافر المسافر على شاطئه نحو خمسة عشر يوماً . وإنما ذكرت أنه بين مربوطه والفاشر ، لأنى مررت به كثيراً من هناك ، وإلا فهو منتدى كما ذكرت .

ويزرعون فولاً قرونه تكون تحت التراب ، وليس (٢٨٢) كالقول المسمى في مصر : «السناري» الآن ، لأن ذاك فيه ألوان عجيبة ، من أحمر ناصع ، وأصفر ، وأبيض ، وبنيّ ، كما تقدم ذلك .

\* \* \*

وأما الأشجار فليس عندهم من الأشجار المعروفة [في مصر] إلا النخل ، وهو في كثيجه ، وكابيبة ، وسرف الدجاج ، وتميليه ، كما تقدم ذلك في التكلم على جبل مرة . وفي تميليه بعض شجر من الموز ، وفي قرني شجرات من الليمون الحامض ، وبقية الأشجار الموجودة هناك كلها نابتة طبيعة في الخلاء . فأعظمها منفة الهجليج ، وله نوعان : الهجليج الأصفر ، والهجليج الأحمر ، وذلك بحسب لون ثمرها . وهذا الثمر كالبسر<sup>(٤)</sup> الفليظ .

والهجليج : شجر يعظم كايعظم الجميز في أرض مصر . أوراقه بيضية قليلا ، وله ثمر

(١) النشاء والنشأة بمعنى .

(٢) في الأصل : ضائقته .

(٣) كان عرض هذا الخليج لايزيد على عشرين قدما . Voyage au Darfour, p. 327.

(٤) البسر : التمر قبل أن يرطب لغضاظته ، أو : ما لون ولم ينضج (اللسان)

حُلو الطعم ببعض مرارة . وله رائحة خاصة به . ولهذا المثغر غلاف [أييض]<sup>(١)</sup> يكون عليه ، وهو قشرة ليست بالغليظة ولا بالرفيعة ، فينزعونها ويصون المثغر مصاً ، لأنه خشب مكسو بشيء كالطلاء يمتص أو يذبل بالماء . فإذا ذهب صار الخشب ، أي : نواه ، أييض . وهو غلاف لشيء كالصنوبر هيئة وياضاً . وهو بزر إلا أنه أكبر منه حجماً ، لكنه مر الطعم . فيعطونه في الماء نحو ثلاثة أيام ، وينبiron ما به في كل يوم ، فتذهب مرارته . وحيثند بعضهم يملحه بالملح ، وبعضهم يقولون ، وبعضهم يطبخه بالعسل . وإذا كان ملحاً ، كان طعمه كطعم اللوز المملوح .

وهناك نوع ثان<sup>(٢)</sup> من المجلبيج (٢٨٣) وهو المجلبيج الأحمر ، فيأخذون به بعد نضجه ، ويضيفون عليه الصبغ ويعجنونه به ، فيصير حلواً جداً . وعلى الإطلاق يأكلون ثمر المجلبيج على كيفيات مختلفة .

ولشجر المجلبيج هذا منافع لا توجد عندم في غيره من الأشجار . لا يرمون منه شيئاً ، بل ينتفعون بجميع أجزائه . فأما ورقه<sup>(٣)</sup> فإنهم يطبخون الطريّ الغض منه في أدمهم . وإذا كان بإنسان جرح<sup>(٤)</sup> فيه دود ، يمضغون من هذا<sup>(٥)</sup> الورق حتى يصير كالعجين ، وينفخونه في الجرح ، فينقى من الدود ، وينظف من اللحم النتن<sup>(٦)</sup> ، ويأخذ في البرء .

(١) الزيادة من الترجمة الفرنسية . Voyage au Darfour, p. 328.

(٢) كذا ، بدل : ثان .

(٣) في الأصل : ورق .

(٤) في الأصل : جراح .

(٥) في الأصل : هذه .

(٦) في الأصل : النتن بفتح التاء .

وإذا أخذ ثمر المهايج وهو أحضر، وهرس في مهارس حتى صار كالعجبين ، نفع كالصابون في غسل الثياب ، فإن له رغوة كالصابون ينقى الأوساخ ، وينظف الثياب المحسولة به ، إلا أنه يصفرها قليلاً . وإذا لم يكن وقت الثمر ، تؤخذ جذور الشجرة وتدق ويغسل بها ، فتفعل ذلك .

وخشبيه يستصبح به في البيوت بالليل عوضاً عن السراج ، لأنه لا دخان له . ومن خشبيه تعلم ألوان القراءة . ومن زباده يعلم السكريتو ، وهو ملح سائل يؤخذ من الرماد المذكور ويطبخ به ، إلا أن به مراراً<sup>(١)</sup> ، وذلك عند إعجازهم للملح لقلته وغلوه . والنبق ، وهو نوعان : عربي ، وكرونو . والثاني أكبر حجماً من الأول ، وأكثرهما ، ويخالله في اللون . فإن النبق المعتمد العربي إذا نضج أحمر لونه ، والكرنوك إذا نضج أصفر (٢٨٤) . وهذا أنفع من الأول .

ومن منافعه أن الثمر عجينة يمسك إطلاق البطن . وقبل ما يدق ويجهن ينتح<sup>(٢)</sup> جلداته الظاهرة ، ثم يعملون منه أقراصاً ، ويحفونها ويأكلونها ، وإذا كسر نواه يوجد فيه بزرتان في مسكنين . والعرب يأخذون هذا البذر الصغير ويحفونه في الشمس ، ثم يطبوخونه بالمسلسل فيصير لزيذاً ، ويباعونه في دار الفور ، ويسمى : كنيناً كنيناً ، فيؤكل كالتلوي . وإذا مضى من به دود القرح ، من ورق النبق السكريتو ، وازدرد ريقه ، قتل دود القرح وأخرجه ميتاً .

والتبليدي : وهو شجر عظيم ضخم ، أجوف الجذع ، ينبع في القبافي . وأهل الادية إذا اشتد بهم العطش في غير وقت الأمطار ، يأتون إلى التبليدي فيجدون في تجويفه ماء

(١) كما في الأصل .  
(٢) كما في الأصل .

جتمعًا من المطر فيشربون منه ويدهّبُوا ملهم . ولهذا الشجر ثمر مستطيل كثيف كالألواز ، في باطنها بذر أحمر ، كحب الترمس في الحجم ، وكبزر الخزفوب في اللون ، إلا أنه فيه دقيق أبيض حامض الطعم ، يستَفَ منه فيوجد مرأ . والاستفاف منه على الريق يقيض إطلاق البطن . وتعمل منه الكريمة مع الدقيق فتصير لذيدة .

вшجر الدلب : وهو المسما في عُرف مصر بالجوز الهندى ، إلا أن هذا الشجر لا يوجد في جميع دارفور ، بل لا يوجد إلا في الجهة الجنوبيّة منها ، ويسمى في عُرف الفور بالدليب : وهو شجر (٢٨٥) طوال كالنخل أو أطول ، وينتج جوزاً كبيراً ، إذا كسر غلافه وجد ما في باطنها في غاية اللذة ، لاسيما قبل تمام نضجه ، فإنه يكون كالبن مع الملاوة واللذة .

ومن أشجارهم ، الحميض : وهو شجر شائك كأضخم ما يكون ، وله ثمر كالتفاح الكبير ، إلا أن له عجماً<sup>(١)</sup> ، وفيه حوضة لذيدة ، ولو نه أبيض يميل إلى الصفرة .

ومن أشجارهم ، الدوم : وهو شجر معروف في صعيد مصر ، ويسمى بالقليل أيضًا . ومن أشجارهم ، العندراب : وهو شجر متوسط في الطول والغirth ، يحمل ثمرًا أشبه بعنبر الدلب ، إلا أنه أحمر قاني الماء ، ولا عجم فيه . وهذا الثمر حلو<sup>(٢)</sup> الطعم جداً ، ينضح في أول فصل الدرَّت ، أي : الربيع ، بانته ، وهو أول فصل الخريف عندنا<sup>(٣)</sup> .

ومن أشجارهم ، القديم : وهو شجر أشبه بشجر<sup>(٤)</sup> الرمان ، يحمل ثمرًا صغيرًا ذا

(١) العجم بالتحريك نوى كل شيء . (القاموس) .

(٢) في الأصل : حلو .

(٣) أي في مصر .

(٤) في الأصل : شجر .

فُلْقِتَنِينَ، عَلَيْهِ جَلَدَةٌ حَمْرَاءُ نَاصِعَةُ الْحَرَةِ، فِي غَايَةِ الْخَلَاوَةِ، وَعَجَمَهُ كَبِيرٌ، وَلَا أَجَدُ لَهُ شَيْئاً فِي فَوَّاكِهِنَا أَمْثَلَهُ بِهِ.

وَمِنْ أَشْجَارِهِمْ، شَجَرُ الْمُخَيْطِ: وَهُوَ شَجَرٌ صَغِيرٌ يَحْمِلُ ثِنَراً كَالْبَقِ، فِيهِ مَرَارٌ، فَيُؤْخَذُ وَيَنْقَعُ فِي الْمَاءِ أَيَّامًا فَتَذَهَّبُ مَرَارُهُ، فَيُرْسَحُ عَلَيْهِ الْمَلْحُ وَيُطْبَخُ وَيُؤْكَلُ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَجْعَفُهُ بَعْدَ النَّقْعِ وَيَسْحَقُهُ، حَتَّى يَصِيرَ دَقِيقًا، وَتَعْمَلُ مِنْهُ عَصِيدَةً، وَهَذَا الْفَعْلُ خَاصٌ بِأَيَّامِ الْغَلَاءِ، وَاشْتِدَادِ الْكَرْبِ.

وَمِنْ أَشْجَارِهِمْ، الْلَّوْلُو: وَهُوَ (٢٨٦) شَجَرٌ يَقْرُبُ مِنْ شَجَرِ الْجُوزِ، الْمَسْمَى بَعْنَانُ الْجَلَلِ، يَحْمِلُ ثِنَراً كَثِيرًا كَثِيرًا فَرَوَةً، إِلَّا أَنْ ثِنَرَ أَبِي فَرَوَةِ فِيهِ تَفَرَّطُحٌ. وَهَذَا كَبِيرٌ الْبَنْدَقُ، لَكِنْهُ أَكْبَرُ مِنْ الْبَنْدَقِ فِي الْحَجْمِ، [وَ] يَسَاوِي حَجْمَ أَبِي فَرَوَةِ . وَأَبِي فَرَوَةِ: هُوَ الْمَسْمَى فِي بَلَادِ الْتُرْكِ بِالْكَاسْتَنَا، وَفِي تُونِسِ بِالْقَصْطَلِ. وَهَذَا الثُّرُبُ دَسِيمٌ، وَلَا يُوجَدُ إِلَّا فِي الْجَهَةِ الْجَنُوُبِيَّةِ فِي آخِرِ دَارْفُورِ، أَيْ فِي جَهَةِ بَلَادِ الْفَرَزِيدَةِ. وَأَهْلُ تَلْكَ النَّاحِيَةِ يَعْصِرُونَ مِنْهُ زَيْتًا. وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَوَجَدْتُهُ أَكْثَرَ شَبَهًا بِالشِّيرِجِ<sup>(١)</sup> فِي الْمَيْثَةِ، وَبِزَيْتِ الْزَّيْتُونِ فِي الْطَّعْمِ، فَيَدْهُنُونَ مِنْهُ، وَيَجْعَلُونَهُ أَذْمَافَ فِي أَطْعَمَتِهِمْ. وَيُوجَدُ الْخَرُوبُ وَالْجَمِيزُ<sup>(٢)</sup>، لَكِنْهُمَا رَدِيَانٌ<sup>(٣)</sup> لَا يَنْفَعُانَ بِشَيْءٍ. وَيَزْرَعُونَ الْقَطَانَ بِنَوْعِيهِ: الْبَلَدِيِّ، وَيَسْمَى عَنْدَهُمْ بِالْعَرَبِيِّ؛ وَالْهَنْدِيِّ، وَيَسْمَى عَنْدَهُمْ بِ«لَوِيٍّ». وَيَنْتَفِعُونَ عَنْهُ<sup>(٤)</sup> أَتْمَ النَّافِعِ، لَأَنَّ مِنْهُ كَسَاوِيَّهُمْ، وَبِهِ مَعَالِمُهُمْ، كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي بَابِ الْمَامَالَاتِ.

\* \* \*

(١) كَذَا بِالشَّيْنِ فِي الْأَصْلِ، وَاللَّفْظُ فِي الْلَّهْجَةِ الْمَصْرِيَّةِ: السِّيرِجُ، بِالسَّيْنِ وَمَعْنَاهُ: زَيْتُ السِّمْسِمِ. وَفِي التَّرْجِمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ: Voyage P. 332 «Syrig».

(٢) فِي الْأَصْلِ: الْجَمِيزُ، بِفَتْحِ الْجِيمِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: رَدِيَانُ.

(٤) كَذَا.

وأما الأشجار التي لا يؤكل لها ثمر فكثيرة جداً، تكاد ألا تدخل تحت حصر،  
ولكن نذكر أشهرها وأنفعها فنقول :

من أنفعها ، العَسْرَ : وهو شجر قصيير ، متعدد الفروع ، جذعه مكسُورٌ بشيء  
أبيض كالشحوم . إذا ضُفت بين الأصابع يتفتت . ورقه كبير ، وإذا كسر يخرج منه عصاره  
بيضاء كاللبن ، وله ثمر كالسُّكُرَة ، باطنـه ممتليء بشيء كالزَّغَب أو الْوَبَر ، يتطاير  
في الهواء خفته .

ولهذا الشجر منافع ، منها ( ٢٨٧ ) : أن عصارته إذا وضعت على جلد حيوانٍ  
أزالـت شعره ، ويُلْحَّون<sup>(١)</sup> لـحـاءـه ، فتـوـجـدـ فيـهـ خـيـوطـ رـفـيعـةـ كـالـحـرـيرـ ، فـتـجـمـعـ وـيـقـتـلـ منـهـ  
خـيـوطـ تـنـفـعـ تـلـزـزـ الـقـرـبـ ، وـيـقـتـلـ منـ الـلـحـاءـ حـبـالـ فـتـنـفـعـ لـلـرـبـطـ وـالـحـلـ . وـالـوـبـرـ الـذـيـ  
فـالـثـمـرـ تـسـدـ بـهـ خـرـوقـ الـقـرـبـ . وـمـنـ عـادـتـهـ إـذـ سـرـقـواـ حـمـارـاـ أوـ فـرـسـاـ ، وـأـرـادـواـ تـعـيـرـ  
شـعـرـ مـوـضـعـ مـنـهـ ، يـدـهـنـوـنـ الـحـلـ الـذـيـ يـرـيـدـوـنـ تـغـيـرـهـ بـهـذـهـ الـعـصـارـةـ ، فـيـذـهـبـ الشـعـرـ  
وـيـخـلـفـهـ شـعـرـ أـيـضـ ، فـيـشـتـيـهـ عـلـ أـرـبـابـهـ ، لـكـنـ مـنـهـ مـنـ يـعـرـفـ ذـلـكـ لـلـاعـتـيـادـ بـهـ .  
وـخـشـبـهـ خـفـيفـ كـخـبـقـ الـقـفلـ<sup>(٢)</sup> ، وـرـأـيـهـمـ يـسـوـدـونـ الـبـارـوـدـ بـفـحـمـهـ . وـفـيـ اـسـبـاتـيـالـيـةـ أـبـيـ زـعـبـلـ  
شـجـرـةـ مـنـهـ ، وـفـيـ الصـعـيدـ كـثـيـرـ مـنـهـ أـيـضـ<sup>(٣)</sup> .

وـمـنـهـ شـجـرـ يـسـمـيـ : الـحـشـابـ ، وـهـوـ شـجـرـ ذـوـ شـوـكـ ، وـمـنـهـ يـؤـخـذـ الصـمـعـ الـعـرـبـيـ .  
وـلـقـدـ رـأـيـتـهـ وـاجـتـنـيـتـ مـنـهـ الصـمـعـ لـيـئـنـاـ يـتـنـدـ كـالـمـلـكـ . وـيـنـبـتـ فـيـ الـأـمـاـكـنـ الـمـعـطـشـةـ الرـمـلـيـةـ .

( ١ ) يـلـحـونـ : يـقـشـرونـ .

( ٢ ) بـهـذـاـ الضـبـطـ فـيـ الـأـصـلـ ، وـانـظـرـ شـرـحـهـ فـيـ الصـفـحةـ التـالـيـةـ .

( ٣ ) فـيـ الـأـصـلـ : أـيـضـهـ .

ومنها ، السِّنْط : وهو شجر القرَّاظ ، وهو شائك ضخم .

ومنها ، الْطَّلْح : وهو من فصيلة السِّنْط . والْطَّلْح : شجر يعلو أكثر من قامة ، وخلافه أحمر ، وله شوك طويل<sup>(١)</sup> كالإبر ، وورقه مركب من وُرَيقات صغيرة .

والسِّيَال<sup>(٢)</sup> : شجر طويل يعلو أكثر من قامة ، لكن أصغر من الْطَّلْح . ولون قشره أخضر ، يضرب إلى البياض ، وله شوك أبيض ، وأوراقه مركبة ، كل ورقة من (٢٨٨) وُرَيقات صغيرة .

ومنها ، الْكِتَر : وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة ، وشوكه كالسَّنَارَة ، وله صنع يحتقى منه ، لكن صنع الأَخْشَاب أَغلى وأَحْسَن منه .

ومنها ، اللَّوْوَت : وهو شجر صغير ، ذو شوك صغير ، وفروع كثيرة ، فيه أخضرار لا يفارقها وإن جفت . إذا قُسِّر لخاؤه تشم<sup>(٣)</sup> منه رائحة كريهة خاصة .

ومنها ، الْقَفَل<sup>(٤)</sup> : وهو شجر ليس بالكبير ولا بالصغير ، لكن أكثره ينبع في الجبال .

ومنها ، الْحَرَاز : وهو شجر هائل الضخُم والكبير ، ذو شوك ، يعُظُّم حذْعَه ، حتى لا يعتنقه الرجالان إذا مسداً باعْيَهُما ، ظله ضليل ، حتى إن منه ما يجلس في ظله مائة رجل وأكثر .

وبالجملة فالأشجار التي لا يؤكل لها ثمر ، تنفع في أمور أخرى . فإنهم يقطعون منها الأَخْشَاب لبيوتِهم .

(١) في الأصل : طولية .

(٢) في الأصل : والسِّيَال بفتح السين وتشديد الياء .

(٣) في الأصل : وتنشم .

(٤) ورد « القفل » في اللسان بسكون الفاء ، والقفل جمع قفلة ، وهي شجرة بعينها تهيج في بغرة الصيف فإذا هبت البوارج بها قلبتها وظيرتها في الجو ،

أما السنط ، فقرّطه للدّياغ ، وشعّبه الطويلة عمد لبيوتهم .  
 وأما اللّوثوت ، فلحاوته يرّبطون به سقفَ البيوت ، وفروعه يجعلونها في السقوف  
 وفي الصّريف . والعصّريف عندهم ، عوض عن الحائط عندنا .  
 وأما السِّكتِر والخشاب ، فيأخذون منها الصُّمغ ، وأحياناً يقطّعون شوكهما ، يجعلون  
 منه الزرايب لمواشיהם ولبيوتهم . لأنّ لكل بيت زريبة غالباً ، وهي كنایة عن السور ،  
 وصريفاً ، وهو كنایة عن الحائط . والبيوت في الوسط أشبه شيء بالخيم والطُّوزُلُكِ  
 المضروب حولها (٢٨٩) .

والبيوت إما من قصب الدّخن ، أو من قصب رفيع يسمى : المرّهبيب ،  
 والثانية لا يُعمل إلا للأغنیاء وأكابر الدولة . وهو قصب ناعم قليلُ السُّكعوب ، رفيع  
 كالسّمار ، أبيض ، يميل إلى الصفرة ، ذكر (١) الرائحة ، خصوصاً بعد نزول المطر .

\* \* \*

واعلم أن النباتات في بلاد السودان كثيرة لا يحصى (٢) أفاده العبد ، ولا يوقف له على  
 نهاية ولا حدّ . ولا أعرف منه إلا ما اشتهر وذاع ، وملايين شهرتُه البقاع ، لأنّي كنتُ  
 إذ ذاك (٣) في سنّ الشباب ، والجهلُ سابلُ على جلباب (٤) . لكن لكثرتة مخالفاتي بهم ،  
 وأسفاري معهم ، عرفتُ ما عرفته بالاسم ، ولا أقدر أن أميّزه تمييزاً (٥) كلّياً .

فنه ، شجر «الشاو» : وهو شجر كبير وصغير ، وصغيره أكثر من كبيره . وهذا  
 الصّغير أطول من القامة ، وقشوره خضراء بالنسبة للّ الكبير . لأنّ قشرة كبيره مغبرة ، أعني  
 أن لونها أغبر ، وهو اللون الذي يقرب للبياض ، وليس أبيض ناصعاً . ويحمل في إبّان

(١) في الأصل : ذكر .

(٢) كذلك .

(٣) فسر المترجم ذاك الوقت بأنه مدة اقامة التونسي في دارفور ووادي  
Voyage P. 336

(٤) كذلك ، وقد عدل المؤلف عن نصب جلباب مراعاة للسجع .

(٥) في الأصل : تمييزاً .

حمله عناقيدَ تأكل منها أهل الشـــودان . وهذه العناقيد فيها حبٌّ كأصغر العنبر ، ما نضج منه يكون أسود ، وما قرب للنضج يكون أحمر ، وما لم يقرب منه يكون أخضر . وطعمه حلو ، فيه بعض حرارة . وورقه يغاب على ظني أنه يبغى ، أو يقرب من أن يكون بيضاء ، أخضر الظاهر والباطن .

والبطوم : شجرٌ كبير هائلٌ المنظر ، أغير اللون ، غليظٌ (٢٩٠) الساق ، صلب الخشب ، أوراقه صغيرة بيضية ، في حوافيها تـــســـن . وترى قشرة الساق من أسفل مشققةً شقوقاً غير منتظمة ، وثمره كثمر «الشـــاو» ، وعناقيده أيضاً . إلا أن هذا لحبيبه أذناب طويلة ، ولا يؤكل ثمره ، وهو أصغر من ثمر «الشـــاو» ، وتلوك ساقه أكثر من قامتين ، ويتفرع فروعاً كثيرة .

وأما الأبنوس : فهو شجر متوسط ، وقشرته خضراء داكنة ، والأبنوس قلبه . فإذا لاحيست القشرة انكسفت عن عوده أسود ، إلا أنه يكون سواده خفيناً وهو أخضر ، فكلما يبس ازداد سواداً . وأحسن الأبنوس ما أخذ من الجذور ، وهذا النبات لا يوجد في دار الفور ، وإنما يجلب من دار القررت إلينا .

والجـــوخـــان أو الجـــوغـــان كذلك ، إلا أن الجـــوخـــان له ثمر كالبندق في الحجم ، حلوي الطعم ، فيه بعض بيوسة كالغضروف .

وأما الجـــمجـــجـــع : فهو شجر متوسط أيضاً ، ولون ساقه يميل إلى الحمرة ، وفروعه ليست كثيرة التفرع ، وفيه شوك طويل ، وأذناب أوراقه تصيره ، فربما ظن أنها ملتصقة بالفروع لقصر أذنابها . وهذه الأوراق مستديرة مُســـنـــنة تـــســـنـــاً غائراً . وثمره كثمر

الزُّعور ، وفيه مساكن ، إلا أنه غضروف ، أو فيه خشبية . وأغلب ظني أن في كل ثمرة أربعة مساكن ، يينها حواجز .

وأما دار فرتيت - وهم (٢٩١) سُجوس الشُّودان ، الحاذون لجنوب دارفور - فيثبت فيها القنا ، ومنها يصنعون أغواود حرايم . وأكثر أغواود حراب أهل الدولة في دارفور من القنا ، وهو جيل جدًا ، ويجلب من دار فرتيت .

\* \* \*

وأما النباتات التي فيها الخواص ، فنها شجرة كيلي : وهي شجرة متوسطة لا شوك فيها ، تثمر ثمرة كائز عرور ، إلا أنها خشبي ، يؤخذ الثمر وينقع في الماء ، ويُسقى المتهوم<sup>(١)</sup> . ولون هذا الثمر كلون الرمان الحامض إذا جف .

والشَّغَلْوب : وهو شجر نصف خشبي كثير الفروع ، ليئنها ورفيعها . تمتدة فروعه وتشتكى بعضها متراكمة ، حتى تصير الشجرة وحدها كالمأكمة . وله ثمر كالبلح الكبير الأخضر ، ولا عجم ولا نوى فيه ، وفيه عصارة لبنيّة ببعض لزوجة<sup>(٢)</sup> ، لطعمه بعض حلاوة ابتداء ، وخرافة انتهاء ، أخضر ، لا يفارقه لون الخضرة ولو جف . إذا مضفه شارب الثمر أزال ريحتها<sup>(٣)</sup> ، وقد تقدم ذلك<sup>(٤)</sup> .

ومنها ، دَقَّرَة : وهو نبات حشيشي ، يثبت في الأراضي الصَّابَة ، أوراقه رقيقة ، فيها نوع استداره . إذا دق الورق في هاون وعصر ما وف في العين الرمداء ، المتورمة بالتهاب حاد ، ثلاثة أيام صباحاً ومساءً ، أبرأه .

(١) صيغة عامية .

(٢) في الأصل : لزوجة .

(٣) كلها بالأصل ، وهي صيغة عامية .

(٤) راجع ص ٢٢٣

ولقد كنتُ في سوق نمليه في غير رؤية الجبل<sup>(١)</sup>، ومسكت<sup>(٢)</sup> يدي الفلفل  
وصرت أعبث به، ثم هبّت ريح فخذيت عيناي، فدعكتهما<sup>(٣)</sup> (٢٩٢) بيدي، ونسست أمر  
الفلفل، فتألمت المآ عظيماً، وأتهبتا<sup>(٤)</sup> في الحال وورمتا<sup>(٥)</sup>، فركبت سافرت فلم أقدر  
على الركوب من شدة الألم. فدخلت في بلدة وبت عند امرأة عجوز فيها، فلم أكتحل  
بنوم، وبت بأقبح ليلة، وانقلب الجفنان وغلظاً، حتى خشيت على عيني من العمي،  
وصرت لا أعرف ما ينقدني من ذلك.

فلا أصبح الصباح جاءتني عجوز ونظرت عيني، وتوجعت لي، ثم قالت:  
هذا أمر سهل. ثم دعت بابنة لها صغيرة، تكاد أن تكون ابنة سبع  
سنين أو ثمانية، وقالت لها بلغة الفور: اذهب إلى أسفل الجبل، وائتني بأوراق  
من النبات المسمى: دقرة. فذهبت الصبية وغابت قليلاً، ثم جاءت وعمها  
أوراق كثيرة، فأخذتها العجوز ودققت بعضها بين حجرين، حتى ضار كالعجبين.  
وأمرت بفتح عيني ومسك يدي، ثم عصرت في عيني من عصارة النبات المذكور،  
فنزل في عيني بارداً، ثم ابتدأ يأكل بغير ألم، حتى كأنما في عيني دود، وأريد أدعكمها  
بيدي فلا أستطيع، للصّبّط على، فعانيت من ذلك مشقة حتى أضحك الأكلان،  
وجاءني النوم فنمّت، واستغرقت في نومي مدة عظيمة، فلم أفق إلا قرب العصر،  
فأحسست في عيني خفة وذهب الألم. ولما كان من الليل جاءت وعصرت لي من تلك  
العصارة، وبت بأعلم ليلة. وفي (٢٩٣) الصباح عصرت لي منها أيضاً، فانفتحت عيناي

(١) يقصد بذلك أنه لم يكن وقت ذلك في زيارة لجبل مرة بل كان في زيارة خاصة

لسوق نمليه . Voyage au Darfour, p. 229.

(٢) كلدا

(٣،٤) في الأصل: والتهبا . . . وورما .

وكانى لم أرمدهما ، فذبحت إذ ذاك ك بشأ سميناً ولية لشفائى ، وأعطيت العجوزَ  
جذياً سميناً .

\* \* \*

وغالب النبات والشجر يُثمر في آخر زمن الخريف ، وهو الصيف عندنا ، لأنهم  
يسُمُون صيفنا : خريفاً ، وخريفنا : درتاً . وفي عِرْفِهِم يعنون به : الربيع ، وربيعنا : صيفاً .  
ولم يوافقونا إلَّا في الشتاء . فإن الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا . وفي الصيف الحقيق تمطر  
السماء عندهم ويُزَرَّعون ، لأن أول سقوط المطر عندهم في الجوزاء ، ويسمونه : الرشاش .  
وفي السَّرَّطان تتفتح عَزَالٌ<sup>(١)</sup> السحاب ، ويكثر المطر ، وتتقلل الأودية ، وبذلك تعلم سبب  
زيادة النيل المبارك .

وما يؤكّد أن كثرة الأمطار عند أهل السودان ، هي السبب في كثرة نيل  
مصر ، ما وقع من الانفاق أن<sup>(٢)</sup> سنة ١٢٥٣<sup>(٣)</sup> هجرية ، وقع في مصر غالباً عظيم حتى  
أيُّضَ الأردب من القمح بعائنة وخمسين غِرْشاً بل أكثر؛ وسببه عدم فيضان النيل  
كمادته . وحيثئذ كنت متشكّكاً هل وقع ذلك بأرض السودان أم لا؟ وبقيت على  
الشك إلى سنة ١٢٥٧<sup>(٤)</sup> ، بخاء القاضي الدليل ، قاضي القضاة بمملكة الوادى ، فأخبرني  
أنه في تلك السنة قل القطر ، حتى أجدبت الأرض ، وغلت الأقوات ، وأكلت الناسُ

(١) العزالى بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء وهي مصب الماء من الرواية وغيرها .

(٢) كذا

(٣) ١٢٥٣ هـ = ١٨٣٧ م .

(٤) ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م .

**الجحيف والكلاب** . وهو (٢٩٤) اتفاق عجيب ، [و] أدل دليل على أن زيادة بحر النيل من أمطار تلك البلاد ، والله في ذلك حكمة لا يعلمه إلا هو .

وفي وقت الرشاش يكثر هبوب الرياح والمؤنفات<sup>(١)</sup> ، وأكثر مجدها في أوقات العصر . وإذا هبّت تُرى من بعد كاسحاب ، فتارة تكون حمراء ، وقد سدّت الأفق من الجهة التي تأتي منها ، وغالب المؤنفات تأتي من قبل الشرق ، ونادراً أن تأتي من الجنوب . وفي مجدها من الشرق ، تحمل رملاً كثيراً من القوز الذي تمر عليه ، وكل مؤنفة تأتي بمعيّنة مطر ، لأن<sup>(٢)</sup> قبل ذهابها يزداد الرعد . وبعد الرشاش ينزل المطر برعده قوي ، حتى إنه ربما نزلت منه صاعق فضررت . ولقد رأيت صاعقة نزلت على شجرة هجليج ، فكسرت منها فرعاً عظياً ، وساخت في الأرض . وأخرى نزلت على بيت ، فدخلت ناراً من خلال البيت وأصابت رجلاً ، فأحرقت ذراعه ، وساخت في الأرض . وسمعت منهم أن من كان معه حديد لا تقربه الصاعقة وهذا خلاف رأى الإفرنج . وفي فصل صيفهم الذي نسميه : ربيعاً ، تكثر الرياح ويرى السراب في الأرض ، ولا أعلم أرضاً يكثر فيها الرياح والسراب كأرض السودان . وأحسن المطر عندهم وأهناه ما يقع بالليل والناس نائم . وهو وإن كان يحصل فيه رعد ، إلا أنه لا يضر كأنه الرعد الذي يأتي بالنهار . ويكثر قوس قزح (٢٩٥) عندهم في وقت نزول المطر ، حتى إنه يكون في الساعة الواحدة في أربعة حالات أو خمسة ، منها ما يكون كالقوس ، ومنها ما يكون على خط مستقيم ، وهو قليل . وأكثره يكون على خط مُفْحَن<sup>(٣)</sup> .

(١) المؤنفات : الرياح التي تقلب الأرض أو تختلف مهابها . (القاموس) .

(٢) كذا .

(٣) كذا .

والرِّشاش عندهم نحو خمسة عشرَ يوماً ، وفيه يزرعون الدُّخنَ والذرة بـأَنْواعِه<sup>(١)</sup> .  
وأطْلُول خريفُهُم سُتُونَ يوماً غير أيام الرِّشاش ، وأوْسَطُهُم سُتُونَ يوماً بـأيام الرِّشاش ،  
وأَقْلَهُ لا حَدَّ له ، وأَغْلَبُهُ أَنْ يَكُونَ خمسة وأربعين أو خمسين يوماً . وأَقْلَ من ذَلِكَ قَعْدَهُ  
وَجَدْبُهُ كـالعدَم ، إِلَّا إِنْ جَاءَتْ فِي تِلْكَ الْمَدَةِ أَمْطَارٌ غَزِيرَة ، رَوَتُ الْأَرْضَ رِيَاناً عَظِيمَاً ،  
خَصْوَصاً عِنْدَ آخِرِ الْفَصْلِ ، وَخَتَامِ الزَّرْعِ . وَإِذَا طَالتْ مَدَةُ الْخَرِيفِ ، وَكَثُرَتْ أَمْطَارُهُ ،  
سَمَوَهُ : خَرِيفُ التَّيَانِ .

وَأَسْمَاءُ الشَّهُورِ فِي بَلَادِ الْفُورِ وَالوَادِيَ بـالْعَرَبِيَّةِ ، فَلَا يَعْرُفُونَ الْأَشْهَرَ الرَّوْمَيَّةَ  
وَلَا الْقِبْطِيَّةَ وَلَا الْأَجْمَعَيَّةَ ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ يَسْمُونُهَا كـمَا سَمِّيَّهَا الْعَرَبُ قَدِيمًا بـالْأَسْمَاءِ الْمَشْهُورَةِ  
الآنَ : كـمَحْرَمٍ وَصَفَرٍ وَرَبِيعِ الْخَ .

وَأَمَّا عَوَامُ النَّاسِ فَيَسْمُونُ الشَّهُورَ بـأَسْمَاءِ أُخْرَ . وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا  
عَرَبِيًّا لَكَنَّهَا مُسْتَهْجَنَة . وَيَبْدَأُونَ فِي حِسَابِ السَّنَةِ بـشَوَّالٍ ، لَكِنْ بـاسْمِ آخِرٍ . فَيَسْمُونُ  
شَوَّالًا بـالْفَطْرِ ، وَذِي<sup>(٢)</sup> الْقَعْدَةِ فَطْرِينِ ، وَذِي<sup>(٣)</sup> الْحِجَّةِ بـالضَّحَّيَّةِ ، وَمُحَرَّمًا بـالضَّحَّيَّتَيْنِ ،  
(٢٩٦) وَصَافَرَ بـالْوَحِيدِ ، وَرَبِيعًا الْأَوَّلَ بـالسَّكْرَامَةِ ، وَرَبِيعًا الثَّانِي بـالثَّوْمَ ،  
وَجَادَى الْأَوَّلَ بـالثَّوْمَيْنِ ، وَجَادَى الثَّانِي بـسَاقِي التَّيَانِ وَلَمْ يَسْلُمْ مِنَ التَّغَيِّيرِ إِلَّا رَجَبٌ  
وَرَمَضَانُ ، فَيَقُولُونَ رَجِيًّا ، وَيَسْمُونُ شَعْبَانَ : الْقُصَيْرَ ، وَرَمَضَانَ : رَمَضَانَ ، اتَّهَى .

وَبِالْجَلْلَةِ فَخَواصُ النَّبَاتِ فِي دَارِ فُورٍ عَجَبِيَّةٌ حَتَّى أَنِّي أَخْشَى إِنْ ذَكْرَهَا يَكْذِبُونِي  
وَلَا أَجُدُّ لِي شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ ، وَأَكْثَرُ الْخَواصِ فِي الجَذْوَرِ .

\* \* \*

---

(١) كذا .  
(٢) كذا في الموضعين .

وهناك معلمون نباتيون ، لهم تلامذة عديدة أكثُرَ أوقاتهم مسافرون ، يصعدون أعلى الجبال ، ويتحلّلون بطون الأودية ، يمحرون على النبات ، ويعلمون تلامذتهم ، وهؤلاء القوم يسمون «المُعْرِاتِيُّين» ، ولهם في دارفور شنان ، ولهم معاندة مع بعضهم ، كلّ منهم يريد أن يرتفع صيته . وجميع الجنود التي يأخذونها يضعونها في قرون القنم ، بل وفي قرون البقر .

وهي على أنواع ، منها: ما هو للمحبة والتقبُل ، والجذور التي لذلك تسمى : نارة .  
وكان في أيامنا أشهر الناس بها رجل يسمى : بـَسْكُرُلُوكُو ، وكان مقروء بـَمْهِدِيدِ السَّيْلِ .  
وكان من عشيقـَـة ، وامتنعت عليه بفضـَـة ، ذهب إلى بـَسْكُرُلُوكُو ، فأخذ منه نارة ،  
وذلك بها وجهـَـه ويدـَـيه ، وذهب إلى محبـَـته ، ومسح بيده على كتفـَـها أو شيء من جسمـَـها ،  
فوقع حبـَـه في قلبـَـها ، بحيث لا تقدر تفارقـَـه ، فيفعلـَـها ما يريدـَـ . وإن خطـَـها(١) وأبـَـيـَـ(٢)  
أبوـَـها ، فرـَـتـَـ معـَـه حيثـَـ يريدـَـ ، وتزوجـَـته قهـَـراً عنها .

ومن كان له حاجة ببابـِـ الملكـَـ ، وخشيـَـ الاـَـنـَـقـَـى ، وذهب إلى بـَـسـَـكـُـرـَـلـُـوكـُـو ،  
وأخذ منه قطعةـَـ من النـَـارـَـة ، و ذلك بشـَـىـَـ منها بين كـَـفـَـيهـَـ ، ومسح على وجهـَـه ، أحـَـبـَـهـَـ  
الملكـَـ ، وقضـَـى حاجـَـتهـَـ ، وإن كان ضـَـامرـَـاً(٣) له سـَـواـًـ . واشتهر بـَـسـَـكـُـرـَـلـُـوكـُـوــ بهذا الأمرـَـ ،  
حقـَـ إنـَـ النساءـَـ لـَـيفـَـنـَـينـَـ بهـَـ وـَـيـَـقـَـنـَـ :

بـَـسـَـكـُـرـَـلـُـوكـُـوــ أــبـَـيـَـ(٤)

بـَـنـَـقـَـنـَـ بـَـسـَـدـَـاــ

(١) في الأصل : وابـَا .

(٢) كـَـداــ .

(٣) في الأصل : أــبـَـا .

و معناه : أن بـَكْرُلُوكُو [ بمقدارته السحرية ]<sup>(١)</sup> إن أراد أن يُرْخِصَ مُهورَ البناء ، يجعل الرجل يتزوج [ بناتين ]<sup>(٢)</sup> بـَسْدَا<sup>(٣)</sup> واحداً . والـَّسْدَا : هو عشرة أذرع غَزْلاً<sup>(٤)</sup> قياماً .

وما اتفق لي في ذلك أنه في يوم من الأيام جاءني رجل معه نارَة يدعى أنها عظيمة جداً ، وأنه أخذها من بـَكْرُلُوكُو وعرضها<sup>(٤)</sup> على لشّراء ، فقلت له : يا هذا إنما يحتاج إلى النارَة من تبغيضه النساء ، وأنا في شبابي هذا ويسير حال ، لو أردت ابنةَ الملك لما تعذرت على ، فكيف بغيرها ؟ ويحتاج إليها من يخشى سطوةَ الملك ، وأنا في أمنٍ من ذلك ، لأنَّ غريبٌ وشريف ، ولِي عند الملك حُرمة ، فأعراضها على غيري ، فهو أولى بها مني ، لأنَّ أنا في نفسي نارة ، فما أصنع بالنارة ؟ انتهى  
و منها ما يستعمل للمضررة وهو على أنواع :

نوع يستعمل لقتل العدو ، وكيفية ذلك أن يؤخذ الجذر الذي فيه خاصية القتل ، ويُفرز في ظل رأس المراد قتله ، ففي الحال يتآثر ويلتهبُ المنج ، ويبقى الشخص لا يعي شيئاً ، فإن لم يتدارك سريعاً بضم ما فعل له مات . وإذا أريد إبطالُ عضو منه ، يُفرز الجذر في ظلِّ العضو المراد إبطاله كاليد أو الرجل ، وفي الحال يتآلم العضو ويلتهب وينتفخ ، وربما حدثت فيه غدة كُعْدَة الطاعون . وإن لم يتدارك سريعاً ينفتح ويتنهى بفقد إحساس المصب ، وبطلان الوظائف كلها .

(١) الزيادة من الترجمة الفرنسية : Voyage, p. 346.

(٢) في الأصل : بـَسْدَا .

(٣) في الأصل : وعرفها .

وإذا أريد أن يصاب بالدوار والقُيء ، هناك جذور توضع على الجمر ، ويُبتلى  
دخانها ولو في كم التوب ، ويُطبق عليه طبقاً جيداً ، ويوجه للشخص المقصود ، فيفتح  
كم التوب ونحوه بقرب أنفه ، فتسقط رائحة دخان الجنز في أنفه ، فيقع في الحال حتى  
تبقي رجله أعلى من رأسه ، فإن لم يتدارك في الحال بقي كذلك أياماً .

ومنها جذور خاصية جلب النوم ، وهذه الجذور تستعملها السارقون ، وتجعلها  
في قرون ، فيدخل السارق بالليل على محله وأهله مستيقظون ، فيشير إليهم بالقرن الذي  
فيه الجنز ثلاث مرات ، فيضرب الله على آذانهم فلا يعون شيئاً ، فيدخل السارق وياخذ  
ما يريد أخذَه . وربما ذبح الشاة وسلخها وشوى <sup>(١)</sup> من (٢٩٩) لحها وأكل ، ووضع في يديِ  
كل من أرباب محل قطعة من الكبد ، ثم أخذ ما أراد وخرج . وبعد خروجه من  
الدار يُفiqueون ، ويسأل بعضُهم بعضاً عن الرجل الذي كانوا رأوه ، فكلُّ منهم يقول :  
رأيته ولا أدرى ما فعل . فإذا بمحظى يرون أنه ما ترك لهم شيئاً ، وقد فاز بما  
أخذ ، فيغضون أناملَهم تلهمًا ، وقد امتنع عليهم .

وبالجملة فهذا الأمر في دارفور مشهور لا يُشكِّر . وكنت سألت عن تلك  
الخواص أستاذِي الفقيه مَدِينِي الفوتاوي ، أخا الفقيه مالك ، الذي تقدم ذكره ، فأخبرني  
أن الكتب المنزلة على آدم وشيث ، وإبراهيم وغيره من الأنبياء ، دُفِنت في الأرض ،  
وأنبتَ الله هذه النباتات في محل الذي دُفِنتْ فيه ، وانتشر بِزُرُّها بهبوب الرياح  
في الأرض ، فعمَّ نباتها وانتشر ، واستُنْعِدَتْ منها هذه الخواص بالتجربة .

(١) في الأصل : شوا .

أقول : وهذا نوع من أنواع السحر ، وضربٌ من ضروريه .  
ومنها نوع يُعمل بالكتابة والتعزيم على الأماكن العلوية والسفلى . ومن  
هذا النوع تظهر أمور كثيرة خارقة للعادة .

لقد أخبرني الثقات<sup>(١)</sup> ، بدارفور ، أن في مخاربة الخليفة [اسحاق] للسلطان عبد الرحمن ، كان  
لل الخليفة عدّة رجال يُقوسون بالبندق ، فسحرهم جماعة السلطان ، حتى إن البارود كان يخرج  
من البندق كالبلول لا يُسمع له صوت ، ورصاصه كان لا (٣٠٠) يصوّر ، وبندق جماعة  
السلطان يعكسه في الصوت والضرر .

وما وقع من هذا القبيل ، أنه<sup>(٢)</sup> لما توفى السلطان عبد الرحمن ، وولى ابنه السلطان  
محمد فضل مكانه ، أبي عليه أولاد السلاطين ، كانوا لاد السلطان تيراب ، وأولاد السلطان  
أبي القاسم ، وأولاد الخليفة ، وأولاد السلطان عمر ، وخرجوا عن الطاعة ، وركبوا  
خيولهم ، وخرجوا إلى القرى ، وجيئوا جيئاً عظيماً ، فخشى [الأب] الشیخ محمد كرما من  
خلال يقع في البلاد ، فدعى<sup>(٣)</sup> بالفقیه مالک الفوتاوی ، وأعلم بما يخشى من غائلة هذا الأمر ،  
فضمين له أن يأتي بهم إلى بين<sup>(٤)</sup> يديه أذلاء . فأخرج [الأب] الشیخ محمد كرما جيئاً  
لنظر الملك محمد دلدن ، ابن عمّة السلطان محمد فضل ، وذهب الفقيه مالك فعمل من  
سحره ما عِمل ، وكانت أولاد السلاطين في محلٍ بينه وبين القاشر مسيرة يومين ،  
فلمَا عِل فيهم السحر ، ركبوا خيولهم عند المساء ، خوفاً من الملك محمد دلدن أن يهجم

(١) في الأصل : الثقاة .

(٢) في الأصل : ان .

(٣) في الأصل : فدعى .

(٤) كذا .

عليهم بجيشه ، وأرادوا بعد فعموا<sup>(١)</sup> عن الطريق ، وباتوا ليتهم تلك سارين إلى جهة الفاشر ، والملك دلدن في إثرهم ، فما أصبحوا إلا وهم تحت الفاشر . ولما أصبح الصباح ، ورأوا أنفسهم بقرب الفاشر ، ندموا على سرّياتهم<sup>(٢)</sup> ، وسمع بهم [الأب] الشيخ محمد كُرّا ، فارسل لهم . وحينما وصل الجيش (٣٠١) إليهم ، أطبق عليهم جيش الملك محمد دلدن ، لأنه [كان] في أثرهم . ولما صاروا بين العسكريين ، انهزمت الناس الذين كانوا التفوا عليهم ، وبقيت أولاد السلاطين في نفر قليل ، فقبض عليهم الملك محمد دلدن ، وتوجه بهم إلى [الأب] الشيخ محمد كُرّا ، فأمر بهم إلى السجن ، واكتفى<sup>(٣)</sup> شرّهم ، وكان ذلك من السحر ، ولو لاه لجاسوا خلال دارفور ، وعاثوا فيها ، واتسع الخرق على الرّاقع .

والخصوص بالأعمال السحرية في دارفور هم قبيلة القُلآن ، ولقد رأيت منهم رجالا يسمى : الفقيه تُمُرُّو - بفتح المثلثة الفوقية ، وضم الميم ، وأخره راء مشددة مضبوطة - يذكرون عنه أموراً<sup>(٤)</sup> عجيبة ، ويفيضون [في] ذكرها ، مع التصديق لها ، حتى بلغت هناك مبلغ التواتر الذي يت遁ع تكذيبه .

فمنها : ما أخبرني به الثقة من فقهاء دارفور ، أنه سافر مع الفقيه تُمُرُّو المذكور من جديد كريو إلى الفاشر ، ورجع معه إلى جديد كريو ، فقال : لما كنا في أثناء

(١) كذا بفتح الميم .

(٢) كذا .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : أمور .

الطريق ، اشتد علينا حرث الشمس ، وكان الفقيه تمرُّ و راكباً على جمل ، فأخذ ملحفته وفرَّ بها ، ثم رجع وضمها بين يديه ، وقرأ عليها بعض أسماء ، ثم قذفها إلى أعلى ، فانفرد [ت] على رأسه كأنها طلة ، وظللتْه هو وصاحبِه من حرث الشمس ، كأنها ممسوكة من أطرافها بين رجلين ، تتبعهما أينما توجها كالظلة ، وهذا الأمر من أغرب ما يُسمع وأعجب به (٣٠٢) .

ومنها : بينما ها سائران في سفرها ذلك ، إذ نزل عليهما المطر ، فقال الفقيه تمرُّ ونحادم كان معهما : رأثني بقبضةٍ من التراب . فناوله إياها فأخذها بيده ، وقرأ عليها بعض كلماتٍ ، ثم نثر التراب حول رأسه ، فانقشع السحاب ، وصار المطر ينزل عن يمينهما ويسارهما ، وهو يمشيان في اليبس ، لا تنزل عليهما قطرة .

وما بلغنى ، أن المسالط اقتتلوا مع الفلان ، فـ بعض الأحيان ، وهزمونهم ، واقتلونـا أثـرـهم لـيـسـتأـصـلوـهم ، فـعـمـلـ الفـلـانـ شـيـئـاً مـنـ سـحـرـهمـ ، فـسـحـرـواـ أـعـيـنـ المسـالـطـ ، حـتـىـ إنـهـمـ كـانـواـ يـرـفـونـ أـثـرـ الـذـهـابـ مـعـكـوسـاـ ، كـانـهـ أـثـرـ الـجـبـيـ .

ولقد بلغنى من شيخنا الفقيه مَدَنِي الفوتاوي - عليه سحائب الرحمة - أن ملك البربرُ كان له كاتب جليل القدر ، على غاية من التقوى والصلاح ، شجاع إلى الوزير الأعظم وقال له : إن الملك يأمرك أن تكتب كتاباً لفلان ، مضمونه كذا وكذا . فأبى الكاتب عليه وقال : لا أكتب إلا أن يقول لي السلطان بنفسه ، أو يرسل لي عالمة تدل على صدق رسوله . فذهب الوزير إلى السلطان وأخبره بما قاله الكاتب ، فدعاه السلطان وقال له : قد أذنتك أن كلاماً قال لك وزيري هذا ، اكتب لكذا أو كذا على لسانـيـ ، أـنـ تـكـتـبـ لـهـ . وـكـانـ الخـاتـمـ الذـيـ تـحـتـمـ بـهـ الـأـوـامـرـ السـلـطـانـيـةـ معـ الكـاتـبـ

المذكور.(٣٠٣) فامتثل أمره ، وصار يكتب له كلّما أراد ، حتى إنه جاء إليه يوم<sup>(١)</sup> من الأيام وقال له : إن الملك يأمرك أن تكتب إلى فلان الملك ، أن يتوجه إلى العامل فلان ، ويقتلها ، ويستصفي أمواله ، ويرسلها صحبة رأسه . فكتب له ذلك ، والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك . فارأه إلا وقد امتلأ البطحاء بالأموال والرقيق والبقر والإبل والغنم ، ورأس شخص موضوع على سن رمح . فسأل السلطان عن الخبر ، فأخبر أن هذا رأس فلان ، وهذا ماله ، وقد قُتل حسبياً أمرت . فأنكر السلطان دعى بالكاتب وقال : من أمر بقتل فلان ، واستصفيه أمواله ؟ فقال له : أنت . فقال له : في أي وقت أمرتكم بذلك ؟ قال : في الوقت الفلاني ، جاءني وزيرك فلان ، وقال لي : اكتب إلى فلان العامل بالجهة الفلانية ، أن يتوجه إلى فلان العامل بالجهة الفلانية ، ويقطع رأسه ، ويرسلها على رمح ، ويرسل أمواله كلّها . فقال : لم أمره<sup>(٢)</sup> بذلك . وكيف مع عقلك ، وحسن تدبيرك ، أنك كتبت له بغير استئذان مني ؟ ! فقال : أيدك الله مولانا ، إنك قد دعوتني في اليوم الفلاني ، وقلت لي : كلّما قال لك وزيري هذا : اكتب لـكذا أو كذا على لسانك ، فاكتبه له . فامتثلت أمرك من ذلك الوقت ، وصرت أكتب له كلّ ما أمرني به . فغضب السلطان وقال : إنني (٣٠٤) لم أمرك أن تكتب له في مثل هذا الأمر للمهم ، بل أمرتكم أن تكتب له في الأمور التي لا صرار فيها على الدولة . أو مثل هذا الأمر يكون بغير استئذان ؟ فقال الكاتب : إن مولانا لم يستثنِ أحداً من الأمور حين أمرني بطاعته . فزاد غضبُ السلطان ، وأمر بالقبض على الكاتب ، فلم يقدر أحد على القبض

(١) كذا .

(٢) كذا بهمزتين وقد سبق له نظائر .

عليه، وما ذاك إلا أنه كل من مد إليه يدًا ليقبض عليه تَبَيَّبَسُ ، فلا يقدر أن يتذمَّرَها ،  
وتصير كأنها قطعة خشب .

فَلَمَّا رَأَى السَّلَطَانَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَعْفُ عَنْ هُؤُلَاءِ . فَقَالَ : لَا أَعْفُ<sup>(١)</sup> عَنْهُمْ ، إِلَّا إِنْ  
أَعْفَانِ السَّلَطَانَ مِنِ الْخِدْمَةِ . فَأَعْفَاهُ مِنِ الْخِدْمَةِ ، وَعَفَا عَنْهُمْ هُوَ أَيْضًا ، فَلَمَّا أَيْدَاهُمْ ،  
وَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ . وَهَذَا مَصْدَاقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ ، خَافَ  
مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَنْ لَمْ يَخْفَ اللَّهَ ، خَوْفَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» .

وَمِمَّا يَنْخُرِطُ فِي سَلَكِ هَذِهِ الْعَجَائِبِ<sup>(٢)</sup> مَا شَاعَ عَلَى الْأَسْنَةِ أَهْلَ دَارْفُورِ ، مِنْ أَنْ  
هُنَّاكَ قَبَيلَتَيْنِ مِنْ رَعَايَا الْفُورِ إِحْدَاهُمَا تُسَمَّى : مَسَالِيطُ<sup>(٣)</sup> ، وَالثَّانِيَةُ : تَمُورُزُكَهُ<sup>(٤)</sup> ، يَتَشَكَّلُانَ  
بِأَشْكَالِ الْحَيَوانَاتِ . لَكُنَّ الْمُشْهُورُ أَنْ مَسَالِيطَ<sup>(٥)</sup> تَشَكَّلُ بِشَكْلِ الضَّبَّاعِ وَالْمَهْرَ وَالْكَلْبِ ،  
وَأَمَا تَمُورُزَكَهُ فَتَشَكَّلُ بِشَكْلِ السَّبُّعِ لَا غَيْرَ . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ يَقُولُونَ عَنْهَا : إِنَّ  
الْمَيْتَ مِنْهُمْ يَقُومُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ قَبْرِهِ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، وَيَتَزَوَّجُ بِهَا (٣٠٥)  
وَيَعِيشُ زَمْنًا . وَلَقَدْ أُشْعِيَ عَلَى الْأَسْنَةِ أَهْلَ دَارْفُورِ ، أَنَّ لِلْسَّلَطَانَ طَائِفَةً مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ،  
يَرْسُلُهَا فِي مَهَمَّاتٍ أُمُورِهِ ، وَأَنَّ لَهَا مَلَكَةً حَاكِمًا عَلَيْهَا ، وَيَبَالِغُونَ فِي [مَقْدِرَةٍ]<sup>(٦)</sup> هَذِهِ  
الْطَّائِفَةَ [عَلَى التَّشَكُّلِ]<sup>(٧)</sup> ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهَا تَتَشَكَّلُ بِجُمِيعِ أَنْوَاعِ التَّشَكُّلَاتِ ، حَتَّى  
الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا ضَاقَ عَلَيْهِ الْجَهَالُ ، وَخَافَ مِنَ الضَّبْطِ<sup>(٨)</sup> عَلَيْهِ ، يَقِنُّ رِيحًا .

(١) فِي الْأَصْلِ : لَا أَعْفُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْعَجَائِبُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : مَسَالِطُ ، فِي الْمُوْضِعَيْنِ وَالتَّصْحِيحِ عَنِ التَّرْجِمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ

Voyage, p. 355

(٤) فِي الْأَصْلِ تَمُورُزَكَهُ .

(٥) الْزيَادَةُ عَنِ التَّرْجِمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ Voyage, p. 355

كَمَا .

ولقد أدركت حاكم هذه الطائفة وكان يسمى : على كرتب ، وكان رجلاً مسناً ضعيفاً الحركة ، من فقراء الجندي ، لا يظهر عليه أثر الثروة . ثم إنه مات ووْلى ابنه مكانه . وكان شاباً جسياً وخش الخلة ، لكن يظهر عليه أثر الثروة . وكان يركب العتاق من الخيل ، وله خدم وأبهة ، فانعقدت بيني وبينه صحبة ، وذهب إلى داره عدة مرات ، وكان يسعى : عبد الله كرتب . فاتفق أنني خلوت به في بعض المراres ، وسألته عما تقول فيه الناس من التشكيـل ، وأنه يسافر مسيرة عشرة أيام في برها . فشاغلني بكلام آخر ، ولم يفدني بشيء ، فتركته في ذلك الوقت ، وسألته ثانية في وقت آخر ، فتبسم وقال : سبحان الله ، ما كنت أظن أنك تصدقـ هذا القول . ثم شاغلني بغير ذلك ، حتى خرجت من عنده ، ثم أنكر معرفتي بعد ذلك ، وصار يمر على ولا يلتفت لجهتي . وتركته أنا أيضاً لما رأيت من تنكريه ، ولا أعلم لذلك سبباً سوى تكرار سؤاله في (٣٠٦) هذا الشأن .

ولقد سافرت بالغزو<sup>(١)</sup> مع ملك من الملوك اسمه : عبد الكريم بن خيس عزمان . وكان أبوه من أعظم وزراء السلطان ، ونقم عليه ، وأبد سجنـه حتى مات . وصار ولده خادماً للدولة ، حتى أرسـل بالغزو في الفرتـيت . وكان لي عليه دين ، فذهبـت معه لأستوفاه<sup>(٢)</sup> منه . فتوغلـنا في بلاد الفرتـيت مدة ثلاثة أشهر ، وكـنا في محل لا يوجد فيه شيء من القـول ولا انـحضرـوات<sup>(٣)</sup> . فدعـاني ذاتـ يوم من الأيام ، فلما دخلـت عنده وجدـت بصلاً أحـضر وقوـسا ، وكلـ منها كانـما أخذـ من مقتـاته الآـن . فسألـته عنهـما ، ومن أـين وصلـ له ؟ فقالـ : من دارـفور . فسألـته عنـ أـئـى له بهـما ، وكـيف بـقيـا طـريـنـ مع بـعد المسـافـة ، سـيـاـ الفـقوـس ، فإـنه كانـ غـصـاً بالـكلـية . فقالـ : قد جـى بهـما في أـقل زـمن . وانـظر إـلى تاريخ

(١) المقصود بالغزو هنا : الاغارة على أحدى الجهات للحصول على الرقيق .

Voyage, p. 357.

(٢) كـذا وهي صـيـفة عـامـية .

(٣) في الأـصل : الخـضـروـات .

هذا المكتوب . فأخذت المكتوب منه ، ونظرت إليه ، فإذا هو من بعض أحبابه بدارفور ، وتاريخه صحيحة ذلك اليوم . فبهرت وصرت متعجبًا من ذلك . فلما رأى عجائب<sup>(١)</sup> قال لي : لا تتعجب ، فإن معنا جماعة من التّمُورَكَه ، فيهم<sup>(٢)</sup> قوّة التّشكّل ، يذهبون إلى أبعد محل في أقرب زمان . قلت : أريد أن تريني أنساً منهم . فقال : لك ذلك .

ثم لما قلنا نريد دارفور ، ووصلنا إليها ، بتنا بظاهر بلدهن بلاد التّمُورَكَه ، نسيت اسمها . ولما كان عند<sup>(٣)</sup> الصّباح ، جاءنا أناس كثيرون يسلّمون على الملك وأنا جالس معه ، فرحب بهم وأكرمههم ، وكسرؤسائهم ثياباً حسنة ، ففرحوا بذلك .

ولما أردنا الرحيل قال رئيسهم : إنّا نوصيك إن رأيت في طريقكم سباعاً فلا تمسوها بسوء ، لأن جميع ما ترونه من السباع في هذه الجهة منا . فقال الملك إذ ذاك : نحن نريد أن نسمع من بعض أصحابك الآن . فقال : سمعاً وطاعة . ثم ندب ثلاثة أنفار منهم سماهم ، فقاموا وتوجهوا إلى الخلاء ، فغابوا قليلاً ، ثم سمعنا زفير أسد عظيم أزعج القلوب ، وأفزع الدواب ، فقالوا : هذا صوت فلان سمهوه ، ثم سكت . وزأر أسد آخر يقرب منه ثلاثة رّارات . فقالوا : هذا [صوت] فلان . ثم سكت . وسمع بعد ذاك زفير أعظم من الزئرين السابقين ، حتى كادت أن تنخلع القلوب لسماعه ، فقالوا : هذا صوت فلان . سمهوه وأعظموا أمره . ثم بعد قليل جاءوا على هيئةهم الآدمية ، وقبلوا يد الملك . ففرح بهم وأكرمههم ، وكسرؤسائهم ثياباً فاخرة ، وودّعنهم وارتاحلنا ، وحينئذ قال لي الملك : هؤلاء الطائفة هم الذين أتونا بالاتصال والقوس ، ونحن في آخر دار فرّتيت . انتهى .

\* \* \*

---

(١) كما .  
(٢) في الأصل : وفيهم .

وَمَا يَلْحِقُ بِهَذِهِ الْعَجَائِبِ ، مَا يَقُولُهُ الرّمَّالُونَ حِينَ يَضْرِبُونَ تَحْتَ الرَّمْلَ ، لِأَنَّهُمْ  
يَقُولُونَ كَلَامًا وَقَعَ لِلإِنْسَانِ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَيَقُولُونَ عَلَى<sup>(١)</sup> أَمْوَارِ (٣٠٨)  
تَقْعُدُ كَائِنَةً يَرَاهَا بَعِينَهُ .

فَمَا دَعَنِي إِلَى صَدْقِ أَقْوَالِهِمْ ، أُنِّي حِينَ أَرَدْتُ الْاِنْتِقَالَ مِنْ دَارِفُورَ ، وَالسَّفَرَ إِلَى  
دَارِ وَادِيِّ ، كَانَ فِي الْبَلَدَةِ الَّتِي كَنْتُ فِيهَا رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ : سَالِمٌ ، لَهُ صَهْرٌ فِي بَلدٍ أَخْرَى  
يَقَالُ لَهُ : إِسْحَاقٌ ، مَاهُرٌ فِي عِلْمِ الرَّمْلِ . وَكَنْتُ ضَيِّقَ الصَّدْرَ لِتَعْشَرَ أُمُورِ السَّفَرِ عَلَى<sup>(٢)</sup> ،  
فَقَالَ لِي سَالِمُ الْمَذْكُورُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَتَوَجَّهَ مَعِي إِلَى صَهْرِيِّ إِسْحَاقٍ ، يَضْرِبُ لَكَ  
الرَّمْلَ ، وَيَقُولُ لَكَ مَا يَظْهَرُ لَهُ ؟ فَأَجْبَتْهُ لِذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَتْ مَعَهُ الْبَلَدَةُ صَهْرِهِ الْمَذْكُورُ ، فَدَخَلَنَا هَا  
صُحْنِي ، فَرَأَيْنَاهُ غَائِبًا فِي زَرْعِهِ . فَصَبَرْنَا حَتَّى قَدْمَهُ فَرَحِبَ بِنَاؤُ كَرْمَنَا ، وَأَنَّى لَنَا بَغْدَاء<sup>(٢)</sup> حَسَنٌ .  
ثُمَّ قَالَ لَهُ صَهْرِهِ سَالِمٌ : إِنَّ الشَّرِيفَ قَدْ جَاءَ يَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَضْرِبَ لَهُ رِمَلاً . فَقَالَ :  
السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . وَضَرَبَ الرَّمْلَ ، وَقَالَ لِي كَلَامًا كَنْتُ أَكَذِّبُهُ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ جَمِيعُ  
مَا قَالَهُ ، وَكَانَهُ تَسْكُنَ مِنَ الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، لَمْ يَخْطُطْ فِي كَلْمَةٍ .

فَهُنَّ ذَلِكُ ، أَنَّهُ قَالَ لِي : إِنَّكَ سَتَذَهِبُ إِلَى دَارِ وَادِيِّ عَنْ قَرِيبٍ ، بِجَمِيعِ أَهْلِ  
بَيْتِكَ مَا عَدَ امْرَأَ أَبِيكَ ، فَإِنَّهَا لَا تَذَهِبُ مَعَكَ . وَكَنْتُ أَكَذِّبُهُ ، وَأَقُولُ : كَيْفَ  
لَا تَذَهِبُ ، مَعَ أَنَّهَا أَحَوْجُ النَّاسِ لِلذَّهَابِ ؟ فَصَدَقَ اللَّهُ قَوْلَهُ ، فَلَمْ تَذَهِبْ مَعَنَا ، وَعَلِمَتْ عَلَيْنَا

(١) كَلَامٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : بَغْدَاءٌ .

حيلة . وهي أنها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ، ففررت و تركت ابنتهما بنت سبع سنين .  
فلا أصبحنا طلبناها فلم (٣٠٩) نجد لها أثراً ، و سافرنا ولم نستقر لها على خبر .

ومن ذلك ، أنه قال لي : ليلة قدوتك على بيت أبيك ، يأتونك بمحارية صفتها كذا  
وكذا . فوق كا قال .

و منها ، أنه قال لي : لا تجتمع بأبيك في دار وادى . فكان كذلك ، ولم يجتمع  
معه إلا في تونس .

و منها ، أنه قال لي : إن بيت أبيك حيطانه حمر ، كأنها طليست بمحارة ، فرأيتها  
كذلك . وللمحارة نوع حجرلونه أحمر هش ، يسحقونه ناعماً ، فيطلى به البيوت ،  
ويصنعون به أيضا الحبر الأحمر ، يختلط مع الصمغ في الماء .

و منها ، أنه قال لي : إنك تركب هذا جواداً أخضر<sup>(١)</sup> . فكان كذلك .

وقال لي : إن السلطان ينعم عليك بجوار وغيرها . فكان كما ذكر .

و من أعجب ما وقع حين كنا عنده ، [أن] جاءته نسوة يتخاصمن مع بعضهن ،  
ويريدن<sup>(٢)</sup> أن يضرب لهن رملاً يظهر به مالاً ضائعاً ، لتعلم كل منهن من أخذه . فضرب  
الرمل وقال : قد ضاع لك حزب أحمر ، منظوم في خيط ، وهو مخبأ في رتاج [باب] البيت  
الفلاني . فقامت امرأة ، وأتت به من الرتاج المذكور ، كما قال . لكن لم يقل من  
الأخذة له منه .

(١) انظر ص ١٧٤ ، حاشية ١ .

(٢) في الأصل : ويريدن ، بتشديد النون .

وله في خط الرمل باع طويلاً ، ومن هذا القبيل ما حدثني به عمّي السيد أحمد زرّوق ، أَن والدِي - عليه سحائبُ الرحمة والرضوان - لما كان صحبةَ المرحوم السلطان محمد صابون في مخاربةِ جبلِ تامَّه ، ضاع له جَمَلٌ بازِلٌ<sup>(١)</sup> ، وأُرسَل العبيدُ والنَّدَم ليفتشوا (٣١٠) عليه<sup>(٢)</sup> ، فذهبوا وغابوا طويلاً ، ثم رجعوا بالنتيجة ، فَيَسِّرَ المرحوم والدِي منه .

وكان من صحبهِ رجلٌ يعرف خطَّ الرمل ، فقال له بعض الحاضرين : إنكَ رجلَ رِمَال ، فإنْ كنت عارفاً ، بِينَ لنا الجمل يأتى أم لا؟ فضربَ الخطَّ وقال : إنَّ الجمل هاهنا غيرُ بعيد ، فَقُوْمُوا وانظروا في إبلِ جيراننا . فذهبَ العبيد إلى إبلِ الجيران ، فوجدوا الجمل باركاً في وسطها ، وعرفوه ، و جاءوا به إلى محله . وهذه غاية الإتقان في علم الرمل .

ومن هذا القبيل أيضاً ، ما حَكَى لي بعضُ الأشراف في دارِ وادِي ، أَن جماعةَ من العلماء كانوا مجتمعين في محلٍ ، وفيهم من يُعرف علم الرمل معرفةَ خبيرٍ ، وفيهم من يَدَعُيه . فتذاكرُوا في علم الرمل ، والذى يَدَعُوه يقول : أنا ضربت الرمل لفلانَ الملك ، ولفلانَ القائد ، وأخْبَرْتُهُما بِكذا وكذا . فطلبَ منه أحَدُ الحاضرين أن يضربَ له ، فضربَ ، وقال كلاماً لا يغنى شيئاً . فالتفتَ العارفُ إلى الخطَّ المضروب وتأملَه ثم قال : إنَّ مبشرُكَ أَنْكَ في غدِ تقبُّضِ من السلطان ستينَ رأسَ رقيق . وكان الأمرُ كَا قال .

وإذ انْجَرَ الكلام إلى علم الرمل ، فلنذكر منه نبذة يقفُ بها المتأمل على ماهيّته وأشكاله وأسمائه ، والأشكال السعيدة والنَّحِسَة والتَّوْسَة فنقول :

(١) الجمل البازل هو الجمل في تاسع سنّيه ، وليس بمدّه سن تسمى .  
(القاموس) .  
(٢) كلٌ .

أما أشكاله فهى ستة عشر شكلًا .

أولها : الطريق (٣١١) ، وصورته هكذا :



[الطريق]

وهي جيدة لمن أراد السفر ، وأجود منها لمن يسأل عن قدوم الغائب ، وردية لمن كان مريضاً ، فإنها تدل على طريقه للقبر .

وثانيها : الجماعة ، وصورتها هكذا :



[الجماعـة]

وهو شكل سعيد إلا في المريض ، فإنه يدل على اجتماع الناس لجنازته .

وثالثها : اللحـيـان ، وصورته هـكـذا :



[اللحـيـان]

وهو شكل سعيد في جميع الأحوال .

ورابعها : النـكـيس ، وصورته هـكـذا :



[النـكـيس]

وهو شكلٌ نَحِسٌ في جميع الأحوال ، إلا في الحامل ، فإنها تلد ذكرًا .  
وخامسها : الاجتماع ، صورته هكذا :



[ الاجتماع ]

وهو شكلٌ سعيد في جميع الأعمال ، إلا في قبض الدرام .  
وسادسها : العُقلة ، صورته هكذا <sup>(۱)</sup> :



[ المقللة ]

وهو شكلٌ نَحِسٌ ، إلا في السؤال عن الحامل .  
وسابعها : العَتَبة الداخِلَة ، صورته هكذا :



[ العَتَبة الداخِلَة ]

وهو شكلٌ سعيد في جميع الأحوال . فمَن (۳۱۲) كان أول خطه هذا الشكل  
أو ثانية ، إن كان مغموماً زال غمّه ؛ وإن كان متربقاً لجئ غائب ، قدِم عليه سريعاً ؛  
وإن كان معسراً زال عُسرُه .

---

(۱) رسم صاحب القاموس صورة المقللة في معجمه (مادة عقل) هكذا :

وبسبقها بقوله : « العُقلة بالضم في اصطلاح حساب الرمل » .

وئامنها : العتبة الخارجة ، وصورته هكذا :



[ العتبة الخارجة ]

وهو شكلٌ نحِس ، يدل على موت المريض ، وتعطيل الحاجة ، واضطراب الأمور ،  
وطلاق الزوجة .

وتاسعها : القبضُ الداخلي ، وصورته هكذا :



[ القبض الداخلي ]

وهو شكلٌ متزجج ، يدلُّ على قبضِ الدرهم ، والظفر بالعدو ، ولكنه يدل على موت  
المريض ، وحبْسِ المطلوب للحاكم .

وعاشرُها : القبضُ الخارج ، وصورته هكذا :



[ القبض الخارج ]

وهو شكلٌ يدل على عدم رجوع ما خرج من اليد ، وذهاب الآبق ، وإيابِ الرقيق ،  
ل لكنه يدل على الخلاصِ من الحبس ، وعلى السفر ، والانتقال من مكانٍ لآخر .

حادي عشرها : البياض ، وصورته هكذا :



[ البياض ]

وهو شكلٌ جيد في كل الأحوال إلا في (٣١٣) المريض ، فإنه يدل على السكفن .

وثاني عشرها : الحمراء ، وصورته هكذا :



[الحمراء]

وهو شكلٌ يدلّ على إهراق الدماء ، وعلى القبر للمريض . لكنه سعيدٌ للحامل ، فإنها تلد ذكراً . ويدل على الثياب الحمراء ، كما أن البياض يدل على الثياب البيضاء .

وثالث عشرها : الجبودة وصورته هكذا :



[الجلودة]

وهو شكلٌ سعيد ، يدلّ على الفرح والسرور ، وأن الحامل تلد أنثى ، وأن الأمر يأتي على أحسن حال .

ورابع عشرها : نقى الخد ، وصورته هكذا :



[نقى الخد]

وهو شكلٌ نحس ، ويدلّ على الشباب ، والعدو المجهول ، وطول المكث في الحبس ، وقبض روح المريض .

وخامس عشرها : النصرة الداخلية ، وصورته هكذا :



[النصرة الداخلية]

وهو شكلٌ سعيد ، يدل على النصر والظفر ، وقضاء الحاجة ، ونجاة المريض والمسجون والحامل .

و السادس عشرها : النصرة الخارجية ، وصورته هكذا :



[النصرة الخارجية]

وهو شكلٌ يدلُّ على أمور حميدة ، إلا في محاربة العدو ، فإنه يدلُّ على انهزام الجيش ، وعدم الظفر به .

فإذا أراد (٣١٤) الإنسان أن يضرب الرمل المذكور ، يأتي برمٍ نظيف نقِّيّ ، وييسّره على الأرض ، ثم ينقطُ فيه بالإصبع الوُسْنَطِي أربعة أسطر ، من غير عدد بالأسطر ، من اليسار إلى العين هكذا :



[ضرب الرمل]

ثم يتبعه زوجاً فزوجاً ، حتى ينتهي إلى الآخر .

فإن كان الآخر زوجاً أثبته ، وإن بق فرداً أثبته ، فثبت ما تحصل من السطر

الأول أولاً ، وما تحصل من الثاني تحته ، وهكذا ، حتى تم الأربعة أسطر<sup>(١)</sup> فيحصل منها شكل من الأشكال ستة عشر متقدمة .

ومن لم يهدِّ رملاً ، ضرب الخط بفول أو حمس : وهو أنه يأخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجاً زوجاً ، ويثبت الأخير ، إن كان زوجاً أو فرداً .

وأما تولدات أشكاله ، واتصالاتها ، وما يتلقى بها من الأسماء ، والحروف والكواكب ، والعافية ، وعافية العاقبة ، فذلك كلُّه منوط بمؤلفات علم الرمل ، فلا نطيل الكلام عليها . وإنما ذكرنا هذه النبذة البسيطة ، ليكون للناظر في رحلتنا هذه إلمام بما هيأه الرَّمل في الجملة ، ولنلا تخلو هذه الْرحلة عن مثل هذه الفائدة والله عالم .

وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجميلة ، المدقة الجميلة ، بدار طباعة السيد كيپنلين الفاخرة ، السكاننة بمدينة باريز البارزة ، وذلك برسم وخط السيد بيرون ، بنعمة الله وعون . وكل طبعه على ذمته ، ونظره وهمته ، في سلخ شهر نونبر<sup>(٢)</sup> سنة خمسين وثمانمائة بعد ألف المسيحية ، والحمد لله في البدء والنهاية ، ونسأله من الخير بلوغ الغاية ، آمين .

---

(١) كذلك :  
(٢) أي : نوفمبر



# الملاحق

ملحق رقم (١) الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور .

» (٢) تاريخ سلطنة دارفور .

» (٣) معجم عربي - فوراوي .





الأمير أبو مدين



ملحق رقم (١)  
الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور  
ومشروع الحملة المصرية على دارفور سنة ١٨٤٣ م

كتبه الدكتور بيرون Perron باللغة الفرنسية ، وهو ملحق بكتاب :  
**Voyage au Darfour, pp. 370-396**

الترجمة العربية :

ان المعلومات التي أوردها هنا ، تكملة لرحلة الشيخ التونسي . وتناول هذه المعلومات وصف اعداد الحملة التي تجهز الان ، كما تتناول أخبار الأمير أبي مدين الذي تقوم الحملة لاجلasse على عرش دارفور ، بدلا من سلطانها الحالى . وفيما يتعلق بهذا الأمير فان جميع ما سوف أورده هنا ، دوته أثناء محادثاتي المتعددة مع هذا الأمير الفوراوي في القاهرة ، اذ استقبلته عدة مرات ، ولاحظت من علاقاته بالناس وتصرفاته معهم ، أنه كان غاية في الطيبة . وهذا أمر طبيعي بين المخلوعين من الملوك ، فكثيرا ما استقبلنى الأمير أبو مدين في داره ، وأتيحت لي ولشيخ التونسي — أكثر من مرة — فرصة الجلوس اليه على مائدة واحدة بدون تكليف وتناول طعام العشاء .

وامتد حديثنا الذى جرى باللغة العربية الى الكلام عن دارفور وعادات أهلها وحاصلات كل اقليم من أقاليمها ، كما امتد الى الحديث عن الأحوال التى جعلت هذا الأمير يقرر الهرب ، وعن المخاطر التى تعرض لها ، والى أى حد استطاع الاستفادة من هذه الكارثة التى جاءت من حسن حظه .

وهنا أخذت أنا والشيخ التونسي ، نكرر له القول بأن العناية الإلهية هي التي قادته إلى مصر ليتعلم منها وليوسع مداركه فيها ، وليري مظاهر الحضارة الجديدة التي ينبغي له أن ينشرها بين أهل دارفور . وفي آخر مرة قابلته فيها — قبل رحيله من القاهرة إلى السودان — ذكرت له هذا القول مرة أخرى وقلت : من المؤكد أنك سوف ترى مدينة تندلتى من جديد بفضل مساعدة محمد على ، وسوف يستقبلك الناس سلطاناً عليهم . ولكن اذكر أنت أن هذه الحوادث الخطيرة لا تقع لمصلحة شخص وحده ، وأن الله لا يقبل هلاك الناس من أجلك ومن أجل مصلحتك لكي تحكم أنت البلاد بنفسك ولخدمة أغراضك . إن أخاك السلطان لم يتم أثناء هروبك لكي تترى أنت في دست السلطة ، دون أن تهم بشئون أهل بلدك . ويبدو أن العناية الإلهية قيضاً لك كل شيء لتفتح أبواب الحضارة لأهل السودان . إنك رجل ذو حظ عظيم ، ولا تنس ذلك أبداً .

كان الأمير أبو مدين على جانب كبير من الذكاء ، وأدرك مغزى حديثي معه ، وأقسم خلال هذا الحديث أنه سوف يهتم بهذا الموضوع اهتماماً كبيراً . وابتسمت ابتسامة تقتضيها أفكاره عن النظام الطبقى في دارفور ، وقلت : عندما تجلس في دست السلطة ، الذي تركه لك أبوك التقى السلطان عبد الرحمن ، ارجع إلى محمد على مرة أخرى . وتخيّر عشرين أو ثلاثين من أذكى أبناء حاشيتك وأكثراً منهم مقدرة على الكلام باللغة العربية وأرسلهم إلى مصر . ومن المؤكد أن إلى مصر سوف يعاملهم معاملة كريمة ، والواقع أنه إذا عرف محمد على أنك تهتفى أثره ، فإنه سوف يهتم بتعليمهم ، وسوف يردهم إليك رجالاً المتعلمين ، فيكونوا أعظم هدية يقدمها ملك إلى آخر .

وعندما ذهبت لوداع أبي مدين ، قبل سفره بأيام ، ذكرني بحديثي معه والأفكار التي أبديتها له أنا والشيخ التونسي .

والآن قبل أن أذكر شيئاً عن حملة دارفور ، سوف أحكى أخبار أبي مدين منذ هروبه حتى اليوم . ونقلت هذه السيرة — كما ذكرت من قبل — على لسان أبي مدين نفسه ، وأكدها لي وللشيخ التونسي أكثر من مرة ، تجار كردفان ودارفور ، الذين يأتي منهم إلى مصر عدد كبير .

أبو مدين : هو الأمير محمد أبو مدين بن السلطان عبد الرحمن الشديد المعروف باليتيم ، وأخو السلطان محمد فضل . ونشأ أبو مدين يتينا ، اذ توفي أبوه وهو طفل لم يبلغ من العمر سوى ستة أشهر . وتربى مجھولاً في مساكن الحرير بالقصر السلطاني ، ولذا لم يشعر أحد بوجوده ، ولم يسمع الشيخ التونسي عن هذا الأمير شيئاً أثناء زيارته لسلطنة دارفور ، كما أنه لم يسمع أحداً يتحدث عنه ، ولا عن أخيه الصغير . وكان لأبي مدين أخوان غير أخيه الثالث السلطان محمد فضل . وأصغر هذين الأخرين — ولا أذكر اسمه — كان يكبر أباً مدين بستين ونصف سنة فقط . أما الأخي الأكبر فهو محمد بخاري .

ظل هؤلاء الأخوة الثلاثة موضع رعاية أخيهم . السلطان محمد فضل سنوات طويلة بوصفه وصيا عليهم . ولكن معاملته لأخوه لم تثبت أن تغيرت ، وذلك حين شب أولاده عن الطوق . فقد عزم السلطان محمد فضل أن يضمن لأولاده اعتلاء عرش دارفور ، وذلك لأن يقضى على كل منافسة متوقعة من ناحية أعمامهم . وفي سبيل تنفيذ هذه الخطة المحوظة بالحدّر ، بدأ السلطان محمد فضل بقتل محمد بخاري أكبر أخوه الثلاثة . وفي نفس الوقت نصح أخيه الآخرين ، بأن يحذروا تعريض نفسيهما مثل مصير أخيهما .

كان الأميران الصغار يعيشان في تونج باسي ، وهي البيوت المخصصة

لسكنى الأمراء ، وهى مؤلفة من سكتيات جميلة تقع شرقى مدينة تندلتى ، ولا تبعد عن هذه المدينة سوى عدة مئات من الخطوات . و تعرض أبو مدين وأخوه الصغير لمراقبة مستمرة ، فلم يستطعوا مبارحة مسكنيهما دون اذن خشية أن يشى بهما أحد عند السلطان . ولو قدر لهم أن يضبطا متلبسين بجريمة الهروب ، فإن اجراءات محاكتمهما وتنفيذ الحكم فيهما لا تطول كثيرا . ومن ثم كانوا معرضين لنفس مصير أخيهما محمد بخارى . ولذا دبر الأميران خطة ينجوان بها من الخطر الذى كان يهددهما كل يوم .

وانتهز الأميران أول فرصة للنجاة ، وحانـت هذه الفرصة حين خطبت أحـدى أخـواتـهـما إـلى أحـد أـبـنـاءـهـمـ خـوـولـتـهـمـ . ولـما تـحدـدـ الزـواـجـ ، طـلـبـ الـأـمـيـرـ أـبـوـ مـدـيـنـ وـأـخـوهـ مـنـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ فـضـلـ أـنـ يـسـمـحـ لـهـمـ بـالـذـهـابـ إـلـىـ الـمـنـاطـقـ الـمـجاـوـرـةـ لـمـديـنـةـ تـنـدـلـتـىـ ، لـجـمـعـ الـبـقـرـ وـالـضـأنـ لـتـقـدـيمـهـاـ فـيـ وـلـائـمـ الـعـشـاءـ الـخـاصـةـ بـالـعـرـسـ ، وـلـاعـدـادـ كـلـ ماـ يـتـطـلـبـهـ الـعـرـسـ مـنـ حـاجـاتـ .

وتعهد الأمير أبو مدين وأخوه بالقيام بهذه المهمة ، وفي الساعة الثالثة من مساء اليوم الذى حصل فيه على اذن من السلطان بالخروج ، ركبا خواديهما وخرجوا من مدينة تندلتى ، وفي صحبتهما بعض الأتباع والعبيد ، وسارا صوب القرى الواقعة جنوبى مدينة تندلتى ، وظلا في هذا الاتجاه حتى غروب الشمس . ولما أسدل الليل أستاره ، اتجها ناحية الشرق وأخذوا السير في الطريق المؤدى إلى القوز .

واصل الأميران سيرهما طوال الليل ، حتى اذا أشرقت شمس اليوم التالى ، كانوا قد بلغا السهول التى يسكنها عرب بنى جرّار ، وهم بدؤ مستقرون قرب بلدة الطويشة . وفي الحال اجتمع شيخوخ هؤلاء البدو حول الأميين الهارين ، ثم سألوهما عن الغرض من رحلتهما ، وعاملوهما معاملة

كريمة ، ثم عرضوا عليهم خدماتهم . فأخبر الأميران بنى جرّار بأنهما هاربان بسبب غيرة السلطان منهما وقوسوته عليهما ، وكثيرا ما لقيا منه الأمرّين ، وأنهما في طريقهما إلى كردفان . فقال لهما شيخ بنى جرّار : ارجعوا إلى دارفور ، فسننضم اليكما ، ونكون منا فرقه كبيرة تنقض بها فجأة على السلطان في مدينة تندلتى ، مهما كانت الأحوال ، ونرد اليكما ميراث أبيكما . اعتمدنا علينا ، فنحن أوفياء لكما .

ولما كان الأمiran الهاربان يسكنان في صدق نوايا بنى جرار ، فإنهم اكتفيا بشكر شيوخها على عروضهم السخية ، وقالا لهم : جزاكم الله خيرا على حسن نواياكم . دعونا نمضي في طريقنا ، وغاية ما نرجو منكم أن تمدوننا ببعض فرسانكم لرافقتنا ، ولحمايتنا من أي حادث يقع لنا ولارشادنا إلى الطريق حتى نبلغ مأمتنا . وبعد هنيهة اجتمع مائة فارس واصطحبوا أبا مدين وأخاه بمثابة حرس خاص .

طلت هذه الجماعة مسافة مدة يومين ونصف يوم لم تقابل خلالها أحدا . غير أنه حدث في اليوم الثالث أثناء عبورها بعض الرّبّي عند أطراف دارفور «أن تعرّف أحد سكانها على الأمرين الفوراويين . وما ان رأى الأمير الصغير حتى صاح قائلا : ها هو ذا ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد . وما ان سمع الأمير الصغير قوله حتى هجم على الرجل وقتل رأسه عن جسده بالسيف . فثار أهل القتيل ثورة شديدة ، وحدثت ضجة . ثم أخذ هؤلاء يسبون حرس الأمرين ، وهجموا عليهم .

وكان الأمير أبو مدين وبعض الفرسان على مسافة قصيرة من مكان الحادث ، فعاد أدراجه واندفع نحو أهل القتيل محاولا وقف المعركة الدائرة بين الفريقين ، واتسحى بأخيه جانيا وأخذ يلومه على قصر نظره ، واتهمه بالوحشية والظلم ، وبدا منه ما يوحى بتأييد حق أولئك القوم في الانتقام لمن أصابهه الضّرر ، وعمل على ابعاد رجاله عن مساكنهم .

ولم يكُن الأمير أبو مدين يصل إلى السهل حتى أسرع الخطى نحو البحر (النيل) . غير أن أهل القتيل احتفظوا بحقهم في الانتقام ، ومن ثم أرسلوا من بينهم رجلاً إلى مدينة تندلتى ، فلم يلبث أن وصل إليها ، وأخبر السلطان محمد فضل بأنَّ الأميرين هاربان من دارفور ، وأنهما في طريقهما إلى كردفان .

وما ان سمع السلطان بهذا النباء حتى أرسل من فوره فرقة من الفرسان بقيادة أحد المخلصين من أتباعه واسمه تورفيجج ، لمطاردة الأمراء .

وغادرت هذه الفرقة مدينة تندلتى ، وواصلت السير ليلاً ونهاراً ، حتى عثرت على أثر الأميرين وحرسهما في الصحراء ، وذلك على مسافة من أطراف دارفور . ثم قصد تورفيجج إلى مكان الأميرين الهاجرين ولحق بهما ، وهاجمهما وهو مغضب عليهما . ونشبت بينه وبينهما معركة ، وألقى الأمير أبو مدين بنفسه على تورفيجج وضربه بالسيف ضربة فقataت عينه ، ثم ضربه أخرى فأراده قتيلاً .

ورأى رجال تورفيجج رئيسهم يسقط قتيلاً ، ولكن أحدها منهم لم يجرؤ على الدفاع عنه ، لأنَّ العرف جرى في دارفور أنه لا يحق لأحد أن يشهر سلاحاً في وجه أي فرد من أفراد أسرة السلطان . فلو حدث أن أحدها من أهل دارفور قتل أي فرد تجرى في عروقه الدماء السلطانية ، فإنَّ جزاء القاتل الأعدام ، سواء كان القتل سهواً أو خطأً أو للدفاع عن النفس ، ولو كان القتل بناءً على أوامر صادرة من السلطان .

من الدليل على ذلك أنَّ الفلاح المصري زبادي الذي قتل اسحاق الخليفة بن السلطان محمد تيراب بينما دقته بأمر السلطان عبد الرحمن الرشيد نفسه — فإنه بعد أن نال المكافأة التي وعده بها السلطان عقب معركة جركو — أمر السلطان عبد الرحمن بقتله ، وذلك تمشياً مع العرف

الذى جرى في دارفور ، بعدم الاعتداء على السلطان أو على أى فرد من أفراد الأسرة السلطانية . وهكذا فان سفك الدماء السلطانية — مهما كانت الظروف المحيطة به — جريمة كبرى لا يخفف من وقعتها شيء ، ولا تفتدى بشيء .

وأكثر من هذا فانه لو قتل أحد أبناء السلطان أو أحد أقاربه عمداً أو سهوا في قرية من ريف دارفور ، وظل المجرم مجهولاً ، أو لم تفلح جهود سكان المنطقة التي وقعت فيها جريمة القتل في القبض عليه ، فان الانتقام من هؤلاء السكان يكون أشد عنفاً وقسوة . فالمذنب لابد من الانتقام منه ، أو من أحد أقاربه ، مهما كانت أسباب الجريمة . ولذا كانت تحرق الربى التي يقطنها أهل المذنب وتدمير تدميراً ، وتقع فيهم مذبحة كبيرة تعويضاً لما وقع من جريمة في حق الأسرة السلطانية ، مع الاستمرار في تعقب الجاني الهارب حتى ينال جزاءه .

وخصوصاً لهذه المبادئ الشائعة في دارفور ، تخلت الفرقة عن رئيسها تورفيجه ، وتركته وحيداً يتلقى طعنات الأميرين الفوراويين دون أن يحرك أفرادها ساكناً ، أو يتقدم أحد منهم خطوة واحدة للدفاع عنه . ولما رأى أفراد الفرقة رئيسهم قتيلاً ، وأنهم أصبحوا من غير رئيس يقودهم ، تفرقوا ولاذوا بالفرار .

غير أن السلطان محمد فضل لم يلبث أن أرسل فرقاً أخرى من الفرسان أكثر عدداً من الفرقة الأولى . اذ توقع مقاومة عنيفة من جانب الأميرين اللذين احتفظاً بقوة حرسمها ، فضلاً عن استعداد هذا الحرس للدفاع عنهم بقوة . ورأى السلطان محمد فضل أن الالتحاج في مطاردة الأميرين الهاربين سوف يجعل لفرسانه فرصة في احراز النصر على الأميرين . ولذا رأى السلطان أن يبقى مهمة أولئك الفرسان سرية الا لرؤسائهم ، لأنّه خشي أن يسرع أحد أصدقاء الأمير أبي مدين أو أخيه

بائذارهما بالخطر المحدق بهما أو باحباط مطاردتهما .  
والتقى الجنود الفوراويون الهاربون من الأميرين بالفرسان الذين  
ذهبوا للحاق بهم ، ولم تمض بضع ساعات حتى تجمع هؤلاء وأولئك  
جميعا . وفوجيء الأميران وحرسهما باقتراب غبار الجنود الفوراويين  
الزاحفين نحوهم .

أما بنو جرار ومن كان في حمايتهم ، فانهم تفرقوا بعيدا بحثا عن  
الماء ، ثم ضلوا الطريق دون أن يعثروا على شيء . ومع هذا اقترب  
بنو جرار من أطراف كردفان ، لأنهم حين التقوا بجنود دارفور ، تفرقن  
جماعات منهم هنا وهناك بحثا عن الماء حتى صاروا على مسافة تبعد يومين  
ونصف يوم من أطراف كردفان .

وأخذ بنو جرار يفكرون في موقفهم من الجنود الفوراويين ، ورأوا  
أنه ليس من المفيد لهم أن يتظروا فرصة الدخول معهم في معركة كبيرة .  
غير أنه عز عليهم أن تضيع جهودهم سدى ، فاستولوا على الجمال التي  
كانت تحمل المتاع أو المؤونة للأميرين وأتبعهما ، وهرعوا إلى ناحية  
البحر ( نهر النيل ) .

لم يبق مع الأميرين الفوراويين بعد خيانة بنى جرار سوى بضعة  
رجال من صاحبوهما عند خروجهما من مدينة تندلتى ، ومعهم عدد من  
الجمال السريعة التي ركبها اثنان أو ثلاثة من أولئك الرجال .

وأخذ الأميران يفكران في طريقة يتخلصان بها من مطاردة فرسان  
دارفور ، فأسرعا في السير صحبة أتباعهما ، واستطاع الجميع أن يختفوا  
عن أنظار العدو . غير أن المجهود المضنى الذى بذلوه في تلك الرحلة  
الشاقة ، مع قلة الماء وشدة تعب الخيل أدى إلى توقفهم عن السير بعض  
ساعات ، ولم يلبث أن ظهر فرسان دارفور فجأة واقتضوا عليهم ، وخطفوا  
الأمير الفوراوي الصغير وأخذوه أسيرا .

ومن حسن الطالع — للمرة الثانية — أن الأمير أبو مدين كان بعيداً عن أتباعه . فلما شهد ما حدث ، لم يتوقف لحظة واحدة عن الجري بعيداً ، ولم يفقد وعيه رغم ما كان يعانيه من شدة العطش .

ثم عاد الأمير أبو مدين إلى رفاقه حين رأى فرسان دارفور يحملون أخاه الأمير الصغير أسيراً ، ويستولون على ممتلكاته القليل . وعندها اختبأَ الأمير أبو مدين ، أول الأمر ، ثم ولَّ ظهره لفرسان دارفور ؛ ولاذ بالفرار بأقصى ما يستطيع من سرعة .

أما فرسان دارفور ، فإنهم شغلوا بالأمير الصغير ، ولم يفطن أحد منهم إلى مطاردة أتباعه القليلين ، بل تركوهم يلوذون بالفرار . ومن هرب من أولئك الأتباع : الفقيه محمد المحسى الذي كانت تربته بالأمير أبي مدين صدقة وطيدة منذ الطفولة ، ولم يفارقه أبداً . وللفقيه المحسى هذا وجه صغير . أما لون بشرته فأقل سواداً من لون بشرة الأمير أبي مدين ، ويشع من عينيه ذكاء سريع ، ويتصف بالحماسة والصرامة والاعتداد بالنفس والشجاعة والجرأة والنشاط الذي لا يعرف الكلال .  
بقى الأمير أبو مدين هائماً وحيداً في جوف الصحراء ، واضطر إلى التوقف بعد مدة قليلة بسبب ما نال حصانه من الاعياء والعطش ، فنزل عن الحصان وأطلقه ، وواصل هو اتمام الرحلة مشياً على قدميه . وهكذا ظلَّ الأمير أبو مدين تحرسه عنابة الله حتى قارب النهاية .

وعندما أرخى الليل أستاره على الصحراء ، قابل أبو مدين الفقيه المحسى راكباً جسلاً من النوع السريع الجرى . وهنا عرف الفقيه المحسى الأمير أبو مدين ، فاقترب منه وتخلى له عن مكانه على ظهر الجمل ، وسار هو على قدميه . وبعد قليل لمح الانسان بدويَا على مسافة منهما ، فاقتربا منه وكلماه ووعداه بمكافأة سخية إذا هو دلّهما على الطريق ، أو قادهما إلى مورد ماء يشربان منه . فقبل البدوى ذلك ، وسار ثالثهما

وقتا طويلا من الليل . وفي متنفس الصبح التالي وصلوا الى مورد ماء فشربوا ، واستراحوا بعض الوقت . ثم استأنف الأمير أبو مدين والفقير المحسى سيرهما من جديد حتى وصلوا في اليوم الثالث الى أراضي كردفان .

وعندما صار الأمير أبو مدين في أرض كردفان ، أرسل رسولا الى الحاكم المصري بمدينة الأبيض عاصمة كردفان ، ليخبره أنه ابن السلطان عبد الرحمن الشديد سلطان دارفور ، وأنه جاء الى كردفان لاجئا يطلب الحماية والمأوى . فأرسل الحاكم المصري على التو عددا من الجنود لحراسة الأمير الفوراوى واصطحابه الى مدينة الأبيض . واستقبل الأمير أبو مدين استقبالا رسميا ، عند دخوله عاصمة كردفان ، وذلك باطلاق المدفع تحية له .

ثم علم الأمير أبو مدين عقب وصوله الى مدينة الأبيض أن فرسان دارفور اقتادوا أخاه الصغير الى السلطان محمد فضل بالفاشر ، وأن السلطان أمر بسميل عينيه . ثم وصلت الأمير أبو مدين رسالة من أخيه السلطان محمد فضل يطلب منه الرجوع الى دارفور ، ووعده بأن يعامله معاملة كريمة . غير أن الأمير أبو مدين لم يصدق هذا الوعد ، ورفض الرجوع الى تندلتى ، لأنه يعلم مقدما ما ينتظره من غدر وقسوة .

هكذا تمت هجرة الأمير أبي مدين الى كردفان سنة ١٢٤٩ هـ أى في سنة ١٨٣٣ م . وفي هذه السنة — وعقب وصوله مباشرة الى الأبيض — أرسل الحاكم المصري فيها الى محمد على والى مصر وقذائف رسالة يسأله فيها عما يجب عمله نحو هذا الأمير اللاجئ . فأصدر محمد على أمرا بارساله الى مصر .

سافر الأمير أبو مدين الى القاهرة في شهر رجب عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٤ م ، وبعد وصوله اليها بنحو ستة أشهر ، أفهمه محمد على

بضرورة العودة الى كردفان ، ووعده بحملة عسكرية للانتقام له من أخيه السلطان محمد فضل ، وتنصيبه سلطاناً مكانه في حكم دارفور .

آمن الأمير أبو مدين بهذه الوعود وسافر الى كردفان . ولما كانت العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول الأوروبية الكبرى وقتذاك تحتل كل تفكير محمد على ، فإنه أرجأ تنفيذ وعده للأمير أبي مدين مدة ..

وفي عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٨ م ، قام محمد على برحلة الى اقليم فازوغرلي في السودان ، ولما علم الأمير أبو مدين بأمر هذه الرحلة ، ذهب لمقابلة محمد على للتحدث معه في أمر حملة دارفور الموعودة .. فقال له محمد على : سوف أكون عند وعدى الذي قطعته على نفسي ، واعمل ترتيبك على أن تكون في القاهرة عند عودتي من فازوغرلي . ومن مصلحتك أن تعرف أنت أكثر مما عرفته سابقاً عن أحوال مصر .

ثم سافر محمد على الى فازوغرلي بالسودان وزار مناجم الذهب به ، ثم عاد الى القاهرة . وبعد عودته اليها بنحو شهرين حضر أبو مدين فاستقبله محمد على استقبلاً حسناً وأكرمه وفادةه ومنحه منزلة للاقامة به ، وأمر باعطائه جميع ما يطلب ، كما عين له راتباً شهرياً .

ثم سافر محمد على الى الاسكندرية ، ودعا الأمير أبي مدين اليها ، فسر " لهذه الدعوة سروراً عظيماً . وأتيح للأمير أبي مدين خلال الشهر الذي قضاه في الاسكندرية أن يرى كثيراً من معالمها الحضارية . فقام بزيارة الحى الافرنجى ، وقصر أُسُّ التين ، والمينا والترسانة البحرية . كانت هذه المعالم وغيرها ، فضلاً عن موضوع المصنع هي التي أثارت الدهشة في رأس الأمير .

وكان الأمير أبو مدين يقص علينا ما شهد في مصر من أشياء مدهشة في سذاجة تشبه سذاجة الطفل الذى يرى الحياة لأول مرة . واقترن هذه السذاجة في نفس الوقت بحماسة من يتطلع تحقيق أمر ، ويشعر بالقلق من أن المستقبل قد لا يحقق آماله .

وللمرة الأولى سمعت الأمير أبو مدين يتحدث عن أفق البحر ، وعن السفن الخالية ، وعن المدافع في الدور الثاني أو الثالث من السفينة الحربية . ولم يكن الأمير يحسن التعبير أو الوصف لكل ما يجول بخاطره ، بل كان كلامه بادي الضعف ناقصا . من ذلك ما قاله لي يوما في وصف محمد على : البasha رجل عظيم . ولقد قال لي : عندما تعود يا أبو مدين إلى دارفور وتصبح ملكا ، تذكر ما رأيته في مصر ، وحاول أن تصنع هناك ما صنعته أنا هنا . ابن مدينة مثل مدينة الاسكندرية التي بنيتها . وعلى العموم كن رجالا .

ولما حان موعد الحج إلى مكة ، أبدى الأمير أبو مدين رغبته في الذهاب إلى الحرمين الشريفين لتأدية فريضة الحج . فنصح محمد على الأمير أبو مدين بالذهاب صحبة المحمل المصري ، وأعطاه جميع ما يحتاج إليه في هذه الرحلة .

سافر الأمير أبو مدين إلى مكة ، ولما عاد إلى مصر ، أقام في المنزل الذي منحه إياه محمد على من قبل في القاهرة .

ومنذ ذلك الوقت أخذ محمد على يزور الأمير أبو مدين في كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة . وكان دائمًا يوصيه بالصبر وانتظار الوقت المناسب لإنفاذ حملة دارفور التي شرع فعلا في اعدادها .

وفي شهر المحرم سنة ١٢٥٩ هـ ( الموافق فبراير سنة ١٨٤٣ ) حضر محمد على إلى القاهرة ، فقام الأمير أبو مدين بزيارته . وكانت أول عبارة قالها محمد على للأمير : استعد للرحيل خلال بضعة أيام ، فأن حملة دارفور على أهبة الرحيل . وقد تم الأمير أبو مدين عبارات الشكر إلى محمد على ، وخرج من عنده مسرورا غاية السرور . ثم بدأ يستعد للرحيل ، إذ كان يخيل إليه كأنه جالس على عرش دارفور ، وكان جميع عارفيه وأصدقائه يهنتونه بالحملة ويلقيونه بلقب « السلطان » .

ثم علم الأمير أبو مدين من الجلابة ( تجار الرقيق ) ومن التجار الوافدين حديثاً من دارفور . أن السلطان محمد فضل توفى ، وأن ابنه الأمير حسين خلفه على عرش دارفور . كان الأمير حسين هذا يبلغ من العمر وقذاك ثمانى عشرة سنة أو عشرين سنة . فتفاءل الأمير أبو مدين خيراً بهذه الأخبار ، لأن السلطان حسين — في رأيه — رجل ضعيف صاحب نزوات ، لا يتنتظر خير على يديه ، اذ تقصصه الشجاعة الكافية ، فلا يستطيع التأثير بلسانه في أهل دارفور ساعة الخطر .

كان الأمير أبو مدين متأثراً غایة التأثر بهذه الأخبار ، ممتلئاً بالأمال العريضة ، فرحاً مسروراً . ثم انه ظل مشغولاً بمشاريعه وأحلامه وأمانيه ، حتى وقع فريسة المرض . ذلك أنه أصيب بمرض في عقله ، فأخذ يهدى ، ولا يتحدث إلا عن الحرب ، وكانت تصدر عنه صيحات تنم عن الغضب الشديد . ويقال ان بعض أصدقائه ورجال بلاطه أصدروا منشوراً يقولون فيه : ان بعض حساد الأمير وجوايسيس السلطان حسين في القاهرة عملوا سحراً لابن السلطان عبد الرحمن الرشيد . بيد أن مفعول هذا السحر لم يستمر أكثر من خمسة عشر يوماً ، اذ شفى الأمير أبو مدين من مرضه وبدأ يهتم اهتماماً جدياً بأمر حملة دارفور .

كان محمد على غائباً عن القاهرة وقتذاك ، فأرسل الأمير الفوراوى إلى مجلس المشورة بالقلعة طالباً تسلیم جميع ما يلزم لرحلته إلى السودان ، كما طلب بصفة خاصة أن يجهز له عشرون زجلاً وخمسة خيول تجهيزاً كاملاً . ثم صرف له مجلس المشورة عشرين كيساً ، أي ما يقرب من ستة آلاف فرنك ، كما صرف له خمس خيام : اثنان منها خضراوان له ، وثلاث لأتباعه ، فضلاً عن مئونة الرحلة ، ووُضعت تحت تصرفه ذهبستان . أما فيما يتعلق بالأسلحة فقد صرف الأمير أبو مدين خمسة أزواج من

المسدسات ، وخمس بندق ، وخمسة سيوف . وأخيراً تسلم الأمير رسائل لتسليمها إلى أحمد باشا (جركس) العاكم المصري في سنار . وتضمنت هذه الرسائل توصيات لأحمد باشا بأن يسلم الأمير أبو مدين جميع ما يحتاج إليه من المؤونة ، ووسائل النقل والرجال الذين يصحبونه في رحلته إلى دارفور .

وفي يوم ٥ صفر سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ٦ مارس سنة ١٨٤٣ غادر الأمير أبو مدين القاهرة إلى سنار بطريق النيل . وبقيه إليها بسبعة أيام ثمانمائة جندي من الجنود المرتزقة ، وهم الجنود الذين كان من المقرر أن ينضموا إلى الفرق المصرية التي عهد إليها فتح دارفور .

ذلك لأن المشروع الأول لمحمد على قضى بأن يتحرك من مصر جيش من اثنى عشر ألف جندي من المصريين مزودين بعشرة مدافع بقيادة حسن باشا ، وهو الذي صدرت إليه الأوامر بالاستعداد للرحيل . ثم أرسل محمد على إلى أحمد باشا العاكم المصري في سنار رسالة يطلب منه فيها إعداد ما يلزم لحملة دارفور عند مرورها بسنار ، ويسأله عما إذا كانت أحوال ولايته تسمح له بمعادرتها ، واسناد القيادة العامة للحملة إليه . فأرسل أحمد باشا إلى محمد على رسالة يقول فيها : إن نقل اثنى عشر ألف رجل من القاهرة إلى سنار يتطلب تكاليف باهظة ووقتا طويلاً . ويرى أن حالة ولاية سنار والنظام الذي وضعه لدارتها ، يسمحان له بالقيام بحرب دارفور . واعتمدا على ما لديه من معلومات عن حالة البلاد وسكانها ، فإن جيشاً مكوناً من ستة إلى سبعة آلاف رجل ، أي : فرقتين من الفرق الأربع في سنار يكفي للقيام بهذه الحرب . ولما كان أحمد باشا قريباً من كردفان ، فإنه طلب اسناد القيادة إليه حتى يستطيع أن ينهيها نهاية طيبة في وقت قصير .

وبناء على رسالة أحمد باشا هذه تقرر إرسال ثمانمائة جندي من القاهرة : أربعينائة من المشاة الأربعينائة وأربعينائة من الفرسان غير

النظاميين ، ومعظمهم من بلاد الروملى . أما الجنود الموجودون حاليا في سنار فستكون منهم أربع فرق تضم كل منها ثلاثة آلاف رجل . وهؤلاء هم الذين أتت بهم حملات جمع الرقيق قرب فازو على وجبل نوبا ومواطن الشنك .

كان في سنار فرقة واحدة من الجنود المصريين ، وهي الفرقة الثامنة التي كانت في سنار منذ زمن طويل . وأدى سوء الأحوال الجوية وازدياد الرطوبة في الهواء وارتفاع درجة الحرارة إلى انتشار الأمراض في هذه الفرقة المصرية والفتث بها . ولذا حل محل رجال هذه الفرقة المصرية رجال من أسرى الزنوج . وبذا غدت الفرق الأربع تضم أعدادا من الزنوج المختارين القادرين على احتمال جو البلاد . أما البقية الباقيه من الجنود المصريين الذين كانت تضمهم الفرقة الثامنة ، فانهم كانوا ضباط صف في فرق جديدة ، وعهد إلى هؤلاء بتدريب الجنود الذين تقرر إمداد حملة دارفور بفرقتين منهم ، فضلا عن الشمامائة جندي الذين أرسلهم محمد على من القاهرة .

وكان السلطان النوراوي الحالى ( وهو حسين بن السلطان محمد فضل ) جالسا في دست السلطة بحق شرعى ، لأنه ابن السلطان المتوفى . لكن الأمير أبا مدين بنى حقوقه في السلطة على هذه البلاد على أساس أن للسماء الحق في اختيار من تهئه من بين أفراد الأسرة الواحدة للاضطلاع بالحكم ، وذلك من أجل صالح البلد وخيراها . وبنى أبو مدين حقوقه كذلك على أساس التفوق الحضارى والخلقى ، وهذه صفة تنقص ابن أخيه الذى لم يرتفع عن مستوى المهمجية . ولعل زيارته لبلاد أخرى متغيرة على بلاده ، هي التى جعلته يفكر في القيام باصلاحات في بلاده .

واذا أتيح لبلاد دارفور أن تغير مجرى تاريخها ، فلن يكون بعيدا

أن يحيى خلق السودان من جديد فيتصل بالأمم التي قطعت شوطاً في طريق الحضارة . وبذا يكون محمد على قد أسمهم في هذا العمل المجيد .

وإذا نحن نظرنا إلى حملة دارفور في ضوء هذه النظرة ، وضح لنا أنها حملة مشروع يحقق للسودان نتائج عظيمة . إذ كان في الحسبان جميع ما يتعلق بهذا المشروع من علوم وصناعة وتجارة ورفع مستوى أهله .

وكان على القوات المسلحة أن تبدأ في الزحف عقب انتهاء فصل الأمطار ، وأن تسير في خط مستقيم مارة بكردفان والصحراء التي تفصلها عن دارفور . ولو أخذنا برأي أبي مدين ، فإن هذه القوات سوف لا تزحف مباشرة على تندلتي العاصمة الحالية لسلطان دارفور . إذ حدثني أبو مدين أنه يعتزم أن يعرج على الجنوب ، وأن يمر ببلاد عرب الرزقات الغيورين على استقلالهم ، فطالما شن هؤلاء اغارات جريئة جشعة على أراضي الفور لأقل سبب أو دافع . ويأمل أبو مدين أن يحصل من القبائل العربية المجاورة للأطراف دارفور ، على مساعدتها له في أعماله الحربية .

ويرى الأمير أبو مدين أن السلطان حسين لا يجهل نواياه وإلى مصر تحوه ، وأن الفوراويين الخاضعين له يستطيعون أن يقاوموا مقاومة خمسين ألف زجل . وفي تقديره أن جيشاً مدرباً على الطريقة المصرية الحديثة ومزوداً بأسلحة نارية ، يستطيع في بضع ساعات ، أن يقضي على القوات الفوراوية التي لم تملك سوى الرماح والسيام . ولا سيما أنه لم يكن لدى فرقة الفرسان وخ يولها سوى ملابس مهلهلة تحميها من الطلقات النارية والقذائف ، كما لو كانت هذه وتلك سيفاً أو رماحاً . وإذا حللت الهزيمة بالجيش الفوراوي ، فسوف تؤدي هذه الهزيمة إلى خلع السلطان الحالى إلى غير رجعة ، واحتلال نظام آخر محل النظام الحكومى القائم . وبصفة عامة ، فإن الظفر في الحرب في البلاد السودانية ، يجعل من حق المنتصر

— لو كان من الأسرة المالكة — ولاية السلطنة . وجرت العادة أن ينسى الناس اليوم حكومة الأمس . اذ رأينا كيف استطاع السلطان عبد الرحمن الشديد ، أبو الأمير أبي مدين ، أن يستعين بالسلاح في الحصول على لقب سلطان ، واحتضان الخليفة اسحق لسلطانه . والآن يحدث نفس الشيء ، اذ قد يصادف أبو مدين ما صادفه أبوه من قبل ، ومن المحتمل أن يجد أبو مدين في دارفور حزبا قويا يعول عليه .

وإذا اعتلى أبو مدين عرش دارفور ، فسوف يتحقق للأهلها على يديه خير كبير . فهو في سن النضج ، اذ يبلغ من العمر حوالي أربعين عاما . ثُمَّ ان سنوات ثقته واقامته في مصر زودته بنوع خاص من التربية ، فضلا عن بعض الأفكار التي يعتزم تحقيقها ، فهو من أشد المعجبين بالوالى محمد على ؛ ولو وجد من يساعد ويتعاون معه تعاونا صادقا ، فإنه سوف يعمل — فيما أعتقد — على إدخال إصلاحات مفيدة في بلاده .

كان أبو مدين يحاول دائمًا — أثناء أحديه — أن يتزود بالمعلومات وكثيراً ما كان يسألني عن أنواع الحكومات في أوروبا ، وعن قوانين فرض الضرائب وجبايتها في فرنسا ، وعن تكوين الجيوش ، وحقوق المواطنين ، فضلاً عن أشياء أخرى خاصة بالتجارة والصناعة والتربية والتعليم . وكثيراً ما أبدى رغبته في رنجاء محمد على أن يبعث به إلى باريس لقضاء عام أو عامين ، حتى يستطيع أن يشهد بعيشه مظاهر الحضارة التي سمع عنها .

وبدأ أبو مدين فعلاً في تعلم اللغة الفرنسية ، فكتبت له الحروف الأبجدية وجعلته ينسخها عدة مرات ، واستطاع بعد ذلك أن يوقع باسمه بالأحرف الفرنسية . ولست أدرى اذا كانت الرغبة في تعلم اللغة الفرنسية راودت سلاطين آخرين سواء كانوا بيضا ، أو سمرا ، أو أقرب إلى اللون الأصفر .

ولأبي مدين وجه صحيح ، وحديث شيق مستفيض ، وعيان نمان

عما يجول بخاطره وتبدو على شفتيه ابتسامة ، وله وجه كبير ذو جبهة واسعة وعارضين نحيفين حتى الذقن . وله حاجبان كثيفان يتلوهما جفنان عريضان فوق عينيهن نجلاويين ، مما يجعل للوجه استدارة لطيفة . ولأبي مدين شارب خفيف قصير ، شأنه في ذلك شأن كافة الزوج ، وكان ذا لحية خفيفة كأنها باقة في طرف الذقن .

ولأبي مدين وقار في تصرفاته وحركاته . ففي الأعياد ، كانت تبدو لوجهه هيبة حين يلبس بدلة الحمراء ، وهي بدلة ذات زراري عريضة في حجم الفنجان من النحاس الأصفر ، وأكمام واسعة فضفاضة مبطنة بحرير أصفر برتقالي ، ولها تمواجات ضوئية مثل المرأة . غير أن ذلك لا يعني أنه كان رجلاً متكبراً ، وذلك على الرغم من أن أي شخص يمثل بين يديه كان يناديه باسم « سلطان » .

وكثيراً ما سألني عن رغبتي في الذهاب يوماً من الأيام لزيارة دارفور ومما قاله لي : لو شاء الله أن أعود إلى مدينة تندلي ، أو أن أصبح سلطاناً مثل أبي ، فإنه يجب عليك أن تحضرلينا في دارفور ، لترى الأعمال التي سوف أقوم بها ، ولتزودني بنصائحك . سوف تزور دارفور من أولها إلى آخرها . ففي هذه الأيام يسافر إلى دارفور رجال ينتسبون إلى جميع الأديان ، بينهم مسلمون ومسيحيون ، بل حتى هنود ومن لا يعرف إلى أي دين ينتسبون . فأجبته قائلاً : إن هذا مستطاع حتى كوييه أو تندلي ، أما ما وراء هذا ..؟ ولو شاء الله سوف أعمل على تنظيم البلاد وتدريب الجنود وتوزيعهم في أماكن رئيسية ، وستطيع حراسة جميع المسافرين الأجانب . لكن هل سيحترم جميع المسافرين ؟ أليس من المحتمل أن يقتلوا جميعاً ؟ وأضفت قائلاً : عندما يعيدك محمد على إلى دارفور ، فما الجيش الذي تستطيع جمعه ، إذا فرضنا أنك ستقوم بإجراء تجنيد عام مثلما يفعل السلطان حسين ؟ فأجابني أبو مدين مبتسمًا : من المستحيل جمع كل من في

دارفور من رجال قادرين على حمل السلاح في مكان واحد ، وفي جيش واحد . من ذا الذي يستطيع أن يقوم — ولو مدة شهر — على خدمة مائة ألف رجل في أية ولاية ، دون أن يقوم باستعدادات أولية لهذه الحملة ؟ ذلك أن عادات الناس وأنواع الادارات المختلفة تحول دون القيام بمشروع على جانب من الأهمية من طراز هذا المشروع . وسألته : كم ألف رجل — فيما تعتقد — يستطيع السلطان حسين تجنيدهم ؟ قال : من خمسين الى ستين ألف رجل على الأكثر . قلت : ولو انهزم هذا الجيش الأول .. ؟ قال : سوف ينتهي كل شيء بالنسبة لحسين ، وسوف يستحيل عليه جمع مائتين من الفوراويين ، لأن المدفع الذي يضرب بالنار سوف يكون له أثر خطير .

قلت : وأخيراً كم عدد الجنود الذين تستطيع أن تقدمهم بلاد دارفور كلها ؟ فمن الضروري أن يعرف كل سلطان موارده من الجند ، وأن يقوم دائماً بإجراء احصاء تقريري لقواته .

وهنا بدا على وجه أبي مدين أنه لا يريد الاجابة عن هذه الأسئلة بطريقة قاطعة . لكنني كنت أحرجت كبريهاء فقال : حين كنت في تندلي ، أمر أخي محمد فضل بإجراء احصاء للسكان الذين يستطيعون حمل السلاح عند الضرورة ، فقام جميع ملوك دارفور-الكبار والصغرى وجميع السلاطين الصغار والشراتى بإجراء احصاء بعد نشكان-ولاياتهم ومقاطعاتهم ، وكذلك بالعدد التقريري للأعراب القاطنين قرب الأطراف الشرقية والشمالية ، وبعد الرجال الأقوباء ، سواء أ كانوا صغاراً أم في سن الرجولة . وبلغ عدد هؤلاء وأولئك حوالي خمسمائة ألف رجل .

ثم سأله : ما الحد الأقصى للسن المطلوب للجندي الصالح للجندي ؟ قال : كل من بلغ الثانية عشرة إلى الخمسين سنة من الفوراويين ، وكل العبيد القاطنين بأرض دارفور ، وكذلك كل الأعراب ، يصبحون بطبيعة الحال جنوداً منذ اليوم الذي تعلن فيه الحرب .

فقلت له : يبدو لي ان هذا العدد الضخم مبالغ فيه . فأجابني أبي مدين  
بأنفعال : لا أعرف ، وليس لدى احصاءات أخرى .

بدا لي واضحا من نغمة أبي مدين ومن حماسته في الرد على "أنتى  
لن أحصل منه على معلومات أخرى ، ولذا غيرت مجرى الحديث . فالزنج  
لا يقبلون الأدلة بتفاصيل عن بلادهم في سهولة .

وفي اليوم التالي استأمنت بحث الموضوع نفسه مع الشيخ التونسي ،  
فزودني بجميع المعلومات التي كان بإستطاعته أن يمدني بها . والمعروف  
أن هذه المعلومات تقريرية . فهى تقتصر على عدد محدود من الأماكن ،  
وهي فضلا عن ذلك لا تتناول سوى العدد الذى يمكن أن تقدمه كل  
مدينة أو قرية من الرجال القادرين على حمل السلاح . وليس من اليسير  
أن نعرف عدد السكان تماما . فهذه المعلومات جميعها خاصة بعدد الرجال  
القادرين على حمل السلاح . ويبدو من الجدول التقريري (١)  
أنه من المحتمل الحصول من الأقاليم المختلفة على حوالى ثلاثة وخمسين  
ألف رجل مسلح على وجه التقرير . ويدل هذا الرقم — مع ما فيه  
من مبالغة — على أن سكان دارفور يتراوح عددهم بين أربعة ملايين  
وخمسة ملايين نسمة ، وذلك باستثناء الملحقات .

وفضلا عما سمعته من الشيخ التونسي بصدق سكان جبل مرّة ،  
وغرب وشمال دارفور ، فاننى سمعت مثل هذا كثيرا من تجار دارفور  
الذين يأتون الى القاهرة كما سمعته من أبي مدين نفسه . وفيما يتعلق بعدد  
العييد المحسوبين ضمن السكان ، فاتنى لم أحص منهم سوى خدم  
العائلات وهم في نفس الوقت جزء من هذه العائلات . وبعد اقامة لمدة  
معينة يتزوج أولئك الخدم فيما بينهم على أيدي سادتهم . وبذا تكون  
عائلات فوق العدد المطلوب للخدمة . واستبعدت من احصاء العييد جميع  
الأفراد المخصصين للبيع ، والذين كانوا يذهبون بضاعة كل عام الى الحجاز

(١) راجع 154 Voyage au Darfour, p.

ومصر وبلاط المغرب ، وهؤلاء كان عددهم كبيرا نسبيا . وسنرى في رحلة وادى كيف كانت تتم رحلات جمع العبيد ، وكيف كان يقوم أهل دارفور وأهل وادى برحلات للقضاء على قبائل الفرتيس والجناحير الوثنية .

#### ملحق اضافي :

وصل الجنود الأرناؤوط الأربعمائة — الذين سبق أن تحدثنا عنهم — إلى أسيوط . وكان سلوكه هؤلاء عاديا ، ولكنهم تشارجروا في حفلاتهم الصاخبة وقامت معارك بينهم ، وتبادلوا بعض الألفاظ القبيحة ، وانقسموا حزبين دبت فيما بينهما الفوضى . وبذل تكون مسكنة مقتتلان ، فلقي مائة وستون رجلا منهما مصرعهم . وعندما مررت الفرقة الأرناؤوطية بالقاهرة انتشرت في أرجاء العاصمة ، وارتكتبت أعمالاً وحشية . ونادرًا ما كانت تغادر العاصمة دون أن تقتل بعض سكانها بالرصاص أو بالخناجر في وضح النهار . ولم يحدث أبداً أن يرى أرناؤوطى غير متنطلق بحزام به خنجر كير ومسدسات بارزة إلى الإمام ، للدفاع عن نفسه ضد أي هجوم . ولعل تهديد المارة وقتلهم في قارعة الطريق دون سبب أمر تافه بالنسبة للأرناؤوط . وبعد وقوع جريمة القتل ، يترك الأرناؤوطى القاتل فريسته المقتول ويمضي إلى حال سبليه ، ملوحاً بيندقيته أو خنجره في يده . والويل من يقترب منه . ولذا لم يفكر أحد في القبض على أرناؤوطى .

ولما سمع والي مصر بما سبق من أنباء أسيوط ، أصدر أمراً بإعادة الفرقة الأرناؤوطية وقادتها ديموز أغا إلى القاهرة . ومن المؤكد أنه لم يعد من الأرناؤوط صحبة هذا القائد سوى مائة وثلاثين رجلاً . إذ فرّ منه في طريق الصحراء من أسيوط إلى القاهرة نحو ستين رجلاً ، وتآخر في الطريق نحو مائة وخمسين رجلاً . وهؤلاء لم يستطيعوا الوصول إلى القاهرة بسبب تفشي المرض فيهم .

وتتأجلت حملة دارفور الى ما بعد فصل الأمطار في السودان . ويقال ان سبب تأجيل الحملة ، قلة خبرة قوات سنار في المناورات العسكرية . ومن الضروري أن تدرب بعض الوقت لاعدادها للحرب .

أما حسن باشا الذي عهد اليه قيادة حملة دارفور ، فان السلطان العثماني عبد المجيد رقاه من أجل هذه الحملة نفسها الى رتبة ميرمان أو جنرال الفرقه ، وسوف يتتفق مع أحمد باشا بستان على خطة تقضى بأن يبقى أحدهما في سنار ، وأن يذهب الآخر على رأس الجندي إلى دارفور لاعادة الأمير أبي مدين إليها وذلك حسبما تمليه الفرصة الكفيلة بنجاح مشروع الحملة ، وعندما ترحل الحملة ، سوف يبقى أبو مدين في كردفان ليعمل على اعداد أنصاره ، لمساعدته في الوقت المناسب . وسوف يكون أبو مدين الحاكم المطلق ، يتصرف ما شاء له أن يتصرف ، دون تدخل أحد في شؤون حكومته ، وسوف تنسحب القوات المصرية ، أو تعود ثانية إلى كردفان حسبما يريد أبو مدين .

دكتور بيرون

القاهرة في سنة ١٨٤٣

# تاریخ سلطنه دارفور



## ملحق رقم (٢)

منقول من : نعوم شقير

( تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته . ج ٢ ، ص ١١١ - ١٤٧ )

## ﴿ تاريخ سلطنة دارفور ﴾

منذ أول نشأتها إلى الفتوح المصرية أي من سنة ٨٤٨ م : ١٤٤٥ هـ = ١٢٩١ هـ : ١٨٧٥ م

## ( تمهيد في أصل سلطنة الفور )

لقد أجمعـت التقالـيد السـودـانـية عـلـى أـنـ سـلـطـةـ الفـورـ هـيـ مـنـ أـصـلـ عـرـبـيـ ،ـ وـالـذـيـ عـلـيـهـ بـعـضـ وـتـدـعـيـهـ سـلـالـتـهـ إـلـىـ يـوـمـ أـنـهـ مـنـ بـنـىـ الـعـبـاسـ .ـ وـلـهـمـ فـيـ ذـلـكـ رـوـاـيـةـ لـطـيـفـةـ تـخـتـلـفـ فـيـ التـفـصـيلـ بـحـسـبـ الرـوـاـةـ ،ـ وـتـنـقـقـ فـيـ المـغـزـىـ .ـ وـأـشـهـرـ ماـ روـوهـ :ـ أـنـ الـأـمـرـاءـ الـعـبـاسـيـنـ بـعـدـ اـقـرـاضـ دـوـلـتـهـ بـيـعـدـادـ سـنـةـ ٨٢٣ـ هـ ١٤٢١ـ مـ (١)ـ تـفـرـقـواـ فـيـ بـلـادـ الـمـشـرـقـ .ـ فـذـهـبـ هـنـهـ شـقـيقـانـ إـلـىـ تـونـسـ الـغـرـبـ وـمـعـهـمـاـ نـفـرـ مـنـ الـأـعـرـابـ ،ـ وـكـانـ اـسـمـ أـكـبرـهـمـاـ عـلـيـهـ ،ـ وـأـصـغـرـهـمـاـ أـحـمـدـ سـفـيـانـ .ـ وـكـانـ عـلـىـ مـتـزـوجـاـ بـامـرـأـةـ ذاتـ جـمـالـ ،ـ وـأـحـمـدـ سـفـيـانـ عـازـبـاـ ،ـ وـلـكـنـهـ كـانـ آـيـةـ فـيـ الجـمـالـ فـأـحـبـتـهـ اـمـرـأـةـ أـخـيـهـ حـبـاـ لـمـ يـسـعـهـ مـعـهـ الـكـتـمـانـ .ـ فـكـاـشـفـتـهـ بـحـبـهـ ،ـ فـأـنـكـرـ عـلـيـهـ ذـلـكـ وـعـذـلـهـ »ـ وـلـكـنـهـ وـعـدـهـ

(١) لا يتفق هذا التاريخ وسقوط الدولة المبابيسية على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م ) .

أن يكتم سرّها . أما هي فاشتعلت غيظاً من «باءاته» ، وعزمت على الانتقام منه . فأتت زوجها ذات يوم وقالت : أني جئتكم بأمر جلل لا يحسن كشفه ، فأقسم لى أنك لا تبوح به لأحد . فأقسم لها ، فقالت : إن شقيقك أحمد يراودني عن نفسي ، وأنا أنتهره وأزجره وهو لا ينجزر . فعظم هذا الخبر جداً على على» واغتم لأجله غماً شديداً ، ولكنـه لم يصدق ما قالتـه له امرأـته على عـلاقـتها ، لأنـه كان يحبـ أخـاه مـحبـةـ فـائـقةـ ، ويـشـقـ بـعـفـافـهـ وـشـهـامـتـهـ ، فـبـقـىـ مـرـتـابـاـ فـيـ الأـمـرـ .

وكانـ أـحـمـدـ لـمـ رـأـيـ أـمـرـأـ أـخـيـهـ اـسـتـأـتـ مـنـ جـلـ يـتـلـطـفـ لـهـاـ وـيـتـرـضـاـهـاـ ، فـرـأـيـ أـخـوـهـ مـنـ ذـلـكـ فـقـوـيـ الرـيبـ فـيـهـ وـصـدـقـ مـاـ قـالـتـهـ لـهـ زـوـجـتـهـ ، فـاسـوـدـتـ الدـنـيـاـ فـيـ عـيـنـيـهـ وـكـرـهـ أـخـاهـ وـزـوـجـتـهـ وـالـأـرـضـ التـيـ كـانـ نـازـلاـ فـيـهـاـ . فـأـمـرـ أـنـ تـقـوـضـ خـيـامـهـ وـرـحـلـواـ مـنـ تـلـكـ ( ١١٢ )ـ الـأـرـضـ . وـتـأـخـرـ فـيـ الطـرـيـقـ مـعـ أـخـيـهـ وـهـوـ يـفـكـرـ بـالـذـيـ يـفـعـلـهـ ، فـأـبـتـ نـفـسـهـ أـنـ يـكـاـشـفـهـ بـسـرـ زـوـجـتـهـ ، وـلـمـ يـطـاوـعـهـ قـلـبـهـ عـلـىـ قـتـلـهـ . فـقـرـ رـأـيـهـ أـنـ يـعـقـرـهـ بـرـجـلـهـ فـيـسـمـهـ بـوـسـمـ يـؤـبـهـ مـاـ دـامـ حـيـاـ . فـاستـلـ سـيـفـهـ وـفـاجـأـهـ بـضـرـبةـ فـيـ رـجـلـ الـيـمنـيـ فـعـرـقـبـهـ وـتـرـكـهـ يـسـيـلـ مـنـ الدـمـ وـلـحـقـ بـقـوـمـهـ .

وـأـدـرـكـ أـحـمـدـ سـفـيـانـ سـبـبـ غـدـرـ أـخـيـهـ بـهـ وـلـكـنـهـ كـانـ مـنـ الـأـنـفـةـ عـلـىـ جـانـبـ عـظـيمـ فـلـمـ يـفـهـ بـيـنـتـ شـفـةـ ، بلـ صـبـرـ عـلـىـ الضـيـمـ ، وـجـلـسـ يـنـتـظـرـ المـوـتـ وـالـدـمـ يـنـزـفـ مـنـ عـقـرـ رـجـلـهـ . وـلـهـذاـ سـمـيـ أـحـمـدـ سـفـيـانـ الـمـعـقـورـ . ثـمـ عـلـمـ بـهـ عـبـيـدـهـ وـخـاصـتـهـ ، فـاجـتـمـعـواـ حـولـهـ وـعـالـجـوـهـ حـتـىـ بـرـىـءـ جـرـحـهـ ، فـسـارـ بـهـ بـطـرـيـقـ الصـحـراءـ مـهـاجـرـاـ بـلـادـ تـونـسـ حـتـىـ أـتـىـ جـبـلـ مـرـةـ مـنـ أـعـمـالـ دـارـفـورـ ، وـكـانـ فـيـ ذـلـكـ الـجـبـلـ أـمـةـ مـنـ شـبـهـ السـوـدـ يـقـالـ لـهـمـ «ـالـفـورـ»ـ عـلـيـهـمـ مـلـكـ مـنـهـ يـسـمـيـ : شـاوـ دـورـشـيـتـ . فـكـانـ هـذـاـ الـمـلـكـ عـرـيقـاـ فـيـ الـهـمـجـيـةـ ، وـلـكـنـهـ كـانـ كـرـيـمـ الـطـبـعـ حـسـنـ النـقـدـ . فـلـمـ عـلـمـ بـقـدـومـ أـحـمـدـ أـحـضـرـهـ لـدـيـهـ ،

فأعجبه عقله وأديبه . فعهد اليه في تدبير منزله وسياسة مملكته ، فأحسن أحمد السياسة ، وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك . ثم التفت إلى المملكة فنظم أحوالها وأصلاح أمورها ، فأحبه الملك جداً شديداً ، ولم يكن له إلا بنت واحدة ، فزوجه بها ، فولدت له ولداً سماه : سليمان ، فشب ثاقب الفكر ، سديد الرأي ، حسن السياسة ، محباً للخير والاحسان ، فأحبه أهل الجبل وألفوه . وتوفى أبوه أحمد سفيان في حياة جده السلطان شاو دورشيت . ثم توفى جده فنادى به أهل الحل والعقد باجتماع الكلمة سلطاناً عليهم ، وبابيعوه على السمع والطاعة ، وكان ذلك سنة ٨٤٨ هـ ١٤٤٥ م . فقام في عاصمة جده في جبل مرة ، وكان أول سلاطين سلاطين العربية الذين تولوا دارفور نحو ٤٣٤ سنة ، إلى أن دخلت في حوزة الحكومة المصرية الخديوية عن <sup>(١)</sup> يد الزبير رحمت باشا كما سيجيء .

هذه هي رواية أهل السودان في أصل سلطنة الفور ، وهي لا تخرج عن حد الروايات الموضوعة التي يكثر أمثالها في السودان . فإنه ما من قبيلة أو مملكة عربية اشتهرت في السودان إلا رجعت في نسبتها إلى النبي أو الصحابة أو من اتصل بهم . وفي المشهور أن دارفور كانت في ذلك الزمن سلطנות متفرقة من السود وشبه (١١٣) السود وفي جملتها سلطنة لفور في جبل مرة . وكان العرب المسلمين قد هاجروا إليها من مصر أو تونس أو الحجاز أو منها جميراً وملأوا مدنها وبواديها ولم يكن لهم سلطان واحد يرجعون إليه ، بل كانوا قبائل شتى تحت حكم سلاطين البلاد الأصليين . فلا يبعد أن يكون سلطان الفور في ذلك الحين قد أعجب بنجابة شاب من شباب العرب العريقين في النسب ، فزوجه بابنته فولدت منه سليمان ، فأسس السلطنة التي فيها كلامنا . على أن عامة أهل دارفور يرجعون في أنسابهم إلى أبي زيد الهمالى الذى اشتهر في تونس .

<sup>(١)</sup> كذلك .

## ( تاریخ سلاطین الفور<sup>(۱)</sup> )

( ۱ ) السلطان سلیمان الأول ، سنة ۸۴۸ هـ - ۱۴۷۶ م : ۸۸۰ هـ -

هو رأس سلاطين الفور المار ذكره ؛ قيل انه لما تولى السلطنة لم يكن في جبل مرة مساجد للعبادة ، فبني المساجد وأقام صلاة الجمعة والجماعة . ثم شرع فيضم كلمة المسلمين ، واستعان بعرب البدية المنشرين في البلاد ، فأخضع ملوك شبه السود المحيطة بجبل مرة إلى سلطانه وعلمهم دين الإسلام . وأخضع بعض ملوك السود البعيدين عن جبل مرة فبقوا على الوثنية . فأصبحت دارفور كلها سلطنة واحدة لم يتو لها من ذرية السلطان سلیمان إلى يوم اقضائها .

وكان جملة الذين خضعوا للسلطان سلیمان وبقوا إلى عهد خراب السلطنة ۲۷ ملكا : سبعة مجوس من السود ، والباقيون مسلمون من شبه السود .

أما سلاطين المجوس ، فهم سلاطين : كاره ، ودنقو ، وفندرو ، وبينه ، وباه ، وفروقى ، وشالا . وكلهم في بلاد فرتيت إلى الجنوب الغربي من دارفور<sup>(۲)</sup> .

وأما ملوك المسلمين فهم : البرقد ، والتجبر ، وكتبه ، والميمه ، والسبعات في الشرق من جبل مرة ؛ والماريت ، والعورة ، وسميار ، والمساليت ، والقمر ، وتمامه ، والجبلاوين ، ( ۱۱۴ ) وأب درق ،

(۱) في الأصل : الفصل الأول ، في تاريخ سلاطين الفور .

(۲) راجع ص ۱۳۶ ، حاشية .

وجوجه ، وأسمور ، في الغرب والشمال الغربي ؛ وزغاوة كبا ، والميدوب ،  
في الشمال والشمال الشرقي ؛ والبيقو ، والداجو ، ورلقا ، في الجنوب  
والجنوب الغربي .

ذلك ما عدا القبائل العربية الذين جمع كلمتهم واستنصر بهم وأهمهم : الهبانية ، والرزيقات ، والمسيرية ، والتعاشة ، وبنو هلبة ، والمعالية ، في الجنوب ؛ والحمر في الشرق ؛ والزّيادية في الشمال ؛ والمأهورية ؛ والمحاميد ، وبنو حسين في الغرب .

وكان مدة السلطان سليمان ٣٣ سنة هـ وجاء بعده من سلالته :

- (٢) السلطان عمر : ٨٨٠ هـ — ٨٩٧ هـ : ١٤٩٣ م )

(٣) السلطان عبد الرحمن : ٨٩٧ هـ — ٩١٦ هـ : ١٥١١ م )

(٤) السلطان محمود : ٩١٦ هـ — ٩٣٢ هـ : ١٥٢٦ م )

(٥) السلطان محمد صول : ٩٣٢ هـ — ٩٥٧ هـ : ١٥٢٩ م )

(٦) السلطان دليل : ٩٥٧ هـ — ٩٦٧ هـ : ١٥٥١ م )

(٧) السلطان شرف : ٩٦٧ هـ — ٩٩١ هـ : ١٥٨٤ م )

(٨) السلطان أحمد : ٩٩١ هـ — ١٠٠١ هـ : ١٥٩٣ م )

(٩) السلطان ادريس : ١٠٠١ هـ — ١٠١٣ هـ : ١٥٩٣ م )

(١٠) السلطان صالح : ١٠١٣ هـ — ١٠٣٥ هـ : ١٦٢٧ م )

(١١) السلطان منصور : ١٠٣٥ هـ — ١٠٤٨ هـ : ١٦٣٩ م )

(١٢) السلطان شوش : ١٠٤٨ هـ — ١٠٦٨ هـ : ١٦٥٨ م )

(١٣) السلطان ناصر : ١٠٦٨ هـ — ١٠٨٠ هـ : ١٦٧٠ م )

(١٤) السلطان توم : ١٠٨٠ هـ — ١٠٩٤ هـ : ١٦٧٠ م )

(١٥) السلطان كورو : ١٠٩٤ هـ — ١١٠٦ هـ : ١٦٨٣ م )

(١٦) السلطان سليمان الثاني : ١١٠٦ هـ — ١١٢٦ هـ : ١٦٩٥ م )

ومن الرواة من لا يعترف بالسلطانين السابقين لهذا السلطان ، ويؤكدون أنه هو أول سلطان الفور بعد أن سرى الدم العربي فيهم ، ويلقبونه سليمان صولون <sup>(١)</sup> ، أى : العربي ، وينسبون إليه كل ما نسب إلى السلطان سليمان الأول ، ويجعلون « ١٥ : السلطان كورو » <sup>(١١٥)</sup> في مكان شاو دورشيت . ويؤيدون قولهم بأختام سلطانين الفور المتأخرين كختم السلطان ابراهيم الأخير ، والسلطان حسين من قبله ؛ فان نسبتهم في أختامهم تنتهي إلى السلطان سليمان الثاني هذا كما سترى . ولكن الإمام الذى أخذنا عنه سلسلة سلطانين الفور ومعظم تاريخهم يؤكد أن أختام سلطانين الأول ترجع نسبتهم في أختامهم إلى ما وراء السلطان سليمان الثاني ، وأن لقب صولون هو لسليمان الأول وقد نسبوه إلى سليمان الثاني جهلا .

(١٧) السلطان موسى ابنه ١١٢٦ : ١١٣٨ هـ — ١٧٢٦ م )  
وكان على مثال أبيه في العدل والاحسان .

(١٨) السلطان أحمد بكر ابنه ١١٣٨ : ١١٥٨ هـ — ١٧٤٦ م )  
وقد اشتهر بكثرة الأولاد ، قيل كان له نحو مائة ولد .

(١٩) السلطان محمد دورة ابنه ١١٥٨ : ١١٧٠ هـ — ١٧٥٧ م )  
ولم يكن أكبر أخوته ، بل كان ثالثيهم ، فقتل أخاه الأكبر ليخلو له الملك . فلما ملك شرع في قتل باقى أخوته ليخلو له الملك لأولاده من بعده . قيل : فلما رأى نساء أبيه أنه شرع في قتل أخوته جعلن لأولادهن الذكور « كنافيس » وألبسنهم لبس البنات ليحجبنهم عن عينه . ومع ذلك فقد قتل منهم نحو الخمسين .

(١) في التونسي ، ص ٨٣ : ( سلونج ) .

(٢٠) السلطان عمر الثاني<sup>(١)</sup> ابنه ١١٧٠ هـ - ١٦٥٧ م : ١٦٦٤ م )

وكان من أعدل سلاطين الفور وأشدتهم محافظة على الكتاب والسنة . ومما يروى عن عدله أنه بعد توليه الملك بثلاثة أيام ، خرج إلى مجلس خاصته وسائلهم أن يولوا أحد أعمامه في مسكنه . قال لأن طاقية الملك ، يعني بها : مسئولية الملك ، ثقيلة . فرفضوا ذلك بتاتاً وأبوا إلا أن يكون هو السلطان . فقال لهم : اذا انتظروني أسبوعاً فأخبركم بما أريد . فخلأ أسبوعاً في منزله ثم خرج ومعه قرون من الخشب تمثل قرون الفنم والبقر ، وقال لهم : أريد أن يعمّ الأمان ويبيطل التعدّى حتى تسلم ماشية أضعف النساء ، وتتمو قرونها فتصير مثل هذه القرون . ثم التفت إلى الحكماء و قال : أريد أن تعدلوا في الرعية لكي لا يجيء أحد منهم إلى بشكوى . فلم يمض إلا القليل حتى جاءته (١٦) الشكاوى على ٣٠ عالماً من المقاديم والشراتي والجنود ، فأحضرهم إليه . ولما تحقق ظلمهم أمر فذبحوا عند بابي داره : ١٥ منهم عند باب الحرير ، و ١٥ عند باب الرجال . فوُقعت الرهبة في قلوب الجميع وانقطع الظلم . قيل وقد بارك الله في البلاد بسيبه حتى أتامت الأبل والبقر والحمير ، وغزرت الينابيع في جبل مرة ، وجرت الانهار ، فلقب بـ « سرّاف » ، أي : الماء الجارى .

(٢١) السلطان أبو القاسم عمده ١١٧٧ هـ - ١٦٦٤ م : ١٦٦٨ م )

قيل وفي أيامه خرج عربي صالح من كردوفان يسمى عبد الكرييم إلى دار ودّاي ، وكانت اذاك بيد الشجر فاغتصبها منهم ، وكانوا قبلًا يدفعون الجزية إلى سلاطين الفور . فلما تولى عبد الكرييم أبي دفع الجزية . فجرد السلطان أبو القاسم جيوشه عليه وواقعه واقعة شديدة . ولكن اختلفت الكلمة جيشه فنزل بنفسه إلى ساحة القتال ، فجرح وانقلب راجعاً

(١) ويعرف باسم عمر ليله . راجع ص ٨٣ - ٨٤ .

الى دارفور ، فمات في دار تامه ، فحمله رجاله ودفنه في مدفن أجداده في جبل مرة ، وخلفه :

( ٢٢ السلطان تيراب أخوه ١١٨١ : ١٢٠١ هـ - ١٧٦٨ م )

وكان له ثلاثة ولدا وليت من الذكور البالغين ما عدا الصبيان والبنات . وقد أطلق لهم العنان فتفرقوا في البلاد يعيشون ويفسدون وما تركوا شيئا نقيسا عند أحد إلا اغتصبوا منه . وكان أحدهم « مساعد » لا يتحرك إلا راكبا على ظهور الرجال فكان إذا أراد الانتقال من بلدة إلى أخرى انتقى عددا من رجالها الأشداء ، فحملوه بالتناوب إلى المحل الذي يقصده ، حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم ؛ ورفعوا الشكوى إلى أبيهم ، مما أصفعوا اليهم ؛ وقال : إنني لأعجب كيف أن رعيتى لا تصر على أولادي . فإذا أتوا أقل شيء لا يرضيهم شعورهم إلى ! فامتنع الناس عن الشكوى وسلموا أمرهم إلى الله . وكان اسحق أكبر أولاده أذجهم وأحبهم إليه ؛ فأطلق عليه اسم الخليفة ، لأنّه أراد أن يرشحه للملك بعده ، وجعل له حاشية من الوزراء والأتباع مثل حاشيته . فجعل أبناء وزرائه وزراء لابنه ، وأبناء أتباعه أتباعا لابنه . وكان له زوجة يحبها ويراعيها ولها ابن منه يسمى : أحمد . فطلبت إليه أن يرشح ابنها للسلطنة بدلا من اسحق ( ١١٧ ) . فقال لها تيراب : نتحن الاثنين أمامك ، فالذى نجده أفرس من أخيه نرشحه للسلطنة . فرضيت أم أحمد بذلك .

بعث السلطان في طلب الاثنين إلى غرفته الخصوصية ، وكان للغرفة مابان : باب للرجال ، وعليه أسدان مقيدان بالحديد ، في كل جانب أسد ؛ وباب للحريم ليس عليه شيء . فلما اقترب الولدان من باب الرجال نظر أحمد إلى الأسدتين فتحول عنهما ، ودخل من باب الحريم . وأما اسحق فإنه دخل من باب الرجال بين الأسدتين ، وكان دخوله حبوا على عادة

الدخول الى السلطان . فمزق الأسودين<sup>(١)</sup> ثيابه ، وشرط جسمه باظافرهما ، وهما يلاعبانه كعادة الأسود الأليفة . فلم يعبأ اسحق بهما ودخل على أبيه فسلم عليه ، وكذلك سلم عليه أحمد . فسألهما بعض الأسئلة ثم أمرهما بالانصراف . فخرج كل منهما من الباب الذي دخل منه ، وكانت أم أحمد جالسة مع السلطان تشاهد ذلك ، فالتفت اليها السلطان وقال : من منهما يستحق الخلافة ، ويؤمن على الملك ؟ قالت : لا والله ، ابنك اسحق ، فإنه رجل ، أما ابني فقد أخجلني .

وكان كرسى سلطنة الفور الى هذا العهد في جبل مرة فنقله السلطان تيراب الى بلدة شوبة قرب كبكية ، حيث بني منزلًا فاخرًا ومسجدًا فخيمًا من الطوب الأحمر ، وأقام فيها آمنا مطمئنًا حتى خرج عليه المسبعين في كردوفان فجهز لقتالهم .

أما المسبعين ففي المشهور أنهم هم سلاطين الفور من جد واحد . قيل ان السلطان سليمان صولون المتقدم الذكر لما تولى دارفور كان له أخ يدعى مثبيع ، فتولى كردوفان وتعهد الاثنان على أن يقنع كل منهما بملكه فلا يطبع بملك الآخر . فعاشا بسلام وأمان الى أن توفيا ، ودام هذا الحال في أبنائهما الى أيام السلطان تيراب . وكان من ذرية مثبيع على كردوفان في ذلك الوقت السلطان هاشم ، وكان شجاعاً محباً للحروب والغزوات ، فغزا السروج<sup>(٢)</sup> والعرب البدية الذين على حدود دارفور فقههم ، فسوّلت له نفسه اخضاع دارفور ، فجمع جيشاً من السود مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل ، وجيشاً آخر من العرب الدنائل والكبابيش والرزيقات ، وبدأ بشنّ الغارة على حدود دارفور ، فقتل وغنم وسيبى . فلما علم تيراب بذلك كتب اليه ما معناه :

---

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعل المقصود : التروج ، سكان جبال نوبا .

« الى ابن العم المكرم السلطان هاشم سلطان كردوفان أعزه الله .

(١١٨) أما بعد فاني لا أعلم السبب الذى يحملك على غزو بلادى مع ما هنالك من صلات القربي وعلاقات المودة التى تربطنا ولم يكن مني ما يكدر صفاءها ، وأنت تعلم أن هؤلاء الذين تعزوهם هم مسلمون مثلك يعبدون الله ورسوله ، وما من عاقل يفعل ما أنت فاعل . فعند وصول كتابي هذا أرجو أن تكف عن العداء رفقا بالرعية ، وتذكر أن الظالم ينال جراء فعله والسلام » .

فلم يلتفت السلطان هاشم الى هذا الكتاب ، بل عاد الى ارسال السرايا لغزو الحدود . فتيقن السلطان تيراب اذ ذاك أنه لا يرجع الا بالسيف . فجهز لقتاله بكل قوته وآلة حربه ، ولم يشاً أن يخلى العاصمة من السكان ، فأعتق مئة عبد بنسائهم ، وأمر رجاله فأعتق كل منهم عبدا أو أكثر بنسائهم ، وجعل أكبر عتقائه حاكما على المدينة ، وعيق امامه الحاج عبد الغنى اماما للمسجد ، ونهض بجميع جيوشه قاصدا كردوفان . فنزل بمحل يقال له : ريل ، في بلاد البرقد ، وبنى له زريبة من شوك وبني في داخلها منازل من الطين ، وشرع في الاستعداد للحرب .

وجرى للسلطان تيراب وهو يتأهب للحرب في ريل حكاية مع أحد البرقد تستحق الذكر . قالوا :

خرجت جارية من جوارى السلطان الى بئر قريبة من الزريبة لستقي ، فرأها رجل من البرقد ، فهام بها وطلب حضانتها في منزلها على جارى عادة أهل تلك البلاد . فقالت له : ومن أين لك ذلك وأنا في زريبة السلطان ؟ قال : دلينى على محلك في الزريبة وأنا أعلم كيف أدخل اليه . فدلته ، ولما جن الليل جاء الى الزريبة واقتلع الشوك من بعض جهاتها البعيدة عن الخفراء ، وذهب الى حيث دلته الجارية ، وجلس ينتظر قدومها . فانتفق أن السلطان خرج في ذلك الوقت من مخدعه يتمشى في الزريبة ،

فرأى الرجل أمام باب الجواري ، فقال له : من أنت أيها الرجل ، وما جاء بك إلى هذا المكان ؟ فأخبره بقصته على التمام . فطلب تيراب الجارية فحضرت وهي ترتعد خوفا ، فأمنها وسألها عن الحقيقة ، فأجابته بما قاله الرجل . فلما تحقق خبرهما سمح لهم بالمحاضنة . وفي الغد عقد مجلسا من كبار دولته وقص عليهم خبر الرجل وطلب الحكم عليه فحكم البعض بقتله والبعض بسجنه والبعض بجلده . فقال السلطان :رأيى على الضد من رأيكم فان مثل هذا الرجل لا يقتل كأنه نعامة أو دجاجة ، ولا (١١٩) يهان بسجن أو بجلد بل يربى للحروب والقتال ، فإنه لو لم يكن شجاعا مقداما لا يعرف الخوف ، ما أقدم على الدخول إلى منزلى بهذه الجرأة . وفي الحال أمر له بجواه وآلة حرب وعبدين وزوجه بالجارية ، وجعله في مصاف فرسانه ،

وقد طالت اقامة السلطان تيراب في ريل مصايرة للسلطان هاشم لعله يرتدع عن شن الفارة فما زاده ذلك الا تماديًا في غيه . فتحمس ثلاثة من فرسان السلطان تيراب فركبوا خيولهم وأتوا إلى النحاس فضربوه وجمعوا الناس للحرب بلا استئذان السلطان ، وكان الوقت العصر . فلبس السلطان عدة حربه وركب جواه وجاء إلى مكان النحاس فسأل الفرسان عن الخبر . فقالوا : إن نحاس السلطان هاشم أوقر آذانا ، ونحاسنا ساكت ، فلم يعد لنا صبر على هذه الحال ، فاما أن تشكك نحاس السلطان هاشم ونردعه عن البغي أو نموت في هذا السبيل . فقال السلطان تيراب : اتبعوني إذا . فتبعدوا ، ولحق بهم الجيش . فاستمر السلطان سائرا والجيش يتبعه الليل كله إلى طلوع الشمس ، فتقديم أحد الوزراء إلى السلطان وقال له : يا مولاى ، إن الجيش أنهكه التعب ولم يذق زادا . فلم يصنع السلطان إليه وواصل السير إلى العصر . فتقديم إليه وزير آخر وقال : يا مولاى ، إن الجيش قصر عن السير حتى الفرسان . فوضع يده تحت فخذنه وأخرجها

ملوثة بالدم وقال : انظر ما جرى لى ولم اتضجر . وعاد الى متابعة السير . فتقصد اليه امامته الحاج عبد الغنى وقال له : يا أمير المؤمنين ، فاتنا خمسة أوقات من الصلوات المفروضة علينا دينا ، فان كنت لا تقف شفة على نفسك والجيش » فلابد من وقوفك لأداء فرض ربك في الصلوة . فوقف السلطان اذ ذاك وقال : لقد اوقفتني بالرغم عنى يا حضرة الامام .

وكان على مقربة من بئر « تولو » فنزل عندها واستأنف الاستعداد للحملة على كردوفان فجمع عربان البايدية القاطنين بلاد دارفور من أبالة وبقارة وأمرهم بمرافقه الجيش بما معهم من الابل والبقر لحمل الذخائر والمؤن فعهد الى الأبالة حمل الماء والحبوب ، والى البقارة حمل باقى المؤن من العسل والسمن .

ولما أتم استعداده ترك ابنه اسحق وكيلا عنه في ريل ، وسار هو لقتال السلطان هاشم بجيشه كيف بهذه مربع هائل في طليعته دادات (١) السلطان حاملين الفتوس (١٢٠) لقطع الأشواك والأشجار وتمهيد طريق الجيش ، وفي ساقته مقدمون الغرب (٢) وفي ميمنته مقدمون الصعيد (٣) ، وفي ميسريته مقدمون الشمال (٤) . وفي القلب القوات الآتية على الترتيب : محافظ العاصمة (٥) ومعه الموظفون الملكيون من وراء دادات السلطان الذين في طليعة المربع ، ثم قبيلة السروج حاملين الحراب والدرق ، ثم قلعة السلطان من أمامه حملة النبات ومن ورائه الياوران (٦) حاملين الحراب المكسوة بأكياس من الجوخ الملؤن ، وعن يمينه الوزراء . والملوك وعن يساره أولاده وأولاد السلاطين السابقين ، ثم حريم السلطان يحيط بهن

(١) راجع ص ١٠٤ ، حاشية ٣ . ومن هذا النص يتضح أن « دادات » جمع : « دادا » .

(٢) مقدمون الغرب هو أباديمـا . راجع ص ١٤٢ . حاشية ٢ .

(٣) مقدمون الصعيد هنا . هو : أباؤما . راجع ، ص ١٥٠ حاشية ٣ .

(٤) مقدمون الشمال هو : التكتيابـا . راجع ص ١٥٠ ، حاشية ٣ .

(٥) المقصود بمحافظ العاصمة هنا : أروانـدونـنج . راجع ص ١٥١ ، حاشية ٦ .

(٦) المقصود بالياوران هنا : جماعة الكورـكـوا ، اي : حامـوـالـحرـابـ ، وهم حرس السلطان . راجع ص ٧٩ ، حاشية ١ .

الغفر من الأغوات وعليهم «أبو شيخ»<sup>(١)</sup> مقدم الشرق رسماً، ثم حريم  
كبار الجيش وأغواتهن، ثم حملة العربان حاملين المؤن والذخائر أمام  
مقدم الغرب الذي في ساقه المربع.

وكان السلطان هاشم قد علم بقدوم السلطان تيراب بجيش كثيف  
لا قبل له بمحاربته وتفرق عنه أكثر رجاله، ففرّ بحاشيته وعائلته والتاج  
إلى ملك سنار. فسار السلطان تيراب في أثره حتى وصل قرب أم درمان.  
فقابلته جيش العابدلاّب من قبل ملك سنار قاصدين منعه عن التزول إلى  
النيل. فأوقع بهم واقعة عنيفة، وكسرهم شر كسرة. فحملوا نحاسهم  
المسمى بالمنصورة وفرّوا به طالبين النجاة. فتبعهم جيش السلطان تيراب  
بقصد الاستيلاء على النحاس، فدافع العابدلاّب عنه بأنفسهم دفاع  
الأبطال، حتى قتل منهم سبعون رجلاً، وفاز تيراب بنحاسهم، فسرّ به  
سروراً فائقاً حتى أنه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهوداً  
من الذهب وحفظه الخلف عن السلف إلى اقضائه ملوكهم. وكانوا في كل  
سنة يجددون تجلده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم  
وعامتهم من جميع الأنحاء. وداموا على ذلك إلى أن سقطت دارفور بيد  
مصر فتحمل إلى القاهرة.

ثم ان السلطان تيراب بعد انتصاره على العابدلاّب نزل في أم درمان  
وأخذ يستعد للزحف على سنار، فوجد النيل في طريقه وعرضه ٦٠٠ يرداً  
ونيف، ولم يكن عنده المراكب والمعدّات الالزمة لاجتياز النيل، فبقى  
هناك أشهراً يدبّر الوسائل لاجتيازه فلم يفلح، فسئمت نفوس رجاله من  
الانتظار واشتاقوا إلى عيالهم في دارفور.

---

(١) «أبو شيخ» هو: «أبا الشیخ» راجع ما ذكر عن هذا المنصب  
في ص ٦٢، حاشية ١.

(١٢١) فألحوا عليه بالرجوع فأقسم لهم أن لا يرجع إلا برأس هاشم  
فاغتاظوا منه واتفقوا مع على ود برقو والد أحدى زوجاته على قتلها .  
فاطلع تيراب على الدسيسة وقتل على ود برقو ، وبقى في أم درمان إلى  
أن مرض فحملوه ، وعادوا به قاصدين دارفور . فاشتد عليه المرض في  
الطريق ومات في باره ، فحنطوه وحملوه إلى جبل مرّة ودفنوه في طشّة ،  
التي هي مدفن سلاطين الفور .

وقد اتسعت مملكة دارفور في أيامه اتساعا لم نر مثله قبل ولا بعد .  
فكان حدتها من الشمال بئر التترون في الصحراء الكبرى ، ومن الجنوب  
بحر الغزال ، ومن الشرق بحر النيل ، ومن الغرب مضيق ترجه ، وهو  
مضيق بين جبلين فاصل بينها وبين ودّاى . وكان طولها مسيرة ٣ أشهر على  
القوافل ، وعرضها مسيرة شهرين . وقد بنى السلطان تيراب سورا من  
الطوب في أم درمان لا تزال آثاره ظاهرة هناك إلى اليوم . ولم يخلفه  
على الملك ابنه اسحق كما دبر من قبل بل خلفه :

(٢٣) السلطان عبد الرحمن أخوه ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ - ١٧٨٧ م - ١٨٠١ م)

فلقب باليتم والعادل والرشيد . قيل لقب باليتم لأنّه عند وفاة أبيه  
كان لا يزال رضيعا ، وبالعادل لأنّه كان عادلا ، وبالرشيد لأنّه أرسل  
إلى « جلالة أمير المؤمنين سلطان السلاطين في الآستانة » هدية من العاج  
والريش فأرسل جلالته كتابا يشكر له هديته ويلقبه بالرشيد ، وهو  
اللقب الذي عرف به في اختتام سلاطين الفور .

وقالوا في تفصيل ولايته أنه لما مرض أخوه تيراب كان يطلب العلم في  
بلدة كريو من أعمال دارفور وكان له هناك صديق يسمى الشيخ مالكا  
من الفلاّته ، فأشار عليه بالذهب إلى أخيه بمحجة عيادته فإذا توفى تنسّت  
له الفرصة للملك . فسار عبد الرحمن برأى صديقه وأدرك أخيه في باره .

قيل فلما سمع تيراب بقدومه فرح به وقال : أحضروا الى " ابن والدى لأراه قبل موته فانه سلطان فور بعدي . فأحضروه اليه فترحب به ، وأمر له بهدية نفيسة . ولما توفى قام أبناء السلاطين المرافقين لجيش تيراب ، فادعى كل منهم الحق بالملك بعده ، الا عبد الرحمن فانه لم يقل شيئاً . فعقد الأعيان ورؤساء الجيش مجلساً بحضور العلماء ، وحلّقوا أبناء السلاطين على الكتاب أنهم يرضون بالذى يختارونه لهم ، فاختاروا عبد الرحمن باتفاق الآراء لأنّه كان رجلاً (١٢٢) عادلاً صالحًا محبوبًا من الرعية . فنادوه الى المجلس وولّوه سلطاناً على دارفور . ثم نادوا الباقيين واحداً واحداً وأخبروهم بولايته سلطاناً عليهم فبأيعوه مضطرين .

وكان عبد الرحمن متزوجاً بجارية سوداء طيبة الأخلاق من قبيلة البيقو تسمى أم بوسه وكان يحبها محبة شديدة ، وقد أحضرها معه الى باره . قيل : فلم يتم الأمراء مبايعتهم له ، حتى حضر عبد من منزله فقال ان سيدتي وضعت غلاماً هذه الساعة . ففرخ به عبد الرحمن وقال : فليكن اسمه محمد الفضل ، وهو الملك بعدى ان شاء الله . وكانت ولاية عبد الرحمن في رأس القرن الثالث عشر الهجرى فقال اللهم اجعل هذا القرن لي ولذرتي من بعدي وكان كذلك .

ثم ان السلطان عبد الرحمن قام بالجيش الى الأبيض فوضع فيها مقدوماً يرجع بأحكامه اليه واستطرد السير الى دارفور ، وكان عليها اسحق بن تيراب كما علمت ، فرفض الطاعة له وحاربه في عدة وقائع كان النصر فيها للسلطان عبد الرحمن . وفي الواقعة الأخيرة أصابته رصاصة طائشة من رجال عبد الرحمن فأصابت منه مقتلاً ، ولكنّه بقي يومين حياً فدخل عليه عبد الرحمن قصد عيادته . قيل فأغمض عينيه وقال له : لا أريد أن أرى وجهك الى يوم القيمة . وبقي مغمض العينين ، حتى خرج عبد الرحمن من الخيمة ففتحهما ولم يمض الا القليل حتى مات فاستب

الملك عبد الرحمن ، ونقل كرسى السلطنة الى الفاشر الواقعة على خور تندلتى على ٣٥ ميلا من جبل مرّة ، فصارت الفاشر عاصمة دارفور من ذلك العهد وبقيت الى انتهاء السلطنة .

وقد نال عبد الرحمن شهرة لم ينلها غيره من سلاطين الفور الذين تقدموه وكان له علاقة بمصر . وفي أيامه انتشر العلم في دارفور ، واتسع نطاق التجارة ، وقويت شوكة الديانة الإسلامية ، لأنها كان عالماً ورعاً . وفي سنة ١٧٩٣ م زار السائح الانكليزى برونز بلاد دارفور عن طريق الأربعين . ويظهر أن المماليك ضيقوا على القوافل التي كانت تأتى من دارفور وعطلوا التجارة بينها وبين مصر ، فلما دخل بونابرت مصر في أوائل القرن الثامن عشر ونكل بالمماليك كتب اليه السلطان عبد الرحمن يهنه بفوذه عليهم وهذا هو فحوى الكتاب :

(١٢٣) « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . من سلطان دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد ، إلى المعظم سلطان الجيوش الفرنساوية ألف سلام .

« أما بعد فنعلمكم أن خبر انتصاركم على المماليك وصل إلينا فتلقيناه بغایة السرور ، وقد أخبرنا أحد الأفرنج الذين اعتنقوا الإسلام بحسن معاملتكم للأجانب ، فأرسلنا كتابنا هذا مع خبير القافلة يوسف الجلاّبي ، وكلفناه أن يؤكّد لكم صدق مودتنا التي نسأل الله دوامها . ونحن نوصيكم بالخير خيراً لتحموه هو وأتباعه وعيده ، ولكم منا ألف تحية وسلام . اه .

فكتب اليه بونابرت في الجواب ما معناه :  
(١٢ مسيدور من السنة السابعة للجمهورية الفرنساوية سنة ١٧٩٩ م )

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله . الى السلطان عبد الرحمن  
سلطان دارفور . تناولت كتابكم وفهمت فحواه واعلموا أن قافتكم قد  
وصلت في حين كنت متغيبا في بلاد الشام أعقاب أعداءنا وأدمّرهم والآن  
طلبي اليكم أن ترسلوا الى مع أول قافلة ألفي عبد من العبيد الأشداء  
المتجاوزين السنة السادسة عشرة من العمر ، اذ مرادي أن أبتاعهم لنفسي  
والأمل أن توعزوا الى القافلة بسرعة القيام ومواصلة السير الع حيثوها أنا  
أمرت من بلزم بحمايتها ووقايتها حيث تكون » .

( الامضاء ) « بونابرت القائد العام للجيش الفرنسي »  
( ٢٤ السلطان محمد الفضل ابنه ١٢١٥ : ١٢٥٤ هـ — ١٧٨٧ م : ١٨٣٩ م )  
الملقب بقمر السلاطين ، وكان أول أعماله أنه حرر قبيلة أمه أم بوسة  
البيقاوية ، ومنعأخذ الرقيق وبيعه منها . قيل انه عند توليه الملك كان  
حاله المسمى فزارى يرعى البقر في بلاده على ٥٠ ميلا الى الجنوب الغربى  
من الفاشر . فأرسلت أخيه رسولا تبشره بتولية ابنها على الملك . فسار  
الرسول بالخبر على جواد مطعم وأطلق له العنان . فما وصل الى فزارى  
حتى نهى الجواد التعب فسقط في الأرض ميتا ، وتقى الرسول الى فزارى  
وقال له : أبشر بالخير ، فان ابن أختك أم بوسة قد تولى عرش سلطنة  
دارفور منذ خمسة أيام . وكان فزارى اذ ذلك يسقى البقر عند حوض  
الماء فطار فرحا لهذا الخبر وضرب الحوض برجله وزعّع البقر على  
الحضور ، ثم أتى بعنكريب ( ١٦٤ ) نام عليه وقال للذين حوله . احملوني ،  
فحملوه حتى أوصلوه الى الفاشر ، فولاه محمد الفضل الوظيفة المعروفة  
بملكه الخوال . وكان عمر محمد الفضل عند توليه الملك ١٤ سنة ،  
فوكله أبوه الى رئيس خصيائه كثرة المعروف بلقب « أبو شيخ » وجعله  
قيما عليه لانه كان وزيرا صادقا له ، وكان من الشجاعة وحسن الدرایة  
على جانب عظيم . فأقام كثرة في خدمة سيده محمد الفضل بالأمانة

والاخلاص كما خدم أباه حتى حدث ما غيره ، فانقلب عليه . وذلك أن السلطان محمد الفضل أولم ولية لكراء دولته فجلسوا على الموائد فئات بحسب مقاماتهم ، كل فئة على مائدة . وكان أبو شيخ كرّة في فئة الملك فمر السلطان بالموائد لمؤانسة المدعوين على جاري العادة . فلما من مائدة الملك حيّاهم بالسلام فرّد الملك عليه السلام أحسن ردّه أما أبو شيخ كرّة فإنه كان قد أكثر من الخمر وفقد الوعز ، فالتفت إلى السلطان مازحا وقال له : تفضل معنا ، ولم يكن من عادة سلاطين الفور الأكل مع أحد فاغتاظ السلطان من دالله كرّة وتطاوله ، وكان بيده عصى من الخيزران فضربه بها على أم رأسه ضرباً أليما حتى كسر العصى وطرده عن المائدة . فانصرف كرّة إلى منزله من غير أن يفووه بيت شفة . ولكن حقد على السلطان من ذلك العهد ، ولم يعد إليه حتى اجتمع الوزراء وترضوا السلطان فرضى عنه وأعطاه هدية فاخرة . فرجع ولكنه بقى حاقدا عليه ، وأخذ يسعى في ثل عرشه ، وتولية أخيه باسى عوض الله مكانه . فاغتال أكثر الملوك المخالفين له ، ولم يبق منهم سوى الملك ابراهيم ود رماد ملك النحاس فدعاه يوما إلى منزله ليقتلته فعلم بالكيدة فاعتذر بعدم مقدرته على الذهاب وسعى حتى دخل على السلطان وقال له : اعلم أن كرّة لا يزال حاقدا عليك من يوم ضربته على المائدة وهو يسعى في ثل عرشك وتولية أخيه باسى عوض الله مكانك ، وقد استعمال أكثر رجال الجيش إليه ، وقتل الملك غيلة ، وهو يريد أن يقتلني لهذه الغاية . فقال السلطان : وما دليلك على ذلك ؟ قال : نرسل أحد الضباط بنفر من العساكر إلى الآبار التي يستقى منها ليمنعوا عبيده الورود ، فإذا جاءك شاكيا ، كان لا يزال على الولاء والا فلا . فاستحسن السلطان هذا الرأي وأرسل ضابطا إلى آبار كرّة فكان كلما وردها (١٢٥) أحد من جماعة كرّة منعه الضابط ورده خائبا . فلما علم بذلك جمع عبيده ورجال الجيش الذين من حزبه وجاء إلى الآبار

فقتل الضابط ومن معه ، وتقىدم الى منزل السلطان فدخله محاربا . وكان الملك ابراهيم قد أعد الجيوش لمصادمه ، فاقتلى الفريزان الى ما بعد الغروب . فنادى الملك ابراهيم أبا شيخ كرّة من وراء الجدار وقال له : حقا انك امرأة ، لأنك لو كتت رجالا لم تطلب الحرب ليلا بلا ميعاد . فقال كرّة : كنت قد نويت أن لا أخرج من هذا المكان حتى أقتلك وأخلع سلطانك ، أما الآن وقد قلت اني فاجأتك ليلا بلا ميعاد ، فلما نصي صباح الغد الى ساحة القتال شرقى المدينة . قال ذلك وانصرف بعساكره الى منزله . فأخذ كل فريق يجهز جيشه للغد .

وكان في جيش السلطان محمد الفضل رجل كهل مشهور بالفروسيه والاقدام يسمى : أحمد ود جراب الفيل ، وقد حضر عده وقائم حرية ، من جملتها واقعة السلطان أبي القاسم مع ملك ودّاى ، فأبلى فيها بلاء الأبطال ، وحضر الواقعة التي تقدم ذكرها . فلم يجد ما كان يتظر منه بل كان كلما قابلته كتبية من الفرسان أعرض عنها . فلما جمع الملك ابراهيم رؤساء العساكر للنظر في قتال الغد ، كان ود جراب الفيل حاضرا . فقال له الملك : ما أصابك أمس يا ود جراب الفيل حتى أحجمت عن القتال ، أصحح ما شاع أن كرّة اشتراك بمئة رأس من الرقيق ، فترك القتال ؟ فقال ود جراب الفيل : ألمثل يقال هذا الكلام ، يا ملك ابراهيم ، لأننا أبیع ود السلطان عبد الرحمن بمئة رأس رقيق . ولكن قل لى بماذا أحارب أبسيفي وقد أخذوه مني ووضعوه في خزينة سلاح السلطان ، أم بحصاني هذا الضعيف النحيف الشبيه بالنعجة . فان كتم تحبون أن ترون<sup>(١)</sup> مني حرب الرجال وتشاهدون بأعينكم ما اشتهر عنى من البسالة والاقدام فأرجعوا لى سيفي وهاتوا لى فرسا يحمل الكر والفر . فأريكم غدا ما يسركم . فأمر السلطان باحضار سيفه فأحضر اليه ، ثم أمر باحضار الخيول ليختار منها جوادا يعجبه . قيل فكان ود جراب الفيل يقبض

---

(١) كذا .

على ناصية الجواد ويجذبه بيده وهو جالس في الأرض فيخرَّ الجواد على ركبته من شدة الجذبة ، الى أن قبض على ناصية جواد فجذبه كما فعل بما تقدمه ، فنفض الجواد رأسه ورفع ود جراب الفيل حتى أوقفه على قدميه . فقال ود جراب (١٢٦) الفيل : هذا جوادى الذى أركبه . ثم رکبه واستل السيف وقبّله والتقت الى أم السلطان وقال : اعلمى أن دارفور تكون ييد ولدك لا ينazuه فيها منازع قبل ظهر نهار غد ان شاء الله . ففرح الملك ابراهيم بذلك وكان له ثلاثة ولدا من صلبه راكبين الخيول كاملى العدة ، فأحضرهم الى ود جراب الفيل وقال له : أنت رئيس أولادى هؤلاء ، وأريد منكم اذا التقى الجمعان في الغد أن لا تقاتلو أحدا غير كرّة ، فاقبضواه حيث يكون وقاتلوه حتى تقتلوه ، فلما كان صباح الغد واصطف الفريقان للقتال ، برع ود جراب الفيل ومن معه من أولاد الملك ابراهيم قاصدين كرّة . فاعتراضهم أخوه باسى عوض الله فقتلوا وتقادموا الى كرّة فتلقاهم بقلب لا يهاب الموت ، وكان لابسا درعين من الحديد وعلى رأسه خوذة تغطيه ، وتنطى وجهه حتى كان لا يرى منه الا عيناه ، فكانوا يضربونه بالسيوف فلم يتمكنوا منه ، وكان هو أيضا يكر عليهم وبهاجمهم مهاجمة الأسود ، فلم يصب منهم مقتلا ، لأنهم كانوا متدرعين مثله . فاحتلال بعضهم عليه بأن ركب على فرسه من وراءه وجندله ، فأطبق الفرسان عليه ، وزعوا خوذته ، ثم حزوا رأسه وحملوه الى السلطان . فلما رأى جيش كرّة ما جرى لشياخهم ولو الأدباء منهزمين . فتبعدهم جيش السلطان ونكّل بهم وكان من عادة كبار الخصيان في دارفور أن يقتنوا زوجات من الأرامل اللواتي لهم أولاد ، فيتبئنون الأولاد لتنتفى عنهم مذلة الخصي ولو ظاهرا . وكان لأبي شيخ امرأة ولها ابن يسمى : شيل فوت (أى خذ واذهب ) وهو من الفرسان المعدودين . وكان السلطان محمد الفضل يود أن يجعله من

أتباعه وأعوانه ، فأوصى جيشه قائلا : اذا انهرم جيشك كرّة وظفرتم بشيل فوت ، فلا تقتلوه ، بل ائتونى به حياً . فلما كان انهزام جيش كرّة ظفر بعض الفرسان بشيل فوت ، فتصدى لهم فأخبروه بوصية السلطان لهم . ولما أمن جانبهم جاء معهم الى السلطان فأمتنه وغاف عنه . ثم التفت اليه الملك ابراهيم وقال له : يا شيلفوت ، لأجل فضلة الطعام تحارب مثل هذه الحرب ؟ قال ذلك لأن شيلفوت كان يأكل فضلة طعام كرّة على عادة الابن مع أبيه في السودان . وكان من عادة الملك ابراهيم كملك النحاس أن يوزع طعام السلطان على الجيش ، فأجابه (١٢٧) شيلفوت على الفور ، أنت حاربت لأجل توزيع الطعام أفلأ أحارب أنا لأجل أكله .

واستتب الملك للسلطان محمد الفضل بعد قتل كرّة ، ولم يعد له معارض ، فتفرغ لتأديب العرب الذين خرجوا عن طاعته وهم بنو هلبة ، والعربيات ، والرزقيات . أما بنو هلبة والعربيات فقد أخضعهم بالسهل ، أما الرزقيات فكانوا قبيلة قوية وقد طالما عصوا سلاطين الفور واستقلوا بهم ، فصمم السلطان محمد الفضل على الإيقاع بهم . فجمع جيشاً عظيماً وأحاط بيلادهم احاطة السوار بالمعصم ، وحصرهم وأثخن فيهم ، وقتل كل رجل فيهم ولم يستحى الا النساء والأولاد ، فقسمهم نصفين . فأرسل النصف الواحد الى أرض العريقات وأسكنهم ايها ، وأبقى النصف الآخر في أرضهم وأعاد لهم قسماً من ماشيتهم ، فأعطي كل أرملة قتل زوجها بقرة حلاية وثوراً .

وحكى عن السلطان محمد الفضل نادرتان : احداهما مع أحمد  
ود عدLAN آخر وزراء الهمج بستان ، تدل على كرمه . والثانية مع  
السلطان آدم سلطان ودّاى تدل على شهادته . أما نادرته الأولى فهى  
أن جعلية التقى بود عدLAN في البرية خارجا للقنص فقبض على لجام

فرسه وقال له : أيها الملك ، انى رجل فقير وقد جاوزت سن الأربعين ، ولم أذق رائحة البخور . يريد بذلك أنه لم يتزوج بعد لعدم مقدرته على الزواج . فقال له الملك : تعال معى الى سنار فأعطيك ما قسمه الله لك . فقال له الجعلى : لا أتركك حتى تعطيني ما قسمه الله لي الآن . لأنني اذا ذهبت معك الى سنار دخلت منزلك وشغلت عنى ولم يدخلنى اليك أحد . ولم يكن مع ود عدLAN في ذلك الحين الا "فروة من الجlad مفروشة فوق سرج فرسه ، فأعطاه ايها وقال له : أدلك على واسطة تناول بها الغنى ، تذهب بهذه الفروة الى السلطان محمد الفضل سلطان دارفور ، وتقص عليه قصتك ، وتعطيه الفروة ، فان كان الله قد أغناك فهو يعنىك . فحمل الجعلى الفروة وسار حتى وصل دارفور ، واستأذن فدخل على السلطان محمد الفضل ، وقص عليه قصته مع محمد (١) عدLAN واعطاه الفروة . فنادى السلطان محمد الفضل أحد وزرائه وقال له : خذ هذا الرجل الى منزلك وأكرمه غاية الاحترام ، وائتنى به في الغد . ففعل الوزير كما أمره السلطان ، وفي الغد حضر الرجل بين يدي السلطان فسأله عما قال له (١٢٨) ود عدLAN ، فقال : قال لي خذ هذه الفروة الى السلطان محمد الفضل ، فان كان الله قد أغناك فهو يعنىك . فأمر السلطان وزيره بأن يعطيه أربع مئة رأس من الرقيق والابل والبقر والغنم ، من كل صنف مائة رأس ويأخذه الى منزله فيكرمه ويعود به اليه في اليوم الثاني . فعل الوزير كما أمره السلطان . ولما مثل الجعلى أمام السلطان في اليوم الثاني سأله أيضا عما قاله له ود عدLAN . فأعاده له فأمر له بأربع مئة رأس أخرى من الأصناف الأربع المذكورة ... وهذا بقى الجعلى يتربدد على السلطان ، والسلطان يأمر وزيره أن يعطيه ما أمر له في اليوم الأول على عشرة أيام حتى اجتمع عند الجعلى ٤٠٠٠ رأس ، من كل صنف ألف . فلما أتى به في اليوم الحادى عشر وسائله السلطان عما قاله له

(١) كذا .

ود عدLAN قال : أطال الله بقاء مولاي وأيده بالنصر على الأعداء ، انى قد اغتنيت غناء الأبد ، وقد نسيت الذى قاله لي ود عدLAN . فضحك السلطان لقوله وقال لوزيره : خذه الآن وسلمه ما وهبناه اياه ، وأرسله مع الحرس اللازم الى بلاده . وأما الأصناف ، التى أعطيناه ايها ولا يمكن نقلها الى بلده كالبقر والغنم فبعها وأعطيه ثمنها . ففعل الوزير ما أمره السلطان ، وخرج الجعلى بهدايه من أرض دارفور شاكرا حامدا ، وعاد الى وطنه ، فتزوج من اشتهاها من نساء بلده وشم رائحة البخور .

أما نادرته الثانية مع السلطان آدم ، سلطان ودّاى ، وهو السلطان الثامن بعد السلطان عبد الكريم ، فهى أن السلطان محمد الفضل بلغه أن عند السلطان آدم فرسا سريع الجرى مشهورا بالسبق ، فأرسل اليه في طلبه ، فجمع السلطان آدم وزراءه وشاورهم في الأمر ، فقالوا له : هذا « عشم فَسِيل » أى : هذا رجاء باطل يشف عن احتقار واستخفاف . فقال : اذا ما الرأى ؟ فقالوا : الرأى عندنا أن تكتب له ، وتقول : اذا أزوجتني بأختك أرسلت اليك الفرس . فكتب السلطان آدم هذا الجواب ودفعه إلى الرسول . فلما قرئ الجواب للسلطان محمد الفضل ، طار صوابه من شدة الغضب . قيل وكان بيده اليسرى سيف ، فلما وصل القاريء إلى قوله : « اذا أزوجتني بأختك » ، جعل ينقر السيف بسبابة يده اليمنى ، حتى انكسر الظفر ، وسال منه الدم ، وهو لا يدرى (١٢٩) ؛ وعزم على التنكيل بالسلطان آدم وارغام أنفه . فسأل الحاضرين : أتعرفون أحدا هنا من أهل ودّاى ، ولو أنه من عامتهم لنوليه على ودّاى بدل هذا السلطان ؟ فقال له بعضهم : عندنا ، يا مولاي ، في بلدة جديدة رأس الفيل جزار من دار ودّاى يسمى محمد شريف . وربما كان من العائلة المالكة مع أنه جزار ، لأن آدابه وأخلاقه تدل على كرم أصله ، وفي وجهه أثر النعمة والعز . فقال : ائتونى به في الحال . فأتوه به ،

فقال له السلطان : من أنت يا رجل ، وما أتي بك الى هذه البلاد ؟ قال : يا مولاي ، أنا محمد شريف ابن السلطان صالح بن خريفين ، شقيق السلطان آدم سلطان برقو الحالى ، وقد فررت من وجه أخي السلطان آدم خوفا على بصرى ، لأن من عادة سلاطيننا كما لا يخفى على مولاي ، أنه اذا تولى أحدهم الملك قلع عيون اخوه ، وجميع أقاربه الذين يخاف شرهם ، حتى لا يبقى له مزاحم على الملك ، ففررت الى هنا وفضلت أن أعيش جزارا في بلاد الغربة ، وأنا أبصر ، على أن أعيش في بلادي أميرا بلا بصر . فقال السلطان محمد الفضل : فهل لك أن تكون سلطانا على بلادك بدلا من أخيك ؟ فقال له : ومن أين لي ذلك يا مولاي ؟ قال : لك ذلك مني إن شاء الله . ثم أمر فألبسوه حلة السلطنة ، وسيره الى ودّاى بجيش عرمم ، وعليه اثنان من وزرائه وأربعة من أولاده ، ومنهم حسين الذي تولى السلطنة بعده . فسار محمد شريف بالجيش حتى وصل حدود ودّاى ، فالتقاه السلطان آدم بجيشه ، وحصل بين الجيشين عدة مواقع دموية ، قتل فيها خلق كثير من التريقيين . ولكن غالب فيها جيش السلطان محمد الفضل ، وأخذ السلطان آدم أسيرا ، وغنم نحاسه ، وولى محمد شريف سلطانا على ودّاى ، وعاد الى دارفور ومعه السلطان آدم أسيرا . فبقى السلطان آدم في دارفور مدة ، ثم تمكّن من الفرار الى ودّاى ، فأرسل السلطان محمد شريف عسكرا وراءه فتعقبه وقتلها وبقي لا ينزعه أحد الى أن مات .

وتولى بعده على ودّاى السلطان على ابنه ، ثم السلطان يوسف أخو على ، فالسلطان ابراهيم بن يوسف ، فالسلطان أحمد الغزالى ابن على ، فالسلطان محمد دود مرّة ، أخو ابراهيم ، وهو السلطان الحالى .

هذه روایة البعض في سبب الحرب بين السلطان محمد الفضل

والسلطان آدم . (١٣٠) وقال بعضهم إن رواية الفرس لم تكن بين السلطان آدم والسلطان محمد الفضل ، بل كانت بين السلطان على المذكور وبين معاصره من سلاطين برنو ، وأن السلطان علياً هو الذي طلب الفرس من سلطان برنو ، فأجابه سلطان برنو بما هو منسوب إلى سلطان ودّاى .

قالوا وأما سبب الحرب بين دارفور وودّاى فهو أن محمد شريف المذكور جاء إلى السلطان محمد الفضل يستنصره على أخيه فنصره لأنّه كان أميل إلى دارفور من أخيه السلطان آدم .

وفي أيام السلطان محمد الفضل أرسل محمد على باشا ابنه اسماعيل بجيش جرار لفتح سنار ، وصهره الدفتردار لفتح كردوفان . وكان في كردوفان مقدم من قبل السلطان محمد الفضل يقال له : المقدم مسلم ، فتغلب عليه الدفتردار وأمتلكَ البلاد منه بعد واقعة شديدة على ما سيجيء بالتفصيل في الفتح المصري . قيل وكان السلطان محمد الفضل واجداً على المقدم مسلم ، فلم يشأ أن ينصره ، فلما علم أنه قتل أرسل جيشه تحت قيادة أبي اللkiplik ، فخرج له جيش الحكومة فالتقاه في سودره بين فوجه والأبيض . وحدثت واقعة شديدة حارب بها جيش الفور حرب الرجال حتى قتل قائدهم ، فانهزموا راجعين إلى الفاشر ، فخاف السلطان محمد الفضل على دارفور ، وأخذ من ذلك الوقت يحشد الرجال ، ويستكمل العدة ، محافظة على سلطنته . وقيل انه كتب « أسماء » على نية منع الحكومة المصرية من الدخول إلى بلاده ، وجعلها في قمامق من نحاس ، ودفنتها في الصحراء الشرقية والشمالية ، ولم يخف على سلطنته من الجنوب حيث دخل الزبير باشا كما سيجيء .

وكان لمحمد الفضل أخي يكرهه ويراحمه على الملك يسمى ، أبا مدين .

ففر الى مصر وأخذ يهون على محمد على فتح دارفور ، فأرسله محمد على الى كردوفان للسعى مع مدیرها في ذلك فبقى في الأبيض الى أن توفي<sup>(١)</sup> .

ولما كانت سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م أرسل محمد على باشا كتابا الى محمد الفضل يدعوه فيه الى التسليم . فأجابه محمد الفضل بكتاب أخذنا صورته عن نسخة ييد الزبير باشا بمصر وهذا نص الكتاب : ( ١٣١ )

« الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعا سبحانه يجزى كل نفس

بما تسعى ، واليه المعاد والرجعي ، وهو حسيبي وكفى .

من حضرة من أمن الله به البلاد ، وجعل ملكه مسموعا من كل أحد ،  
وصيره في قلوب الأعداد نارا تستعر ، وجمرا يتقد ، وجعل الله على يده  
ضرب من طغى وتمرد ، ومن ضل وتعد ، وهو شاب صغير السن ، ولو صار  
كهلا لخضعت له الانس والجن . وقد اشتهر بالكرم والجود ، وحال  
بعوارضه أنجم السعود ، وان قامت الهيجاء بنفسه يوجد ، ويصل الى  
الأعداء بقواطع الهنود ، وينتصر بعون الله على كل موجود !!!

هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد أعزه الله .

« الى حضرة الكوكب العالى ، والنير المتلالى ، بهجة الأنام وقدوة  
الليالى ، صاحب العز والافتخار ، أخيانا العزيز محمد على باشا ، سلمكم  
الله تعالى من المحذورات ، واستعملكم بالباقيات الصالحات ، بمنه وكرمه .

« أما بعد : فسلام الله عليكم ، ورحمته وبركاته لديكم ، قد وصلنا  
جوابكم أوصلكم الله الى رضوانه وفهمنا خطابكم ، ومقتضى جوابكم ،  
 وكل كلمة من المرقوم ، يستحق جوابها المفهوم . ولكن يكفى من ذلك  
كله كلام العجيز القيوم حيث قال : « له دعوة الحق والذين يدعون من  
دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كbast كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو  
يبلغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال » .. « فمن كان يرجو لقاء ربه  
فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .. انكم طالبون دولتنا

(١) راجع ملحق رقم ( ١ ) .

وطاعتانا ، والقيادنا لكم ، هل بلغكم أننا كفار وجب لكم قتالنا ، وأبيح ضرب  
الجزية علينا ، أو غرركم قتالكم مع ملوك سnar والشايقة ، فنحن المسلمين  
وهم الرعية ؟ أورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك ، أم ورد لك حديث  
من رسول الله تجد فيه تمليكتك ، أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك ربا  
قويا ، ولنا رب ضعيف ؟ الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون  
ولا مبتدعون ، ندين بكتاب الله وسنة رسول الله (صلعم) ونؤدي الفرائض  
وتترك المحرمات ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، والذى لم يحصل نأمره  
بالصلاوة ، والذى لم يزك تأخذ منه الزكاة ونضعها في بيت المال ولا (١٣٢)  
ندخرها ، ونرد الأمانات إلى أهلها ، ونعطي كل ذي حق حقه ، حتى دانت  
لنا القبائل العظام . ومن أتي دولتنا يرجع مكرما باذن الله تعالى ،  
ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف . ألم تر إلى قوله (صلعم) « لو بغي  
جبل على جبل لدك الباغي » : أما علمت أن دارفور محروسة محمية  
بسیوف قطع هندية ، وخیول جرد أدهمية ، وعليها کھولة وشبان يسرعون  
إلى الهیجاء بكرة وعشية ! أما علمت أن عندنا العباد والزهد والأقطاب  
والأولياء الصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا وهم يبينا يدفعون  
شر ناركم ، فتصير رمادا ، ويرجع الملك إلى أهله ويكفى من بعد ذلك ،  
والله يكفى شر الظالمين . كتبه الفقيه محمد ود عماري من متخرجى الأزهر  
وكان مدرسا للسلطان محمد الفضا ، وأولاده بالفاس . ١ هـ .

وتوفي السلطان محمد الفضل سنة ١٨٣٩ وخلفه :

٢٥ السلطان محمد حسين ابنه ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٩ م :  
وكان معاصرًا للمغفور لهما سعيد باشا وأسماعيل باشا فبادلهما الهدايا  
والمحاتبات ، فكان يهدى إليهما الخصيأن والريش والسنن وغير ذلك من  
تحف دارفور وهم يهديان إليه التفيس من تحف مصر . وقد أرسل له  
سعد باشا مركبة وأسنان من حاد الخبار وخمسة وتحفها كثيرة . أما المركبة

فانه لم يركبها قط ، بل أمر سائقها عند وصولها برکوبها أمامه . فذهب بها السائق من بيت السلطان الى الجامع مسافة فرسخ وعاد بها الى بيت السلطان ، فأمر السلطان بوضعها في الاسطبل ، فبقيت الى الفتح المصري . وأما الخيل فقد قيل له انها مسحورة فتركها للعلف نحو ٥ سنين ثم وهبها لبعض خاصته . وأهدى اليه اسماعيل باشا شلالات كشمير ، وسرور ذهب ، وسبح كهرمان ، وخرز سوميت ، وغيرها من تحف مصر المستحسنة في دارفور .

وكان السلطان حسين جوادا كريما محبا للرعاية . حدثني الشيخ على بك الخبير من مشاهير التجار بدارفور وقد عاصره قال :  
دخلت يوما على السلطان حسين للسلام عليه وأخذت له معى هدية نفيسة من تحف مصر تساوى ألفى غرش ، فأمر لي بمئتي بعير من أكرم الابل .

ولما كانت سنة ١٨٥٦ م كف بصره فطلب التحفظ على ملكته . فألف جيشا ينيف على ١٠٠٠٠ مقاتل وسلحهم بالأسلحة النارية ، فكان هو أول من استعمل الأسلحة ( ١٣٣ ) النارية في جيش دارفور وقد كان اعتماد السلاطين قبله على السيوف والحراب والدراق والسكاكين والنشاب .

وكان للسلطان حسين اخت تسمى اياباسي زمزم اشتهرت باتساع الشروة وكان لها تفوذ تام في السلطة .

وفي أيام السلطان حسين كانت « واقعة القرطاس » المشهورة بين عربان المعالية وعربان حمر . وذلك أن عربان المعالية قطعوا الطريق على قافلة آتية من مصر الى دارفور ، وقتلوا تجارة مشهورين بأهل زريبة عبد العزيز ، وأخذوا أموالهم من سكر وأنسجة ونحوها . فغضب السلطان حسين من تعديهم ، وكان بينهم وبين عربان حمر عداوة قديمة فأرسل السلطان في طلب الشيخ مكي ود منعم شيخ عربان حمر ، وقال له : انى أبحث لك دماء المعالية وأموالهم . فجمع الشيخ مكي رجاله وخلفاءه وغزا عربان

المعالية ، وكانوا مشهورين بالصبر والثبات في الحروب ، فحدث بين القبيلتين واقعة دموية شديدة كان النصر فيها لعربان حمر ، فقتلوا المعالية شر قتلة . قيل وقد سميت هذه الواقعة بواقعة القرطاس ، لأن الصحاري امتلأت من قوطاس السكر والأنسجة التي نهبها المعالية من التجار .

( ٢٦ السلطان ابراهيم ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٤ م )

وهو آخر سلاطين الفور وكانت مدة ملكه سنة وسبعين أشهر وأربعة عشر يوما . قيل لما مرض السلطان حسين وعلم بدنو أجله أراد أن يضمن الملك من بعده لابنه ابراهيم لأنه كان يحبه أكثر من جميع إخوته . ولم يكن أكبرهم بل كان أبو البشر أكبرهم . فاتتب ثالثين من أيامه وهو الأمين بخيت من قبيلة الميدوب ابن الوزير آدم بوش كبير الأئمة ، والأمين « خير قريب » من عبيد الفريت أمين الخزينة والأسلحة ، وأتى بالمصحف المسمى بسوار الذهب وحلهما عليه بأن يوليا ابنه ابراهيم بعد وفاته . وكان أحمد شطة أمير الصعيد المقيم في دارا يحب أن يولى الأمير أبا البشر لأنّه كان متزوجا بشقيقته ، وكان له صديق في الفاشر يسمى الشيخ أحمد الدردير . فلما اشتد المرض على السلطان حسين أرسل الدردير يخبر الوزير أحمد شطة ، فأتى الفاشر ونزل في منزل أحمد الدردير واستأذن فدخل على السلطان وسلم عليه فقال له ( ١٣٤ ) السلطان : كيف تركت مركزك وجئت إلى هنا بلا ذنبي ؟ قال : بلغوني يا مولاى خبر مرضك فأسرعت بالحضور لعيادتك . فقال له : ارجع على الأثر ولا تبيّن هنا . فقال : سمعا وطاعة . ولكنّه علم أن السلطان مات قريبا ، فtribus في الفاشر ليرى ما سيكون من الأمر بعد وفاته . وعلم الوزيران المار ذكرهما قصد أحمد شطة . فلما توفى السلطان أخفيا خبره وأرسلوا إلى أحمد الدردير يقولان : إن السلطان حسينا يطلب حضورك لتكتب له حجايا . فلما حضر قبضا عليه وقيداه بشعبه وخجأه في غرفة منفردة ، ثم أرسلوا يطلبان الأمير

ابراهيم ابن السلطان حسين . فأجلساه على كرسى السلطنة وطلبا الوزير أحمد شطه ، فحضر وسلم على السلطان ابراهيم وهو يظن أنه السلطان حسين . فأخبراه اذ ذاك بموت السلطان حسين ووصيته لهما ، فيما وسعه الا التسليم وقال : ما استخدمنا السلطان حسين الا لننصره وتنصر من يحب . وحيث ان السلطان ابراهيم هو ابن السلطان حسين وقد تولى بارادة أبيه فسمعا وطاعة لأمره . فقال السلطان ابراهيم : أما وقد أظهرت الطاعة ، فقد ثبتك على مركزك في دارا ، تقىم فيه كما كنت في حياة أبي كل العمر . قدعا له وحلف له يمين الطاعة ، ثم أرسلوا الى الوزراء واحدا واحدا فلحوها له يمين الطاعة ، ودفنتوا السلطان حسينا في اليوم الثالث من وفاته .

واما الدرديرى فان السلطان ابراهيم أرسله الى كوبى وحبسه حبس عين منزل الحاج محمد صالح ثروة الجعلى المار ذكره ، فبقى الى أن أطلقه الزبير باشا بعد فتح الفاسير .

وقد اشتهر السلطان ابراهيم بالكرم كأبيه . حدثنى على بك الخبر السالف الذكر قال : كنت أعرف السلطان ابراهيم شخصيا قبل توليه الملك ، فلما تولى كنت في مصر فأخذت له هدية ودخلت للسلام عليه ، فوجدت عند بابه قطينا من الابل فيه خمسون بعيرا . فقلت في نفسي : إن كان هذا السلطان كأبيه في الكرم تكون هذه الابل لى اليوم . وكان كذلك ، فانى لم أنصرف من مجلسه حتى أمر لى بها . فخرجت شاكرا حامدا .

وبقى السلطان ابراهيم نافذ الأمر والنهى في دارفور الى أن قتله الزبير باشا في بلدة منواشى في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ — ٢٤ أكتوبر ١٨٧٥ م في واقعة (١٣٥) دموية شهيرة . وكان في قتله زوال سلطنة الفور ودخولها في حوزة مصر على ما سيجيء .

وبعد استيلاء الحكومة المصرية على دارفور ألقت القبض على عدة أمراء من ذرية سلاطين الفور ، وأرسلتهم مع بعض الأعيان الى مصر ،

فأسكتهم في الحى المعروف بسوق السلاح تحت القلعة وأجرت لهم «المربات» فعاشوا براحة وسلام الى هذا اليوم . وبينهم الأمير عبد الحميد ابن السلطان ابراهيم و ١٩ آخر من أبناء السلاطين .

وكان في جملة الأعيان المرحوم الشيخ الطيب امام جامع السلطان ابراهيم فتوفاه الله في مصر القاهرة في ٢١ أغسطس سنة ١٩٠٢ على نحو ستين سنة من العمر . وكان رحمه الله رحمة واسعة عالما صالحا ذكيا طيب الخلق تقى القلب ، وقد حفظ في ذاكرته تاريخ دارفور برمه فأخذت عنه معظم ما روته هنا عن تاريخ السلاطين ، وهو أقرب الى الرواية منه الى التاريخ ولكن أفضل ما روی عن سلطنة الفور الى اليوم ، ما عدا الذي رواه سلاطين باشا في كتابه « النار والسيف في السودان » ونقله « المقتطف » الأغر الى العربية « فإنه يجعل السلطان كور أول سلاطين الفور ثم يذكر بعده السلطان أحمد المعكور الذى لم يملك في روايتنا ، ثم السلطان دالى الذى هو في روايتنا أحد كبار الخصيان . ثم السلطان صوالون . ومن هذا السلطان فنازا الى السلطان ابراهيم تتحقق سلسلتنا مع سلسلته ، ولكنها تختلف اختلافا طفيفا في تفصيل أخبار بعض السلاطين . هذا وقد ظلت بلاد دارفور في يد الحكومة المصرية الى أن كانت الثورة المهدية فدخلت في حوزة المهدية .. ولكن قام في أثناء ذلك من ذرية السلاطين الذين بقوا في البلاد من ناصب الحكومة العداء ، ثم المهدية وحاولوا استرجاع السلطنة فخذلوا . والذى قام منهم في عهد الفتح الأول :

- (الأمير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل) . (الأمير بوش أخيه) .
  - (الأمير هارون ابن الأمير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل) .
  - (الأمير دود بنقا ابن الأمير يكر ابن السلطان محمد الفضل) .
- وأما الذين قاموا في عهد المهدية فهم :

(الأمير يوسف بن السلطان ابراهيم ) (الأمير أبو الخيرات أخوه )  
(الأمير على دينار بن الأمير زكريا بن السلطان محمد النضل ) .  
وهو القائم الآن بأمر دارفور على جزية يدفعها للحكومة السودانية ، وقد  
جاءها بعد واقعة أم درمان . وسيأتي ذكر هؤلاء الأمراء وما كان من أخيارهم  
بالتفصيل في تاريخ السودان الحديث .



## ﴿حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها<sup>(١)</sup>﴾

( رجال السلطنة ) أما حكومة سلطنة الفور ، فكانت من النوع الملكي المطلق . وكان السلطان سليمان الأول لما أخضع ملوك البلاد على ما مر قد خلعم من مناصبهم ، وولى على البلاد نوابا من أهلهما ، وجعل مع كل نائب عدة شرطى أو مدراء ، ومع كل شرتى عدة دماليج أو مأمورين ، ومع كل دملاج عدة مشايخ بلد .

وبقى هذا النظام معمولا به الى أيام السلطان موسى ، فرأى عدم الاخلاص من النواب الوطبيين ، فعين عليهم أربعة مقاديم من رجال حاشيته الأخلصاء في كل جهة من الجهات الأربع مقدوما ، وجرد النواب من السلطة الا أنه أبقاهم في مراكزهم يحكمون بالاسم فقط . واستمر هذا النظام الى انتهاء السلطنة .

وكان تعيين المقدوم بفرمان خاص يقرأ على النواب والشرطى والدمالنج ومشايخ البلاد والعربان وأصحاب الحواكير وغيرهم . ولباس المقدوم كلباس السلطان ، وأكرامه في ناحيته كاكرام السلطان ، وحكمه نافذ في كل القضايا حتى في القتل ، الا في بعض الأحوال الخاصة فإنه يرجع في حكمه الى السلطان .

أما رجال حاشية السلطان الذين يديهم سياسة البلاد المركزية فأهمهم : « الوزير » وعليه ادارة شئون البلاد سياسيا واداريا وحربيا .

---

(١) في الأصل : الفصل الثاني ، في حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها .

« وأبو شيخ » وهو كبير الخصيان ومقامه أكبر مقام في السلطنة ، اذ هو المرجع الأعلى لقانون دالى ، الذي هو القانون العرف للبلاد ، وسيأتي ذكره . وله الفصل في الخلاف الذي يقع في حرم السلطان وهو مقدم الشرق رسمًا والمحافظ على نحاس السلطنة .

(١٣٧) ومن رجال الادارة المركزية : ملك النحاس ، وملك دادات السلطان ، وملك خوال السلطان ، وملك الفاشر أو محافظها ، وملك الجباء « وملك الحدادين .

وكان لكل سلطان من سلاطين الفور وكيل رسمي من ذرية السلطان شاو دورشيت يسمى « الكامنة ». وفي دار السلطنة من يبدهم الحل والعقد الميارم أخوات السلطان ، والجبوبات جدات السلطان .

وفيها رهائن النواب المسلمين ورهائن ملوك المجروس السبعة المار ذكرهم .

وكان كل من هؤلاء الملوك يرسل ولی عهده ليكون رهينة عند السلطان فيجعله السلطان في خدمته ، ويعوده على طاعته ، ويعلمه القراءة والكتابة ، حتى اذا مات الملك أعطى السلطان ولی عهده كسوة فاخرة ، وعکازاً منضداً ، وطاقة مقصبة بقرنين ، ونعلين ، وقارنة نحاس ، وولاه بفرمان خاص على بلاده في مكان سلفه . وكان على كل ملك من هؤلاء الملوك جزية سنوية معلومة من الرقيق والسمن والعسل .

(الحواكير والعربان) وقد عمل « ١٧ السلطان موسى » بالنظام المشهور في الشرق فيما يتعلق بملكية الأرضي فيجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان ، وقسم بلاد الحضر الى حواكير أو اقطاعات ، وزوّعها على أهله وأخصائه وكبار قومه بحجج مختومة بختمه ، فعاشوا بريعوا هم وأهلهما المزارعون . وكذلك قسم قبائل الباادية فخصص كل قبيلة بأمير من أبناء

السلطين ، أو بعين من الأعيان تجبي له زكاتها . وجمع السلطان نصيبه من الزكاة والفطرة والعشور ، حسبما يفرضه الشرع الإسلامي . وكان المقاديم يجمعون الزكاة من البادية ، وملوك الجبة يجمعون الفطرة والعشور من الحضر . وربما تنزل السلطان عن نصيبه في المحاورة أو القبيلة فأعطى صاحبها « حجة بالجاه » ، فلا يقرره أحد من الجبة أو المقاديم . وقد جرى على هذا النظام جميع السلاطين الذين أتوا بعد السلطان موسى إلى انتقامه . السلطنة .

( قانون دالي ) وكان القضاء في دارفور شرعاً وهو المشروع بالكتاب والسنة ، أو عرفياً وهو المشروع بالعرف . وقد جمعت الأحكام العرفية كلها ، في كتاب واحد عرف « بقانون دالي » وهو بمثابة قانون الجزاء عندنا . وكان القائم بتنفيذ المقاديم ومن هم دونهم من الحكم بالاتحاد مع أصحاب الحواكي والقبائل .

و « القاضي الأعظم » ( ١٣٨ ) الذي يرجع إليه في هذا القانون هو كبير الخصيان الملقب بأبي شيخ كما مر . أما لفظ « دالي » فهو في لغة الفور بمعنى بلسان . ويراد بقانون دالي لسان السلطان أو أوامره . على أن بعض الرواية يجعل دالي سلطاناً من سلاطين الفور المتقدمين كما سيجيء .

ومن أحكام هذا القانون : أن الملك يكون وراثياً للابن الأكبر إلا إذا كان الأكبر غير لائق للأحكام ، فيولون غيره من فيه اللياقة من العائلة المالكة . وقصاص السارق غرامة ست بقرات أو ما هو بشمنها . فإذا لم يقدمها حبس إلى أن يفتديه أهله . وقصاص القاتل القتل ، إذا كان القتل عمداً ، والا فدفع الديمة بقرة إذا كان من البقارة ، أو مئة بعير إذا كان من الأبالة . وأما الزانى ، فان زنى بمحضنته فغرامته ٦ بقرات أو بآيم فبقرة واحدة ، أو بيكر فكل منهما يغنم بقرة . وقصاص الضارب ، فان كان في الضرب جرح فغرامة ثوب من الدمور ، وإن لم يكن جرح فنصف ثوب .

وهكذا جزاء الشاتم . وقصاص شارب الخمر الجلد ثمانين جلدة ، وكسر أواني الخمرة في بيته . ومع ذلك فهم لا ينقطعون عن تعاطي الخمرة لأنهم مولعون بشربها .

حکی أَن رجلاً مِنْ أَهْلِ دَارفُورْ طَابَ لِهِ شَرْبُ «الْمَرِيسَةَ» حَتَّى لَمْ يَمْكُنْهُ الْإِنْقِطَاعُ عَنْهَا مَعْ تَكْرَارِ وَقْوَعِ الْحَدِّ عَلَيْهِ . فَحَفَرَ لَهُ غَارًا تَحْتَ الْأَرْضَ ، وَسَقَفَهُ سَقْفًا مَتِينًا ، وَجَعَلَ لَهُ بَابًا ضِيقًا وَصَارَ كُلُّمَا أَحَبَ شَرْبَ الْمَرِيسَةَ ، يَنْزَلُ إِلَى الْغَارِ فَيَشْرُبُ حَتَّى يَسْكُرَ ، ثُمَّ يَصْعُدُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَيَقِيَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى سَمِعَ حَاكِمُ الْبَلْدَةِ بِهِ ، فَبَاغَتْهُ فِي الْغَارِ وَهُوَ يَشْرُبُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا حَكْمَ لَكُمْ عَلَىٰ هَذَا ، فَإِنَّ الْحَكْمَ لَكُمْ عَلَىٰ ظَاهِرِ الْأَرْضِ . أَمَّا الْحَكْمُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ فَلَلَّهُ .

وَإِذَا حَصَلَ حَرِيقٌ فِي الصَّحَرَاءِ فِي الْعَشْبِ الَّذِي تَرَعَاهُ الْمَوَاشِي ، غَرَّمَتْ أَقْرَبُ بَلْدَةٍ إِلَى الْحَرِيقَةِ عَلَى حَسَابِ بَقْرَةٍ لِكُلِّ طُولِ درَّقَةٍ ، وَذَلِكَ سَوَاءٌ كَانَتِ الْحَرِيقَةُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبَلْدَةِ أَمْ مِنْ طَارِئِ مَفَاجِئِهِ . وَالْمَرَادُ بِتَعْمِيمِ هَذِهِ الْغَرَامَةِ مَنْعُ النَّاسِ عَنِ احْرَاقِ الزَّرْعِ وَتَحْرِيظِهِمْ حَتَّى إِذَا مَا شَبَّتِ خَرِيقَةٌ فِي جُوَارِهِمْ أَسْرَعُوهُمْ إِلَى اطْفَائِهَا فِي الْحَالِ لِثَلَاثَةِ تَسْعَ فِي تَسْعَ الْجَزَاءِ عَلَيْهِمْ .

وَفِي دَارفُورِ خَرَافَةٌ قَدِيمَةٌ عِنْدَ بَعْضِ الْعَجَائِزِ مُؤَدِّاهَا أَنَّهُ لَا يَخْصُبُ لَهُنَّ زَرْعَ إِلَّا إِذَا قُتِلُنَّ شَخْصًا مَسْمُومًا بِسَمِّ حَيَا ، وَلَكِنْ قَانُونَ الدَّالِيِّ يَعَاقِبُ عَلَى هَذِهِ الْجَرِيمَةِ (١٣٩) بِأَعْظَمِ عَقَابٍ ، وَذَلِكَ بِتَصْدِيرِ مَالِ الْفَاقِلَةِ إِلَى خَزِينَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَاحْرَاقِ بَيْتِهَا ثُمَّ لَهَا بِحَصِيرٍ مِنْ شُوكٍ ، وَضَرَبَهَا بِالْعَصَى إِلَى أَنْ تَمُوتَ .

أَمَّا مَحْصُولُ «الْدَالِيِّ» فَنَصَفُهُ لِلْسُّلْطَانِ وَالنَّصْفُ الْبَاقِي لِلْأَصْحَابِ الْحَوَّاكيْرِ وَالْمَقَادِيمِ وَالشَّرَاتِيَّ عَلَى نَسْبَةِ مَعْلُومَةٍ .

( دخل السلطان وخرجه ) أما دخل السلطان الذى كان ينفق منه على بيته وأخصائه وجنوده ، فالعشور والفطرة من الحضر ، والزكاة من البايدية . وعشور البضائع من التجار ، ونصيبه من قانون دالى ، والضرائب على التجار والحدادين « والنفوس » . ومن الهدايا التى كانت تأتىه من الحكماء وأصحاب الحواكير والتجار ، اذ لم يكن يدخل للسلام عليه أحد من رعيته من موظفين وأعيان وتجار الا بهدية نفيسة تعرف « بالسلام » من الرقيق والأبل والخيل والبقر والغنم والتراكى والطريق والطاقات والذهب والفضة والعسل والسمن والسن والريش .

أما دخل المقاديم والشراتى والدمالج فمن نصيبيهم من محصول دالى والهدايا ومرتبات أصحاب الحواكير ، ومن حواكيرهم الخاصة .

وكان سلاطين الفور يكرمون رجالهم الذين يصدقونهم الخدمة حتى كانوا يزوجونهم بناتهم ويمهرونهم الحواكير والعربان . وهذه هي صورة حجة حاكورة مهرها السلطان حسين لصهره أحمد بن عيسى من أعيان دارفور عند تزويجه بابنته المير فاطمة أم دريس . ويليها حجة « عربان » مهرهم أيضا لصهره ، ثم حولهما صهره لزوجته وابنته .

« من حضرة أمير المؤمنين » وخلاصة الأكرمين ، خادم الشريعة والدين ، الواثق برب العالمين ، سيدنا ومولانا السلطان محمد حسين المهدى ابن السلطان محمد الفضل على ضريحه سحائب الخير والرضوان آمين .

« الى حضرة كل من يقف على هذه الوثيقة ، وينظر ما فيها من الحقيقة ، من الأمراء والوزراء والملوك وأبناء السلاطين والميارم والجبوبات والقضاة والجباين والشراتى والمكاسين والدمالج وغيرهم من سائر أهل هذه الدولة من ذوى الشوكة .

أما بعد : فالذى نصيره بشرف علمكم من قبل حاكورة « نعمة » التي

كانت سابقاً (١٤٠) بيد الملك كرتكيله متاعاً ، ثم بيد الملك عبد الله كرقاش متاعاً ، ثم بيد المقدوم عبد الله العزيز متاعاً ، ثم بيد جدتنا الحبوبة والدة سيدنا المرحوم متاعاً أني الآن تفضلت وأعطيت وأوهبت وصدقتها لصهرنا الحاج أحمد بن عيسى برقيقها هبة مختارة ، وملكتها إياها ملكاً تماماً . ثم وجهت لحيازتها ابراهيم المقام من طرف الأمين صالح وأمرت المقدوم عبد العزيز أن يبعث له من طرفه أحداً يذهب معه . فبعث له الملك هرون ابن الفقيه عبد الله فذهباً لتلك الحاكورة وطافاً بها من كل الجهات وحدداها .. فهذه الأرض التي شملتها هذه الحدود أقطعتها لصهرنا الحاج أحمد بن الحاج عيسى اقطاعاً ناجزاً ، وحوّزتها حوزاً كاملاً ، وملكتها ملكاً تماماً هي والرقيق التي فيها ، وعدته خمسون ، يتصرف فيها وفي رقيقها تصرف المالك في ملكه بالزرع والتزريع والبيع والهدم والبناء والصدقة والشراء . فهي له ولذريتها من بعده فلا يغيره ولا يبدلها سلطان بعدي . ثم أني تركت لها الفطرة والزكاة أعني بها الأحكام الشرعية ، وكذلك عفونا عن سبلها العادلة من دم كبير أو صغير وفسق وهامل ونار وقوار ودرقه ، ولا يتعدى عليهم ملك ولا جبائ ولا مقدم ولا خدام من أحد الخدامين . وقد تركنا ذلك اعانته لها في دينها ودنياها والله على ما نقول وكيله وحسبنا الله ونعم ، حرر ذلك سنة ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م .

« من أمير المؤمنين سيدنا ومولانا وأعلانا السلطان محمد الحسين المهدى المنصور بالله تعالى آمين . إلى كل من يقف على هذه الوثيقة ، وينظر ما فيها من الحقيقة ، أما بعد : فإن ابنتنا الميرم فاطمة أم دريس عرضت لنا مكتوب زوجها الأمين الحاج أحمد عيسى نظرته بأنه أوهب لها حاكورته « نعمة » التي سبقت فأعطيته إياها فالآن هو أوهبها لزوجته وأنا أتممت لها هبة زوجها فصارت ملكاً وحوزاً لها تتصرف فيها في ذاتها وغالها الشرعية والعادلة لها ولذريتها من بعدها . هذا جوابي ومهرى لمن يعرفه . تحريراً في ٧ شعبان سنة ١٢٦٩ هـ - ١٥ مايو ١٨٥٣ م » ١ هـ .

## وهذه حجة العريان :

« من حضرة سلطان المسلمين ، وخليفة سيد المرسلين ، سيدنا ومولانا  
السلطان محمد الحسين المهدى المنصور بالله تعالى آمين ، الى كل من يقف  
على هذا الرسم من ولاة الأمور والأمراء والوزراء والملوك والشراطى  
والدمالج وأبناء السلاطين والميارم والجباين (١) وسلوک العربان  
والشيخوخ والكراسى والخدمات ومقاديمهم وكافة أهل الدولة من الخدام .  
أما بعد : فاني سابقاً تفضلت وأعطيت صهرنا الحاج أحمد عيسى عرباً من  
الماهرية من جماعة الشيخ دلم ، وأسماؤهم : عبد النعيم ونعمان والدانى  
وأحمد وحسين وحامد وزرار وظاهر وعجمز وأحمد . هؤلاء الرجال  
المذكورون كسرت عظمهم وأتعتمهم لصهرنا الحاج أحمد عيسى وغفوت له  
بجميع منافعهم وصاروا تبعاً له ولذرته . والآن صهرنا المذكور أعطاهم  
لابنته الميرم زهره ؟ في زيانة رأسها وأعلمى به ، فأنا أتمتها وقابلتها بجميع  
منافعهم الشرعية والعادلة من الزكاة والفطرة والدم والفسق والهامل وغير  
ذلك ليس عليهم شوبة ولا نوبة ولا خدمة جميع أمرهم مقابل اتنايتها ( أي  
ابنة بنتنا ) الميرم زهره ، لا يتعرض لها فيهم مفترض ، ولا ينazuها منازع «  
بل صاروا عرباً لها ، ورعااتها لها ولذرتها من بعدها . هذا جوابي ومشراطى  
ومجرى لمن يعرفه . تحريراً في عام ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م » .

(أختام السلاطين) وكان سلاطين الفور يختتمون كتبهم من أعلىها بختم  
كبير على شكل دائرة قطرها نحو أربعة قراريط ، وهي منقوشة سطوراً  
مستوية بين كل سطر وسطر خط دقيق أو خطين (٢) ، يضع فيها اسمه وأسماء  
البعض من أجداده على قدر ما يسع الختم . إلا أنه لابد من إنهاء النسب  
بالسلطان سليمان جدهم الأعلى ومؤسس سلطنتهم . وقد يكون حول  
السطور سطراً (٢) في دائرة مكتوب فيه آية من القرآن .

(١) كذا .

(٢) كذا .

( صرة الحرمين ) وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الأرض كلها لا تدفع جزية لأحد ، ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدمهما ، بمحمل وصرة كل سنة . فكان موكب المحمل يأتى الى مصر ومعه الرئيس والسن والصمع وغيرها من خيرات البلاد فيبيعها ويتم بثمنها تقويد الصرة ، ثم يستطرد الحج الى الحرمين مع الركب المصرى .

( منزل السلطان ابراهيم ) وكان منزل السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور قائما على شاطئ خور تندلتى الشمالي ، وهو منزل متسع له سور من الطوب الأحمر ، محيطة نحو ثلاثة أميال ، وعلوه نحو عشرين قدما . وحول السور على عشرة أمتار منه زربية من شوك ، وللسور بابان كبيران : باب للشمال وهو باب الرجال <sup>(١)</sup> ، وباب للجنوب وهو باب الحريم <sup>(٢)</sup> . ومنزل السلطان في الوسط . ومن كل باب منها الى منزل السلطان (١٤٢) سبعة أبواب تفتح شرقاً وغرباً ، أى أنها على زاوية قائمة من البابين الكبيرين . وهى عبارة عن شباك من العيدان تصل ما بين أطراف جدران متوازية مبنية داخل السور . وعند كل باب منازل للضباط بهيئة القطاوى أو الرواكيب . أما منازل السلطان فكلها مبنية بالطوب الأحمر غرفاً مستوية السطوح ؛ وغرفة معدة لجلوسه مع الخاصة تسمى « التيرمه » . وله غرفة معدة لاستقبال العامة عند الباب الرابع من أبواب الرجال تسمى « كالا » . وكان سلاطين الفور يقتضون من النساء عشرات ، أربع منها شرعيات والباقيات محظيات .

( لباس السلطان ) وكان لباس السلطان قميصاً مقصباً فوقه برنس مقصب يجلله شال من الكشمير ، وعلى رأسه تاج مزركسن بالذهب تحف

(١) هو المعروف باسم : « وريدايا » . انظر ص ٢٠٤ :

(٢) هو المعروف باسم « وريبيايا » . انظر ص ٢٠٤ :

به سبع ريشات رهيفة من الذهب والفضة على شكل الأمواس ، وفي رجليه حذاء من السختيان الاسلامبولي الأصفر أو الأحمر ، وعلى جنبه الأيسر سيف محدب محلى بالذهب .

(جلوس السلطان) وكان جلوسه في «التيار» على عنكبوت أو سجادة في الأرض، وعن يمينه مخدة من قطن. وفي الراكوبة «كالا» على دكة عالية من الطين مفروشة بالسجاد. وإذا جلس على «الكّكر» أو كرسي السلطنة لمبادلة الناس له، حمل في يده اليمنى صولجاناً وهو عصا طويلة ملبسة بالفضة المحلاة بالذهب، وفي يده اليسرى سيف مستقيم، وعلى جنبه الأيسر سيف محدب، فيباعه أهل الجل والعقد ليلاً. وفي الصباح يباعه العامة، وهذه هي صورة المبادلة: «باعتك على السمع والطاعة. الأمر أمرك والنهاية نهياك على السنة والكتاب».

( مقابلة السلطان ) وكان القاصدون باب السلطان يأتون بباب الراکوبة « كالا » ويستأذنون في الدخول عليه ، فاما أن يدعوهم الى التيرمه أو يخرج فيقابلهم في الراکوبة « كالا » . وكان الداخل عليه يخلع نعليه وطاقطيه وسلاحة خارج الباب ، وينقدم حتى يكون على عشرين مترا منه ، فيلقى بنفسه على الأرض ويجبو على الركب والأيدي كالسلحفاة الى أن يكون على بعد أربعة أمتار منه ، فيقف جاثيا على ركبتيه منكس الرأس ويدعو للسلطان ، وهو يمهد الأرض بكفيه يمينا وشمالا ويقول « أطال الله (١٤٣) بقائك ، وسترك الله ونصرك على أعدائك ، ولا أراك سوءا ولا مكرورها أبد الدهر » ثم يشرع في الكلام الذى جاء لأجله . وكل من دخل على السلطان ولو أنه أخوه لزمه مثل ذلك الا العلماء وملوك الفراتيت ، فان لكل فريق منهم آداب (١) خاصة .

أما العلماء فإن الداخل منهم على السلطان يعني رأسه إلى أن يكون على أربعة أمتار منه ، فيجلس على الأرض جلسة المصلى ثم يرفع كفيه فيرفع

(۱) كذا:

السلطان كفيه أيضاً ، ويقرأ آن الفاتحة معاً ، ثم يأخذ العالم في الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه والسلطان يؤمن على دعائه إلى أن يتم الدعاء . وأما ملوك الفراتيت فالداخل منهم على السلطان يلقى بنفسه إلى الأرض وهو على ٢٠ متراً ، ثم يدنو منه متذرجاً كأنه جذع شجرة حتى يصير على أربعة أمتار منه ، فيستوى جالساً ، ويدعو للسلطان وهو يصفق بكفيه ، ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله .

(ركوب السلطان إلى الجامع) : وكان في الفاشر جامع فخم على نحو فرسخ من منزل السلطان ، والسلطان يخرج إليه بموكب حافل كل يوم جمعة لأداء صلاة الظهر . فكان الفرسان يجتمعون عند باب الزرية صفوافاً عن جانبي الطريق ، وأمامهم المشاة حاملين النبایت يتظرون خروج السلطان من منزله . وقبل الظهر بساعتين يركب السلطان جواداً مزركشـ العدة عند باب التيرمه فترفع الامبابة صوتها اشعاراً للعساكر بأن السلطان قد ركب ، فيتهيأون لاستقباله . ثم يخرج إليهم وأمامه العساكر الحاملة الأسلحة النارية مشاة ، ومن ورائه الخصيان راكبين الخيول وبينه وبين الخصيان بعض الجياد بسرور الرهط كاملة العدة ، يقودها السياسي خلفهم صفاً واحداً . وعن جانبي السلطان تفر من المشاة يتناوبون حمل مظلة واسعة تظلله وتظلل جواده ، وهي مصنوعة من نسيج متين مطرز بالقصب وبطينة بأطلس مختلف الألوان ، كل شقة بلون ، تتبدلى من أطراها شراريب قصب ، ولها يد طويلة من خشب متين ، مغشاة بنسيج ملون كل شبر بلون . وعند خروج السلطان من الزرية ، يحييه الفرسان بهز سيفهم فوق رؤوسهم ، فيריד تحيتهم بهز سبحة أو سوط أو منديل في يده . ويسير في موكيه هذا حتى يصل الجامع فيقف الموكب خارج سوره ويدخل السلطان إلى (١٤٤) غرفة معدة له عند باب السور ، فيخلع ثياب الملك ويلبس لباس الصلاة وهو جبة بيضاء وعلى رأسه عامة بيضاء فوق مكاوية من الحرير يعطيها ثوب

من الشاش الأبيض الرقيق على هيئة الخطيب . ثم يقف للصلوة في غرفة خاصة به ، لها نافذة تشرف على الامام . وبعد انتهاء الصلاة يرجع الى الغرفة التي عند باب السور ، فيخلع لباس الصلاة ، ويلبس لباس الملك ويعود بالموكب الى منزله .

(جيش السلطنة) : هذا ولم يكن عند سلاطين الفور جيش منظم حتى كف بصر السلطان حسين ، فنظم جيشاً من عبيده وسلحهم بالبنادق المعروفة بأبي روحين . وجعل عليهم عبداً يقال له « خير قريب » قومندانا ، وبقي هذا الجيش الى زمن السلطان ابراهيم ، فحارب به الزيير باشا على ما تقدم . وكان سلاطين الفور الذين تقدموه السلطان حسين ، اذا أرادوا جموع الرجال للحرب ، أصدروا أمرهم الى المقاديم ، فبعث هؤلاء بالأمر الى الشراتي ومشايخ الباشية ، فجمعوا عدداً ملائماً من الرجال على نسبة عدد بلادهم ، حتى اذا ما اجتمع العدد المطلوب : ساقهم المقاديم بأنفسهم الى ساحة الحرب .

(تجليد النحاس) : وكان سلاطين الفور يجلدون النحاس « المنصورة » الذي غنموه من العابد لاب مرة في كل سنة ، ويحتفلون بتجليده احتفالاً عظيماً . يجتمع اليه موظفو البلاد وأعيانها ، فيتاؤن بشور وخروفه أبلقين ، ينتقونهما من قطيع يربونه في جبل مرة لهذه الغالية . ويدريحونهما ويجلدون بجلديهما النحاس المذكور .

(اختبار أولاد السلاطين) : ثم يأخذون فخذنا من الثور وفخذنا من الخروف ، ويتركونهما حتى يتتنا ، ثم يطبخونهما بشطة وملح كثير ، ويضعونهما في قدر في غرفة منفردة ، ثم يؤتى بأولاد السلاطين فيدخلون واحداً واحداً الى قدر الطعام الذي يحيط به الحرس من العبيد السلطان ، وبيد كل منهم نبوت كبيرة ، وكلما دخل واحد أكل لقمة من الطعام . فإذا لم يسفل من شدة تنانة اللحم وكثرة بهاراته ، لم يتعرض له أحد بسوء ، بل

سؤاله أذ يغسل يديه وينصرف . وإذا سعل اتهم بأنه خائن متعمد الغدر ، وأرسل في الحال الى جبل مرة حيث يبقى في السجن الى أذ يعفى عنه أو يتولى سلطان آخر ، فيخرجه من سجنه (١٤٥) .

( كسر الصلع ) : ويأخذون ضلعا من أضلاع الثور ، ويحكونها حتى تصير رخفة جدا قابلة للكسر ، فيأتي السلطان الى بيت النحاس بموكب خاص ماشيا على قدميه ووراءه كبيرة أخواته ، ومن ورائها جمورو من الجواري اللباسات أبهى الحلى والحلل ، ومن خلفهن وعن جانبيهن الخصيان حاملين السياط ، والسلطان نفسه مكموم بقطعة شاش يمسك طرفيها من خلفه كبير أمنائه ، ويمشى الهويناء حتى يصل مكان النحاس ، فيأخذ الصلع التي أعدت له ، ويضرب بها النحاس . فإذا انكسرت عدوا انكسارها نصرا وسلاما ، وزغرد النساء ، وضرب النحاس ، والا أوجس الكل شرا ، وخافوا سوء المصير .

( العرضة وموكب السلطان ) : وبعد كسر الصلع يخرج مناد من قبل السلطان للاستعداد للعرضة . فيجتمع الكل مشاة وفرسانا حلقة كبيرة في ساحة السوق ، أمام منزل السلطان . ثم يخرج ملك النحاس بجنته محيطا بنحاسات الفور السابع محمولة على سبعة جمال ، وفي مقدمتها « المنصورة » التي غنمواها من العابدلاّب ، ثم « البيضاء » التي غنمواها من آدم سلطان ودای ، ثم نحاسات فور الخامس القديمة . فيخترق الحلقة بموكبه حتى ينصفها فيقف متوجهها نحو الشرق . ثم يأتي السلطان بموكبه الخاص وهو راكب جواده ويقف مقابل ملك النحاس متوجهها نحو الغرب وبينهما فسحة كافية لعرض الجيش . وموكب السلطان الخاص مؤلف من أولاده وزرائه وأخته الكبرى والعلماء والقضاة فتقف أخته وراءه ، راكبة جوادا ، ومن ورائها الجواري حاملات أباريق النحاس بلا ماء ، وبينها وبين السلطان حملة الحرب المكسوة بالجوح الملون . ويقف أولاد

السلطان عن يمينه ووزراؤه عن شماله ، ويقف أمام صفي الوزراء والأمراء صفان من العلماء والقضاة ، وترفع فوق رأس السلطان مظلة واسعة جدا تظلله «جواده» ، ومن وراءه رجال حاملان مروحتين كبارتين يزين حواشيهما ريش النعام لحجب الشمس عن ظهره . وعن كل من جانبيه مروحة يحملها رجل يروح بها عليه . ثم يبدأ الاستعراض فيخرج الناس من الحلقة فرقا ، كل فرقة يتقدمها رئيسها راكبا على جواده ، فيحيي السلطان بهز سيفه فوق رأسه ، فيرد السلطان التحية بهز سوطه . ثم يرجع هذا الرئيس برجاته إلى مكانه من الحلقة فيعرض الرئيس الذي يليه وهكذا إلى تمام الحلقة . ثم يتقدم السلطان وحده (١٤٦) إلى النحاس ويدور حول الجمال التي تحمله ، فيهز السيف فوق كل نحاس ، ثم يدور من داخل الحلقة لرؤيه الجند ، ويعود إلى موكيه فستقبله أخته وجواريها بالزراقيت . ثم يأمر فينصرف النحاس . ثم يتبعهم بموكيه إلى أن يدخل منزله » فيفترق الجنود إلى منازلهم . وبعد أيام ينادي إلى مثل هذه العرضة » وهكذا إلى سبع عروض ، ثم ينصرف كل إلى بلاده .

وأما في زمن الحرب فيسيطر الجيش على الترتيب الذي مر ذكره في الكلام عن السلطان تيراب .

وكانت عادة سلاطين الفتوح أن يضربوا النحاس في يومي الاثنين والخميس في الصباح والمساء .

(العلم) : وكان في دارفور مساجد جمة ، في كل بلدة مسجد أو أكثر ، يعلم بها الكتابة والقرآن . وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلى به الصلوات الخمس ، وف لصقه خلوات للمجاوريين يعلم بها العلوم الشرعية . وله «حاكورة» هبة من السلطان يعيش هو وتلامذته من ريعها . وكان بعضهم يجيء إلى مصر لتلقى العلوم في الأزهر ولهم فيه رواق معروف برواق دارفور إلى اليوم .

(الجوامع) : أما الجوامع فكأن لهم في كل بلدة شهيرة جامع  
لا الفاشر وفيها جامعان : جامع بناء السلطان عبد الرحمن عند بنائه الفاشر  
فحسنة السلاطين الذين خلفوه ، وهو في القسم الشمالي من البلدة مسيرة  
ساعة من بيت السلطان . وجامع بنته أخت السلطان حسين في القسم الجنوبي  
من الفاشر . وكوبى فيها أيضاً جامعان : جامع القاضى أحمد ود طاه من  
أهل كوبى ، وجامع الفقيه سعد العالم من أهل الغير على .

(الزراعة والصناعة) : وأهم زراعة دارفور الدخن ، يزرع على المطر .  
وفيها من أرباب الصنائع الحدادون والنجارون والحاكة والدباغون لقضاء  
 حاجاتها كما في بلاد سنار .

(التجارة) : وكان لها تجارة مهمة مع كردوفان وبحر الغزال ووداي  
ومصر وكان يرد منها إلى مصر من ١٥٠ ألف جمل تحمل الرقيق والسن  
والريش والصمعن والتمر الهندى والنحاس والنطرون وجة العين والجلود  
والأقداح الخشبية والأطباق والعسل ، فتعود إلى دارفور ومعها من الأنسجة  
القطنية والحريرية الدبلان والشيت والخام والجوخ والأطلس والملايات  
الحجازية والبنادق والسيوف والسروج وأنواع (١٤٧) الحلى الذهبية  
والفضة والمرجان والسوبيت وغيره من أنواع الخرز المطلوب عندهم .  
وكانت العملة الرائجة قطع (١) مختلفة من الدمور ، ثم راج بعد الفتح  
المصري للسودان المقاطع المصرية من الخام المصبوغ المار ذكرها . وراح في  
كردوفان أيضاً قطع دقيقة من الحديد على أشباه المسامير الكبيرة تسمى  
الحشاشات .

(الأمير على دينار) : هذا ما تيسر لي استقصاؤه عن حال سلطنة الفور  
القديمة قبل دخولها في حوزة مصر ، تلقيت أكثره عن الشيخ الطيب  
محمد بن المار ذكره . ويقال أنها الآن تسير على مثال هذا النمط في عهد  
أميرها الحالى الأمير على دينار ابن الأمير زكريا ابن السلطان محمد الفضل

(١) كذا .

الذى يحكمها على جزية سنوية يدفعها لحكومة السودان كما أشرنا آنها .

( منشور السلطان ابراهيم عند توليه الملك ) : وقد عثرت على كتاب أرسله السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور الى الجهات ، يذيع فيه نعى أبيه السلطان حسين ، وتوليه الملك بعده وهو :

#### ( نقش خاتمه في أعلى الكتاب )

ملك أمير المؤمنين السلطان ابراهيم . ابن السلطان حسين . ابن السلطان محمد الفضل . ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد . ابن السلطان أحمد بنكر . ابن السلطان موسى . ابن السلطان سليمان ، صاحب البر والاحسان . يوم الأحد اثنين وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٠ هـ .

#### ( صورة الكتاب )

من حضرة من أنوار به البلاد ، وأزال به الفساد ، سيدنا ومولانا السلطان ابراهيم ، المقتض بالله تعالى أمين ، إلى حضرة محمود والأمام أحمد طه وكافة الجلابة تجار كوبى وحواليها . أما بعد : فالذى تعرفكم به اجرنا الله واياكم فى مصيبة سيدكم والدنا المرحوم السلطان محمد الحسين . توفى إلى رحمة الله وأنا توليت الملك بضحي الأحد اثنين وعشرين من شهر صفر سنة ١٢٩٠ هـ . تعلموا به وربنا يلزمك واياكم الصبر الجميل .



مَجْدٌ  
عَزْنِي - فُورَاوِي

ملحق رقم (٣)

۲۰۵

عربی - فور اوی

هذا المعجم العربي الفوراوي الصغير مما جمعه المسيو چومار ( Jomard ) في مقدمته الطويلة للترجمة الفرنسية لكتاب « تشريح الأذهان » للتونسي ، نقلًا عما جمعه كونيج ( Koenig ) في رحلته إلى كردفان ، ثم ضممه ما أورده التونسي في كتابه ، ناسبا ذلك إليه بقوله : « عن الشيخ ». وكذلك ضممه الكلمات التي جمعها هو بنفسه في بحث له عن الالفاظ في أفريقيا الشمالية الشرقية .

أداة الاستفهام	« أ »	أبناؤه	أبناؤه
أداة النسبة أو الإضافة	دَنْتِيْخ	ابن السلطان البكر	ابن السلطان البكر
أذرة (أنواع منها)	بَطُّوْم	أبناؤه	أبناؤه
	نَوْو	إِبْنَة	إِبْنَة
اذْن	مَيْرَام	إِبْنَةُ السُّلْطَان	إِبْنَةُ السُّلْطَان
أَذْدَى	مَيْرَام (عن الشيف)		
أربعة	فَتَّا		
أَرْز	أَنْدُول		
أَرْز (صنف منه)	أَوْ	أبيض	أبيض
أَرْض	تُوكَائِي	أثناة	أثناة ، جاء
	دُومَبَارَا	أثناة	أثناة
أَرْنَب بَرْزَى	بَاسِي (عن الشيف)	أخوه السلطان ، قريبه الأدنى	أخوه السلطان ، قريبه الأدنى
أَرْزق	دُونْتِيْتَانِيْج	أخت	أخت
أَسْد	فَوْكَائِي	أخضر	أخضر
أَرْسَى			
دِكْو			
مُورُو			
وَاطَّا [عربية سودانية]			

« ب »		كَجَّـهـ	أسنان
كـيـ	بـ (باء الجــزــ)	دـكــاـ ، دـكــوـئـ	أسود
وـرـيـ	بـابـ	تـرـيـ	إصبع
دـتـفـيـهـ	بـارـدـ	كـرــوـئـ	أصفر
أـلـ	بـاكـرـ ، غــدـاـ	دـقــلـهـ	أطفال
تـورـاـ	بـالـخــارــجــ ، بـرــاـ	آـمــ	أـكــلـ
بـؤـوـ ، سـرـفـ	بـحــيــرــةــ	الـلــهــ	الـلــهــ
تـيرـابـ	بـذـورـ تـقاـوـيـ	رـجــيــاـمــهــ	أـمــ
تـورـاـ	بـرــاـ	بـاـيــاـ (عن الشــيــخــ)	امــرــأــةــ
كـوـيــوـ لــعــالــاـ	بـرــقــ	يـنــكــوــيــهــ	امــرــأــةــ ، زــوــجــةــ
دـئـوـ	بـطــنــ	كـرــتــيــحــيــهــ	أـمــعــاهــ
وـاـ	بـقــرــةــ	عــمــرــةــ ، وــالــجــمــعــ : عــمــارــ	إـنــاءــ يــقــدــمــ فــيــهــ الطــعــامــ
سـنـدوـ	بـلــحــ ، تــمــرــ	دـقــلــهــ	أـنــاســ ، نــاســ
بــرــوــ	بـلــدــ	رــجــيــ	أـنــتــ (في مــخــاطــبــةــ الأــهــلــ)
حــلــهــ ، حــلــفــهــ	بـلــدــةــ ، مــدــيــنــةــ	حــيــ (عن الشــيــخــ)	وــالــأــقــارــبــ (
دـنـحــيــاـيــهــ	بـيــتــ حــوــامــ الســلــطــانــ	بــيــ	أــثــمــ
أـرــوــ	بــثــرــ	دــرــمــيــهــ	أــنــفــ
جــيــســوــرــوــ	بــيــضــةــ	كــامــ	أــســســ
« ت »		يــاـ	إــتــاـهــ (ضمــيرــ نــصــ)
تــابــهــ	تــبــغــ	كــيــنــ ، كــيــنــ	إــتــاـهــ
تــابــاـ (عن الشــيــخــ)		نــجــيــاـ (عن الشــيــخــ)	

دُرْدُر	جدار الحائط	دُونِجَة	ثُمَيْة ، سلام
سَرْف ، سَرْف	جدول ماء	تَحْتَ رَوَان	تَعْتَرَتْ رَوَان ، هودج
جُزَام	جُذَام	حِيلَا	تَعَالَ (أمر للمخاطب)
نَارَه	جذور نبات تستعمل في السحر	تَيْرَاب	تَقَاوِي
جُرَاب	جِرَاب	نَمَوْ	تِسَاح
بَطَّه ، [والجمع : بُطَطَ]	جراب من الجلد لحفظ السنون	تَبِيَمَه	تَمِيمَة
كَبَرْتُور	جَلَاد ، سَيَاف	تَسِيَّل	تَيْتَل
دَرْمَه	جلد	« ث »	
نَجِيَا ، [إنجِيَا]	الجمع (علامة له)		
كَمَل	جَنْل	مَدِي ، انظر: حَلَّةَ الشَّدِي	
صَعِيد	الجنوب	نُوم	نُعبَان ، حَيَّة
دَمْزُوق	جَنِي ، حارس من الجن	دِرَوْيَه	قَيْل
« ح »		إِيسَن	ثَلَاثَة
		نُجَيْون	ثَور
فَلَقَنَاؤِي	حاجب مجلس السلطان	« ج »	
دَمْزُوق	حارس من الجن	أَنْدُول	جَاء ، أَتَى
شَرْتَائِي ،	حاكم إقليم (في درجة محافظ)	جَبَانِي	الجَابِي ، مُحَصَّلُ الضَّرَائب
عَقَيْد ،	حاكم جهة	وَفَيهِ	جَاف ، ناشف
دُمْلُج ،	حاكم القبيلة ، حاكم إقليم	إِنَانِيُو	جَامِوس
وَالجمع :	بدرجة مأمور	فُويَا	جَبَل
دِيدُو	حَجَر	أَرِي	جَبَهَة

كَانَ ، تُكْرِرُ	خُبْزٌ	مِيزٌ	حَدَّادٌ
تُقْرُرُ (عن الشِّيخ)	خَدَّ	دَافُرُو	حَدِيدٌ
فُولَانِجَةٌ	خَرَّتْ تَبَتْ	نَيْوُلْمَكِيرُو	حَدِيقَةٌ
دَلْبَهٌ	خَرَّزٌ رَفِيعٌ تَعْمَلُ مِنْهُ	تَكِيلَهٌ	حَرَّ
شُوشٌ	الْمِسْبَحَةٌ	كَوْرُوكَوَا	حَرَسٌ خَاصٌ
دَرَّتْ	الْخَرِيفٌ	حَشَاشَهٌ	حَشَاشَةٌ ، مِعْزَقَةٌ
خَزَامٌ	خَزَامٌ	دَائِنٌ	حَشِيشٌ أَخْضَرٌ
آرَهٌ	خَشْبٌ	أَرْكَمَهٌ	حَصَانٌ
طَواشِي	خَصِّيٌّ ، أَغا	يَامُورُتَهٌ (عن الشِّيخ)	حَلَّةَ النَّدَى
مُوجِيهٌ	خَلْبُوصٌ ، مَسْخَرَةٌ	كَنْسُو	حِمارٌ
خَلْخَالٌ	خَلْخَالٌ	لِيلٌ	حَمَلٌ
جَرَانِيجٌ	خَلْعٌ	جِيَابُو	حَلَّلٌ ، رَفَعَ
كَرِيٌّ	خَلْفَ ، وَرَاءٌ	جِيسُو ، كَنِيلَا	حُمَىٌ
	خَرُّ ، الْنَّظَرُ : مَشْرُوبٌ	وِرْدٌ ، أُو : وِرْدَةٌ	الْحَمَى الْقِرْمِزِيَّةٌ
أَوْنٌ	خَمْسَةٌ	بُرْجُوكٌ	جِبَطَانٌ
مَدْوٌ	خِيَانَةٌ	جَيٌّ	حَيَّةٌ ، ثُعبَانٌ
» د «		نُومٌ	حَنَّا عَلَى ، عَطَفَ عَلَى
فُرْنُدِيتٌ		رَنْدَلْنٌ	
سُوتِيَّةٌ	دَاءُ الْفَرَنْتِيَّتٍ	خ «	
دُوفِريٌّ	دَاءُ الرَّئَبَةٍ	مَدْوٌ	خَانَ ، خِيَانَةٌ
دَاءُ فَصَبَّةِ السَّاقِ			

مَنْدَر	رَفِيع ، دَقِيق	دُرَا	دار السلطان
كَوْيِي	رَقَبَة	طُزْلُك	دَائِرْقَاش يوضع حول الخيمة
كَاؤْلِيه	رَقَصَ		لَسْعَ الْرَّىيْحِ وَالْتَّرَاب
تَنَدَّيَه، دَلُوْكَه، رِجِيل	رَقَصٌ (أَنْوَاعُ مِنْهُ)	كَوَا	دَم
لَنْقِي ، شَكْنَدَرِي		دَمْلِج ، وَالْجُمْعُ: دَمَاج	دَمْلِج
بَنْدَلَه ، تُوزِي			
تَنَدِّنْحِيَا (عن الشيفخ)		« ذ »	
سُرُو	رَمْل	دَاوِي	ذَبَاب
رِيكَه	رِيَكَه (لهجة سودانية)، قُفَّة	أَصْوَ	ذَقْن
	(لهجة مصرية)	دَاف	ذَهْبَه
وَزْنَانِيَح	رَئِيسُ الشَّبَانَ فِي الْبَلَدَة	« ر »	
مِيرَم	رِئِيسَةُ النِّسَاءِ فِي الْبَلَدَة	تَهُو	رَأْس
		رِتَاج	رِتَاج ، عَارِضَةٌ مِنَ الْخَشْبِ
« ز »			يَفْلَقُ بِهَا الْبَاب
دَتِي	زَبْدَة	وَدَائِي	رَجُل
أَورْ	زَرَافَة	دَائِيَا (عن الشيفخ)	
دُور	زَهْرَة	حِيَّتِي	رَدِيء
يَنْكُويه	زَوْجَة ، امْرَأَة	كَوْتُو	رَغْد
يَا كُرَى	زَوْجَةُ السُّلْطَانِ الْأُولَى	غُزِيل	رَعْشَة ، صَرَع
« س »		دَارُو	رُفَات
تُكِيمَه	سَاخِن ، حَرَّ	جِيَسُو ، كَيْلَا	رَفَعَ ، تَحْمَل
		جَرَانِيَح	رَفَعَ ، خَلْع

شـ	فـ زـ نـ يـ	سـاقـ
كـوـاتـنـيـاـ	مـورـوـ	سـبـعـ ، أـسـدـ
أـورـ (عن الشـيـخـ)	أـوـصـانـدـيـكـ ، سـدـارـسـيـ	سـتـةـ
لـوـلـيـ	كـتوـ	سـحـابـةـ
نـيـقـ كـرـنـوـ جـيـاـ	فـوـيـهـ	سـقطـ ، وـقـ
جـوـخـانـ	دـوـنـجـيـهـ	سـلاـمـ ، تـحـيـةـ
هـجـيلـيـخـ	دـوـنـجـيـهـ رـايـ دـوـنـجـيـهـ	سـلاـمـ سـلاـمـ
ثـيلـيـخـ	(رـايـ : حـشـوـ لـامـعـنـيـ لـهـ)	
حـشـابـ	يـفـونـ	سـلـةـ
كـيـترـ ، طـائـحـ ، لـؤـوتـ ،		سـهـاءـ
شـاؤـ ، حـرـازـ		سـعـكـةـ
دـائـوقـ	نـشـابـ	سـهـمـ ، نـشـابـ
كـرـوـ	رـحـيـقـ	سـوـءـ
بـظـومـ	زـرـيـبةـ	سـورـ خـارـجـيـ مـنـ الشـوكـ
شـدـيدـ ، صـارـمـ ، صـلـبـ ،	صـرـيـفـ	سـورـ دـاخـلـيـ قـرـيـبـ مـنـ الـبـيـتـ
كـوـ (عن الشـيـخـ)	كـوـرـايـاتـ	سـوـاسـ اـنـخـيلـ
جـيـاـبـ	كـبـرـتـوـ	سـيـافـ ، جـلـادـ
شـرـيطـ منـ القـاشـ تـسـعـمـلـهـ	مـبـرـمـ (عن الشـيـخـ)	سـيـدةـ الـشـرـفـ فـيـ حـفلـ الزـوـاجـ
الـنـسـاءـ لـسـتـ الـعـورـةـ	وـحـيـبـ	سـيرـ جـلـدـ
نـلوـ	سـازـ	سـيـفـ
بـنـديـهـ	رـحـيـقـ	سـيـءـ ، رـدـيـ ، السـوـءـ
جـيـنـيـ		الـأـذـىـ

ط	طَار ، دُفَّ (آلة موسيقية) بِرَدِيدَه درَامِدة ، والمفرد: دَرْمُودِي دِنْقَار نَقَارَيَه شَلَانْجَه ، [ والجمع: شَلَانْجِين ] حَيَّه وَكِيه كَنْيَا كَنْيَا كُرَا أَزِينْجَا	طَافَة الصَّيَادِين طَبُول السَّلَاطِينِيَّه طَبِيب عَيُون طَرِي طَعَام (نوع منه) طَوِيل طَيَّب ، عَصَفُور	رِيح دُولَه « ص » أَرْوَكَرُو كَوْ صَبَاح كُورَنْجِيا غُزِيل أَتْحَه حَيَّه وَر كَوْ (عن الشَّيخ) نَلُو	شَمَس (جهة) صَاهَه صَارَم صَبَاح صَدَر صَرَعَه ، رِعْشَه صَيْغَر صَلَب ، شَدِيد ، صَارَم صُوف صَيَاه ، هَتَاف صَيَاد
ظ	كَرْنِيجَه نَمَا ضَهَر	ظُفَر ظَلَّ ظَهَر	كَرُورَاكُ ، رَكْرَكَه دَرْمُودِي	ضَفَان ضُبَاط قَضَائِيون ضَبَيع ضَخْم
ع	عَارِضَه من الخَشَب يُعْلَق رِتَاج بِهَا الباب عَارِضَه خَشِيشَه يُحَمَّل بَلْدَاهَا عَلَيْهَا السَّقْف	دَولِيه كَبِيرَتُو دَاهَ ، تَرَو بَرَوِي	« ض »	ضَان ضُبَاط قَضَائِيون ضَبَيع ضَخْم

دَأْوٌ	عَزْ	سَدَارِي	عَنْدَ أَسْوَد
دَكُورٌ	عَوْرَةُ الرِّجْلِ	جُوَارًا	عَبْرَ ، اجْتِازَ
سِيرِيَّتَهُ	عَوْرَةُ الْمَرْأَةِ	نَوْحِي	عِجْلٌ
كُونْجِي	عَيْنٌ	يَهْوَى	عِجْزٌ
« غ »		دُبَابًا	حَمِيرَة
الْمَلَكُ		جَلْدِنْجِيَا (عَنِ الشِّيخِ)	السَّاطَانِي
فَرَا	غَزَال	نَاسُو	عَسلَ نَحْلِي
شَبَعَان	غَنِيٌّ	وَيْيِه	عَشْرَةُ
كُونَهُ	غَنِيٌّ	سَفِرُوكٌ	عَصَمًا مِنَ الْخَلْبِ عَلَى شَكْلِ
« ف »		حِرف T	
تَوْدَكَوْرِي	الْفَجْرُ	أَرْتِينْجِيَا	عُصْفُورُ
دِبُوك	فَخِذْ	سُنْبُلُ ، تَحْلَبُ ، كَعْبٌ	عِطْرُ (أَنْوَاعُ مِنْهُ)
شَعْلَوْبُ	فَرُوعُ شَجَرٍ تُمْضَعُ أَوْرَاقُهَا	الْطَّيْبُ ، شَيْبَهُ	عَكْفَ عَلَى ، حَنَّا عَلَى
مَسْكِيَّتَهُ	لَزِيلُ رَائِحةِ النَّحْرِ	رَنْدَلٌ	عِقْدُ (أَنْوَاعُ مِنْهُ)
أَنْدُو	فَقِيرٌ	دَمُ الرَّعَافِ	
فَرَدَهُ ، مِنْزَرُهُ	فَمٌ	نَجِيَا ، إِنْجِيَا	عَلَامَةُ الْجَمْعِ
دُرَاعَهُ ، تُسْكِيَّهُ	فُوْطَةُ حَزَامٍ	تَارْنِيَهُ	عَمَلَةٌ عَلَى شَكْلِ حَلَقاتٍ
أَنْجِيرٌ	فَيْلٌ	إِنْ	مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْقَصْدِيرِ
			عِنْدَ ، لَدَى

ق		قماش يستعمل فوطا		قائم خشبي يستعمل في بناء المساكن	
قما	قم	قماش	قماش	دُرْزَوَيَه	دُرْزَوَيَه
دوال	قر	دوال	قر	دوال	دوال
جُسرِي	قيص	جُسرِي	قيص	جُسرِي	جُسرِي
حَبَّوَيات	قَهْرَمَانات	فَهْرَمَانات	قَهْرَمَانات	تَارِنِيَا	تَارِنِيَا
حَبَّوَه	السلطان العجائِز	السلطان العجائِز	السلطان العجائِز	تَارِنِيَا ، إِتَار	تَارِنِيَا ، إِتَار
قوز	قوز	قوز (كثيب من الرمل)	قوز	تَارِنِيَا (عن الشيخ)	تَارِنِيَا (عن الشيخ)
ك		قدِيد		قدِيد	
أَبِي	كبير	أَبِي	كبير	حِقِّي	حِقِّي
كَدَّاه	كَتِف	كَدَّاه	كَتِف	كُورُو	كُورُو
سُفُو	كَلْب	سُفُو	كَلْب	بَاكِي (عن الشيخ)	بَاكِي (عن الشيخ)
دُرْزِين	كُم	دُرْزِين	كُم (ضمير المخاطبين)	حَلْفَيْنِ	حَلْفَيْنِ
سُوكَنِيَه	كُوكِنِيَه	سُوكَنِيَه	كُوكِنِيَه (أ نوع منه)	دُرَّا	دُرَّا
كُزنِك		كُزنِك		بِسْ	بِسْ
لَسِئِي	كَوع	لَسِئِي	كَوع	لَاسِيَه ، نَسِيَه	لَاسِيَه ، نَسِيَه
أُورِنِيَا	كَوبِك	أُورِنِيَا	كَوبِك	رِيكِه	رِيكِه (لهجة مصرية)
هَيْضَه	كُولِيرَا ، هَيْضَه	هَيْضَه	كُولِيرَا ، هَيْضَه	كَلْمَه	رِيكِه (لهجة سودانية)
ل		قطَن		قطَن	
تَلَاه	لا ، كَلَّا	تَلَاه	لا ، كَلَّا	سَارِ	سَارِ
بُورَا	لبن ، حليب	بُورَا	لبن ، حليب	أُورِنِيَا	أُورِنِيَا
نَسْو	لحم	نَسْو	لحم	قُماش (أ نوع مختلفة منه)	قُماش (أ نوع مختلفة منه)

<b>جَقْبِيل</b>	مرض السيلان	<b>فُرُو</b>	لحية
<b>غُرَيْل</b>	مرض الصراع	<b>دَالِي</b>	لسان
<b>أَمْ صَقْعَ</b>	مرض الفم عند الأطفال	<b>دَالِي</b>	لغة
<b>كِيكِي</b>	يرفق	<b>تَسْكَنِيَاوِي<sup>(١)</sup></b>	لقب تشريف
<b>مَزْكُوب</b>	مرکوب	<b>نَتَّمِيَه</b>	ليل
<b>وَيَان</b>	مريض	<b>م</b>	
<b>كَنْيَو</b>	مساء	<b>كَوْرُو</b>	ماء
<b>سُومِينْدَقْلَه</b>	مساكن الأطفال الذين يُعدُّون لوظائف الدولة	<b>وَمِي</b>	مات
<b>كَمْكَوْلَاك</b> ، والجمع : <b>كَمَا كُمَلَه</b>	مستشار قضائي	<b>سَرَف</b> ، سَرَف	مجرى ماء ، جدول
<b>مُوْجِيه</b>	مسخرة ، خلبوص	<b>مَجْخَاس</b>	مجلس
<b>تُوْنِيَح</b> ، سُوم	منشken	<b>دَأْوَكَه</b>	مجموعة من الطبوول
<b>تُوْنِيَحْ بَاسِي دَقَّلَه</b>	مسكن أبناء السلطان	<b>أَجِرَأَا</b>	محارة
<b>مَسْكِينَه</b>	مسكين	<b>جَهَّاَيِ</b>	محصل الضرائب
<b>دِينَزَايَا</b>	مشروب (نوع منه)	<b>فَاشِر</b>	محل إقامة السلطان
<b>مِزْر</b> ، أَمْ بُلْبَل	مشروب أحمر (أنواع منه)	<b>لَقْدَأَه</b> ، رَأْكُوبَه	محل الديوان
<b>إِلَو</b>	مشى	<b>حَلَّه</b> ، حَلَّفَه	مدينة ، بلدة
<b>كُرْتِيَحِيه</b>	صارين	<b>جُرَام</b>	مرض الجذام
<b>كَوْيَه</b>	مطر	<b>حَصَبَاه</b>	مرض الحصبة
		<b>وِرْد</b> ، أو : وِرْدَه	مرض الحمى
		<b>بُرْجُوك</b>	مرض الحمى القرمزية

(١) معناه : الدراع الأيسر أو الجناح الأيسر للسلطان .

سَنْدُونْ كُرُو	نَخْلَة	مطر خفيف ، ينزل أول رشاش
نِشَاب	نَشَاب	الخريف
فَتَّانِي	نَظِيفٌ ، خاصٌ	معزَّى
سُومُو	نَعَامَة	مَغْصَصٌ مَعْوَى
كَاوَلَه	نَعْلٌ ، صندل	يُكْتَلُ ، زَبَيلٌ مصنوعٌ من
أَلِنْجِي-وَا ، أَيْ (عربية)	نَعَمَ	خُوصٌ شجر الدوم
سُور	نَمَ ( فعل أمر )	ملح
فُولْنِيجَه	نَمِر	ملح سائل
بَاوَوْ	نَهِيدَر	من حيث أن
« ٥ »		منزل ، مسكن
رَكْرَكَه ، كُرُورَاك	هَتَافٌ ، صياح	الموت
نَا	هَذَا ، هَذَا هُوَ	موظِ المَارِك
هذا هو اليوم ، هذا هو النهار	هَذَا هُوَ	« ن »
نَتَو (عن الشيخ)	هَرِّ	نَا ( ضمير متصل )
بِسْ	هَرِّيسَةٌ عَظَامٌ ، عَظَامٌ مَدْقُوقَةٌ	نَار
ويَكَه دَوَدِري	وَيَكَه دَوَدِري	أَوْتَوْنِيَح
إِينْ ، كِينْ	هُمْ ( ضمير متصل )	دَفَلَه
نجِيَا (عن الشيخ)	هَنَاكَ	وَفَيِه ، كَوْ
هَلَّا	هَوَاء	أَنِيَحُو
دَاوَلَو	هَوَادَج ، تَحْتَ رَوَان	دَائِي
تَحْتُ رَوَان	هَوَادَج ، تَحْتَ رَوَان	نبَات
		نبَات لِعْلَاجِ أمراض العيون
		دَقَرَه
		أَورِنِيَا
		كَيْ
		نَجْم ، كَوكَب
		نَحْنُ

گری	وراء ، خلف	و	واحد
رجی	وَسْخ ، قَذِير	دیك	وجبة العشاء (أنواع منها)
قویہ	وَقَع ، سَقْط	جری جَرَانِيَح	
«ی»		تَارِنْجِیا جَیِسُو	
کا	ياد المتكلم	صُبْح جَلَّ و (عربية)	
ترینیا	يد	كُونِی	وجه
لَسْلَام	يوم	وَدَع (عن الشیخ)	ودع المسبحۃ الصغیر
		صُفْر (عن الشیخ)	ودع مستطیل

الفاظ عربیة - فوراویة - رونجاویة

لاحظ چومار أن مفردات اللغة في دار وونجه المتاخمة لدارفور تختلف كل الاختلاف عنها في دارفور . ووجود أسماء المعدد على سبيل المثال تختلف تماماً في كلتا اللغتين فأوردها مثلاً لذلك هنا ، كما أورد بعدها خمساً وعشرين كلمة أخرى ، نقلًا عن التونسي وعن براون (١) .

اللفظ العربي	معناه في دار فور	معناه في دار روئيحة
واحد	ديك	گـدـنـدـه
اثنان	أو	امـيرـهـ
ثلاثة	إيس	أـتـكـ
أربعة	وال	مـنـدـرـ
خمسة	أوس	»
ستة	سداسي	سـبـوـرـتـيـكـيـدـهـ
سبعة	سباه (عربية)	أـوـ
ثمانية	تماني (عربية)	سـبـاـتـيـيـسـنـ
تسعة	تساه (عربية)	أـتـهـ
عشرة	وايه	بـُوفـ

三

Voyage au Darfour, préface LII : (١) راجع

اللغظ العربي	معناه في دار فور	معناه في دار روئيحة
أذف	كُلُو	نَسْو
أزرق	دِكُو	أندر آنيج
جبل	فُويَا	دَتَّا
حجر	دِيدُو	دِسّي
حربة	كُور	سُبُوك
حصان	أَرْ كَمَه	فِلاَه
حمار	لِيل	خُسْنَديه
خشب	آرَه	أَنْجُم
رجل	وَدَائِي	كَسْرِيه
سمكة	فُونَه	كُنْيَونِيج
شمس	دُولَا	أَنْيَنِيج
عسل	نَاسُو	تُجُّي
عصفور	أَرْ يَنْجِا	كِدِي
عين	كُونِينِي	خَسْو
قدم	تَار	إِتَاز
قمر	تَارِنِيَا	تمدّنج
كلب	دُوَال	منج
لحم	أَسُو	مسبيش
ماء	نَسْو	تا
	كُورُو	

اللغة العربية	معناه في دارفور	معناه في دار زونيجه
مطر	كُويه	كُويه
منزل	أورو	تُونيج
نار	أوتُونيج	نييك
نجم	أورِينيا	بيتيه
نعل	كولا	برو
يد	تُرِينيا	تشو

## الفاظ و عبارات عربية — فوراويه

جمعت عن أهل جبل مرّة أثناء الرحلة التي قمنا بها إلى دارفور في شتاء عام ١٩٦١

فوراوي	عربي	فوراوي	عربي
پَايَا	أم	بَايَا	أب
ڈُونِيَا	امرأة	فَتَنَا	أيضاً
أَرَا	أمس	فُكَا	آخر
حَسِى	أنتَ	بَرَا	أخ
بِي	أنتُمْ، أنتنَ	دُوِينَ بَرَا	أخي
سُبُرُوك	أف	بَايِ	أخ أكبر
ذِيو	بطن	دَدَا	أخت
وَذِن	كفتة ، حلابية	كِرُوْ	أخضر
او	قرة	دِلُو	أذن
وِينْيُو	بنت	دِكْشُو	أزرق
تُونِيچ	بيت	مُورُو	أسد
بِزُونِيُو	تعلب	دِكْشُو	أسود
نُونِيچ	ثور	تُورِي	اصبع
اوُو	جدَّة	فُوا	أصفر

فُورَاوِي	عَرَبِيٌّ	فُورَاوِي	عَرَبِيٌّ
ذْلِيه	شَمْسٌ	أَبْءَوْ	جَدَّةٌ
(الجمع: دُلِينْجَاتٌ)		دِيْبُؤْيٌ	جَدِيدٌ
كُوكُواً	طَوِيلٌ	وَذْنٌ	جَلَابِيَّةٌ
تُلَّيه	عَاقِلٌ	كَمَلٌ	جَمَلٌ
بَاـبَـم بـرـاـ	عَمَّ	إِرْمُو	حَاجِبُ الْعَيْنِ
(أَيْ: أَخُو الْأَبِ)		مُورْتَأْ	حَصَانٌ
نُمِى	عَيْنٌ	آرَهٌ	حَطَبٌ
دُدُو	فَأْرٌ	مَامَا	خَالٌ
مِنْهُـو	فَـحْمٌ	كَـلَـا	خَالَةٌ
مُـرـفـقـي	فَـرـسٌ	آرَهٌ	خَـشـبـ
(الجمع: مُـرـفـقـجـاتـ)		دُـوـحـيـا	دِجَاجَةٌ
أـدـوـ	فـمـ	زـوـنـجـاتـ	دِيكٌ
تـارـ	قـدـمـ	تـورـوـ	ذَئْبٌ
تـسوـيـ	قـدـيمـ	تـبـوـ	رَأْسٌ
بـتـقـيـهـ	قـصـيرـ	دـوـنـيـحـ آـبـاـ	رَجُلٌ
بـيـنـ	قـطـ	(الجمع: أـبـنـجـاتـ)	
دـوـالـ	قـرـ	كـوـنـيـ	رَقْبَةٌ
أـبـشـوـ	كـبـيرـ	دـوـنـيـاـ	زَوْجَةٌ
أـسـاـ	كـلـبـ	بـورـوـ	سَمِينٌ
كـوـرـوـ	مـاهـ	نـيلـوـ	شـعـرـ

فوري او	عربي	فوري او	عربي
إِينْ دُونِيْجْ أَبَا	هذا الرجل	دِيُونْ	ماعز
إِينْ دُونِيَا	هذه المرأة	الْأَلْ	مجنون
إِينْ كِنْيَحْ	هم ، هنّ	كِي	مرفق ، كوع
يِسِي	هو ، هي	أَدُونِيْجْ	نار
دَاؤْلُو	هواة	أَرِي	نجم
كِنْيَحْ	هؤلاء	(الجمع : أَرِينْجَا)	
كِنْيَحْ أَبْنِيَا	هؤلاء الرجال	كِي	نحن
كِنْيَحْ يَانِجَا	هؤلاء النساء	مَنْدِينْ	خيف
يِسِي	هي	إِيَانِجَا	نساء
نَا ، نْ ، نَ	وَ (واو العطف)	مُرِي	نعجة
دُونِيَا	يد	حِيَارَا	نمير
دُونِيَا نْ كُوي	يد ورقية	دَائِي	نملة
بِسْ نَادُو	قط وفار	إِرْمُو	هدب
		إِينْ	هذا ، هذه

## الأعداد

أَوْصَنْدِيكْ	ستة	دِيلْك	واحد
سَابِ	سبعة	أُو	اثنان
تَمْن	هَانِيَة	إِيس	ثلاثة
تِسِي ، تِيس	تسعة	أُونِجيَل	أربعة
وِيه	عشرة	أُوسْ	خمسة

فُورَاوِي	عَرَبِيٌّ	فُورَاوِي	عَرَبِيٌّ
وِينْجِياً أونْجِيل	أربعون	وِي نَ دِيك	أحد عشر
وِينْجِياً أوس	خمسون	وِي نَ أوْ	اننا عشر
وِينْجِياً أوصَنْدِيك	ستون	وِي نَ إِيس	ثلاثة عشر
وِينْجِياً سَابِ	سبعون	وِي نَ أونْجِيل	أربعة عشر
وِينْجِياً تَمَنْ	ثمانون	وِي نَ أوس	خمسة عشر
وِينْجِياً تِيس	تسعون	وِي نَ أوصَنْدِيك	ستة عشر
فِري	مائة	وِي نَ سَابِ	سبعين
فِرنْجِياً أوْ	مائتان	وِي نَ تَمَنْ	ثمانية عشر
فِرنْجِياً إِيس	ثلاثمائة	وِي نَ تِيس	تسعة عشر
فِرنْجِياً أونْجِيل	أربعمائة	وِينْجِياً أوْ	عشرون
فِرنْجِياً أوس	خمسائة	وِينْجِياً إِيس	ثلاثون

### الضَّمَاءُونَ الْمُنْفَصَلَةُ

كِي	نَحْنُ	كَأْ	أَنَا
بِي	أَنْتُمْ، أَنْتَنْ	حِسِي	أَنْتَ
إِنْجِي	هُمْ، هُنْ	يِسِي	هُوَ، هِي

فُرَّاوِي	عَرَبِيٌّ	فُرَّاوِي	عَرَبِيٌّ
<b>تصريف الأفعال</b>			
( مضارع )			
كَيْ مُوزَ كَامَ	نَحْنُ نَأْكُلْ مُوزَّاً	كَأَمْوَازْ آمَ	أَنَا آكَلْ مُوزَّاً
بَيْ « بَامَ »	أَنْتُمْ تَأْكُلُونَ «	جَاهِي « جَامَ »	أَنْتَ تَأْكُلْ «
إِيْنِيْحُ « كَيْ كَيْ »	هُمْ يَأْكُلُونَ «	يَاهِي « آمَ »	هُوَ يَأْكُلْ «
( ماضٍ )			
كَيْ مُوزَ كَيْ	أَكَلْنَا مُوزًا	كَأَمْوَازْ أَيِّ	أَكَلْتُ مُوزًا
بَيْ « بَمِيْ »	أَكَلْتُمْ «	جَاهِي « جَيِّ »	أَكَلْتَ «
إِيْنِيْحُ « كَيْ كَيْ »	أَكَلْوَا «	يَاهِي « أَيِّ »	أَكَلْ «
( مستقبل )			
كَيْ مُوزَ إِنْيِحْ كَمَ	سَنَأْكُلْ مُوزًا	كَأَمْوَازْ إِنْيِحْ آمَ	سَأَكُلْ مُوزًا
بَيْ « بَمَ »	سَنَأْكُلُونَ «	جَاهِي « جَمَ »	سَنَأْكُلْ «
إِيْنِيْحُ « كَمَا كَمَا »	سَيَأْكُلُونَ «	يَاهِي « أَيِّ »	سَيَأْكُلْ «



كتشاف  
كتاب تثحيذ الأذهان بسيّرة  
بلاد العرب والسودان  
للمؤنسى



## فهرس

### أسماء الأعلام والبلاد والأماكن

- |  |  |
|--|--|
| أبن خلدون : ٥٤ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٨ هـ .            | آدم (السلطان) : ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ .                    |
| أبن دريد : ٤ .                                   | آدم بوش (الوزير) : ٣٩٥ .                             |
| أبن سعيد : ٥٤ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٨ هـ .             | الاستانة : ٣٨٠ .                                     |
| أبن فضل الله العمري : ١٣٤ هـ .                   | آل عثمان : ١٧٩ .                                     |
| أبو البشر (الأمير) بن السلطان حسين : ٣٩٥ .       | أب درق : ٣٧١ .                                       |
| أبو بكر (شيخ الجبل) : ١٥٦ .                      | أب سنون (قبيلة في وادى) : ٢٦٥ .                      |
| أبو بكر الصديق : ٧٧ .                            | ابراهيم (الفقيه) : ١١٧ .                             |
| أبو الجدول : ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٦٩ ، ١١٦ . | ابراهيم الرياحى (الشيخ) : ٢٥ ، ٢٩ .                  |
| أبو زعبل : ٤٣ ، ٤٣ ، ٣١٢ .                       | ابراهيم ودرماد (الأمين) : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٩ .            |
| أبو زيد الهلالي : ٣٦٩ .                          | ابراهيم ودرماد (خريطة) : ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٢٠٨ ، ١٣٠ .     |
| أبو عسل : ٧١ .                                   | ابراهيم بن محمد حسين (السلطان) : ٣٧٢ ، ٣٩٥ .         |
| أبو فاطمة (بلدة) : ٨٥ هـ .                       | ابراهيم بن يوسف (سلطان وادى) : ٣٩٠ .                 |
| أبو فهر : ٢٤ ، ٢٣ .                              | ابن أبي الضياف : ٢١ .                                |
| أبو القاسم بن السلطان احمد بكر : ٧٣ ، ٧٤ .       | ابن بطوطة : ١٣٤ هـ ، ١٣٧ هـ .                        |
| أب حجر الشافعى (الامام) : ٤٦ .                   | ابن حجر الشافعى (الامام) : ٣٨٥ هـ ، ٣٧٣ ، ٣٢٤ ، ٩٧ . |

- أبو الكيلك : ٣٩١ .  
 أبو مدين (الأمير) : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧  
 ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧  
 ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤  
 . ٣٩١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٠ .  
 الأبيض : ٣٩٢ ، ٣٩١ ، ٣٨١ ، ٣٥٢ .  
 أحمد (السلطان) : ٣٧١ .  
 أحمد باشا جركس (أبو ودان) : ٣٦٤ ، ٣٥٦ .  
 أحمد البدوى (السيد الشريف) : ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣  
 ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٦٢ .  
 أحمد بكر (السلطان) : ٦٣ هـ ، ٧١ ، ٧٣ .  
 ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ هـ ، ٣٧٢ .  
 . ٤١٣ .  
 أحمد البنزرى : ٣٦ .  
 أحمد تيراب : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .  
 أحمد الدردير : ٣٩٦ ، ٣٩٥ .  
 أحمد زروق : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .  
 احمد شطة : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .  
 احمد الصغير (السيد) : ٥٦ .  
 احمد الفزالي (سلطان وادى) : ٣٩٠ .  
 احمد الفاسى : ٢٩٣ .  
 احمد المعمور (سفيان) : ٨٣ ، ١٤٥ هـ ، ٣٦٧ .  
 ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩٧ .  
 احمد ود جراب الفيل : ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
- أَحْمَدُ وَدَ طَهٌ : ٤١٢ .  
 أَحْمَدُ وَدَ عَدْلَانٌ : ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .  
 أَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَزْهَرِيُّ : ٣٢ .  
 أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ التُونْسِيُّ : ٣٥ .  
 أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَىٰ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .  
 أَدْجَزُ، اَنْظُرُ : أَغَادِيسٌ .  
 اَدْرِيسُ (السُّلْطَانُ ) : ٣٧١ .  
 الْأَدْرِيسِيُّ : ٥٤ هـ ، ١٣٨ هـ .  
 أَدْقَرُ اَنْظُرُ : أَغَادِيسٌ .  
 أَدْمُوْهُ : ١٣٣ هـ .  
 الْأَرْنَاؤُوطُ : ٣٦٣ .  
 الْأَزْهَرُ : ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩٣ ، ٤١١ .  
 اَسْحَاقُ (مِنْ أَهْلِ وَادِيٍّ) : ٣٣١ .  
 اَسْحَاقُ الْخَلِيفَةُ : ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥ .  
 ، ١٠٣ هـ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .  
 ، ١٠٩ هـ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ .  
 ، ٢٥٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .  
 اَسْحَاقُ قَابَاً : ٢٠٨ (خَرِيطَةٌ) .  
 اَسْكَنْدَرِيَّةٌ : ٩ ، ٣٢ ، ٣٥٣ .  
 اَسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ (اَلْأَفْيَرُ ) : ٣٩١ ، ٣٩٣ .  
 . ٣٩٤ .  
 اَسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مِيكَالٍ : ٤ هـ .  
 اَسْمُورُ : ٣٧١ .  
 اَعْجَامُ الْفُورُ : ١٦٥ ، ٢٢٤ .  
 اَغَادِيسٌ اوْ اَدْجَزُ اوْ اَدْقَرُ : ١٣٤ .

بارة : ٨٨ هـ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .	أفريقيا : ٦٣ هـ .
بارير : ٣٩ .	الأقطار المصرية : ٣٤ .
باسي ريز ، انظر : ريز .	إقليما (اخت قابيل) : ٢٤٩ .
باسي ريز ، انظر : ريز .	الألفي : ١١٨ .
باسي طاهر ، انظر : طاهر بن السلطان أحمد بكر .	أم بعوضة : ٦٧ ، ٦٩ .
باسي عوض الله : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ .	أم حبيب ، انظر : ايакري كنانة .
الباقرمه (مملكة أو سلطنة) : ٧٤ هـ ، ١٣٣ ، ٢٦٥ ، ٢١١ هـ ، ١٤٩ هـ ، ١٣٥ .	أم درمان : ٨٨ هـ ، ١٦٥ هـ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
باية : ٣٧٠ .	أم سلمى (بنت السلطان عبد الرحمن الرشيد) : ١٢٩ .
البهجه : ٨٥ هـ .	أمبوس ، انظر : أنبوسة .
بحرمى ، انظر : باقرمة .	امرأة القيس : ٤٤ .
بحر الجبائى : ١٠٦ .	أمين حامد : ٢٠٨ (خريطة) .
بحر الجبل : ١٤٠ هـ .	أنبوسة (أم السلطان محمد فضل) : ١٠٢ .
بحر الغزال : ١٠٢ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٤٠ هـ ، ١٤١ هـ ، ٤١٢ ، ٣٨٠ .	٣٨٣ ، ٣٨١ ، ٢٥٨ .
بحيرة تشاد : ٧٤ هـ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٥ .	إنجلاتيرة : ١٦ .
بخيت بن آدم بوش : ٣٩٥ .	أوربا : ١٥٦ ، ٣٥٣ ، ٣٠٦ ، ٢١٤ ، ١٦٠ .
بدوى بن السيد أحمد بدوى : ٥٦ .	أيا صوفيا : ٢٥ .
البديات : ٢٨١ .	اياكري كنانة : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
البديرية : ٨٥ هـ ، ١٤٠ هـ .	١٢٥ ، ١٩٢ .
البربر : ١٣٤ هـ .	(ب)
	باب المعلى : ٣٣ .
	باجرمى ، انظر : باقرمة .
	بارت : ٧٦ هـ ، ١٣٣ هـ .

بلدانجا : ١٥٠ هـ .	البرتى : ٨٤ هـ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ٢٨٣ ، ٢٦٤ ، ١٦٥ ، ١٥١
بنجا : ١٣٦ هـ .	البرجوب : ١٤٠
بندلا : ١٣٦ هـ .	البرقد : ٧٦ ، ٨٤ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ٢٧٣ ، ٢٦٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٠ ، ١٥٢ ، ١٥١
بنه : ٣٧٠ .	٣٧٦ ، ٣٧ .
بنو جرار : ١٤٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥ .	برقو ، انظر : دار برقو .
بنو حسين : ٣٧١ .	البرقو (قبيلة) : ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٦٤ ، ٣٩٠
بنو حفص : ٢٤ .	بركة الرطلى : ٢٨ .
بنو حلبة : ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ هـ ، ٣٧١ ، ٣٨٧ .	برنسو : ١١٦ هـ ، ١٣٣ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٥ هـ ، ٢١١ هـ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٧٧ هـ ، ٣٩١ ، ٢٦٥
بنو العباس : ٣٦٧ .	براون (الرحالة) : ٣٨٢ .
بنو عمران : ١٤٠ ، ٢٨٢ .	بستان أبي فهر : ٢٣ .
بنو فزارة : ٢٨٣ هـ .	بستان منوبة : ٣ .
بنو هلال : ٨٣ هـ ، ٨٤ هـ ، ١٤٥ هـ .	البسوس : ٢ .
بنو هلبة ، انظر : بنو حلبة .	بغداد : ١١ ، ٣٦٧ .
بني عدى : ٤٧ ، ٥٢ .	البقاء : ٨٥ هـ ، ١٠٣ ، ١٤٢ هـ .
بوا (واد شمالى دارفور) : ١٠٨ .	بكولوكو : ٣٢٢ ، ٣٢١ .
بوش بن محمد فضل (الأمير) : ٣٩٧ .	بلاد التروج : ٣٧٥ ، ٨٤ .
بولاق (بلد) : ٤٨ .	بلاد الريح ، النظر : دار الريح .
بولاق مصر : ٤٨ .	بلاد العرب : ٢٥٨ ، ٥ .
بوناپرت : ٣٨٣ ، ٣٨٤ .	بلاد المغرب : ١٣٤ هـ ، ١٥٦ ، ٢١١ .
البيت الحرام : ٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ .	البلالة : ١٣٣ هـ .
بيت النحاس : ٢٠٦ ، ٢٠٨ (خريطة) .	
بشر تولو : ٣٧٨ .	
بشر الزغاوى : ٥٣ ، ٢٩٩ .	

- الترك : ١٦٠ ، ١٨٨ .  
 ترة ، أو : طرة : ٨٤ هـ ، ١١٣ هـ ، ٣٨٠ .  
 التروج (بلاد) ، انظر : بلاد التروج .  
 التروج (جبل) ، انظر : جبل التروج .  
 تشاد ، انظر : بحيرة تشاد .  
 التعاشة : ١٤٢ هـ ، ٣٧١ .  
 التكاريير : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ .  
 تكرور : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ .  
 تمبكتو ، انظر : دار تمبكتو .  
 تمرو الفلاني (الفقيه) : ١١٧ ، ٢٨١ ، ٣٢٥ .  
 التموركه : ١٤٣ هـ ، ١٤٤ هـ ، ١٤٥ هـ ، ١٥٠ هـ ، ١٤٥ هـ ، ١٤٤ هـ ، ١٥٠ هـ .  
 التنجور : ٧٤ هـ ، ٨٤ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ هـ .  
 تندلتى : ٦٤ ، ٧٠ ، ١١٤ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢٦٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .  
 التهامى (أبو الحسن) : ٣٥ .  
 تورفيجه : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .  
 تولو ، انظر : بئر تولو .  
 توم (السلطان) : ٣٧١ .  
 تونج باسى (بيوت النساء) : ٣٤٥ .
- بئر سليمة : ٥٠ .  
 بئر السوينة : ٥٤ .  
 بئر المزروب : ٥٤ ، ١٣٦ ، ١٤١ .  
 بئر المحة : ٥١ .  
 بئر النطرون : ٥١ ، ٥٠ ، ٣٨٠ .  
 بيريس ، انظر : أبيريس .  
 البيقو : ٨٤ هـ ، ١٠٢ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٤ هـ ، ١٤١ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٥٩ ، ٣٧١ .  
 بيونجيه ، انظر : دار بيونجيه .  
 پيرون : ٤ ، ٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٤ ، ٣٣٩ .
- (ت)
- التاجيون أو التاجو ، انظر : الداجو .  
 تارنيه : ٦١ .  
 تالدوا : ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٠٨ .  
 التاما : ٢٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ .  
 تبستى (جبال وأقليم) : ٢٦٥ هـ .  
 تبلدية : ١٤٤ ، ١٤١ ، ١٠٥ .  
 التبو ، أو : تدا : ٥٤ هـ ، ٢٦٥ هـ .  
 تجايو (تلل) : ١٠٠ هـ .  
 تدا ، انظر : التبو .  
 ترجه (مضيق) : ٣٨٠ .  
 ترقنك محمد : ٢٥٦ .

تونس :	١٩، ١٨، ١٦، ١٥، ١٤، ٩، ٧،
١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٣٩، ١٣٨،	١١٦، ٦٧، ٣٥، ٣٢، ٣١، ٣٥، ٢٤
٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٢، ٣٠٧،	٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧، ٣٣٢، ٢٥١، ١٣٤
٤٠٩، ٣٨٢، ٣٨٠، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣،	٣٧٥، ١٣٣، ٨٤، ٨٣، ٣٧٥
٤١٠.	.
الجبلاويون :	٣٧١.
جد العيال (رئيس الفلان) :	١٢٦.
جدو :	١٠٠.
جدة :	٣٠.
جديد راس الفيل :	٥٥ هـ، ١٤١، ١١٤، ١٤١، ١٤٤
جديد المسيل :	٢٠١، ٧٠، ٥٥.
جديد كريو :	٣٢٥، ١٤٤، ١٤١، ٥٥.
جركوا، أو : جركول :	٣٤٨، ١١٠.
الجزائر :	١٤، ١٥، ١٩، ٢٤.
جزيرة سنار أو جزيرة النيل الأزرق :	٣٠، ٣١.
الجزيرة العربية :	١٣٩ هـ.
الجعليون :	٨٥ هـ.
جمال (السيدة، ابنة عم السيد أحمد بدوى)	٥٣.
الجمر :	٧٤ هـ.
جهينة :	١٣٣ هـ، ١٣٩ هـ.
الجوامعة :	٧٤ هـ.
تونس (المسيح) :	١٣٣، ٨٤، ٨٣، ٣٧٥، ٦٣، ٦٢ هـ، ٧٤، ٧٣، ٨٨، ٨٦، ٨٤، ٨٠، ٧٩، ٧٦، ١٠٢، ١٠١، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٤، ٩٣، ١٦٥، ١٤٠، ١١٩، ١١٨، ١١٤، ١٠٣، ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٢٤، ٢٥٣، ١٩١، ٤١١، ٣٨١، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٧.
ج	
الجامع الأزهر ، انظر : الأزهر .	
الجامع الاموى :	٢٥.
جامع أيا صوفيا :	٢٥.
جامع القرويين :	٢٥.
جبل النوبا :	٨٤ هـ، ١٠٣ هـ، ٣٥٧.
جبرائيل :	٢٤٨.
جبل تame :	١٤٩، ٣٣٣.
جبل التروج :	١٠٣.
جبل تقلان :	٨٤ هـ.
جبل حرير :	١٣٩، ٧٦ هـ.
جبل سى :	١٤٣ هـ، ١٤٥ هـ.
جبل مرة :	٦١، ٦٣، ٦٣، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧ هـ، ١٣٧ هـ، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣ هـ، ١٣٩ هـ.
الجوامعة :	٧٤ هـ.

حسين و د تورس ( الفقيه ) : ١١٧ .  
 الحكومة المصرية : ٣٦٩ ، ٣٩٧ .  
 حلق الود : ٢٤ ، ١٩ .  
 حلقة جولتو : ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩ .  
 حليمة ( جارية مكادية ) : ٣١ .  
 حمر ( قبيلة ) ١٠٣ هـ ، ٣٧١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .  
 حمودة باشا ( أبو محمد ) ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ .  
 حميده ( اسم جارية ) : ٦٦ .  
 حواء ( المير ، بنت السلطان عبد الرحمن الرشيد ) : ١١٦ ، ١٢٩ ، ٢٠٨ .  
 الحوصحا ( او : الهوسا ) : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ .

## خ

الخارجة ( الواحة ) : ٤٧ ، ٤٨ هـ .  
 الخرطوم : ١٣٧ هـ .  
 خط الاستواء : ١٦٦ .  
 الخليفة ، انظر : اسحاق الخليفة .  
 الخليل ( بلدة ) : ٢١٦ .  
 خليل بن الخليفة اسحاق : ٩٣ .  
 خليل بن اسحاق المالكي ( الشیخ ) : ١١٦ .  
 خود تدلتى : ٤٠٦ .  
 خورشید باشا : ١٧ .

جوجة : ٣٧١ .  
 جولتو ، انظر : حلقة جولتو .  
 ح  
 الحاج عبد الغنى : ٣٧٦ ، ٣٧٨ .  
 الحاج محمد صالح ثروة الجعلى : ٣٩٦ .  
 الحاج نور : ٢٧٧ .  
 حام : ٤١ .  
 الهاشمية ( الهاشمية ) : ١٤٢ ، ٢٩٥ .  
 حبيب ( ابن السلطان تيراب ) : ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .  
 الحجاز : ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٢٧٤ ، ٣٦٩ .  
 الحرمان الشريفان : ٤ ، ٣٥٤ .  
 الحريري ( أبو القاسم ) : ١٣ ، ١٧ .  
 حرizer ، انظر : جبل حرizer .  
 حسب الله جران ( الأمين ) : ٩٤ ، ٩٥ .  
 حسب الله بن محمد فضل ( الأمير ) : ٣٩٧ .  
 حسن باشا : ٣٥٦ ، ٣٦٤ .  
 حسن الكو ( الشیخ ) : ٢٥٤ .  
 حسن و د عوضه ( الفقيه ) : ١١٦ .  
 حسين باشا : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .  
 حسين عمماري الأزهري ( الشیخ ) : ١١٧ ، ٢٠٨ .

خير قریب (الأمين) : ٤٠٩ ، ٣٩٥ .

د

الماجو : ٧٦ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ هـ ، ١٣٨ هـ ،

١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ،

٣٧١ .

دار أباديما : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٩ .

دار أباديما (أى : بيته في فاشر السلطان) : ٢٠٨ (خريطة) .

دار الأمين يوسف : ٢٠٨ (خريطة) .

دار برقو : ٧٤ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ٧٤ ، ١٣٨ ،

٣٩٠ . دار بندله : ١٤١ .

دار بینجه : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٨٢ .

دار تاما : ١٢٦ هـ ، ١٣٦ .

دار التكنياوى (أو : دار الزغاوة) : ١٠١ هـ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤٤ .

دار التكنياوى (أى . بيته في فاشر السلطان) : ٢٠٨ (خريطة) .

دار تموركه : ١٤٣ .

دار تشبكتو : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ .

دار حامد : ١٠٠ هـ .

دار رونجه : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ .

دار الريح : ١٠٠ ، ٢٨١ .

دار الزغاوة ، انظر : دار التكنياوى .

دار سلا : ١٤٥ .  
 دار شلا : ١٤١ ، ٢٨٢ ، ١٤٢ ، ٣٧٠ .  
 دار صلایح : ١٢٦ ، ٧٤ هـ ، ١٣٥ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٨ هـ ، ١٥٢ هـ ، ١٣٨ .  
 دار الفراوجيه : ١٤٤ ، ١٤٢ .  
 دار فرتیت : ١٣٦ .  
 دار فنثرو : ١٤١ ، ٢٨٢ ، ١٤٥ ، ١٤٢ .  
 دار فور : ٥٥ هـ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٣٩ ، ٦٣ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٣٩ ، ٣٧٠ ، ٢٨٢ ، ١٤٢ ، ١٤١ .  
 ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٨ ، ٩٣ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٨٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥١ ، ٢٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٠ ، ٢٨١ ، ٢٧٥ ، ٢٦٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٥٩ ، ٣٠٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٣٢٣ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٣ ، ٣١٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٢٤ ، ٣٤٧ ، ٢٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٠ ، ٣٧٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ .

دنقله : ٨٥ هـ ، ٣٧٥ .

دنقله : ٨٥ هـ .

دنقو : ٣٧٠ .

الدنكا : ١٤٠ هـ ، ١٤٢ هـ .

دود بنقا (الأمير) : ٣٩٧ .

ديمانجا : ١٤٢ هـ .

ديموز آغا : ٣٦٣ .

### ذ

ذراع القادر (جارية) : ٢٦٠ .

ذميما (أخت هابيل) : ٢٤٩ .

### ر

الرزيقات : ٧٦ هـ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٠٣ ، ٨٥

، ٣٧٥ ، ١٤٢ ، ٣٧١ ، ٣٥٨ ، ٢٩٥ ، ٢٨٣

، ٣٨٧ .

رنقا : ٣٧١ .

الرهد (بلدة) : ١٤٢ هـ .

رواق المغاربة : ٣٦ .

رودس : ٨ .

الروملى : ٣٥٧ .

رونجه (قبيلة من الفرتين) : ١٣٦ هـ ، ٢٥١

ريز بن السلطان احمد بكر : ٩٧ ، ٩٦ ، ٧٣

، ٩٨ ، ١٠٢ .

ريف مصر : ٦١ ، ٣ .

، ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٩٨ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤

، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٠٣ .

دار قمر : ١٢٦ هـ ، ١٣٦ .

دار الكامنة : ٢٠٨ (خريطة) .

دار مساليط (أى مملكة المساليط) .

دار ١٢٦ هـ ، ١٣٦ .

دار مسيرة : ١٣٨ هـ .

دار ملا أو ملي أو مالى : ١٣٤ ، ١٣٥ .

دار النحاس : ١٦٨ ، ١٧٦ .

دار وادى ، انظر . وادى .

دارا : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

الداراوية : ١٤٥ .

دالى (السلطان) : ٦٢ هـ ، ٨٤ هـ ، ٣٩٧ .

الدبة : ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ هـ ، ١٣٧ .

دواو : ١٤٠ هـ .

درب الأربعين : ٤٨ هـ ، ٣٨٢ .

دردوك (الأمين) : ٢٠٨ (خريطة) .

الدفتردار (صهر محمد على) : ٣٩١ .

دفع الله (الشيخ) : ٢٤٦ .

دلدن ، انظر : محمد دلدن .

دلنج ود بنية : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

دليل (السلطان) : ٣٧١ .

الدليل (القاضى) : ٣١٨ ، ٢٧٤ .

دمشق : ٢٥ .

زيد (الفقيه) : ١٥٧ ، ١٥٨ .

## س

ساحل الذهب : ١٣٤ هـ .

ساحل الماج : ١٣٤ هـ .

سالم (من أهل وادى) : ٣٣١ .

سام : ٤١ .

ست النساء (بنت السلطان عبد الرحمن الرشيد) : ١٢٩ .

سراج (الفقيه) : ٢٠٨ (خريطة) .

سراط ، انظر : صراط .

surf الدجاج : ٥٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٩٨ .

٣٠٧ .

سرور بن أبي الجود (الشريف) : ١١٦ .

سعد (الفقيه) : ٤١٢ .

السعيد ، انظر : الصعيد .

سعید باشا : ٣٩٣ .

سكوتو : ١٣٥ هـ .

سلا ، انظر : دار سلا .

سلاطين باشا : ٣٩٧ .

سلونج ، انظر : سليمان سلونج (السلطان) .

سليمان تير : ٢٥١ ، ٢٠٨ (خريطة) .

٢٥٢ .

سليمان سلونج (السلطان) : ٨٣ ، ٨٤ ، ١٣٣ ، ١٤٥ هـ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ .

٤١٣ ، ٤٠٥ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧ .

ريفا بن السلطان أحمد بكر : ٧٣ ، ٩٦ ، ١٠٢ .

١٠٩ ، ١٠٨ .

الريل : ١٤٣ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ٣٠١ .

٣٧٨ .

## ف

الراکی بن السلطان عبد الرحمن الرشید : ١١٧ .

زاوية الشيخ العفيفي : ٢٨ .

زبادی (فلاح مصری) : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

٣٤٨ .

الزبدة : ٢٩٢ .

الزیر رحمت : ٣٦٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٩ ، ٣٩٦ .

الزرقاء : ٩ .

زربة عبد العزیز : ٣٩٤ .

الرغواة : ٥٤ ، ٨٤ هـ ، ١٣٨ ، ١٣٦ ، ١٣٩ هـ ،

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٤٠ .

٣٧١ ، ٢٨٣ ، ٢٨١ .

الرغاوی : ٢٩٩ ، ٥١ .

زمزم (ایباسی) : ٣٩٤ .

الزنوج : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ هـ .

زهرة (زوجة السيد عمر التونسي) : ٦٨ .

زهرة (المیرم) : ٤٠٥ .

زوانة کاشف : ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ .

الزوراء : ٤٣ .

الزيادیة (قبيلة) : ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٧١ .



طه المصطفى ، انظر : محمد ( صلعم ) .  
الطارق ، انظر : الملثمون .  
الطويشة : ١٣٦ ، ١٥٣ ، ٣٤٦ .  
الطيب محمد بن ( الشیخ ) : ٤١٢ ، ٣٩٧ .  
الطيب و د مصطفى ( الفقيه ) : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ .  
طيبة : ٩ .

## ع

عبد الحميد بن السلطان ابراهيم : ٣٩٧ .  
عبد الرحمن الرشيد ( السلطان ) : ٥١ ، ٦٢ هـ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٧٣ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٣ هـ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ١٦٧ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٠١ ، ١٩١ ، ٣٨٠ ، ٣٧١ ، ٣٥٥ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٤١٣ ، ٤١٢ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ .  
عبد السيد : ٢٠٨ ( خريطة ) .  
عبد الكريم ( حفيد وودا ) : ٧٤ هـ ، ١٣٣ هـ .  
عبد الكريم صابون ( السلطان ) : ١٤٩ ، ٣٧٣ ، ٢٥٦ .  
عبد الكريم بن الفقيه حسن و د عوضه : ١١٦ .  
عبد الكريم بن خميس عرمان : ٣٢٩ .  
العبد اللاعب : ٨٥ هـ ، ٨٨ هـ ، ١٦٥ هـ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٣٧٩ .  
عبد الله جثا ( الأب الشیخ ) : ٩٤ .

شو : ٤٨ .  
شوبة : ٣٧٥ .  
شوش ( السلطان ) : ٣٧١ .  
شیث : ٣٢٣ .

## ص

صابون ، انظر : عبد الكريم صابون .  
صالح ( السلطان ) : ٣٧١ .  
صالح أبو غدير : ٢١ .  
صراط : ١٩ .  
الصعید ( في السودان ) : ١٤٣ ، ٢٨٢ ، ٣٧٨ ، ٣٩٥ .  
صعید مصر : ١٤٠ هـ ، ٣١٧ .  
صفاقس : ١٨ .  
الصفتی : ٢٦٧ .  
صلیح ، انظر : دار صلیح .  
صلیح ( السلطان ) ، انظر : محمد صلیح .  
صوصو : ١٣٤ هـ .

## ط

طاہر بن السلطان أحمد بکر : ٩٦ ، ٧٣ ، ٧١ .  
٢٣٧ ، ١٠٢ ، ٩٨ .  
الطائف : ٣٣ .  
طرابلس العرب : ١٤ ، ٢٥ ، ١٣٤ ، ٢٥ هـ ، ٣٠٠ .  
طرة ، انظر : ترة .  
الطغرائی : ٤٢ .

- على كربل ( حاكم التموركه ) : ٣٢٩ .  
 على الفراب ( السيد ) : ٩٠ .  
 على ود برقو ( الوزير الامين ) : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١  
     ، ٣٨٠ .  
 على ود جامع ( الامين ) : ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥  
     ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ .  
 على بن أبي طالب : ١٠ .  
 على بن محمد شريف ( سلطان واداي ) : ٣٩٠ .  
     ، ٣٩١ .  
 عمارة دونقس ( زعيم الفونج ) : ١٣٣ هـ .  
 العمایم ( عرب ) : ٥١ .  
 عمر التونسي السيد : ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٧ .  
     ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١٢٧ .  
 عمر ليله بن السلطان احمد بكر : ٧٣ ، ٩٧ هـ .  
     ، ٣٧٢ ، ٣٧١ ، ٣٢٤ .  
 العنج : ٨٥ هـ .  
 العورة : ٣٧١ .  
 عوض الله ، انظر : باسى عوض الله .  
 عيسوى : ٢٠٨ ( خريطة ) .  
 عين شب ، انظر : الشب .  
  
**غ**  
 غانة : ١٣٤ هـ .  
 غرب افريقيا : ١٣٤ هـ .  
 الغر : ٤٧ ، ٣٧ ، ١١٨ .
- عبد الله جماع ( شيخ عرب القواسمة ) :  
     ، ١٣٣ هـ .  
 العبیدية ( الرقيق المجلوب من بلاد التروج ) :  
     ، ٢٠٨ هـ ، ٨٤ ( خريطة ) .  
 عثمان ود علو : ٢٧٣ .  
 عد الغنم : ١٣٩ هـ .  
 عدلان الثاني : ٨٧ هـ .  
 العدنانيون : ١٣٩ هـ .  
 العراق : ٧٨ .  
 العرب : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٥ هـ ،  
     ، ٢٩٤ ، ١٤٩ ، ١٤٥ هـ ، ١٦٥ ، ٣٦١ ، ٣٢ .  
 عرفة الدسوقي المالكى ( الشیخ ) : ٣٦ .  
 العریقات : ٢٩٢ ، ٣٨٧ .  
 عز الدين الجامعى ( الفقیه الشیخ ) : ١١٧ .  
 عفنو : ١٣٤ هـ ، ٢٦٥ .  
 العفيفي ( الشیخ ) : ٢٨ .  
 عکاشة ( قریة ) : ٥٠ هـ .  
 علوة ( مملکة ) : ١٣٣ هـ .  
 على ، اخو احمد المعمور : ٣٦٧ .  
 على باشا الاول : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٢ .  
 على بك الخبرير : ٤١٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ .  
 على الدرویش ( الشیخ ) : ٢٨ .  
 على دینار ( السلطان ) : ١١٣ هـ ، ١٥١ هـ .  
     ، ٤١٢ ، ٣٩٨ هـ ، ٢٨٣ .

الفسطاط : ٤٠ .

الفلاتة : انظر : الفلان .

الفلان ، أو : الفلاتة : ٦٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٩ هـ ،  
٣٢٥ ، ٢٨٣ ، ٢٧٨ ، ١٤٥ ، ١٤٢ هـ ، ٣٢٦ .

الفلبة : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ .

فنقرو ، انظر : دار فنقرو .

فوته : ٦٣ ، ١٣٥ هـ .

فوجه ( بلدة ) : ٣٩١ .

الفور : ٥٥ هـ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٦٩ ، ٦١ هـ ، ١٠٠ ، ٨٣ ، ٦٩ ، ٦١ هـ ،  
١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٢٦ ، ١٢١ ، ١١٤ ، ١٠٢ هـ ،  
١٤٥ ، ١٤٤ هـ ، ١٤٣ ، ١٣٩ هـ ، ١٣٨ هـ ،  
١٧٧ ، ١٦٧ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٥ هـ ، ١٥١ هـ ،  
١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٥ ، ١٨١ ، ١٧٩ هـ ،  
٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٤ هـ ،  
٢٤٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٢ ، ٢٢٤ ، ٢١٨ هـ ،  
٣٠٦ ، ٣٠٤ ، ٢٨٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٥٢ هـ ،  
٣٧٢ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣١٧ هـ ،  
٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ : ٣٧٥ ، ٣٧٣ هـ ،  
٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩١ ، ٣٨٧ هـ ،  
٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ هـ .  
الغونج : ٣٠ هـ ، ٨٥ هـ ، ١٣٣ هـ .

في

قابيل : ٢٤٩ .

قاسم البواب : ٢١ .

القاضى الدليل : انظر : الدليل .

ف

فارس : ٤ هـ .

فازوغلى : ١٣٣ هـ ، ٣٥٣ .

فاس : ٢٥ .

انفاشر : ٥٥ هـ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٠ هـ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦١ هـ ،  
١٤١ ، ١٢٨ ، ١١٣ ، ١١٠ هـ ، ٧٦ هـ ،  
٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٤ ، ١٦٢ ، ١٥١ هـ ،  
٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٤ هـ ،  
٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٨٤ هـ ،  
٣٩٣ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٥٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ هـ ،  
٤١٢ ، ٤٠٨ ، ٤٠٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ هـ .

فاشر واداي : ٢٠٠ هـ .

فاطمة أم دريس ( المير ) : ٤٠٤ ، ٤٠٣ .

الفرانسيس أو : الفرنساوية : ١١٨ ، ٣٧ .

فراوجيه : ١٣٦ هـ ، ١٣٨ ، ١٤٢ هـ .

الفرتيت : ١٣٦ هـ ، ١٣٨ ، ١٤١ هـ ، ٢٣٦ هـ ،  
٣٩٥ ، ٣٧٠ ، ٣٢٩ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣١١ هـ ،  
٤٠٨ ، ٤٠٧ .

فرج الله ( الخبر ) : ٥٢ .

فرحانة ( جارية ) : ٦٨ .

فزانة : ١٠٠ هـ ، ١٣٩ ، ١٤٠ هـ .

فزاري ( خال السلطان ) : ٢٠٨ ( خريطة ) ،  
٣٨٣ .

فزان : ١٤ ، ٣٠٠ .

- الكبايش : ٨٥ ، ٣٧٥ .  
 كبقه : ٣٧٠ .  
 كبكابية : ٥٥ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٨٤ هـ ، ١٥٧ .  
 كبي : أنظر : كوييه .  
 كنکو : ١٣٥ .  
 الراكريت : ١٤٣ هـ ، ١٤٤ ، ١٤٥ هـ ، ١٥١ .  
 كردنان - كردنال : ٥٤ هـ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٣ .  
 كريو (قرية) : ٣٨٠ ، ٣٠١ ، ٢٣٦ .  
 كشمرة (قبيلة في الوادي) : ٢٦٥ .  
 كشنا : ١٣٤ هـ .  
 الكعبة : ٢٧ .  
 كنانة ، أنظر : اياكري كنانة .  
 الكنجارة : ٨٤ هـ ، ١٤٣ ، ١٤٤ هـ ، ١٤٥ .  
 الكنوري : ١٣٤ هـ ، ١٥١ هـ .  
 الكنوز : ٨٥ هـ .  
 كوابي : ٥٥ ، ١١٦ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ٢٣٧ .  
 كامبار : ٣٧٠ .  
 كامجار : ٥٤ هـ .  
 كانم : ١٣٤ هـ ، ١٣٧ ، ١٣٨ هـ ، ١٣٩ .  
 القاهرة : ٢٥ ، ٤٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ١٥٣ ، ١٦٥ .  
 القراءة الصغرى : ٢٨ .  
 القرطاس (واقعة) : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .  
 القرطبي : ١٤٦ .  
 القرعان : ١٣٨ هـ .  
 قرلى : ٦٧ ، ٧١ ، ١٤٤ ، ١١٤ ، ١٥٢ ، ٢٠٣ .  
 قرى (مدينة) : ٨٥ .  
 قس بن ساعدة : ٤٤ .  
 قسطنطينية : ٢٥١ ، ٢٥ .  
 قسطنطينة : ١٩ هـ .  
 قصر رأس التين : ٣٥٣ .  
 القصیر : ٣٢ .  
 قلعة الكاف : ٢٤ .  
 القلقشندي : ١٣٤ هـ .  
 القمر : ٧١ هـ ، ١٣٦ هـ ، ٣٧١ .  
 القواسمة : ١٣٣ هـ .  
 القوز : ٣٤٦ ، ٣١٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢ .  
 (ك)

- |  |   |
|--|---|
| الماجانين : ١٠٠ ، ٢٩٢ ، ٢٨٣ ، ١٣٩ ، ٠<br>المجوس : ٢٦٣ ، ٠<br>المحاميد : ٨٥ هـ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ١٣٩ ، ٠<br>المحروسة : ٣٣ ، ٢٨ ، ٠<br>محمد ( صلعم ) : ١١ ، ٣٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٠<br>محمد أبو مدين بن السلطان عبد الرحمن الرشيد ، انظر : أبو مدين ، ٣٦٩ ، ٢٨٢ ، ٠<br>محمد الأمير الكبير ( الشيخ ) : ١٧ ، ٣٦ ، ٠<br>محمد أوردكا ( الأب الشيخ ) : ٢٥٣ ، ٠<br>محمد الباقي المسعودي : ١٤ ، ٠<br>محمد بخارى بن السلطان عبد الرحمن الرشيد : ١٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٠<br>محمد البركاوى ( الفقيه ) ابن أخي السلطان عبد الرحمن الرشيد : ١١٧ ، ٠<br>محمد التونسي ( أخو السيد عمر ) : ٣٦ ، ٠<br>محمد تيتل ( خال السلطان محمد فضل ) : ٢٥٨ ، ٢٠٨ ، ٠<br>محمد جلال الدين بن السلطان عبد الرحمن الرشيد : ١١٧ ، ٠<br>محمد الجولى ، قائد صفاقس : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٠<br>محمد جودة ( السلطان ) ، انظر : محمد صايع ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٠ | كورو بن السلطان دالى : ٨٤ هـ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٠<br>كوكو ( أقليم ) : ١٣٤ هـ ، ٣٩٧ ، ٠<br>كيللين ( ناشر فرنسي ) : ٣٣٩ ، ٠<br>مربوطة : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٠<br>الكوكه : ( قبيلة في وادى ) : ٢٦٥ ، ٠<br>كونبونجا : ١٥٠ هـ ، ٠<br>كيرا ( أسرة من الفور ) : ١٣٧ هـ ، ١٤٥ هـ ، ٠<br>كيري ( قرية اسفل جبل مرة ) : ٢٠٣ ، ٠ |
| ( ل )  |   |
| لقية : ٥٠ ، ٥١ ، ٠   |   |
| ( م )  |   |
| ماجوج : ٢٨٣ ، ٠<br>مالك الفوتاوي ( الفقيه ) : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٠<br>مالى ، انظر : دارملا ، ٦٦ ، ١٠١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١١٦ ، ١٠١ ، ٠<br>الماهيرية ( فرع من البقارة ) : ٨٥ هـ ، ٣٧١ ، ٢٨١ ، ٣٠٨ ، ٢٨٤ ، ٠<br>المنبي : ٨٧ ، ١١٣ ، ٠  |   |

- محمد فضل (السلطان) ابن السلطان عبد الرحمن الشهيد: ٥١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ١٠٢ هـ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٦ ، ١١٤ هـ ، ١٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٥٨ ، ٥٢٣ ، ١٩٢ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨١ ، ٣٦١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٠ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ، ٣٩٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٩١
- محمد كردا (الأب الشيخ): ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٧٩ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ١٢٧ ، ١١٦ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٣ ، ١٨٢ ، ١٥٠ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥
- محمد كريتيم (الفقيه): ١١٦
- محمد المحروقى: ٢٩ ، ٢٨
- محمد المحسى (الفقيه): ٣٥١
- محمد المكنى: ١٤
- محمد ود عمارى: ٣٩٣
- محمد بن أحمد البدوى: ١٦٤
- محمد بن على ود جامع: ١٢٨ ، ٩٧
- محمد بن عمر التونسي: ١٤٠ ، ٥٧ ، ٥٢ ، ١٤٠ هـ ، ١٤٣ هـ ، ١٥٠ هـ ، ١٥١ هـ ، ١٥٤ هـ ، ٢٠٠ هـ
- محمد بن القاسم: ٧٨
- محمد بن ميكال: ٤ هـ
- محمد بن نصر (الفقيه): ١٥٧ ، ١٥٤
- محمد الحسنى: ٧
- محمد حسين (السلطان): ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٠ ، ٣٧٢ ، ٣٦١ ، ٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ ، ٣٩٦
- محمد درت (السلطان): ١٤٩ هـ
- محمد دردوك: ١٠٠
- محمد دكمى بن الأمين على ود جامع: ٩٦ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٣
- محمد دلدن (الملك ، ابن عمّة السلطان محمد فضل): ٢٢٥ ، ٣٤٤ ، ١٣٠ ، ٧٠
- محمد دود (سلطان وادى): ٣٩٠
- محمد دوره (السلطان): ٣٧٢ ، ٧٣
- محمد سنجق (الملك ، قائد الزغاوى): ٥٤
- محمد شريف (سلطان وادى): ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩١
- محمد شهاب الدين (الشيخ): ٢٧
- محمد شيلفوت: ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٧٢
- محمد صابون: (سلطان وادى): ٤٤٣
- محمد صليح (أى المخلص) أو: محمد جوده (السلطان): ٢٦٥ هـ ، ١٤٩ هـ ، ٧٤ هـ
- محمد صول (السلطان): ٣٧١
- محمد طاهر (ابن عم التونسي): ٣٧
- محمد طاهر (السيد): ٣٧ ، ٣١
- محمد على باشا: ٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩١

- المسيرية الحمر : ١٠٣ هـ ، ١٤٢٦ ، ١٤٠٦ ، ١٣٩٦ .

محمود (السلطان) : ٣٧١ .

محمود أفندي : ٢٨ .

المحيط الأطلنطي : ١٣٥ هـ .

مدبأ (قبيلة في وادى) : ٢٦٤ هـ .

مدرسة الطب البشري : ٤٣ .

مدرسة الطب البيطري : ٤٣ .

مدلا (قبيلة في وادى) : ٢٦٤ هـ .

مدنى الفوتاوى (الفقيه) : ١١٧ ، ٣٢٣ ، ٢٧٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٤ .

المدينة المنورة : ٩ هـ ، ٢٨٢ ، ٧٧ .

مراد بيك : ١١٨ .

المارايت : ١٣٧ هـ ، ٣٧١ .

مرة ، انظر : جبل مرة .

المزروب ، انظر : بئر المزروب .

مساعد (الشريف) : ١١٧ .

مساعد بن السلطان تيراب : ٧٥ ، ٣٧٤ .

المصاليط : ٨٤ هـ ، ١٤٢٦ ، ١٢٦ ، ١٤٥ هـ ، ١٤٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٦ ، ٢٨٣ ، ٢٦٥ ، ١٥١ .

٣٧١ .

السبعات (أبناء عمومة سلاطين دارفور) : ٣٧٥ ، ٣٧١ هـ ، ١٢٣ .

السبع تونسام ، انظر ، تونسام .

السعودي : ٥٤ هـ .

مسلم (المقدوم) : ٣٩١ .

المسيرية : ١٠٣ .

اللثمون (أو : الطوراق) : ١٣٧ هـ .

ملنقا (قبيلة في وادى) : ٢٦٥ .

مكة المكرمة : ١١٦ ، ٤٢ ، ٣٣ ، ١١ ، ٣٥٤ .

المقطم : ١٥٣ .

ال LCS : ٤٩ .

المقريزى : ١٣٤ هـ .

المقام الحسينى : ٢٨ .

مفتاح (الحاج) أكبر عبيد الخليفة اسحاق : ١٠٤ ، ١٠٦ .

الملقبى التركى : ١١٧ .

المغرب ، انظر : بلاد المغرب .

المعالية (قبيلة) : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

مصطفى كساب (الشيخ) : ٤٣ .

مصر : ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٦٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٤ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٠٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٤ .

مسينا (عاصمة باقرمة) : ١٣٣ هـ .

المسيرية الزرق : ١٠٣ هـ ، ١٤٥ ، ١٤٠ ، ١٣٩ .

٢٨٣ ، ٢٩٥ .

ملي : أنظر : دار ملا .

الماليك : ١٨ ، ٣٨٢ .

مندرة : ١٣٥ .

منسا موسى : ١٣٤ هـ .

منصور (السلطان) : ٣٧١ .

منفوط : ٤٧ .

منتفقا ، أنظر : ملنقا .

منواشي (بلدة في دارفور) : ١١٤ هـ ، ٣٩٦ .

منوبة : ٢٣ .

المنية : ٤٧ .

المهدية : ٣٨٣ هـ ، ٣٩٧ .

المهيبي (الوزير) : ١٢ ، ١١ .

مورمينجا : ١٥ هـ .

المورة : ٤ ، ٢٥ .

موسى (السلطان ، ابن سليمان سلوج) : ٨٤ هـ ،

٣٧٢ .

ميدوب : ١٠٠ هـ ، ١٣٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٢٦٤ ، ١٣٧ .

٤١٣ ، ٤٠٠ .

المير حواء ، أنظر : حواء .

ميكائيل : ٢٤٨ .

الميمه : ١٣٧ ، ١٦٥ ، ١٥٢ ، ١٤٤ ، ١٣٨ ، ٢٦٤ .

٣٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٦٥ .

(ن)

ناختجال : ١٠٤ هـ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥١ هـ .

ناصر (السلطان) : ٣٧١ .

النطرون ، انظر : بئر النطرون .

نفه (مملكة أو سلطنة) : ١٣٤ ، ١٣٥ .

نمر (الفقيه) : ١٥٤ .

نمليه : ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ٣١٧ ، ٣٧ ، ٣٠١ .

النوايبة (فرع من البقارة) : ٨٥ هـ .

النوبة : ٥٠ هـ ، ٨٥ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٧ هـ ،

١٣٨ .

التوابيون : ٨٥ هـ ، ١٣٧ هـ .

نور الأنصاري (الفقيه) زوج المير حواء بنت

السلطان عبد الرحمن الرشيد .

نيلاً ١٠٥ هـ ، ١٠٦ هـ ، ١١٤ هـ ، ١٣٦ هـ .

النيجر : ٥٤ هـ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

نيجرياً : ٦٣ هـ ، ١٣٤ هـ .

نيسابور : ٤ هـ .

النيل : ٨٥ هـ ، ٨٨ هـ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٥ هـ ، ١٣٣ هـ ،

١٢٧ هـ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

النيل الأبيض : ٣٠ هـ .

النيل الأزرق : ٣٠ هـ .

(ه)

- الوادى الأكبير ، انظر وادى الكوع .  
 وادى زروق : ٥٤ هـ .  
 وادى الكوع ( الوادى الأكبير ) : ٢٠٦ ، ٢٠١ .  
 وادى مسروق : ٥٤ هـ .  
 وادى الملك : ٨٥ هـ .  
 ودادى ، انظر : وادى .  
 وكالة الجلابة : ٣٩ .  
 وودا : ٧٤ هـ .

(ي)

- اليتيم ، انظر : عبد الرحمن الرشيد .  
 يعقوب ( الشیخ ) : ٢٤٦ .  
 يعقوب ( الفقيه ) : ١١٧ .  
 اليمن : ١٢٣ هـ .  
 يوسف ( خازنadar الكاشف زوانة ) : ١٢١ .  
 يوسف باشا صاحب طرابلس الغرب : ١٤ .  
 يوسف الجلابي : ٣٨٢ .  
 يوسف خوجه صاحب الطابع : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ .  
 يوسف بن السلطان ابراهيم : ٣٩٨ .  
 يوسف بن محمد شريف ( سلطان ودادى ) : ٣٩٠ .

(و)

- هابيل : ٢٤٩ .  
 الهدى محمد : ١٣٤ هـ .  
 هاشم المسبعاوى ( السلطان ) : ٨٤ ، ٨٦ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٣٣ هـ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ .  
 ٣٧٩ ، ٣٨٠ هـ .

الهبانية ، انظر : الحبانية .  
 هرون ( الأمير ) : ٣٩٧ .  
 الهند : ٢١٤ .  
 الهوسا ، انظر : الحوصا .

الواحة الخارجية ، انظر : الخارجية .

- وادى : ٥٥ هـ ، ٧١ هـ ، ٧٤ هـ ، ٧٦ هـ ، ٨٥ هـ ، ١٢٦ هـ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٨ هـ ، ١٣٩ هـ ، ١٤٥ هـ ، ١٤٩ هـ ، ١٤٥ هـ ، ٢٠٠ هـ ، ٢٠٣ هـ ، ٢٧٤ هـ ، ٢٦٩ هـ ، ٢٦٥ هـ ، ٢٦٣ هـ ، ٢٥٦ هـ ، ٢١١ هـ ، ٣٣١ هـ ، ٣١٨ هـ ، ٢٩٣ هـ ، ٢٩٢ هـ ، ٢٨٢ هـ ، ٢٧٥ هـ ، ٣٨٧ هـ ، ٣٨٥ هـ ، ٣٧٣ هـ ، ٣٣٣ هـ ، ٣٣٢ هـ ، ٤١٢ هـ ، ٣٩٠ هـ ، ٣٨٩ هـ .  
 وادى أزوم : ١٤٢ هـ .

## مصنف العادات الوظائف والرتب والألقاب

البابون : ٢٠٦ .

(ا)

(ت)

تنونجي باشى : ١٨٠ .  
التكنياوى : ١٠١ ، ١٤٣ ، ١٠٨ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .  
٣٧٨ ، ١٨٢ ، ١٥٢ هـ .

(ج)

جبائى ( جمعه : جبائين ) : ٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .  
جوخه دار : ١٨٠ .

(ح)

حبوبات : ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ .  
حونپ ( جمعه : حوالب ، أى : قواصة ) : ١٦ .  
الحدادون : ٢٨٧ .

(خ)

الخازندار : ١٨٠ .  
خبير القافلة : ٣٥ .

(ب)

بشكتير أغاسى : ١٨٠ .

خشم الكلام : ٢٠١ ، ٢٠٠ .

خصيـان ( المفرد : خصـي ) : ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢١٣ ، ٢١٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٨ ، ٣٨٦ .

الخلبـوص : ١٨٨ .

## ( د )

دادـا ( الجـمع : دادـات ) : ١٠٤ ، ٤٠٠ ، ٣٧٨ ، ٢٩٠ ، ٢٨٨ .  
الدراماـدة ( المفرد : درمودـى ) : ٢٩٢ .

دملـع ( الجـمع : دمـالـع ، دـلـنـج ) : ٦٩ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ .

الديـوت دار : ١٨٠ .

## ( س )

سر بـوابـين : ١٨٠ .

السـلاح دـار : ١٨٠ .

السوـتـرى : ١٨٨ .

سوـميـندـقلـه : ٢٠٦ ، ١٨٣ .

## ( ش )

شرـبـتجـى باـشا : ١٨٠ .

شـرتـائـى أو شـرـطـائـى ( الجـمع شـراتـائـى أو شـراتـائـى ، كـيزـو أو كـيزـونـج ) : ٦٨ ، ١٥١ ، ١٥٠ هـ ، ١٨٤ ، ٢٦١ ، ٣٧٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ .

## ( ص )

صاحب حـاكـورـة : ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

صاحب الدـنـقار : ١٩٨ .

صـقلـ ( مـلـك ، شـيـخ ) : ٢٣٧ .

## ( ط )

طـبـابـى ( طـبـيبـ ) : ٢٨١ .

الـطـواـشـية ( المـفـرد : طـواـشـى ) : ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ .  
( خـريـطة ) : ٢٤٩ ، ٢٤٨ .

## ( ع )

الـعـقـدـة ( مـفـردـه : عـقـيـدـ ) : ٢٠٠ .

## ( ف )

فـلاـقـة ( مـفـردـه : فـلـقـنـاوـى ) : ١٥٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .  
( خـريـطة ) .

## ( ق )

قـانـونـ دـالـى : ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠١ .

الـقـاضـى الأـعـظـمـ : ٤٠١ .

قـفـطـانـ أـغـاسـىـ : ١٨٠ .

قبـودـانـ ( قـبـطـانـ ) : ١٦ .

قـزـلـ أـغـالـرـ ( أـغـواتـ الحـرـيمـ ) : ٢٤٨ .

قابچى باشى : ١٨٠ .  
قهوجى باشى : ١٨٠ .

(ك)

الكامنە : ١٥١ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٤٠٠ .  
الكتخدا : ١٧٩ .

الكماكلة ( مفرده : كمكولاڭ ) : ٣٠٠ .

الكوريات : ٨٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ( خريطة )  
كوركوا : ٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٦٩ ، ٨٠ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦  
ملكة الحبوبات : ١٦٧ .  
المهر دار : ١٨٠ .  
٣٧٨ .

كيزو ، انظر : شرتاي .  
كيزونج ، انظر : شرتاي .

(م)

المسخرة : ١٨٨ .

المقدوم ( الجمع : مقاديم ) : ١٣٣ هـ ، ١٥٠ هـ  
، ٤٠١ ، ٣٩٩ ، ٣٨١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩  
، ٤٠٢ .

مقدومية : ١٥٠ هـ .  
مك ( أى : ملك ) : ٣٠ ، ٨٨ .

(و)

الورناتج : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٨٦ .  
ورنج أبا : ١٥٢ .  
الوزير الأعظم : ١٧٩ .

**العملة وأنواع الفراش والأدوات المنزالية وغيرها**  
**والملابس والحلوى وأنواع الطيب**

<p>تكجل ( طبل ) : ١٩٩</p> <p>تمبل : ١٥٧</p> <p>تميمة ( الجمع : تمائم ) : ٢١٥</p> <p>تيكو ( قماش من المغرب ) : ٢١١</p> <p style="text-align: center;">( ث )</p> <p>ثوب ( ملاعة ) : ٢١٢</p> <p style="text-align: center;">( ج )</p> <p>الجزية : ٣٧٣ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٣</p> <p>جلاد ( نوع من الطيب ) : ٢١٨</p> <p>جسون : ١٠٣ ، ١١٩ ، ١٧٠ ، ٣٧٨</p> <p style="text-align: center;">( ح )</p> <p>حرش ( خرز ) : ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢١٦</p> <p>حشاشة : ( حديدة تستخدم في كي المريض ) : ٤١٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٢٧٤</p> <p>حفظ : ٢١٢</p> <p>الحكم ( غرامة ) : ١٨٥</p>	<p>( ١ )</p> <p>أبو مدفع : ٢٩٨</p> <p>الemd : ٢١٩</p> <p>الاجة : ٢١٢ ، ٢١١</p> <p style="text-align: center;">( ب )</p> <p>البردية ( طبل ) : ١٩٩ ، ٢٠٠</p> <p>بخسة ( آناء من فخار ) : ١٥٦</p> <p>بطلة : ( وعاء لحفظ السمن أو العسل ، جمعه : بط ) : ٢٩٣</p> <p>بفت : ٢١٢ ، ٢١١</p> <p>البيضاء ( طبل ) : ٤١٠</p> <p style="text-align: center;">( ت )</p> <p>تابا ( الدخان ) : ٣٠٠</p> <p>تارنيه ( عملة ) : ٢٩٨ ، ٢٩٧</p> <p>التقادم ( ضريبة ) : ١٨٥</p> <p>نكية ( جمعه : نكاكى ) : ٢١٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٤٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١</p>
--	---

(خ)

- خدور ( خرز ) : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣٠٢ .
- خرص ( الجمع : أخراص ) : ٢١٣ .
- خزام : ٢١٤ ، ٢١٣ .
- خزام حلقي : ٢١٣ .
- خزام شوكي : ٢١٣ .
- خشب الصندل : ٢١٨ .
- الخطيبة ( غرامة أو ضريبة ) : ١٨٥ .
- خلخال ( الجمع : خلاخيل ) : ٢١٨ .

(د)

- دايوق ( ثمر شجاع زكي الرائحة ) : ٢١٩ .
- دبلان : ٤١٢ .

دراءة ( فوطة صغيرة تلبس على صدور النساء ) : ٢١٢ .

دربيكة ( طبل ) : ٢٢٩ .

دلنج ( نوع من الجرار المصنوعة من الفخار ) : ٢٠٣ .

دولكة ( آلة للرقص ) : ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

٢٤٤ ، ٢٣٧ .

الدم ( دية ) : ١٨٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

دمليج ( جمعه : دماليج ) : ٣٠٢ .

دم الرعاف ( خرز أحمر داكن ) : ٢١٤ .

دمور : ٤١٢ ، ٤٠١ .

(ن)

الزكاة : ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(س)

سدأ : ( غزل أو منسوج ) : ٣٢٢ .

سداسي : ٢٩٨ .

سفروك ( عصا ) : ٢٤٥ ، ٢٨٧ .

السن : ٣٩٣ .

السلام ( ضريبة ) : ٤٠٣ .

سبيل ( طيب ) : ٦٠ ، ٢١٨ .

سوط ( جمعه : سياط ) : ٤١٠ .

سوميت ( خرز جامد ) : ٢١٤ ، ٣٩٤ ، ٤١٢ .

سوط ( جمعه : سياط ) : ٤١٠ .

(ع)

- عبدك ( قماش ) : ٢١١ .  
 عرق أم أبيض ، انظر : كعب الطيب : .  
 عرق بنفسج ، انظر : كعب الطيب .  
 العشور : ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ .  
 عقيق ( خرز أحمر كروي ) : ٦٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ .  
 عمرة ( إناء ، والجمع : عمار ) : ١٧٧ .  
 عنكريب : ٤٠٧ ، ٣٨٣ .

(غ)

- غلال : ٤٠٤ .

(ف)

- فاو ( مرجان صناعي كروي ) : ٢١٥ .  
 فردة ( مئزر يلبس في أوساط النساء ) : ٢١٢ .  
 فلقو ( ملح صناعي ) : ٢٩٩ ، ٢٩٨ .  
 فسوق ( غرامه ) : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .  
 الفطرة : ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .  
 فلقوية : ٢٩٩ .  
 فوطة : ٢١٢ .

(ق)

- قداني : ٢١٢ ، ٢١١ .  
 قص ( نوع من المرجان ) : ٢١٤ .

(ش)

- شاش : ٦٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ .  
 شوتير ( قماش ، والجمع : شواتر ) : ٢١١ ، ٣٠٢ ، ٢٩٨ .  
 شوش ( حب صغير أحمر ) : ٢١٦ ، ٢١٥ .  
 شورور ( عقد ) : ٢١٧ .  
 شيبة ( طيب ) : ٢١٨ .  
 شيت : ٤١٢ .  
 شيكة ( قماش ) : ٢٩٧ .

(ص)

- صرة الحرمين : ٤٠٦ .  
 صمغ : ٤١٢ .  
 صندل : ٦٠ .

(ط)

- طاقية : ٤٠٠ ، ٢١٢ .  
 طربوش : ٢١٢ .

(ظ)

- ظفر ( طيب ) : ٢١٨ .

قطيفة ( قماش ) : ٥٣ .  
اقوار : ٤٠٤ .

(ك)

كتكات ( قماش ) : ٢٩٧ .  
كرجاج ( جمعه : كرابيج ) : ١٧٦ .  
كشمير : ١٠٣ ، ١١٩ ، ٣٩٤ ، ٤٠٦ .  
كعب الطيب : ٢١٨ .  
كلكف ( قماش من قطن ) : ٢١١ .  
كنبو ( ملح ) : ٣٠٩ ، ٢٨٥ .  
كنفوس ( أى حفاظ ، والجمع : كنافيس ) :  
٣٧٢ ، ٢٥٨ ، ٢١٢ .  
كيم ( أساور تصنع من الفرون ) : ٢١٨ .

(ل)

لداي ( سلك فليظ من الفضة نصف دائري ) : ٢١٧ .  
لوى : ( قطن هندي ) : ٣١١ .

(م)

محلب ( طيب ) : ٢١٨ ، ٦٠ .

مدردم ( نوع من المرجان ) : ٢١٤ .  
مدرعة ( عقد ) : ٢١٧ .

مرجان : ٤١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٤ .  
مرسين ( طيب ) : ٢١٨ .

مشاهرة ( خرز ) : ٢١٦ .  
منجور ( خرز ) : ٢١٦ ، ٢٦٠ .

المنصورة ( الطبل الكبير الخاص بالسلطان ) :  
١٦٨ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٣٧٩ ، ١٧٤ هـ .

منصوص ( خرز ) : ٢١٧ ، ٢١٤ ، ٦٠ .

(ن)

نار ( غرامة ) : ٤٠٤ .  
النحاس ( طبل ) : ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٧٧ .  
٤١١ ، ٤٠٩ ، ٤٠٠ .

النفوس ( ضريبة ) : ٤٠٣ .

النقارية : ( الجمع : نقائر ) : ١٦٨ ، ١٧٣ ،  
٤٠٠ .

(هـ)

هامل ( ضريبة ) : ٤٠٥ ، ٤٠٤ .

**النبات والأشجار والأطعمة والأشربة  
وفصول السنة وشهورها**

ترمس : ٣١٠ . تمر هندي : ٤١٢ ، ٢٩٥ . التوم ( شهر ربيع الثاني ) : ٣٢٠ . التومين ( جمادى الاولى ) : ٣٢٠ .	ثوم : ٣٠٦ . جرى جرانج : ٢٤٣ . جمجمع : ٣١٥ . جمييز : ٣٠٧ . جوخان : ٣١٥ . جوز : ١٧٧ . الجوز الهندي : ٣١٠ .	خروب : ٣١٠ . خريف التيمان ( فصل الامطار ) : ٣٢٠ .	(ث)  (ج)  (ح)  (خ)	(١)  (ب)  (ت)
				أبنوس : ٣١٥ . أبو اباط ( ذرة شامي ) : ٣٠٥ ، ٣٠٤ . أبو شلولو ( ذرة بيضاء ) : ٣٠٤ . أبو فروة : ٣١١ . أبل : ٤١ . أرز : ٣٠٥ . أم بليل : ٢٤٤ ، ٢٣١ ، ٢٢٩ .

سنط : ٣١٤ ، ٣١٣ .  
سوبيا : ٢٣١ .  
سيال : ٢٠٠ ، ٢١٣ .  
شريج أو شيرج : ٣١١ .

( ش )

شاو : ٣١٤ .  
شراميط : ٢٨٨ .  
شعالوب : ٣١٦ .  
شعير : ٦١ ، ٣٠٤ .

( ص )

صبع جلو : ٢٤٣ .  
الصمع العربي : ٣١٢ .  
صندل : ٢٣٦ .  
صنوبر : ٣٠٨ .

( ض )

الضحية ( ذو الحجة ) : ٣٢٠ .  
الضحىتين ( شهر المحرم ) : ٣٢٠ .

( ع )

عاقول : ٤٩ .  
عبد : ٤٩ .  
عزيز ( ذرة حمراء ) : ٣٠٥ ، ٣٠٤ .  
عسل نحل : ٤١٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ .

( د )

دخن : ١٦٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٤ ، ١٨٤ .  
، ٣١٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٢٨٥ ، ٢٧٩ ، ٢٧٢ .  
. ٤١٢ ، ٣٢٠ .

الدرت ( فصل الجفاف ، سبتمبر وأكتوبر ) :  
٣١٨ ، ٣١٠ ، ٢٨٩ ، ٢٧٢ .

دفرة : ٣٠٥ ، ٢٩٥ .  
دقرة : ٣١٧ ، ٣١٦ .  
دليب : ٣١٠ ، ٢٣٤ .  
دندي ( دخن ) : ٣٠٤ .  
دودري : ٢٨٤ .  
دوم : ٣١٠ .  
دينرايا : ٢٤٤ ، ٢٣١ .

( ذ )

ذرة : ٣٠٤ ، ١٨٤ .

( د )

رجلة : ٦١ .  
الشاشة ( المطر ) : ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٨ .

( س )

سايق التيمان ( جمادى الثانى ) : ٣٢٠ .  
سرنة : ٢٩٥ .  
سمار : ٣١٤ .  
سمسم : ١٨٤ ، ٣٠٥ .

قصطل : ٣١١ .  
 القصیر (شعبان) : ٤٤٠ .  
 قطن : ٦٧ ، ١٨٤ ، ٣١١ .  
 قفل : ٣١٣ ، ٣١٢ .  
 قمح : ٣١٤ ، ١٦٠ .  
 (ك)

عشر : ٣١٢ .  
 عنب الذئب : ٣١٠ .  
 عندراب : ٣١٠ .  
 عنقلو : ٢٨٥ .  
 عيش (ذرة) : ٦٩ .  
 عين الجمل : ٣١١ .

كاستنا : ٣١١ .  
 كتر : ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٢٠٤ .  
 الكرامة (ربيع الاول) : ٣٢٠ .  
 كرنو : ٣٠٩ ، ٢٩٥ .  
 كريمه : ٣٠٦ .  
 كسبرة : ٣٠٦ .  
 كمبا : ٢٨٥ .  
 كمون : ٦١ .  
 كنياكنيا : ٣٠٩ .  
 كوريب : ٢٩٥ .  
 كيلي (شجر وماء) : ١٧٧ ، ٣١٦ .

### (ل)

لوبيا : ٣٠٥ .  
 لولو : ٣١١ .  
 لوت : ٣١٣ .  
 الليمون الحامض : ٤٠٧ ، ٦١ .

### (غ)

غلال (مفرودة : غلة) : ٦٨ .

### (ف)

الفطر (شوال) : ٣٢٠ .  
 الفطرين (ذو القعدة) : ٣٢٠ .  
 فقوس : ٦١ .  
 فلفل : ٣٠٦ ، ٦١ .  
 فول : ١٨٤ .  
 الغول المصرى : ٣٠٥ .

### (ق)

قشاء : ٣٠٧ ، ٦١ .  
 قديد : ٢٨٥ ، ٢٨٨ .  
 قديم : ٣١٠ .  
 قرظ : ٣١٤ ، ٣١٣ .  
 قرع : ٦١ .

نبيل : ٢٢٩  
نخل : ٣١٠  
نصيص : ٦٠  
نيلما : ٢٨٥

( ه )

هجليج : ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٢٩٥ ، ٣١٩ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨

( و )

الوحيد ( شهر صفر ) : ٣٢٠  
ورانية : ٢٤٤ ، ٢٤٣  
ويكة : ٢٨٥ ، ٢٨٤

( م )

ماريق ( ذرة ) : ٣٠٤  
مخيط : ٣١١  
مديدة : ٣٠٦ ، ٢٧٩  
مرهبيب : ١٩٤ ، ٣١٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٣١٤ ، ٤٠٢ ، ٤٤٦  
مريسة : ٤٠٢  
مزر : ٢٣١ ، ٢٢٩  
ملوخية : ٦١

( ن )

نارجيل : ٢٣٤  
نبيق : ٣١١ ، ٣٠٩

## الامراض

	الحصى : ٢٧٥ .	(ا)	ابو الصفوف : ٢٧٥ .
	حمى التثليث : ٢٧٢ .		ابو صفير : ٢٧٢ .
	حمى الربع : ٢٧٢ .		أبو لسان : ٢٦٩ .
	حمى الغب : ٢٧٢ .		الأدرة : ٢٧٧ .
	الحمى المطبقة : ٢٧٢ .		الاستسقاء : ٢٧٧ .
	حمى الورد : ٢٧٢ .		أم صقع : ٢٧٠ .
( د )	دود القرح : ٣٠٩ .	( ب )	البرجك : ٢٧٦ .
( ذ )	ذات الجانب : ٢٧٥ .		البرص : ٢٧٥ .
( س )	السل : ٢٧٧ .	( ج )	الجدري : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
	السوتية : ٢٧٦ .		الجدام : ٢٧٥ .
	السيلان الابيض : ٢٧٥ .		الجقيل : ٢٧٤ .
( ط )	الطاعون : ٢٧٧ ، ٢٧٣ .	( ح )	الحصبا : ٢٧٦ .

(ن)

النقرس (داء الملوك) : ٢٧٧ .  
نوشة : ٢٧٢ .

(هـ)

الهبوب : ٢٧٥ .  
الهواء الأصفر : ٢٧٤ .  
الهيضة : ٢٧٤ .

(وـ)

وجع الطحال : ٢٧٧ .  
الوردة : ٢٧٢ .

(غـ)

الغزيل : ٢٧١ .

(فـ)

الفرنديت : ٢٧٦ .

(قـ)

القرمزية : ٢٧٦ .

(كـ)

الكتراتا : ٢٧٧ .

(مـ)

المرض الأفرنجي : ٢٧٤ .

## المساكن والمبانى واقسامها

<p>(ق)</p> <p>قطية ( جمعه : قطاطى ) : ٤٠٦ .</p> <p>(ك)</p> <p>كالا : ٤٠٧ ، ٤٠٦ .</p> <p>كرباءة ( كرنبيبة ) : ٢٧٣ .</p> <p>كرنك : ٢٠٣ ، ٢٠٢ .</p> <p>كر : ٤٠٧ .</p> <p>(ل)</p> <p>لقدابة ( راكوبة ) : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ١٩٨</p> <p>(م)</p> <p>مسيد : ٢٣٠ .</p> <p>مطامير ( مفردة : مطمور ) : ٦٨ ، ١٨٤ .</p> <p>(و)</p> <p>وريبايا ( باب النساء ) : ١٩٨ ، ١٩٤ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٤</p> <p>وريدايا ( باب الرجال ) : ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥</p>	<p>(ب)</p> <p>بلدايا ( الجمع : بلدات ) : ١٩٥ ، ١٩٦ .</p> <p>(ت)</p> <p>تكلتى ( الجمع : تكالى ) : ٢٠٣ ، ٢٠٢ .</p> <p>تيرمه : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ .</p> <p>(د)</p> <p>دار النحاس : ١٦٨ ، ٢٠٦ .</p> <p>دردر : ٢٠٤ .</p> <p>درزویه ( الجمع : درزویات ) : ٢٠٣ .</p> <p>ذنجایة : ٢٠٧ .</p> <p>(ر)</p> <p>راكوبة : ١٩٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ .</p> <p>(ف)</p> <p>زربية : ٣٧٦ ، ٣١٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٤٠٦ .</p> <p>٤٠٨ .</p> <p>(ش)</p> <p>سكتایة ( الجمع : سكتایات وسکانی ) : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ .</p> <p>(ص)</p> <p>صریف : ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣١٤ .</p>
---	---

أنواع الرقص

(ج)	جیل : ۲۳۴ ، ۲۳۲	(ب)	بندله : ۲۳۴ ، ۲۳۲
(د)	دلوكه : ۲۳۲		
(ش)	شکندری : ۲۳۳ ، ۲۳۲	(ت)	
(ل)	لنفی : ۲۳۳ ، ۲۳۲		تندرجہ : ۲۳۴ ، ۲۳۲ ، ۷۶
			توڑی : ۲۳۴ ، ۲۳۲

السحر وضرب الرمل

(ع) العتبة الخارجية : ٣٣٦ .  
العتبة الداخلية : ٣٣٥ .  
العقلة : ٣٣٥ .

(ف) القبض الداخل : ٣٣٦ .  
القبض الخارج : ٣٣٦ .

(ل) اللحيان : ٣٣٤ .

(ن) نارة : ٣٢٢ ، ٣٢١ .  
النصرة الخارجية : ٣٣٨ .  
النصرة الداخلية : ٣٣٨ .  
نقى الخد : ٣٣٧ .  
النكيس : ٣٣٤ .

(أ) الاجتماع : ٣٣٥ .  
البياض : ٣٣٦ .

(ب) الجماعة : ٣٣٤ .  
الجودلة : ٣٣٧ .

(ج) الحمرة : ٣٣٧ .

(د) دمزوفه : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

(ط) الطريق : ٣٣٤ .



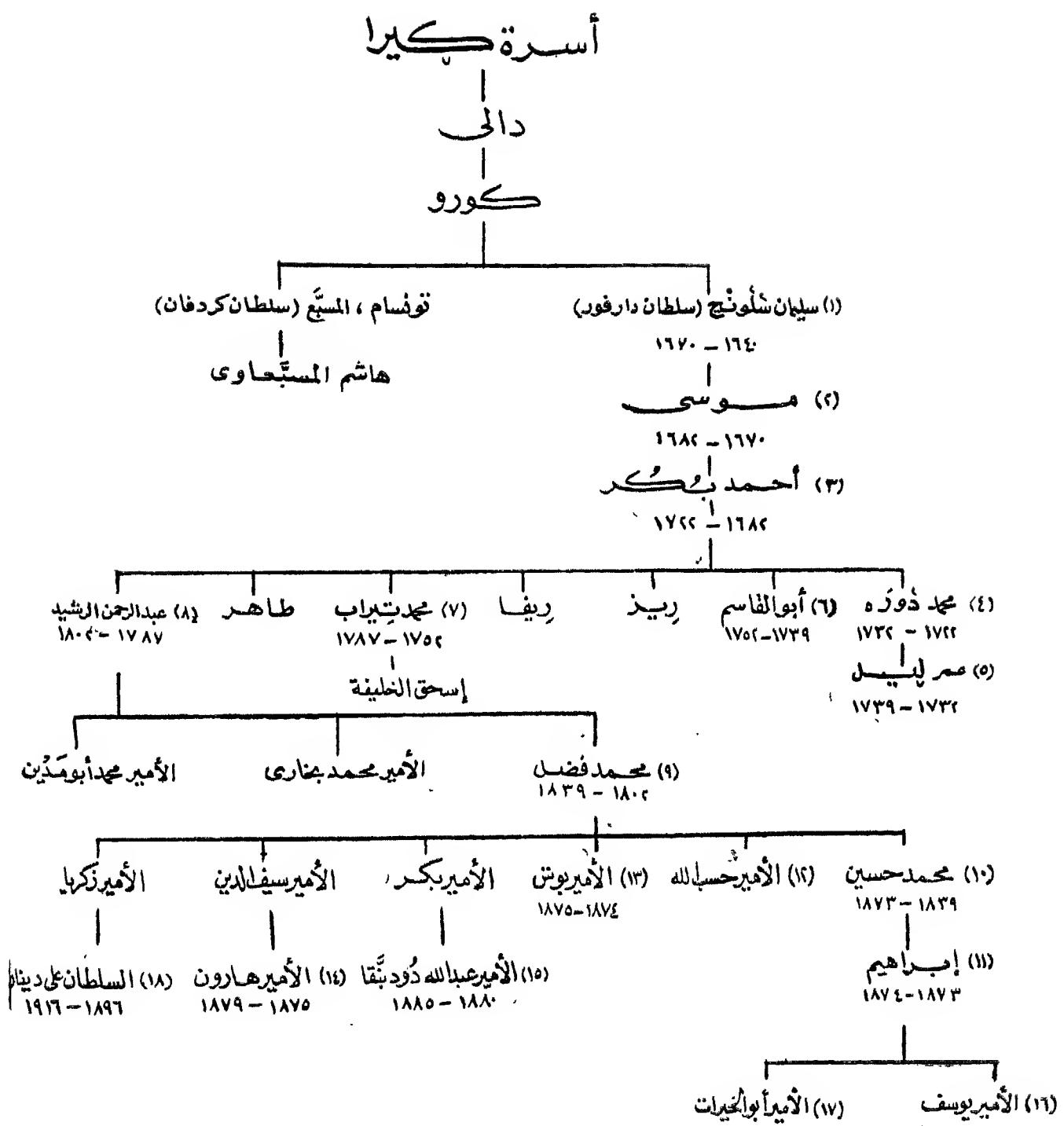
## تصويبات واستدراكات

الصيغة المراد إثباتها	سطر	صفحة	الصيغة المراد إثباتها	سطر	صفحة
للثغر	٦	٤٨	ونارت <sup>(٢)</sup>	١١	٣
صلبيحة	٣	٥١	بريئة من	١٢	٥
ونصه	٥	٥٢	فخاص	١٣	٨
سرف	١	٥٦	إهال إلى أن وصل إلى	٢	٩
بالريش	٤	٦٠	جهد ما استطاع	٣	
(٣)	٢٠	٦١	الشكبُ	٥	٩
الفلاته	١	٦٣	اطمئنان	٢٠	١٥
أهل الحراب	١٣	٧٩	الانجلاتيرة	١٤	١٦
حتى كان زمن	٢	٨٤	أخيبة العسكر	٦	١٩
قطنه	١٩	٩٠	البرية والبحرية	٨	
ريزَ	١٤	٩٧	عليه	١	٢٥
منهما	١٨	١٠٣	ملئت... المخروق	٢	٢٨
الشوفة	١٨	١١٤	٣١٥ ٤٨٠	٣	٣٥
و [كانت] [فيه] [أداة من] [فقه]	١	١١٧	على محلٌ		
وجال	٦	١١٨	الذمِيل	٦	٤٠
يا أَبْشُو	١	١٢٧	تُجْرِيْها	٤	٤١
سِنْهُ	١	١٣١	والمسر المصقع	٧	
الفراوجيه	٢٤	١٣٨	يُوماً	٦	٤٣
محمد فضل	١١	١٣٩	ومادته	١٥	
ثم	١	١٤١	لِتُحرِير	٢	٤٥
			ما احتجنا <sup>(٢٥)</sup>	٨	٤٧

الصيغة المراد إثباتها	مطر	صفحة	الصيغة المراد إثباتها	مطر	صفحة
أوردناء	١٩	١٩١	( ٢ )	١٨	١٤٤
الصف	٧	١٩٥	( ٣ ، ١ )	٢٠	
وأهل ورَبِّيَا	٩	٢٠٤	بالقوزِ	٣	١٥٣
مع خواصه	٦	٢٠٦	حاشية ١	١٩	
والحلُّى	٥	٢٠٧	والثومِ	١٧	١٥٥
من ذلك	١	٢٢٤	ص ١١٠ حاشية ٢	١٩	
الحاصرتين في الصفحة التالية	٩	٢٢٦	حافتهِ	٧	١٥٦
[ الباب الثاني ]	١	٢٢٧	كُوبِيهِ	١	١٥٧
التَّنْدِينِيَا	١٥	٢٢٤	بِما ورد... حاشية ٢	٢٠	١٥٩
التَّنْدِينِيَا	٢	٢٣٧	الميرَم	١	١٦٠
الميرَم	٤	٢٣٨	سَبَّ ، تَمَانِي ، تِسَاه	١٥	١٦١
المفاجِي	٨	٢٤٤	سَابَّ ، تَمَنَّ ، تِسِي	١٧	
من الوافر	١٧	٢٥٦	وخلَصَتُ	١٣	١٦٤
شيءٌ	٥	٢٦٠	والمُوحِيَهِ	٣	١٧٢
[ الباب الثالث ]	١	٢٦٨	ماءِ كِيلِي	٥	١٧٧
إلى	٦	٢٧٨	رقم ١	٢٢	١٨٠
والرِّجال	٥	٢٧٩	رقم ١٢	٢٣	
فتاًخرة	٨	٢٨٠	١٥١	٢٤	
الصَّمِيد	٣	٢٨٢	والذَّبِ	١١٢	١٨١
وفقَّرَ و	٤		١٥١	١٧ و ١٦	
الوُرَنَانِيَّ	٣	٢٨٦	أنث	١١	١٨٩
والسياطَ	١١	٢٨٨	خلَصُوا	١٣	١٩١

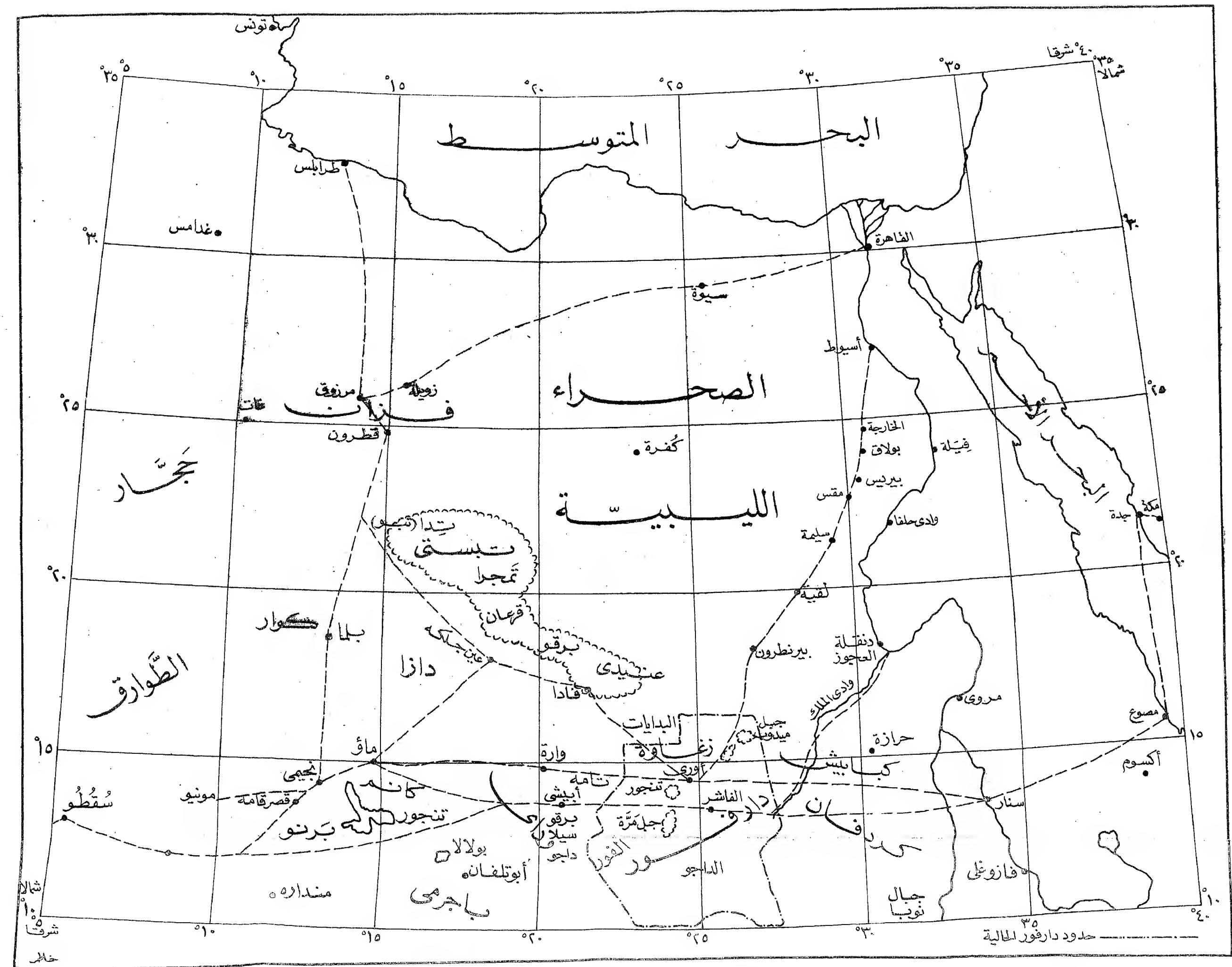
الصيغة المراد إثباتها	سطر	صفحة	الصيغة المراد إثباتها	سطر	صفحة
حَلَفَهُ	١٥	٤١٧	يَعْمَلُهُ	١٦	٢٨٨
جِئْتُ	٢٤	٤٢١	بِقَلِيلٍ	١٠	٢٩٠
دُولَيْهُ	٢٠	٤٢٢	كُوْبَيْهُ	١٤	٣٠٤
شَيْبَهُ	١٤	٤٢٣	وَبْنَى	٨	٣٠٧
كُوبَيْهُ	٢٥	٤٥٣	فَلَقَّيْنَ	١	٣١١
جُمعهُ : بُطَاطَ	١١	٤٦٢	الْأَعْدَاء	٩	٣٩٢

- ٣      سطر      صفحة  
١٢      ظُلُلُ اللَّهُ الظَّلِيلُ (بضم اللامين في الأصل) .
- ٣٢      سطر      صفحة  
١٨      يضاف إلى الحاشية ١ : والراجح أن المقصود : الرَّحَّالة .
- ٤٩      سطر      صفحة  
١١      يضاف إلى الحاشية ٦ : والغرود كذلك تلال رملية صغيرة متقلبة بفعل الرياح . انظر  
المقالة التي عنوانها : « الغرود » في مطبوعات وزارة الدفاع الوطني ١٩٣٨ .
- ٦٩      سطر      صفحة  
٢٠      يضاف إلى الحاشية ٤ : و « عَرَمَان » هي الصيغة .
- ١١١      سطر      صفحة  
١٨، ١٧      ينقل قول المؤلف : « عند السلطان كلاماً وقع منهم أمر مع أعدائهم من القبائل الأخرى »  
إلى مكانه الصحيح في صفحة ١٢٦ ، السطر الأول ، بعد قوله : « وصار يذب عنهم » .

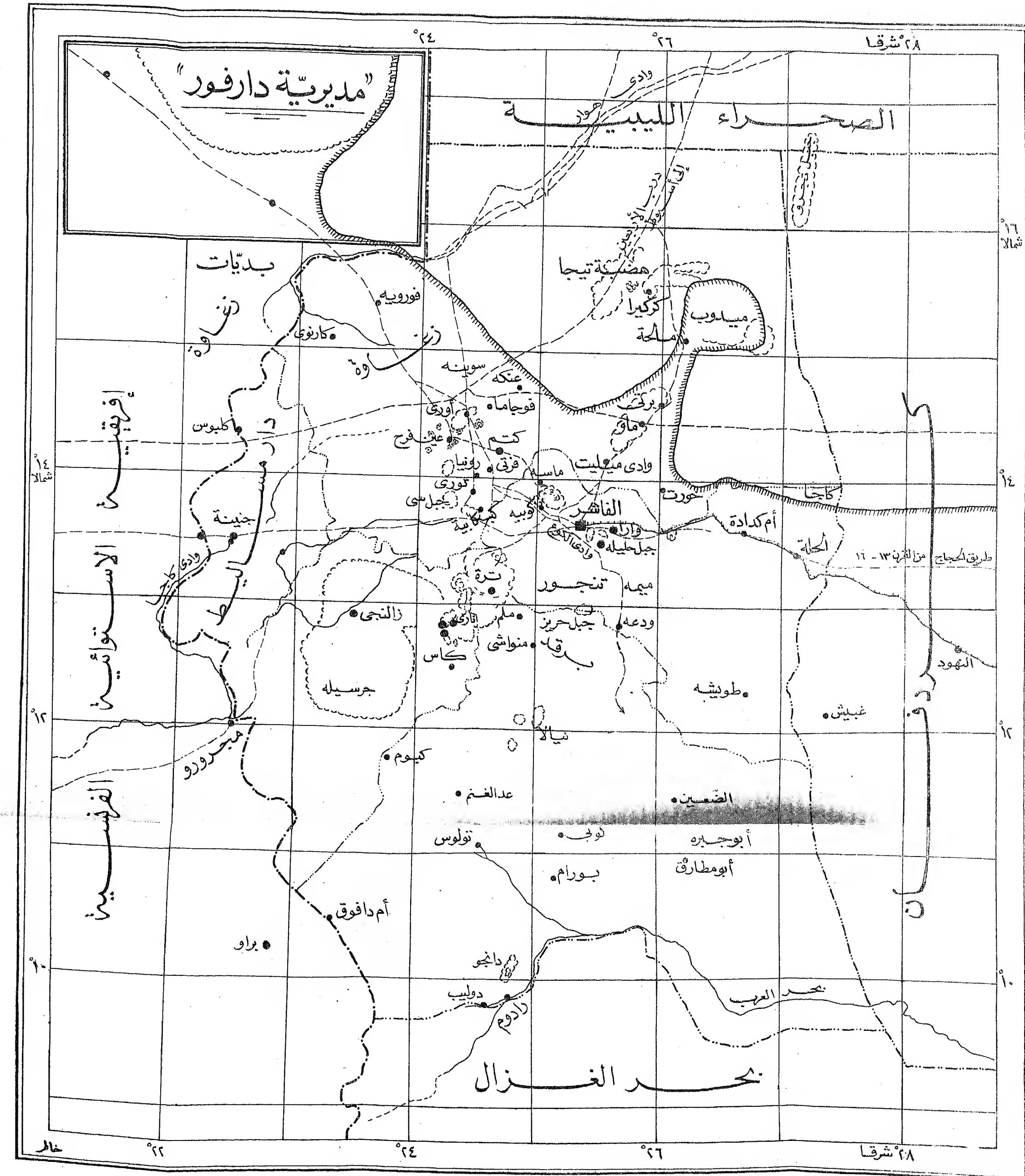


**جدول سلاطين دارفور**





دارفور ويجيرانها



## غناء المؤجية

عاليٌ جداً

اللّنْقِي

يَا عِيَانٍ

يَهْيُبُوا الْمَكَانٌ  
تَهْيِضُ دَلْدَنْجٍ وَدَنْتَيَةٌ  
صَبُّوا دَرِيزَ النَّحِيلَ فِي كَرْبُوْرٍ  
تَهْيِضُ دَلْدَنْجٍ وَدَنْتَيَةٌ

يَهْيَ بِ وَدْ دَنْجٍ دَلْ نَهِيَضٌ مَالْ بُلْ جِيَ يَاهْ عِيَا  
يَهْ يَهْ بِ وَدْ دَنْجٍ دَلْ نَهِيَضٌ يُوكَرِفِي الْخِيلَ رِيزْدَ بِصَبَّ بِيَهْ

الشَّنْدِيَّحَا

لَبِيَ لَهْ قَذِ رِنْ طَاهِهِ سِيَ بَا

فِينَ حَدَ لَنْجَ حَفْ مُضَّ تَابِ كِ  
أَبَا وِيَسْجَ دُوَّ مِيَا

صَقَلَ دُوَّ فَنْجَا تَارَ لَا زَيْ بِي كِ دُوَّ فَنْزِيَ دِيَا

بِي جَهْ بِحْرَا

اللنقي :

يَا عِيَانٍ

يَهْيُبُوا الْمَكَانٌ  
تَهْيِضُ دَلْدَنْجٍ وَدَنْتَيَةٌ  
صَبُّوا دَرِيزَ النَّحِيلَ فِي كَرْبُوْرٍ  
تَهْيِضُ دَلْدَنْجٍ وَدَنْتَيَةٌ

الشَّنْدِيَّحَا :

بَاسِي طَاهِيرِ دُقُلَا  
بِي لَبَا وَدُوَّيَسْجَ أَبَا  
كِتابَ مُضَّحَّفَ لَنْجَ حَلْقِيَنْ فِيَا  
ثُرِمَدُوْكُبِيَ رَبِيلَا  
تَازْنِيَّا مُدُوْصَقَلَ جُوَاجِيَ

الْخِيلَ :

يُوبَانِي هَنِيُوبَانِيَنْ  
الْلَّيِيلَ بُوبِي مِيَالْمُتَقَالُ  
أَنَارَاسِحَ إِنْدَار



